
سنوات في قلب الصراع
مذكرات
الفريق أول محمد أحمد صادق
وزير الحربية الأسبق
عبده مباشر
المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

صدق الله العظيم

آل عمران (١٣٩ - ١٤٢)

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

مباشر ، عبده.

سنوات في قلب الصراع : مذكرات الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية الأسبق / عبده مباشر . ـ القاهرة : المكتب المصري الحديث، ٢٠١٨. ص ؛ سم .

تدمك : ٢٠٩٣٠٨٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- رجال الدولة ٢- الوزراء

٣- صادق ، محمد أحمد

٤- القوات المسلحة ٥- القادة العسكريون

أ - العنـــوان

٩٢٣

رقم الايداع ٢٢١٦٧ / ٢٠١٨ بتاريخ ٢٥ / ١١ / ٢٠١٨

المكتب المصري الحديث

www.almaktabalmasry.com

email: may642003@yahoo.com

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٢٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

سنوات في قلب الصراع

مذكرات

الفريق أول محمد أحمد صادق

وزير الحربية الأسبق

عبده مباشر

المكتب المصري الحديث



المشير عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع والفريق صدقي صبحي رئيس الأركان
أثناء تكريم الفريق أول محمد أحمد صادق – رحمة الله عليه – مارس ٢٠١٤

بحضور أبنائه والذين أوصاهم بمسئولية نشر مذكراته داخل مصر في الوقت المناسب ،
إن لم تتح له فرصة نشرها حال حياته، وفقا لحديثه رحمة الله عليه
لمجلة أكتوبر بالعدد ٤١٩ في ٤ نوفمبر ١٩٨٤ .
التفاصيل ص ٢٤٨ – ٢٥٨)

هذه المذكرات

وصاحب هذه المذكرات ينتقل من نجاح إلى نجاح أكبر وأكثر تأثيرا فى تاريخ مصر وتاريخ القوات المسلحة عبر مسيرة حياته المترعة بالأحداث ، كان من العسير أن يجد ما يكفى من الوقت ليكتب مذكراته أو ليسجل شهادته ، ولكنه كقائد ، تعلم أن يدون فى «مذكرة القائد» ما يتعلق بعمله أولا بأول.

ومثل هذه المذكرات تمثل نقطة انطلاق جيدة فيما لو فكر أن يكتب شهادته.

ومنذ تخرج محمد صادق من الكلية الحربية ، وجد نفسه منغمسا فى العمل السرى. كانت الأوضاع ملتهبة ، والمناخ ككل يغلى بالغضب ، والمشاعر الوطنية كانت تواصل الفوران.

ومن مرحلة الخلايا الثورية إلى مرحلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، مضت الأمور فى مسارها .. وتشاء له الأقدار أن يتحمل مسئولية رئاسة أركان القوات الموجودة أو المحتشدة بسيناء خلال معركة ١٩٥٦ ، فيكون شاهدا على ما يجرى..

وينتقل للعمل كملحق حربى فى ألمانيا الغربية ، ويعود ليتحمل مسئولية منصب كبير المعلمين بالكلية الحربية ثم منصب مدير المخابرات الحربية . وبعد شهور من تعيينه تدور رحى معركة ١٩٦٧ ، وتواجه مصر هزيمة غير مسبوقة فى تاريخها العسكرى ، ومرة أخرى يكون شاهدا على ما يجرى..

ويعمل الرجل بكل قواه لمواجهة هذا الموقف وعلاج آثار الهزيمة بقدر ما يستطيع ، وتبدأ معارك الاستنزاف ، ويشكل المجموعة ٣٩ قتال ، لتعمل خلف خطوط العدو ، إلى أن يتوقف إطلاق النار فى أغسطس عام ١٩٧٠ .

ويرحل الرئيس عبدالناصر عن عالمنا ، وتتفجر الصراعات على السلطة ، ومن موقعه كرئيس أركان القوات المسلحة يتحمل مسئولية الاختيار ، فينحاز إلى الشرعية لا من أجل السادات بل من أجل مصر ، وينتهى الصراع بتثبيت أقدام السادات.

وكوزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة يقود عملية التخطيط لمعركة أكتوبر ، أول معركة هجومية فى تاريخ مصر المعاصر ، ويعمل على حل المشاكل التى اعترضت المخططين ، ويتابع عملية إعداد مسرح العمليات.

وفى نفس الوقت لم يتوقف عن العمل على التصدى للاطماع السوفييتيه المتزايدة فى مصر . والذى لا شك فيه أن دور الرجل ومشاركته بقوة فى هذه الأحداث التى أسهمت فى توجيه مسار تاريخ مصر المعاصر ، لا يمكن أن يترك بدون تسجيل.

ولما كان دور الرجل خصما من رصيد وأدوار آخرين ، ولما كان فى نفس الوقت صداما وانتصارا على قوى أو مجموعات أخرى. فقد كان من المنطقى أن تعمل كل هذه القوى على رواية التاريخ من وجهة نظرها وبما يخالف الحقيقة وما جرى على أرض الواقع.

وهذا التشويه المتعمد لتاريخ مصر ، بدأ والرجل مازال تحت الأضواء ، أما بعد أن تمت إقالته ، فقد تحولت الأمور إلى حملة متصلة لتشويه التاريخ.

وكثيرا ما كنت أسأله سواء وهو يواصل تحمل مسئولياته ، أو بعد إقالته متى ستكتب مذكراتك؟

فيرد على السؤال بسؤال ، ولماذا لا تكتبها أنت ؟ ألست شاهدا معى عليها ؟ ألم تكن موجودا أحيانا ، ومشاركا أحيانا أخرى ؟

فأجيب ، بلى ، فيقول ، إذن فاكتب أنت.

وأطلب منه أن نلتقى لتسجيل شهادته ، إذا ما كانت الكتابة تستغرق وقتا أطول ..

فيستجيب أحيانا .. وأحيانا يسجل بقلمه بعض الأحداث .. وبعد أن نقطع شوطا وأشواطا يطلب تأجيل الأمر لفترة.

وأسألـه لماذا ؟

فيجيب بقوله حسابات وحساسيات ..

ويضغط عليه الأبناء أحمد وأيمن وأمجد ..

ويستجيب للضغط ، وبعد فترة يطلب منا جميعا التوقف ..

ولا شك أن هناك من كان يرجوه تأجيل نشر مذكراته ..

وعندما بدأ كل من الفريق الشاذلى والفريق فوزى من بعده فى نشر مذكراتهما فى مجلة عربية تصدر فى باريس.. عدنا أنا والأبناء نطلب منه كتابة مذكراته حتى لا يترك الساحة لفوزى والشاذلى وليصحح ما ورد فى مذكراتهما ..

فيعد بالموافقة .. ثم يتأجل التنفيذ.

وحتى عندما ألتقى به فى منزله المسئول عن هذه المجلة ، وعرض عليه مبلغا من المال أكبر مما حصل عليه سعد الشاذلى أو محمد فوزى ، رفض الاستجابة للعرض ، بل ورفض أن يتوقع منه التفكير فى ذلك مستقبلا.

وحاول صحفيون مصريون وعرب الالتقاء به ، وكان رحمه الله يرحب بكل من يحاول، ويتحدث معه لتوضيح موقف أو واقعه ، ولكنه رفض فكرة نشر مذكراته.

وظللنا نضغط عليه من أجل كتابة المذكرات ، حتى استجاب وقطعنا شوطا .. إلا أنه عاد من جديد ، وقال مازلت مقتنعا أن الوقت لم يحن بعد لنشر هذه المذكرات.

وقبل أن يرحل محمد صادق عن عالمنا وضع فى عنق أبنائه وفى عنقى مسئولية كتابة ونشر مذكراته.

وفى مقال له نشرته مجلة أكتوبر بعددها الصادر يوم ٤ نوفمبر ١٩٨٤ قال «مازلت أحتفظ بمذكراتى ليوم يكون مناسبا ، أرجو أن يكون قريبا لأدلى بشهادتى أمام التاريخ، وإن لم يأت هذا اليوم فى حياتى ، فتلك مسئولية أولادى».

والآن ونحن ننشر صفحات من مذكراته ، نرجو أنا وأولاده أن نكون عند حسن ظنه بنا.

ولا أملك إلا أن أشكر الله أن منحنى القدرة على إتمام هذا العمل.

ولله الحمد من قبل ومن بعـــد.

عبده مباشـر

٢٠١٨

وكوزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة يقود عملية التخطيط لمعركة أكتوبر ، أول معركة هجومية فى تاريخ مصر المعاصر ، ويعمل على حل المشاكل التى اعترضت المخططين ، ويتابع عملية إعداد مسرح العمليات.

وفى نفس الوقت لم يتوقف عن العمل على التصدى للاطماع السوفييتيه المتزايدة فى مصر. والذى لا شك فيه أن دور الرجل ومشاركته بقوة فى هذه الأحداث التى أسهمت فى توجيه مسار تاريخ مصر المعاصر ، لا يمكن أن يترك بدون تسجيل.

ولما كان دور الرجل خصما من رصيد وأدوار آخرين ، ولما كان فى نفس الوقت صداما وانتصارا على قوى أو مجموعات أخرى. فقد كان من المنطقى أن تعمل كل هذه القوى على رواية التاريخ من وجهة نظرها وبما يخالف الحقيقة وما جرى على أرض الواقع.

وهذا التشويه المتعمد لتاريخ مصر ، بدأ والرجل مازال تحت الأضواء ، أما بعد أن تمت إقالته ، فقد تحولت الأمور إلى حملة متصلة لتشويه التاريخ.

وكثيرا ما كنت أسأله سواء وهو يواصل تحمل مسئولياته ، أو بعد إقالته متى ستكتب مذكراتك؟

فيرد على السؤال بسؤال ، ولماذا لا تكتبها أنت ؟ ألست شاهدا معى عليها ؟ ألم تكن موجودا أحيانا ، ومشاركا أحيانا أخرى ؟

فأجيب ، بلى ، فيقول ، إذن فاكتب أنت.

وأطلب منه أن نلتقى لتسجيل شهادته ، إذا ما كانت الكتابة تستغرق وقتا أطول ..

فيستجيب أحيانا .. وأحيانا يسجل بقلمه بعض الأحداث .. وبعد أن نقطع شوطا وأشواطا يطلب تأجيل الأمر لفترة.

وأسأله لماذا ؟

فيجيب بقوله حسابات وحساسيات ..

ويضغط عليه الأبناء أحمد وأيمن وأمجد ..

ويستجيب للضغط ، وبعد فترة يطلب منا جميعا التوقف ..

ولا شك أن هناك من كان يرجوه تأجيل نشر مذكراته ..

وعندما بدأ كل من الفريق الشاذلى والفريق فوزى من بعده فى نشر مذكراتهما فى مجلة عربية تصدر فى باريس.. عدنا أنا والأبناء نطلب منه كتابة مذكراته حتى لا يترك الساحة لفوزى والشاذلى وليصحح ما ورد فى مذكراتهما ..

فيعد بالموافقة .. ثم يتأجل التنفيذ.

وحتى عندما ألتقى به فى منزله المسئول عن هذه المجلة ، وعرض عليه مبلغا من المال أكبر مما حصل عليه سعد الشاذلى أو محمد فوزى ، رفض الاستجابة للعرض ، بل ورفض أن يتوقع منه التفكير فى ذلك مستقبلا.

وحاول صحفيون مصريون وعرب الالتقاء به ، وكان رحمه الله يرحب بكل من يحاول، ويتحدث معه لتوضيح موقف أو واقعه ، ولكنه رفض فكرة نشر مذكراته.

وظللنا نضغط عليه من أجل كتابة المذكرات ، حتى استجاب وقطعنا شوطا .. إلا أنه عاد من جديد ، وقال مازلت مقتنعا أن الوقت لم يحن بعد لنشر هذه المذكرات.

وقبل أن يرحل محمد صادق عن عالمنا وضع فى عنق أبنائه وفى عنقى مسئولية كتابة ونشر مذكراته.

وفى مقال له نشرته مجلة أكتوبر بعددها الصادر يوم ٤ نوفمبر ١٩٨٤ قال «مازلت أحتفظ بمذكراتى ليوم يكون مناسبا ، أرجو أن يكون قريبا لأدلى بشهادتى أمام التاريخ، وإن لم يأت هذا اليوم فى حياتى ، فتلك مسئولية أولادى».

والآن ونحن ننشر صفحات من مذكراته ، نرجو أنا وأولاده أن نكون عند حسن ظنه بنا.

ولا أملك إلا أن أشكر الله أن منحنى القدرة على إتمام هذا العمل.

ولله الحمد من قبل ومن بعـــد.

عبده مباشـر

٢٠١٨

مقدمة

الفريق أول محمد أحمد صادق

عندما أخبره الرئيس السادات أنه قرر تعيينه وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة وترقيته لرتبة "الفريق أول" ليلة ١٣ - ١٤ مايو ١٩٧١ ورجاه أن يحضر ليحلف اليمين فورا، قال له: "سيادة الرئيس هناك ما هو أهم فإن الضرورة والواجب يحتمان على تأمين مصر الآن ضد الأخطار المحتملة" . وقبل أن يسأله عن آخر الأنباء طمأنه على الوضع سواء بالنسبة للقوات المسلحة أو بالنسبة لمصر.

وكانت ليلة الصدام الأول مع مجموعة الورثة التى رأت أنها الأحق بحكم مصر بعد رحيل عبدالناصر واحدة من أطول الليالي. وكانت أحداثها فاصلة في تاريخ مصر الحديث ، وفي تلك الليلة نجت مصر من الوقوع في قبضة رجال الاتحاد السوفيتي. وبالتخلص من هذه المجموعة التي ناوأت السادات وعملت على التخلص منه لتدين السلطة لها، أنهي السادات المرحلة الانتقالية التي أعقبت وفاة عبدالناصر وأصبح يمسك في يديه بخيوط القوة والسلطة.

والفريق أول صادق الذي طلب تأجيل حلف اليمين كوزير للحربية، وهو المنصب الذي يتطلع إليه ويحلم به كل من يلتحق بالكلية الحربية، والذي يمثل قمة الهرم العسكري، أوضح بموقفه أن ما يهمه ليس المنصب بل مصر، وكان تأمين مصر من الأخطار التي هددتها هو شاغله الرئيسي والوحيد. ولم يكن يفعل ذلك من أجل السادات، بل من أجل مصر. ولم يقف في مربع السادات إلا لأن المجموعة الأخرى كانت ستقود مصر إلى الأسوأ، وهو لم يكن بعيدا عن تخطيط هذه المجموعة ، كان حاضرا ومتابعا ومدققا ومستعدا باستمرار لإحباط مخططاتها. ولم يحط السادات علما بموقفه إلا بعد أن تأكد أنه يمسك بعناصر الموقف بين يديه.

۞ ۞ ۞

هذا الرجل، هو نفس الرجل الذي شارك في التنظيمات السرية للجيش المصري خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وهو ابن الباشا قائد الحرس الملكي والقريب من الملك فاروق، اختار بوعيه وإرادته وبإدراكه وحسه الوطني أن يقف في المربع المعادى للملكية.

وعندما نجحت ثورة يوليو، كان أمامه أن يختار بين المنصب المدني الرفيع أو الاستمرار في صفوف القوات المسلحة ليمضي في طابور الأقدمية وفقا لأقدميته. فاختار الاستمرار في الحياة العسكرية.

وهذا الرجل الذي شاءت له الأقدار أن يلعب دورا رئيسيا في تاريخ مصر، ولد بقرية القطاوية مركز أبو حماد «بمديرية» محافظة الشرقية عام ١٩١٧ . ووالده أحمد باشا صادق قائد بوليس السرايات الملكية (١٩٢٣-١٩٤٨) خلال عهدي الملك فؤاد و الملك فاروق حيث حصل على رتبة الباشوية لموقفه البطولى أثناء حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ الشهيرة .

وبعد الانتهاء من دراسته الثانوية، التحق محمد صادق بالكلية الحربية وتخرج منها برتبة الملازم ثان في أبريل عام ١٩٣٩ وكان من بين زملائه الخريجين عبد الحكيم عامر، كمال الدين حسين ، صلاح سالم ، صلاح نصر و آخرين ، كان لكل منهم أدوار بارزة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولأن شمال أفريقيا تحول إلى مسرح للصراع العسكرى بين قوات المحور والحلفاء، ولأن مصر كانت تحت الاحتلال البريطاني منذ يوليو ١٨٨٢، فقد فرضت الظروف عليها أن تكون شريكا في العمليات حتى قبل أن تعلن الحرب رسميا على المحور. وأتيحت الفرصة للفريق أول صادق أن يكتسب أولى خبراته القتالية من خلال المعارك التي شارك فيها بالصحراء الغربية، أو بالعمل بمنطقة القناة. وكانت معركة ١٩٤٨، أول جولة عسكرية بين القوات المسلحة العربية وإسرائيل، والتي تحمل الجيش المصري فيها العبء الأكبر، وأثناء هذه المعركة كان قد أصبح قائد سرية مشاة.

وشارك محمد صادق فى معركة ١٩٤٨ وللمشاركة قصة فقد قرر الملك فاروق أن يدفع بسرية من الحرس الملكى يقودها الصاغ (رائد) محمد صادق ومن بين ضباطها صبحى إبراهيم فهمى من أبطال مصر فى رياضة السلاح وجمال خليفة أحد أبطال مصر فى السباحة و وفيق أحمد على و عبدالمنعم عبدالحى إدريس وكان لقرار إشراك هذه السرية فى العمليات الحربية رد فعل إيجابى بين أبناء مصر كما يقول المؤرخون ، فإن هذه الوحدة

مقدمة

الفريق أول محمد أحمد صادق

عندما أخبره الرئيس السادات أنه قرر تعيينه وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة وترقيته لرتبة "الفريق أول" ليلة ١٣- ١٤ مايو ١٩٧١ ورجاه أن يحضر ليحلف اليمين فورا، قال له: " سيادة الرئيس هناك ما هو أهم فإن الضرورة والواجب يحتمان على تأمين مصر الآن ضد الأخطار المحتملة " . وقبل أن يسأله عن آخر الأنباء طمأنه على الوضع سواء بالنسبة للقوات المسلحة أو بالنسبة لمصر.

وكانت ليلة الصدام الأول مع مجموعة الورثة التى رأت أنها الأحق بحكم مصر بعد رحيل عبدالناصر واحدة من أطول الليالي. وكانت أحداثها فاصلة في تاريخ مصر الحديث ، وفي تلك الليلة نجت مصر من الوقوع في قبضة رجال الاتحاد السوفييتي. وبالتخلص من هذه المجموعة التي ناوأت السادات وعملت على التخلص منه لتدين السلطة لها، أنهي السادات المرحلة الانتقالية التي أعقبت وفاة عبدالناصر وأصبح يمسك في يديه بخيوط القوة والسلطة.

والفريق أول صادق الذي طلب تأجيل حلف اليمين كوزير للحربية، وهو المنصب الذي يتطلع إليه ويحلم به كل من يلتحق بالكلية الحربية، والذي يمثل قمة الهرم العسكري، أوضح بموقفه أن ما يهمه ليس المنصب بل مصر، وكان تأمين مصر من الأخطار التي هددتها هو شاغله الرئيسي والوحيد. ولم يكن يفعل ذلك من أجل السادات، بل من أجل مصر. ولم يقف في مربع السادات إلا لأن المجموعة الأخرى كانت ستقود مصر إلى الأسوأ، وهو لم يكن بعيدا عن تخطيط هذه المجموعة ، كان حاضرا ومتابعا ومدققا ومستعدا باستمرار لإحباط مخططاتها. ولم يحط السادات علما بموقفه إلا بعد أن تأكد أنه يمسك بعناصر الموقف بين يديه.

❁ ❁ ❁

هذا الرجل، هو نفس الرجل الذي شارك في التنظيمات السرية للجيش المصري خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وهو ابن الباشا قائد الحرس الملكي والقريب من الملك فاروق، اختار بوعيه وإرادته وبإدراكه وحسه الوطني أن يقف في المربع المعادى للملكية.

وعندما نجحت ثورة يوليو، كان أمامه أن يختار بين المنصب المدني الرفيع أو الاستمرار في صفوف القوات المسلحة ليمضى في طابور الأقدمية وفقا لأقدميته. فاختار الاستمرار في الحياة العسكرية.

وهذا الرجل الذي شاءت له الأقدار أن يلعب دورا رئيسيا في تاريخ مصر، ولد بقرية القطاوية مركز أبو حماد «بمديرية» محافظة الشرقية عام ١٩١٧. ووالده أحمد باشا صادق قائد بوليس السرايات الملكية (١٩٢٣-١٩٤٨) خلال عهدي الملك فؤاد و الملك فاروق حيث حصل على رتبة الباشوية لموقفه البطولى أثناء حادثة ٤ فبراير١٩٤٢ الشهيرة .

وبعد الانتهاء من دراسته الثانوية، التحق محمد صادق بالكلية الحربية وتخرج منها برتبة الملازم ثان في أبريل عام ١٩٣٩ وكان من بين زملائه الخريجين عبد الحكيم عامر، كمال الدين حسين ، صلاح سالم ، صلاح نصر و آخرين ، كان لكل منهم أدوار بارزة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولأن شمال أفريقيا تحول إلى مسرح للصراع العسكرى بين قوات المحور والحلفاء، ولأن مصر كانت تحت الاحتلال البريطاني منذ يوليو ١٨٨٢، فقد فرضت الظروف عليها أن تكون شريكا في العمليات حتى قبل أن تعلن الحرب رسميا على المحور. وأتيحت الفرصة للفريق أول صادق أن يكتسب أولى خبراته القتالية من خلال المعارك التي شارك فيها بالصحراء الغربية، أو بالعمل بمنطقة القناة. وكانت معركة ١٩٤٨، أول جولة عسكرية بين القوات المسلحة العربية وإسرائيل، والتي تحمل الجيش المصري فيها العبء الأكبر، وأثناء هذه المعركة كان قد أصبح قائد سرية مشاة.

وشارك محمد صادق فى معركة ١٩٤٨وللمشاركة قصة فقد قرر الملك فاروق أن يدفع بسرية من الحرس الملكى يقودها الصاغ (رائد) محمد صادق ومن بين ضباطها صبحى إبراهيم فهمى من أبطال مصر فى رياضة السلاح وجمال خليفة أحد أبطال مصر فى السباحة و وفيق أحمد على و عبدالمنعم عبدالحى إدريس وكان لقرار إشراك هذه السرية فى العمليات الحربية رد فعل إيجابى بين أبناء مصر كما يقول المؤرخون ، فإن هذه الوحدة

العسكرية الصغيرة كانت الوحدة الوحيدة التى خرجت فى موكب شعبى سار من ميدان عابدين حتى ميدان باب الحديد وعندما وصلت السرية إلى مسرح العمليات أنيط بها حراسة قيادة القوات المصرية فى غزة.

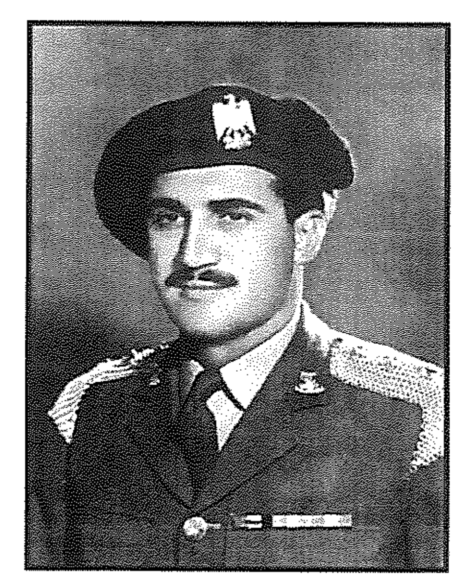
وفى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ دفع اللواء أحمد فؤاد باشا صادق قائد القوات المصرية بفلسطين هذه السرية لصد الهجوم الاسرائيلى على مركز القيادة وقد قاتلت السرية ببسالة وسقط منها شهيدين: هما صبحى فهمى وجمال خليفة فى حين أصيب محمد صادق و وفيق أحمد على.

وعندما عاد إلى مسرح العمليات مرة أخرى عام ١٩٥٦، كان يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات المصرية بسيناء. وبالرغم من أمر الانسحاب من سيناء، فإن القوات المصرية بكل من موقعي أبوعجيلة ورفح قاتلت ببسالة تحت قيادته، قاتل علي عبدالخبير في أبوعجيلة وأنقذ شرف العسكرية المصرية بشجاعته وحنكته وبسالة قواته، مما أدى إلى عرقلة تقدم القوات الإسرائيلية لعدة أيام، وقاتل جعفر العبد في رفح وتمكن بقواته المحدودة من وقف التقدم الإسرائيلي. وهذه الأيام هي التي أتاحت للقوات المصرية المنسحبة الوصول إلى الضفة الغربية للقناة بأقل قدر من الخسائر. وكانت المعركة التي كشفت عن معادن بعض القادة فرصة لتتوثق العلاقات بين هذه العناصر وبينها وبين الفريق أول صادق. وكانت أيضا احتكاكا كشف أو ألقى الضوء بشكل قوى على ضباط وقيادات أخرى تمثل الوجه الآخر.

وقبل أن يتبوأ صادق مسئولياته كرئيس أركان للقوات المصرية بسيناء خلال الجولة العسكرية الثانية في تاريخ الصراع العربي – الاسرائيلى، كان قد تولى قيادة ثلاث كتائب مشاة وقيادة لواء مشاة ميكانيكي.

وبعد هذه الجولة وارتفاع رصيد عبدالناصر بالعالم العربى و إحكام قبضته على مصر وبدء الشروخ في علاقة عبدالناصر ومن بقى من مجموعة الضباط الأحرار، كانت العلاقات المصرية السوفيتية تشهد تطورا إيجابيا على حساب العلاقات المصرية الأمريكية. وبدأت مصر ترسل أعدادا كبيرة من القادة العسكريين لتلقى علومهم في الأكاديميات والمعاهد العسكرية السوفييتية. وكان التحول من التسليح والعقيدة العسكرية الغربية إلى التسليح الروسي والعقيدة العسكرية السوفييتية بعد صفقة الأسلحة التشيكية لمصر عام ١٩٥٥ والتى أعقبت عملية الهجوم على محميه غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥، وهى العملية التى أدت

الى استشهاد الرائد محمود صادق أخيه الأصغر قائد المحمية و كان هذا الاشتباك هو اللبنة الأولى على طريق التعاون العسكري المصرى السوفييتى.



الرائد الشهيد محمود صادق قائد محمية غزة



موقع استشهاد الرائد محمود صادق في غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥

وكان صادق من بين القادة الذين أُتيحت لهم فرصة هذه الدراسة العليا بأكاديمية فرونزة الشهيرة. وخلال هذه الدورة كان الروس يعرفون أنه سبق أن درس بكلية أركان حرب المصرية وكان أول دفعته وكانوا يعرفون الكثير عن تاريخه العسكري. وكان معلموه يخصونه مع عدد محدود من القادة بمعاملة خاصة. ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف الروس عن الاهتمام به في إطار اهتمامهم بعدد لا بأس به من القادة، توقعوا لهم أن يتقدموا الصفوف، وكان لذلك بصمات أثرت على مسيرة الأحداث مستقبلا.

وعاد الرجل ليشارك في عملية التحول إلى العقيدة العسكرية السوفييتية مع التركيز على الاستفادة من الخبرات العسكرية التي تراكمت والعقائد العسكرية المختلفة التي عرفتها القوات المسلحة من قبل.

وشهدت هذه السنوات أحداث الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨، والانفصال عام ١٩٦١، وإصدار الميثاق والقرارات الاشتراكية بكل ما ترتب على ذلك من تفاعلات داخلية، وبدء التدخل العسكري في اليمن لمساندة الانقلاب العسكري الذي قاده عبد الله السلال، هذا التدخل الذي تحول إلى مستنقع استنزف الكثير من الثروات والدماء، وامتص قدرا هائلا من حيوية القوات المسلحة وطاقاتها، وعمل على توتير العلاقات داخل صفوف القوات المسلحة. وكانت أخطر نتائج هذا التدخل الإخلال بالاتزان الاستراتيجي للقوات المسلحة، هذا الإخلال الذي كان واحدا من الأسباب التي أدت إلى نكبة ١٩٦٧.

ويقع الاختيار على الفريق صادق للعمل كملحق حربي بألمانيا الغربية طوال أعوام ١٩٦٢- ١٩٦٤. وخلال هذه الفترة القصيرة نسبيا تمكن من كشف صفقة الأسلحة الألمانية الغربية السرية لإسرائيل، والتي ترتب عليها في النهاية قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وألمانيا الغربية.

وكان من بين إنجازاته الشديدة الأهمية تهريب أحد القيادات العسكرية الألمانية خلال فترة النازي من سجنه بألمانيا إلى مصر مقابل الحصول على عدد كبير من الوثائق السرية التي كان يحتفظ بها، والتي تتعلق باليهود والمنظمة الصهيونية.

وعندما عاد إلى مصر صدر قرار بتعيينه كبيرا للمعلمين بالكلية الحربية.وأدرك أن وراء هذا القرار قوة تعمل على إبعاده، وأنها نجحت في الوقيعة بينه وبين عبد الناصر بالرغم من إنجازاته الكبيرة التي حققها خلال عمله بألمانيا الغربية والتي ترتب عليها

إسناد كل مسئوليات أنشطة الأمن والمعلومات إليه. ولم يكن ذلك يعني سوى أن يكون ملحقا حربيا ورئيسا لمكتب المخابرات العامة بألمانيا.

وكان الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قد أصبح سافرا وضاريا بعد الانفصال السوري. وعندما حاول عبد الناصر الالتفاف من حول عبد الحكيم وتعيين مجلس للرئاسة هو أحد أعضائه بدلا من أن يكون النائب الأول لرئيس الجمهورية كما كان من قبل، توجه عبد الحكيم سرا إلى مرسى مطروح حيث اعتكف هناك ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل توجه قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وكبار القادة إلى مرسى مطروح للبقاء بجانب عامر.

والذي لاشك فيه أن عامر كان محبوبا من القوات المسلحة بشهامته ورجولته وطيبة قلبه ووقوفه بجانب من يحتاج المساعدة، ولم يكن خافيا عليهم حقيقة مستواه العلمي وكفاءته، ولكن ذلك لم يكن مبررا لإدارة ظهورهم له في هذا الوقت والانتصار لعبدالناصر على حسابه.

وكان معلوما لهم أيضا أن أعضاء مكتبه بسوريا وفي مقدمتهم النحلاوى هم قادة انقلاب الانفصال والمعاملة السيئة التي عاملوه بها والمعاملة التي لقيها القادة والضباط الموجودين بسوريا من الأشقاء السوريين. ولكن هذا شئ و التخلي عنه شئ آخر.

ولم تخف دلالة اختفاء عبدالحكيم عامر على عبدالناصر، ولم يكن أمامه سوى تقديم التنازلات المطلوبة لعبدالحكيم عامر وإلا فعليه أن يتحمل مسئولية ما يمكن أن يترتب على عدم تقديم هذه التنازلات. فاتصل عبدالناصر بشمس بدران مدير مكتب عامر ليحاول إقناع عبدالحكيم بالعودة، وله ما طلبه. ورجع عامر من مرسى مطروح منتصرا. وكان بديهيا أن يلتقي الرجلان ويتواجها ولا نقول يتعاتبا، وحاول عبدالناصر أن يشرح للرجل الذي كان أصدق الأصدقاء، الأسباب والدوافع وإنها أبداً ليست شخصية، إلا أن عامر الذي عاش تجربة الثورة وهي تأكل بنيها، بل وكان مشاركا فيما جرى تصور أن دوره قد حان لإخراجه من المسرح، وطي صفحته، وعبر عن شكوكه ومشاعره ورفضه التام لمثل هذه المحاولة أو حتى مجرد التفكير فيها. وانتهى الحوار بينهما على أن يكون لكل منهما مخصصات متساوية ، وسلطات لا يتدخل الآخر فيها.

وسعى صادق للقاء كل من عبدالناصر وعبد الحكيم وأوضح لكل منهما على حدة أنه عسكري محترف يتلقى الأمر فينفذه، ومع أنه يعلم بحقيقة الموقف، إلا إنه سيظل صديقا

لكل منهما مثلما كان. ووجدت الصراحة والمنطق طريقها إلى عقل وقلب الرجلين. ولم تمضي فترة إلا وصدر قرار بتعيينه مديرا للمخابرات الحربية، ولم يكن يعلم لا هو ولا من أصدر القرار أن معركة يونيه ستجرى بعد أقل من عام لشغله لهذا المنصب الهام.

ومنذ اليوم الأول لتحمله مسئولية هذا المنصب عمل على تطوير المخابرات الحربية وتزويدها بالإمكانيات التي تساعدها على هذا بكل ما أطلع عليه وعايشه وعرفه وتعلمه، خلال عمله كملحق حربي بألمانيا الغربية. كان يتطلع لمخابرات عصرية، وبرجال أكفاء وأجهزة حديثة ونظم عمل متطورة وفعاله، وكان له الكثير مما تطلع إليه. وجاء يوم الخامس من يونيه ١٩٦٧ محملا بعناصر المأساة التي ستعيشها القوات المسلحة ومصر. ويعيش الرجل أيام النكسة محاولا إنقاذ أي شئ.

وبعد أن صدر أمر الانسحاب العشوائي الغير مدروس، وانهارت شبكة الاتصالات، وفقدت القيادة العامة اتصالها بالقيادة الميدانية وبالتشكيلات والوحدات، حاول عن طريق شبكة اتصالات المخابرات الحربية التي لم تتأثر بعمليات التشويش نتيجة لأن كل أجهزتها من صناعة غربية .

وكان منطقيا أن يتهم البعض المخابرات الحربية بالتقصير، ولحسم الأمر طلب عبدالناصر خرائط المخابرات الحربية الخاصة بتوزيع وانتشار القوات الإسرائيلية قبل بداية العدوان ، وخرائط هذه القوات كما كشفت عنها المعركة فعلا . وكانت المقارنة لصالح المخابرات الحربية...

وزاد رصيده مرة أخرى عندما أنصفه تقرير المارشال الروسي زاخاروف رئيس الأركان السوفيتي الذي حضر إلى مصر لإعداد تقرير عن أسباب نكسة ١٩٦٧ و المشاركة في إعداد خطة إعادة بناء القوات المسلحة.

ويستمر الرجل في تحمل مسئولياتـــه.

وخلال انشغال الرجل بمسئولياته، كان متنبها لحقيقة شديدة الأهمية والخطورة، فقد أدت كارثة يونيه إلى انسحاب مهين للقوات المسلحة. وكانت الصورة تتشكل من عنصرين هامين:

أولهمــا : تفوق الجيش الإسرائيلي وقيادته وضباطه وجنوده.

وثانيهما : اهتزاز صورة الأداء المصري على مستوى القيادات المختلفة.

ولو استمر الأمر كذلك بدون محاولة تصحيح سريعة وحاسمة، فمن العسير تصحيح هذه الصورة فيما بعد.

ولتصحيح هذه الصورة كان لابد للقوات المسلحة أن تنشب أظافرها وتدمى الجسد العسكري الإسرائيلي. والمهم أن يتم ذلك على مرأى ومسمع القوات المنتشرة بالجبهة.

وكان أن شكل اللواء صادق مجموعة خاصة بقيادة **الشهيد البطل إبراهيم الرفاعى** لأداء هذا الدور الخطير. وبدأت المجموعة عملها بتنفيذ العديد من العمليات التي أعاقت تقدم العدو مما أتاح الوقت لانسحاب الكثير من قواتنا العائدة من سيناء.

وواصلت هذه المجموعة الرائعة عملها بعد ذلك في تدمير الأسلحة المصرية الثقيلة التي تركت أثناء فوضى الانسحاب حتى لا يستفيد منها العدو، وقد حملت هذه المجموعة الباسلة فيما بعد اسمين أولهما : «**قوات الكوماندوز المصرية**»،

والآخر «**المجموعة ٣٩ قتال**» التابعة للمخابرات الحربية.

ويسقط **الفريق عبد المنعم رياض شهيدا بالجبهة في ٩ مارس ١٩٦٩** . ويحل محله اللواء أحمد إسماعيل كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة.

وتنفذ إسرائيل **عملية الزعفرانة في ٩سبتمبر ١٩٦٩**، ويصدر قرار يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ بتعيين اللواء صادق رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة خلفاً للواء أحمد اسماعيل في نشرة تضمنت تعين العميد أركان حرب بحري محمود عبد الرحمن فهمي قائدا للقوات البحرية، وعدد آخر من القادة ضمن عملية تطوير كبيرة، دفعت بالعناصر الشابة المقاتلة إلى مواقع القيادة العليا.

ويوم ٢٩ سبتمبر يتم تعيينه كأمين مساعد للجامعة العربية للشئون العسكرية طبقا لنصوص معاهدة الدفاع العربي المشترك، التي تقضى بتعيين رئيس أركان حرب القوات المصرية المسلحة في هذا المنصب. ويوم ٨ نوفمبر ١٩٦٩، يتقرر تعيينه متحدثا رسميا باسم مجلس الدفاع العربي المشترك.

ويوم ٣١ مارس ١٩٧٠، أي بعد أكثر من ستة أشهر تقريبا من تعيينه رئيسا للأركان، يصدر عبدالناصر قرارا بترقيته لرتبة «الفريق» .

وكانت الأيام حبلى بأزمة المقاومة الفلسطينية بالأردن. ويحدث الصدام المتوقع في سبتمبر ١٩٧٠(أيلول الأسود) ، وتنعقد القمة العربية في القاهرة ويلعب الرجل دورا محوريا في الأزمة إلى أن يتمكن من إخراج أبوعمار من الأردن وينقذه من أيدي الملك

حسين ورجاله. وبخروجه ووصوله للقاهرة تتمكن القمة من الوصول إلى شاطئ أكثر أمانا، ويودع عبدالناصر أمير الكويت آخر ضيوف القمة يوم ٢٨ سبتمبر ويعود إلى منزله بعد أن طلب من الفريق صادق أن يحضر إليه في المساء.

ولكن المساء يحل وعبدالناصر في رحاب الله..

وتتحرك الأحداث بسرعة وتؤجل القوى صراعها مؤقتا بعد اختيار السادات نائب رئيس الجمهورية، لشغل مكان عبدالناصر.

وتودع مصر كلها رئيسها إلى مثواه الأخير، ويبدأ السادات في ممارسة سلطاته، وتبدأ كل القوى في إعاده ترتيب أوراقها.

ويوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، صدر قرار جمهوري بتعيينه عضوا في مجلس الدفاع الوطني الذي يرأسه أنور السادات والذي يعتبر أعلى هيئة للتخطيط الإستراتيجي ولسياسة الدفاع الوطني.

وخلال الفترة التي سبقت مايو ١٩٧١، كان عليه أن يتحرك بحسابات دقيقة حتى لا يفقد سيطرته على مجريات الأمور. وفعلا تمكن من إحباط المحاولة الانقلابية باقتدار.

وانضم كوزير للحربية في الوزارة التي شكلها د. محمود فوزي يوم ١٤ مايو ١٩٧١. ومن جديد يحتفظ بمنصبه الوزاري في وزارة د. فوزي الثانية التي شكلها يوم ١٩ سبتمبر ١٩٧١.

وفي الوزارة التي شكلها د. عزيز صدقي يوم ١٧ يناير ١٩٧٢، أسند إليه منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية والإنتاج الحربي. ويستمر الرجل في تحمل مسئولياته إلى أن تتم إقالته يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢.

عبده مباشر
٢٠١٨

الباب الأول

سنوات الأمل .. والعمل

خلايــا ثــــورة ٢٣ يوليــــو ١٩٥٢

لا يمكننى رصد بدايات العمل السرى داخل صفوف ضباط القوات المسلحة من أجل الاستيلاء على السلطة بدقة. وأيضا لا يمكن القول إن كل الخلايا التى تم تكوينها خلال الأربعينات أو منذ نهاية الثلاثينات، كانت تناقش خلع الملك والحلول محله. والأمر المؤكد أن الخلايا أو التنظيمات السرية التى تشكلت كانت تقوم استنادا إلى علاقات صداقة وثيقة ويجمع بين أفرادها المحدودين هدفا وطنيا يتمثل فى مقاومة المحتل والاحتلال.

ويمكن القول إن هذه التنظيمات كانت امتدادا للحركات الوطنية السرية التى ترفض الاحتلال، وتسعى لاستقلال مصر وتعمل من أجل مجدها وازدهارها. ودون الغوص فى التاريخ لاستجلاء جذور الحركة الوطنية، فإن الذاكرة الوطنية تعلم أن الجمعية الوطنية المصرية التى عرفها المصريون باسم «جمعيه الانتقام» ، كانت أول نواة لمقاومة قوات الاحتلال الإنجليزى التى بدأت تجثم على مصر منذ يوليو ١٨٨٢.

وقد لجأت هذه الجمعية إلى العمل الفدائى السرى. وتم القبض على أعضاء هذه الجمعية فى يونيه ١٨٨٣. وقبل أن يتقدم مصطفى كامل الصفوف ليقود الحركة الوطنية ويؤسس الحزب الوطنى فى نهاية عام ١٩٠٧، كان قد انغمس فى العمل السرى فى بداية نشاطه السياسى تحت قيادة خديوى مصر عباس حلمى الثانى وكان الخديوى قد قرر التصدى للمحتل الذى عمل على تقليص سلطاته ودوره كحاكم لمصر. ومن ثم قرر جمع مجموعة من أنبل شباب مصر للتعاون والعمل ضد قوات الاحتلال. وفى نهاية ١٩٠٦ تم إنشاء «جمعية التضامن الأخوى» لتقود العمل ضد قوات الاحتلال، خاصة خلال الحرب العالمية الأولى.

وفى ظل ثورة ١٩١٩، انفرط عقد الجمعية وأعيد تأسيسها من جديد، لتواصل دورها. وكان سعد زغلول على بينة من أهمية دور العمل السرى فى خدمة أهداف الثورة، فأوكل مسئولية هذا العمل إلى عبدالرحمن فهمى. وتحمل عبء النضال السرى وقيادة التنظيم

السرى للثورة شابان لمعا فيما بعد ووصلا إلى مقعد رئيس وزراء مصر، وهذان الشابان هما أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى.

كان الضباط يستلهمون فى تجمعاتهم السرية تاريخ النضال الوطنى ضد الوجود الأجنبى، وكان ماثلا أمام أعينهم تضحيات أبناء الشعب وقادته من أجل هذا الهدف. وكانت صورة الزعيم أحمد عرابى قريبة إلى القلوب، وأقرب منها صورة الفريق عزيز المصرى ودوره فى العمل الثورى، والنشاط السرى والعلنى لإعلاء الحق فى المنطقة ككل لا فى مصر فقط ورحلة حياة عزيز المصرى، ثورة مستمرة ونضالا وجهادا ضد البغى والتخلف والوجود الأجنبى. أما صفحة أو صفحات هذه الحياة ، فكانت وضاءة، وخلال هذه الرحلة حافظ على هامته مرفوعة، وعلى سجله نظيفا.

وكان عزيز المصرى، خلال فترة شباب جيلى، ما زال يواصل أداء دوره الثورى ضد الوجود الأجنبى، ففى الحجاز عمل وزيرا لقوات الثورة العربية عام ١٩١٦، وقبل ذلك انضم «لجمعية الاتحاد والترقى» بتركيا، وتابع الجميع محاولاته للفرار إلى العراق لمساندة ثورة رشيد الكيلانى عام ١٩٤١. إلا أن الطائرة لم تتمكن من إتمام رحلتها.

ونتيجة لذلك تمت إحالته للمعاش بتوصية من قوات الاحتلال. وظل يضرب للجميع المثل والقدوة وقد ألهم معظم ضباط التنظيمات السرية فى تلك الفترة بتاريخه ونضاله ، وحاول كثيرون الاسترشاد بخبرته والاستماع لنصائحه التى لم يبخل بها عليهم. وهو وإن كان قد تحدث إلى البعض بالرغم من شكوكه، إلا أنه رفض الاستجابة للمشاركة فى عملهم، وإن اتفق معهم فى الأهداف التى يسعون لتحقيقها.

والملهم والمعلم الثانى للضباط المصريين فى مجال الثورة ومقاومة المحتل والعمل السرى هو المناضل والثائر عبدالعزيزعلى الذى انخرط فى هذا النشاط منذ بواكير شبابه، فبعد انضمامه للحزب الوطنى، انضم لجمعيه التضامن الأخوى السرية عام ١٩١١، التى كان من بين أعضائها كل من أحمد ماهر والنقراشى.

وبعد اشتعال ثورة ١٩١٩ عمل على تشكيل شعبة جديدة للعمل السرى، ضم لها الأخوين عنايت. وقد عرفت هذه الشعبة باسم «جماعة اليد السوداء». وكان لهذه الجماعة دور فعال فى اغتيال قادة وجنود قوة الاحتلال وفى مقدمتهم السردار «لى ستاك» سردار الجيش المصرى بالسودان وذلك يوم ١٨ نوفمبر عام ١٩٢٤ وطالت عملياتهم المصريين المتعاونين مع المحتل الإنجليزى.

وانطوت صفحة الثورة، ولكن لم يتوقف عن النضال والعمل السرى، وأنطلق إلى آفاق أخرى منها العمل من أجل الوحدة الوطنية، و وحدة وادى النيل، وأخيرا رئاسة مكتب «المغرب العربى» بالقاهرة للمساهمة فى تدريب ثوار الدول العربية بشمال أفريقيا ودعمهم بالمال والسلاح. وعاد الرجل إلى ميدان العمل السرى بقوة فشكل جماعة جديدة، ضمت مجموعة من شباب الضباط. وكانت هذه الجماعة تعبيرا عن بدء اتصاله بضباط القوات المسلحة. وكانت البداية لبناء علاقة وثيقة برشاد مهنا ومحمد الخشاب.

خلال هذه المرحلة، عرف الضباط الوطنيون طريقهم إلى الرجل، كانوا يذهبون إليه حيث يعمل بمكتب المغرب العربى. ولم يكن المكتب المسئول عن ثوار الشمال الأفريقى أكثر من شقة بشارع عبدالخالق ثروت بالقاهرة. كانوا يعلمون أنه ثائر مصرى كبير، وأنهم سيجدون عنده النصيحة والخبرة والأهم الرغبة فى التعاون. واعتبروه جميعا أبا روحيا لهم.

ومن بين المترددين عليه، شكل خلية ثورية، وكان الحوار بين هذا الرجل الذى يمثل جيلا مختلفا أكبر سنا ونضجا وبين الضباط الأصغر سنا والأقل خبرة، يدور حول قضايا مصر والاحتلال والفساد، والرغبة فى تغيير هذا الواقع. كانت القضايا ساخنة، والشارع المصرى فى حالة غضب، والأرض خصبة ومستعدة لاستقبال بذور محاولات الإصلاح والنهضة.

وتحملت هذه الخلية مسئولية كتابة وطباعة وتوزيع المنشورات، وجمع قطع الأسلحة الصغيرة لتوفيرها لكل من يرغب فى المشاركة فى العمل ضد قوات الاحتلال.

وكان منطقيا أن تسند مجموعة ثورة ٢٣ يوليو مسئولية وزارية للثائر عبدالعزيزعلى تقديرا لدوره وتاريخه، بعد أن آلت إليها مقاليد السلطة وكان أن تم اختياره وزيرا للشئون البلدية والقروية عام ١٩٥٢، ولكنه قدم استقالته من المنصب بعد شهرين. وعندما أسندوا إليه مهمة رئاسة اللجنة المالية المسئولة عن حماية القصور الملكية التى تم الاستيلاء عليها، لم يصمد طويلا، وقدم استقالته من هذا المنصب.

كنا كمجموعة من الضباط ندرك أن وراء الاستقالة الكثير من عدم الرضا عما يجرى وعن أسلوب الحكم الجديد الذى جاء مختلفا عن تصورات الرجل وأمانيه فى الإصلاح والنهضة فى إطار من الحرية والديمقراطية واحترام الدستور.

وبعد رشاد مهنا ومحمد الخشاب، سعى عبدالعزيزعلى بدأب لتوسيع دائرة العمل السرى بضم أعداد أكبر من الضباط. وخلال هذا السعى تعرف على وجيه خليل، ثم توثقت علاقته به ثم تعرف على هلال المنجورى الذى كان يعمل وقتذاك مدرسا بالكلية الحربية، وكنت أنا ثالث هذه المجموعة، وكنت وقتها أعمل بالحرس الملكى. ومن هذه المجموعة شكل الخلية العسكرية الثانية ،ثم انضم إلى الخلية الرحمانى. وأذكر أن أول لقاء جمعنى بهذا الثائر تم بصحراء مصر الجديدة. وقد جمع بيننا هلال المنجورى. وفى أواخر عام ١٩٤١ تم أول لقاء بينه وبين أنور السادات.

وشق الرجل طريقه إلى ضباط القوات الجوية فتعرف على خلية الطيارين عبداللطيف بغدادى ووجيه أباظة وحسن عزت وسعودى أبوعلى وخلال هذه المرحلة من التعاون بين الضباط الوطنيين وعبدالعزيزعلى ، تضمن الحوار الحديث عن انقلاب يفتح الباب أمام عملية إصلاح للأوضاع فى مصر وحركة نهضة شاملة هذا بجانب القضايا الأخرى الخاصة بمقاومة المحتل ومواجهة الفساد.

ولم أتمكن خلال هذه العلاقة القصيرة بالثائر الوطنى عبدالعزيزعلى من معرفة كل الضباط الذين التقى بهم أو التقوا به. ولم يكن النشاط السرى للضباط مقصورا على تعاونهم أو عملهم مع عبدالعزيزعلى، فتلك الصفحة، لم تكن سوى صفحة واحدة من صفحات الحركات السرية بين صفوف القوات المسلحة. فخلال هذه المرحلة التى اتسمت بفوران المشاعر الوطنية، حاولت قوى سياسية مختلفة استغلالها لتنمية وتعميق نشاطها. ومن بين هذه القوى كان الإخوان المسلمون والشيوعيون هم الأكثر نشاطا سواء فى الشارع المدنى أو ثكنات القوات المسلحة.

أما بالنسبة للعمل السرى للضباط، فيمكن رصد بداياته مع تخرج الدفعات الأولى من الضباط الذين دخلوا الكلية الحربية بعد توقيع مصر معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا. وقررت دولة الاحتلال السماح لمصر بزيادة حجم جيشها وفقا لما نصت عليه المعاهدة. وكانت هذه الزيادة تتطلب أعدادا كبيرة من الضباط، لذا فتحت الكلية الحربية أبوابها أمام أبناء الطبقة المتوسطة بمستوياتها الدنيا والوسطى والعليا.

وأبناء هذه الشرائح هم الأكثر إحساسا بالظلم وبالتالى أكثر استعدادا للثورة. والطبقة الوسطى باستمرار هى وعاء القيم وهى القادرة على ضبط حركة المجتمع، وهى الأكثر استعدادا للبذل من أجل الوطن. وهذه الأعداد الكبيرة من الضباط التى بدأت تتخرج

من الكلية الحربية خلال النصف الثانى من الثلاثينات، بدأ وعيها ينضج، وبدأت تدرك معنى الاحتلال، وتلمس بوضوح حقيقة السيادة المصرية المنقوصة على أرضها، وحجم الضغوط التى يمارسها المحتل على صناع السياسة والقرار فى مصر.

ونتيجة للسخط المتزايد على الاحتلال الانجليزى لمصر، بدأت مجموعات من الضباط الوطنيين الأصاغر بالجيش فى تكوين خلايا لمقاومة الاحتلال.

ومن بين هؤلاء الضباط برز دور الضابط محمد وجيه خليل ، مما أدى إلى اعتراف هذا الجيل بزعامته. فقد كان الملازم أول محمد وجيه خليل تجسيدا للشموخ والاعتزاز بالنفس والبطولة والإيثار وهو فى نفس الوقت ضابط عالى الكفاءة ،ملتهب الحماس ، سمح النفس، كريم الخلق ، وبجانب هذا يتمتع بحس وطنى عال أورثه عداء للاستعمار لا يعرف من طريق للخلاص منه سوى الثورة عليه.

ومن خلال الاحتكاك فى مجال العمل ، والحوار فى أوقات الراحة اكتشفنا أن وجيه وثروت عكاشة وأنا ، أننا نحمل نفس الأفكار والمشاعر والأهداف. وبعد فترة أخبرنا محمد وجيه خليل أنه بدأ فى تكوين تنظيم سرى أطلق عليه اسم «رجال الفداء» وكان بذلك من أوائل من عملوا لتكوين وإنشاء تنظيم سرى بالجيش. ولم يكن يختار لعضوية هذا التنظيم إلا الأكثر وطنية وصلابة وصدقا مع النفس وقدرة على إعلاء الصالح العام على الصالح الخاص ، أى إيثار مصر على أنفسهم واستعدادهم للتضحية من أجلها بالروح. وكنت وثروت عكاشة من أوائل من انضموا لهذا التنظيم السرى.

وعن هذا التنظيم صدر أول منشور فى تاريخ القوات المسلحة للتحريض على الثورة. وبالرغم من ملاحقات البوليس السياسى لقائد التنظيم ، ومحاولته التعرف على أعضائه وعلى من يصدرون المنشورات ، فقد ازددنا تمسكا بعضوية جماعة الفداء ، وكان أكثرنا تحملا للمشاكل والصعاب والأذى هو محمد وجيه خليل. ويوما بعد يوم كان التنظيم يزداد عددا وقوة وفعالية. وظلت جماعة الفداء تعمل بكل ما تملكه من قوة لتحقيق أهدافها. وكانت فترة الحرب العالمية الثانية فترة خصبة للعمل. وتنتهى الحرب العالمية الثانية ، لتبدأ بعدها صفحات من الصراع مع إسرائيل.

وتقرر مصر التدخل عسكريا فى فلسطين وهناك على أرض فلسطين يسقط محمد وجيه خليل شهيدا. وتبدأ قصة استشهاده البطولية ، فى اللحظة التى شاهد فيها زميله كمال بشارة ميخائيل يسقط جريحا على الأسلاك الشائكة التى تفصل موقعا مصريا عن

مستعمرة إسرائيلية. وكانت هذه الأسلاك فى حماية النيران الإسرائيلية ، وبالرغم من إدراكه هذه الحقيقة ومن أنه سيعرض حياته للخطر فيما لو حاول إنقاذ زميله الجريح ، فقد قبل بالمخاطرة واستقل عربة مدرعة وتوجه بها إلى مكانه على الأسلاك مخالفا أوامر سبق أن صدرت له بصفته أركان حرب الكتيبة بالانسحاب ، وبجسارة بالغة توجه إليه وخلصه من الأسلاك الشائكة ، وحمله على كتفه واتجه إلى العربة المدرعة ، إلا أن النيران الإسرائيلية نالت منه ، وسقط شهيدا ، وأسرع سائق العربة المدرعة بالشهيد والجريح إلى المواقع المصرية.

وأدى ترددنا وتعاوننا مع القائد عبدالعزيزعلى إلى الالتقاء بثوار من المغرب العربى من كل من تونس والجزائر والمغرب. وتوثقت علاقتنا بهم، وفى مرحلة لاحقه قررنا طبع منشورات ضد الاستعماريين الفرنسى فى شمال أفريقيا، والانجليزى فى مصر. ولم نكتف بتوزيع هذه المنشورات بين صفوف القوات المسلحة والمدنيين، بل عملنا على توزيعها على الهيئات السياسية والبعثات الدبلوماسية الأجنبية فى مصر. وخلال هذه المرحلة تكونت صداقات مع عدد من هؤلاء الثوار، ومن هؤلاء الحبيب بورقيبة وهوارى بومدين.

وبعد معاهدة ١٩٣٦، تلاحقت الأحداث داخليا وخارجيا. ومن أهم أحداث تلك الفترة، اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فى خريف عام ١٩٣٩. وأشتراك الجيش المصرى فى القتال بجانب القوات البريطانية فى مسرح عمليات شمال أفريقيا.

وكانت مشاعرنا مضادة أو سلبية تجاه الاشتراك فى عمليات حربية ضد الألمان. وهذه المشاعر لم تكن تختلف عن مشاعر كل المصرين، الذين يرفضون الاحتلال الانجليزى ويرون أن الانجليز هم الأعداء لا الألمان.

وعندما أعلن الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى، أنه لا ناقة لمصر ولا جمل فى هذه الحرب، لم يتوقف المصريون عن ترديد هذه الجملة التى تحولت إلى شعار لموقف المصريين من الحرب. ولم تمض فترة حتى أعلن على ماهر رئيس وزراء مصر فى البرلمان سياسته تجاه دور مصر فى هذه الحرب والتى تمثلت فى العمل على تجنيب مصر ويلات هذه الحرب.

وبعد إقرار البرلمان لهذه السياسة قررت القيادة العامة المصرية سحب القوات المصرية الموجودة بمنطقة مرسى مطروح، والتى كانت تشارك القوات البريطانية فى تحمل مسئولية الدفاع عن هذه المنطقة. وعندما علمت القيادة الإنجليزية بذلك القرار أصدروا

أمرا بانسحاب القوات المصرية بدون أسلحتها. وضاعف هذا الأمر من مشاعر غضب الضباط المصريين، وتعددت الاحتكاكات بينهم وبين الضباط الانجليز. وانتهى الأمر برفض الضباط المصريين الانسحاب بدون أسلحتهم. ونتيجة حالة الغضب وخوفا من زيادة حدة الاحتكاكات، وافقت القيادة الإنجليزية على انسحاب القوات المصرية بكامل أسلحتها. وكنت واحدا من هؤلاء الضباط الذين عادوا من مرسى مطروح إلى القاهرة.

وفى ظل هذه الظروف، التقت إرادتنا، محمد وجيه خليل وهلال المنجورى وأحمد الخشاب ومحمد صادق على تكوين خلية للعمل ضد قوات الاحتلال. وضمت الخلية فيما بعد ثروت عكاشة ووجيه أباظة.

وترجع علاقتى بـ محمد وجيه خليل إلى فترة دراستى بالكلية الحربية. فبعد التحاقى بالكلية تعرفت به حيث سبقنى فى الالتحاق بالكلية، وكان أقدم منى، فأحببته وتعلمت منه الكثير. وبعد تخرجى فى ابريل ١٩٣٩ استمرت صداقتى به، وتواصلت حواراتنا حول قضايا مصر. وهذا الحوار والانشغال بالمسألة الوطنية كان الطابع العام لشباب هذا الجيل، وشاغلهم الذى لا شاغل غيره. وكان الوطن محور نشاطنا كطلاب وشباب وضباط. ولم يكن لشباب هذا الجيل حياة خاصة، كانت حياتهم هى الوطن وتطهيره من قوات الاحتلال ونهضته.

وقادنى وجيه كما قاد زملائى هلال المنجورى وأحمد الخشاب للقاء الثائر الوطنى عبدالعزيزعلى ليحدثنا فى الوطنية ويدرس لنا علم الكفاح المسلح. وكان وجيه على علاقة بعبدالعزيزعلى منذ كان تلميذا بالمرحلة الثانوية. وخلال هذه المرحلة بدأت علاقته أيضا بأنور السادات، وتزامل الصديقان خلال دراستهما بالكلية الحربية، وتخرجا معا عام ١٩٣٨ قبل أن أتخرج منها بعام. وكان منطقيا أن يعرفنى صديقى وجيه بصديقه أنور السادات وبدورى قدمت السادات لصديقى هلال المنجورى. وبدأنا نلتقى كثيرا.

وعندما نقلت للعمل بالكتيبة الأولى مشاه فى مرسى مطروح عام ١٩٤٠، كان السادات يخدم هناك. وخلال لقاءاتنا، كان يروى لى عن مجموعة الشباب التى يتزعمها لاغتيال الانجليز، خاصه فى منطقة المعادى.

وكان من الامتيازات التى يتمتع بها أوائل الخريجين بالكلية الحربية ، اختيار السلاح الذى ينضمون إليه ويصبحون من رجاله ، ولأننى كنت من أوائل دفعة ابريل ١٩٣٩ ، ولأن كتيبة مدافع الماكينة الثانية كانت مكلفة بمهمة الدفاع عن مرسى مطروح فى الوقت

الذى بدأت تتعالى فيه دقات طبول الحرب العالمية الثانية ، وبما يعنى أن هذه الكتيبة سيكون لها دور قتالى فى المعارك المقبلة ، فقد اخترت الانضمام لقوة هذه الكتيبة.

لم يكن الحماس وحده أو قوة المشاعر الوطنية والرغبة فى الدفاع عن الوطن هى التى أملت على هذا الاختيار فقط ، بل كان من بين ما أسعى إليه الاستفادة من تجربة قتال حقيقية تساعد فى صقلى وتزويدى بخبرات لا غنى عنها لضابط أو قائد.

وكان من دواعى سرورى أن يختار زميلى وصديقى ثروت عكاشة الانضمام لقوات نفس الكتيبة. وكانت زمالتى بثروت عكاشة فى الكلية الحربية قد تحولت إلى صداقة عميقة ربطت بيننا ، واستمر نهرها فى التدفق والعطاء دون انقطاع. وكما كنت ابنا للواء كان ثروت ابنا للواء ، أى أن كلانا كان ينتمى للطبقة المتوسطة العليا ، وبجانب هذا كان يجمع بيننا حب مصر والانتماء لترابها وضرورة العمل بكل الجهد لتحرير هذا التراب من دنس المحتل.

وفى عام ١٩٤١ عدت للقاهرة. وعاد السادات أيضا وذات يوم ذهبت برفقة المنجورى لزيارة السادات فى بيته بمنشية الصدر، فوجدناه فى حالة شديدة من القلق والخوف، فلما استوضحنا السبب، أخبرنا أن البوليس فى طريقه لتفتيش بيته، الذى يخفى فيه كميات من الديناميت والأسلحة. وعقب قائلا إنهم لو عثروا على هذه الممنوعات فى بيته فسيكون فى ذلك نهايته، ونهاية مشوار مقاومته قوات الاحتلال، وتطوعت أنا وهلال لإنقاذه من هذه الورطة ، وحملنا معا أثناء خروجنا جوالا مملوءا بأصابع الجلجنايت وعدة طبنجات إنجليزية وإيطالية وألمانية الصنع. وأخفينا هذا الجوال بمنزل والد هلال، ثم أخفينا السادات نفسه بجراج المنزل. وقد أدينا هذا الواجب حماية لضابط مصرى وطنى من بطش الانجليز والسلطة المصرية.

وازدادت علاقتى بالسادات توثقا بعد هذه المهمة. وخلال هذه الفترة برز بين الضباط، الضابط محمد وجيه خليل فى مجال العمل الوطنى، وكذلك السادات الذى حاول جذبى إلى حلبة النشاط الذى يقوم به، إلا أننى ظللت أعمل مع نفس الخلية التى بدأت بها. وبعد ذلك حاول أستقطاب صديقه محمد وجيه خليل، إلا أن وجيه آثر العمل مستقلا، فقد كانت العيون كلها تحيط بالسادات، مما قد يؤدى إلى اكتشاف ما نقوم به من نشاط.

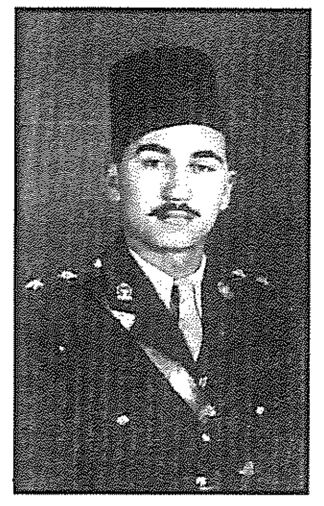
وخلال هذه الفترة تقرر نقلى للعمل بالحرس الملكى. وكان والدى اللواء أحمد باشا صادق هو قائد هذا الحرس. ولم يصل إلى هذا المركز إلا نتيجة تاريخه فى العمل الوطنى وشجاعته وكفاءته. وأتاح لى ذلك الفرصة، لتوزيع المنشورات داخل القصور الملكية. ولم يمنعنى منصب أبى ومسئولياته، من تحمل مسئوليتى الوطنية تجاه بلدى وضد قوات الاحتلال، وضد الفساد.

وكنت أعلم أن دورى يثير الكثير من علامات الاستفهام، فضابط الحرس الملكى، ابن الباشا قائد الحرس الملكى، لا يشارك فى العمل السرى فقط، بل يقوم بتوزيع المنشورات الثورية داخل القصور الملكية. وربما كان هذا من أهم العوامل التى منعت باقى التنظيمات داخل القوات المسلحة من الاتصال بى. وكنت سعيدا بدورى ، وإن سعيت مع باقى الأعضاء لتطوير نشاطنا.



والدي : أحمد صادق باشا
قائد بوليس جلالة الملك ١٩٢٣ - ١٩٤٨

وبعد فترة علمت أن زميلى بالحرس الملكى الضابط كمال رفعت قد انغمس فى النشاط السرى وأنضم مع مجموعة أخرى لإحدى الخلايا. وكانت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ سببا فى ازدياد حدة الغضب داخل القوات المسلحة، مما أدى إلى توسع النشاط السرى وانضمام ضباط جدد للخلايا الموجودة، بل وبدء إنشاء خلايا جديدة.



الملازم أول محمد أحمد صادق
عند التحاقه بالحرس الملكي
٥ يوليو ١٩٤١

والحكاية تبدأ مع وصول قوات الفيلق الألمانى بقيادة روميل إلى ليبيا، واندفاع قواته بسرعة نحو الحدود المصرية، وانهيار القوات الانجليزية أمام قوات البانزر المتقدمة. وهذا النجاح الألمانى، والتقدم العسكرى السريع، أثار موجات من الارتياح بين صفوف المصريين المعادين للانجليز، والذين رأوا فى الزحف الألمانى فرصة للخلاص من الاحتلال الانجليزى.

وكان الانجليز يعلمون بهذا الشعور المعادى لهم، ويتحسبون له. وانتهت حساباتهم الخاصة بالموقف إلى ضرورة وجود حكومة شعبية تحظى برضى الناس حتى يمكنها امتصاص بعض الغضب. ولم يكن هناك سوى حكومة وفدية يرأسها الزعيم مصطفى النحاس صاحب الشعبية الطاغية.

فطلبوا من الملك فاروق فى فبراير ١٩٤٢ تكليف النحاس زعيم الأغلبية بتشكيل الوزارة، أملا فى استمالة الرأى العام المصرى. وعندما رفض الملك فاروق الاستجابة لنصيحتهم أو لطلبهم قرر السفير لورد كيلرن فرض الحصار على قصر عابدين. وتحركت الدبابات الإنجليزية من معسكراتها نحو القصر الذى كان يقيم فيه الملك وقتذاك، وكان ذلك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢. وأنذر السفير الانجليزى الملك فاروق بعد أن تم حصار القصر: إما الاستجابة لطلبهم وتكليف النحاس بتشكيل الوزارة، أو تحمل مسئولية ما سوف يترتب على ذلك، بما فى ذلك التنازل عن العرش.

وأمام هذا الإنذار الواضح ومشهد الدبابات التى تحاصر قصره، استدعى الملك مصطفى النحاس وكلفه بالوزارة. كان الموقف بالغ القسوة على المصريين ككل خاصة ضباط القوات المسلحة.

وبالرغم من الصورة السلبية المرسومة للملك، تجمع الضباط بالعاصمة وتوجهوا إلى قصر عابدين لتحية الملك، الذى خرج لرد تحيتهم. كان التصرف تعبيرا عن رفض ما جرى من انتهاك لسيادة مصر ورمزها الملك فاروق.

نسى الجميع أى خلافات، ولم يتذكروا سوى أن الملك رمز لمصر. وأن ما لحقه من إهانة على يد الانجليز شكل إهانة لكل المصريين.

ولم تمض شهور حتى تم إلقاء القبض على أنور السادات فى القضية المعروفة بقضية الراقصة حكمت فهمى. وكانت التهمة التجسس لحساب الألمان، والتعاون مع ضابطى مخابرات هما: أبلر و ساندى، ولم يكن أبلر سوى حسين جعفر ابن لمواطن مصرى من أم ألمانية.

وبدأت حركة بين صفوف الضباط الوطنين هدفها مساعدة السادات وجمع أموال لعائلته، ولأن السلطات الانجليزية لم تتمكن من ضبط جهاز اللاسلكى الذى كان موجودا بحوزة السادات، ولأن السادات تمكن من إجهاد المحققين والإفلات من حصار أسئلتهم ومن مواجهة الجاسوسين الألمانيين اللذين اعترفا، ودحض كل ما قالوه، فقد انتهت القضية بطرده من الخدمة. وبذلك أفلت من الإعدام رميا بالرصاص.

خلال هذه الفترة واصلنا نشاطنا فى العمل ضد قوات الاحتلال، وفى كتابة وتوزيع المنشورات السياسية. وكانت الخلايا الأخرى تتحرك بهمة وسرية لتحقيق أهدافها وكنا مع حرص الجميع على السرية نتمكن من معرفة بعض المعلومات عما يقوم به زملاء وأصدقاء لنا من نشاط.

وبعد سقوط الأحكام العرفية وانتهاء مرحلة هرب السادات، عاد لمواصلة نشاطه فى العمل السرى. وعندما تعرض مصطفى النحاس لمحاولة اغتيال يوم ٦ سبتمبر ١٩٤٥، توقعنا أن يكون السادات طرفا فيها. وبعد نجاح حسين توفيق فى اغتيال أمين عثمان يوم ٦ يناير ١٩٤٦. وبعد إلقاء القبض على القاتل تمكنوا من إلقاء القبض على أنور السادات ليلة ١١ — ١٢ يناير ١٩٤٦. ولم يفرج عنه إلا فى أغسطس عام ١٩٤٨ بعد أن قضت المحكمة ببراءته.

وهذه القضية برمتها وملابساتها، أستطيع أن أجزم أن القصر كان من ورائها وأن المخطط الرئيسى لها هو الدكتور يوسف رشاد بالتعاون مع أنور السادات. فأمين عثمان وزير مالية بحكومة الوفد، وهو رجل الانجليز القوى، الذى يعتمدون عليه، وهو الذى

قال بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦، إن هذه المعاهدة زواج كاثوليكى بين البلدين، أى زواج لا انفصام له، أى علاقة مستمرة لا ولن تنقطع. وقد أراد الملك بهذا الاغتيال أن يثأر للمهانة التى لحقت به عام ١٩٤٢. ولم يكن ممكنا لحسين توفيق أن يهرب من سجنه، ثم من مصر كلها إلا بمعاونة السراى فلولا نفوذ السراى الملكية، ما تمكن من الخروج من مصر بكل طمأنينة. وحصل السادات على مكافأته بالقضاء ببراءته فى نهاية المحاكمة. أما القاتل فلم يحكم علية سوى بعشر سنوات غيابيا.

ولم أكن لأشك فى الأمر، لولا يقينى وعلمى أن السادات يعمل لحساب الدكتور يوسف رشاد طبيب الملك ورئيس الحرس الحديدى السرى، الذى أنشأه الملك لتصفية خصومه. وكنت قد اكتشفت هذه العلاقة أثناء وجودى كضابط بالحرس الملكى ضمن القوة المكلفة بحراسة الملك فاروق أثناء وجوده بنادى السيارات، الذى كان يتردد عليه كثيرا.

وخلال هذه الليلة من عام ١٩٤١، وأنا أؤدى واجبى، فوجئت بأنور السادات واقفا أمامى بملابسه العسكرية، وبعد المقدمات والتحيات التقليدية طلب منى أن أساعده فى لقاء الدكتور يوسف رشاد. ولم يكن الأمر عسيرا ، لذا توجهت إلى الدكتور رشاد ورجوته أن يلتقى بالضابط أنور السادات. وفعلا التقى الرجلان

وعندما التفت رآنى أنظر إليهما، وأتابع ما جرى. واستنتجت من الموقف أن السادات انضم للحرس الحديدى. ورأيت أن أتيقن من المعلومة من الدكتور رشاد نفسه. وخلال حوار قصير وسريع أنبأنى أن أنور السادات عضو بالحرس الحديدى، وأن كراهيته الشديدة للانجليز كانت السبب فى اختياره. وقد تمت هذه المقابلة بين السادات والدكتور رشاد قبل إخراج السادات من الجيش.

وكان الملك يكره الانجليز كراهية قديمة ، ولكنها تضخمت جدا بعد حصار الدبابات الانجليزية لقصر عابدين يوم ٤ فبراير ١٩٤٢. وهذه الكراهية كانت وراء التخطيط لاغتيال أمين عثمان رجل الإنجليز، ولا أشك فى أن محاولة اغتيال مصطفى النحاس كانت من تدبير الحرس الحديدى وبالتعاون مع أنور السادات أيضاً.

وبعد أن أنبأنى العقيد طبيب بحرى يوسف رشاد أن أنور السادات عضوا بالحرس الحديدى ، أفهمنى أن الضرورة تحتم تكتم أسماء أعضاء الحرس الحديدى تنفيذا لتعليمات جلالة الملك. وفى عام ١٩٤٩ سعى أنور السادات للقائى ورجانى كصديق أن أعاونه فى

العودة إلى الجيش، وأن أتدخل بحكم علاقتى بالدكتور يوسف رشاد لكى يفاتح جلالة الملك للموافقة على عودته. وفعلا توسطت لدى الدكتور يوسف رشاد - وكأننى لا أعلم علاقته بأنور السادات - لكى يعيده إلى الخدمة.

وفعلا عاد السادات إلى الخدمة فى بداية عام ١٩٥٠.

وحتى ذلك الوقت لم تكن السراى تعلم شيئا عن تنظيمات الضباط الوطنيين سواء تلك التى يقودها جمال عبدالناصر ومعظم أفرادها من المشاه أو التى يقودها رشاد مهنا ومعظم رجالها من ضباط المدفعية، أو سعد عبدالحفيظ الذى يقود مجموعة من ضباط الفرسان، أو عبدالعزيز هندى ومجموعة ضباط المشاه أو عبداللطيف بغدادى ومجموعة الطيارين. ولم تصل السراي أية أنباء عن هذا النشاط قبل بداية عام ١٩٥٢.

وإذا كانت مجموعات محمد وجيه خليل وأنور السادات وحسن عزت وأحمد سعودى وعبداللطيف بغدادى قد بدأت نشاطها فى بداية الأربعينات، فإن مجموعة الفرسان التى ضمت مصطفى نصير وعبدالحميد كفافى وسعد عبدالحفيظ وجمال منصور لم تبدأ نشاطها إلا فى منتصف الأربعينيات بل يمكن القول أنها بدأت عام ١٩٤٥.

وبدأت معركة ١٩٤٨ حيث استشهد البطل محمد وجيه خليل، وكان أحمد سعودى قد استشهد وهو يحاول الوصول بطائرة حسن إبراهيم إلى القوات الألمانية فى الصحراء الغربية. وتوفى هلال المنجورى فى حادث سيارة.

وأطلقت معركة ١٩٤٨ بنتائجها طاقات جديدة من الغضب، وساهمت فى اكتشاف فساد كثير من القيادات، وعندما انتهت المعركة، كانت علاقات جديدة قد ظهرت وأخرى أصبحت وثيقة أكثر. وبقوة دفع هائلة اتسعت دائرة العمل السرى. وكان الهدف هذه المرة لا الإنجليز فقط بل الملك.

وكانت عملية التشهير بالملك تمضى بقوة فى الصحف. وكان أخطر حملات التشهير حملة الأسلحة الفاسدة. وبالرغم من أن القضاء قضى ببراءة الجميع، وبعدم وجود ما يسمى بقضية الأسلحة الفاسدة، إلا أن الحملة تركت أثرها بين الضباط، وفى الرأى العام المصرى، الذى أصبح أكثر استعدادا لقبول أى تغيير قادم . وبعد العودة من فلسطين بدأ كل من جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وخالد محيى الدين نشاطهم لتكوين خلية من ضباط المشاة. وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٤٩.

وتمكن جمال عبدالناصر بذكائه من التعامل مع كل القوى السياسية فى مصر، وفى نفس الوقت سعى للسيطرة على معظم التنظيمات السرية داخل القوات المسلحة، وكان تنظيم

الفرسان، وتنظيم الطيران فى مقدمة التنظيمات التى سعى إليها للاستفادة من خبرتها فى العمل السرى أولا، وفى طباعة المنشورات، وذلك كمقدمة لاختراقها وإقناعها بالتعاون معه.

وبعد اندماج المجموعتين، مجموعة جمال عبدالناصر ومجموعة الفرسان، اتفقت المجموعتان على اختيار اسم الضباط الأحرار، لتوقيع المنشورات به. وكانت مجموعة الفرسان هى أول مجموعة استخدمت هذا الاسم فى منشوراتها وبعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ نشطت مجموعات الضباط الوطنيين فى العمل لتدريب الفدائيين وتزويدهم بالسلاح لمواصلة عملياتهم الفدائية ضد قوات الاحتلال التى كانت موجودة بمنطقة القناة وهناك من بين الضباط من ساهم بنفسه فى هذه العمليات.

ومع نضج الحركة السرية واتساعها بدأت مجموعة الضباط الأحرار تضم تنظيمات من مختلف الأسلحة، ونجحت فى ضم مجموعة الطيران. وأصبحت هذه المجموعة هى المجموعة الرئيسية بالجيش. وهى المجموعة التى قررت مواجهة الملك فى انتخابات نادى الضباط، والتى تمكنت من إنجاح اللواء محمد نجيب.

وبعد استشهاد وجيه و وفاة المنجورى وانضمام مجموعتنا، مجموعة الفداء إلى تنظيم جمال عبدالناصر وخالد محيى الدين، ظل اتصالى بالمجموعة مقصورا على جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وثروت عكاشة. وهم نفس الثلاثة الذين حافظت على علاقتى بهم بعد نجاح وقيام ثورة ٢٣ يوليو.

وبعد خروج الملك من مصر، توجهت إلى مقر مجلس قيادة الثورة، وقدمت نفسى إليهم بصفتى ضابط بالحرس الملكى ، وكذلك فعل البكباشى عبدالمحسن كامل مرتجى قائد الحرس بالأسكندرية وقتذاك؛ الذى أمر قواته بالاشتباك مع قوات ثورة يوليو عندما حاولت اقتحام قصر رأس التين بالأسكندرية ، وكان هو الاشتباك الوحيد خلال أحداث ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وبرغم ذلك قررت لجنه الضباط الإبقاء على مرتجى بعد أن دافع عن موقفه بشجاعه وثقة بالنفس ، بالرغم من أنه استمع إلى جمال سالم وهو يطالب بإعدامه فورا، فقال للمجتمعين: «لقد أقسمت يمين الولاء والدفاع عن الملك، وما فعلته إنما هو حرصى على شرف هذا القسم، وإذا كنت قد حضرت فإنما حضرت لتسليم نفسى، لا لطلب العفو. وبما أن الملك قد غادر مصر، فقد انتهت سلطته. وكما خدمت كضابط مصرى، فإننى مازلت ضابطا مصريا. هكذا كنتُ وهكذا سأكون بإذن الله».

وعندما التقيت بالصاغ عبدالحكيم عامر، الذى كان موجودا بجوار عبدالناصر، وأنا أقدم نفسى، رحب بى ترحيبا شديداً ، حيث كنا أصدقاء من نفس الدفعة، درسنا،

وعشنا، وتخرجنا معا، وجمعت بيننا ظروف العمل فى بعض الأحيان.واستقبلت الترحيب بتحفظ ، موضحاً إننى بصفتى ضابط بالحرس الملكى، فقد حضرتُ بعد رحيل الملك لأقدم نفسى.

وابتسم الرجلان، وسألانى عما إذا كنت بعد كل ما قدمته لمصر من خدمات لمقاومة الاحتلال بالرغم من خدمتى بالحرس الملكى، وكأبن لقائد الحرس الملكى السابق، الباشا أحمد صادق، أريد أن أنضم وأعمل معهما....

إلا إننى رجوتهم فى حالة استمرارى فى الخدمة أن أظل رجلا عسكريا.

وتقرر تعيينى وأنا برتبة الصاغ «رائد» قائدا للحرس الجمهورى.

وهذا المنصب يشغله دائما لواء ، وكانت لفتة طيبة من قادة ٢٣ يوليو.

أما أسباب انحيازي للحياة العسكرية ترجع إلى :

نشأتى فى بيت عسكرى، حيث كنت أرى والدى بزيه العسكري، وأتمنى أن أرتدى نفس الزى عندما أكبر. وظل هذا الحلم مسيطرا علي، وأذكر وأنا تلميذ بمدرسة الخديوى اسماعيل الثانوية فى منتصف الثلاثينات ، أن كان من بين زملائى عزيز صدقي (رئيس وزراء فيما بعد) والشهيد عبدالمنعم رياض(رئيس الأركان)، وكنا كثيراً ما نتحدث عن تطلعاتنا وأحلامنا. كان عزيز يخبرنا أنه سيكون مهندساً، أما أنا وعبدالمنعم رياض فجمع بيننا حلم الحياة العسكرية.

و من معرفتى الوثيقة بضباط ثورة ٢٣ يوليو، توقعت أن تنشب الخلافات بينهم فى المستقبل القريب. وبمجرد نشوب هذه الخلافات بكل ما يختفى خلفها من صراع على السلطة، ستبدأ مرحلة التصفيات، وستبدأ الثورة فى أكل أبنائها. وبما أن مجموعة يوليو، هى واحدة من المجموعات الوطنية التى مارست العمل السرى لمقاومة الاحتلال والفساد، فإن باقى المجموعات ستعمل من أجل مشاركة هذه المجموعة فى السلطة والغنائم.

وكانت رائحة الغنائم التى بدأ البعض فى جمعها والاستحواذ عليها قد بدأت تنتشر. وكانت العيون المترقبة ترصد وتتابع وتسجل، وتنشر المعلومات مخلوطة بالإشاعات. واختلطت الوقائع بالشائعات حول العلاقات التى أقامها بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بأميرات البيت الملكى، وغيرهن من نجمات المجتمع.

وبما أن هذا الجيل من الضباط يعرف بعضه بعضا، فقد كان الذين خارج حلبة السلطة، يحسدون الذين بداخلها وينقمون عليهم ما هم فيه من سلطان وصولجان وأضواء وأمجاد.

ليس ذلك فقط، بل كانوا يتساءلون، ولماذا لا نكون نحن؟ هل هم الأفضل؟ أم الأكثر وطنية؟ أم الأكثر كفاءة؟ وكانت الإجابات تنتهى دائما .. بـ لا .. فكل ضابط كان يرى نفسه الأفضل والأكثر وطنية والأكثر كفاءة.

وناهيك عن أوصاف الوصوليون، الانتهازيون، اللصوص، رجال الحرس الحديدى، ضباط القصر...

وتوقعت صراعاً من نوع آخر طرفاه من هم فى السلطة ومن هم خارجها. وستتعقد الأمور أكثر عندما تتحالف مجموعات من خارج السلطة، مع مجموعة من داخل السلطة.

وخلال الأيام التى أعقبت نجاح ثورة ٢٣ يوليو بدأت حلقات من الضباط الذين لم يشاركوا فى العمل السرى ضد قوات الاحتلال أو رجال القصر، والذين لم يشاركوا فى العمل ليلة ٢٣ يوليو، هروبا أو حذرا، أو خوفا، بدأت تتملق وتلتف حول أعضاء مجلس قيادة الثورة. وتوقعت أن يصعد نجم هؤلاء الطفيليين الانتهازيين، ويتراجع أو ينحسر دور كل من شارك فى صناعة هذا النجاح.

لكل هذا رأيت أن أنأى بنفسى عن هذه الصراعات، التى لن تترك أحدا، والتى سيدفع الوطن فى النهاية ثمنها.

واستجاب الجميع إلى طلبى، وعدت إلى صفوف القوات المسلحة، كضابط يخدم فى التشكيلات، وابتعدت تقريبا عن الساحة بكل ما حدث بها من صراعات، وتفرغت للحياة العسكرية، دون أن أفقد قدرتى على متابعة مجريات الأمور.

وبعد سنوات كثيرة، ورحلة عمل متواصل وشاق، تحملت فيها كثيرا من المسئوليات، وصلت إلى منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، وهو أعلى منصب يحلم به ويتطلع إليه كل من التحق بالكليات العسكرية.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

مهمة في ألمانيا

تبدو السنوات التى تحملت فيها مسئولياتي كملحق حربى لمصر بألمانيا، وكأنها الأمس، ولكن الواقع يقول إن عقودا قد مرت على هذه السنوات وما شهدته من إنجازات، أحمد الله أننى تمكنت من تحقيقها.

فبتوفيق من الله نجحت فى إزاحة الستار عن صفقه الأسلحة الألمانية الإسرائيلية الشهيرة التى غيرت من مجرى الأحداث لا فى العلاقات المصرية الألمانية فقط، بل فى المنطقة ككل.

وبجانب هذا التوفيق عقدت صفقة مع سجين نازى بألمانيا لتهريبه من السجن مقابل الحصول على وثائق شديدة الأهمية تتعلق باليهود وبالحركة الصهيونية.

وكان من نتائج أعمال المكتب الحربى، أن أوكلت إليَّ القيادة السياسية مسئولية إدارة أعمال مكتب المخابرات العامة بالإضافة إلى المكتب الحربى.

وقبل أن يصدر المشير عامر قرارا بإيفادى إلى ألمانيا، سألنى إذا ما كنت على استعداد للعمل بهذه الدولة الحساسة والهامة ؟ وهل يمكننى أن ألبى الاحتياجات المطلوبة منى حتى وإن كانت السلطات الألمانية ستفرض رقابة شديدة على تحركاتى؟ وأوضح المشير أن العلاقات المصرية الألمانية ليست جيدة، لاعتقاد المسئولين الألمان مثلهم فى ذلك مثل كل المسئولين بالدول الغربية أن مصر تدور فى الفلك السوفيتى، وأن علاقات مصر بألمانيا الشرقية حتى وإن لم تعترف مصر بها دبلوماسيا، ستؤثر بلا شك على عملى وعلاقاتى.

فأجبته بأن التوفيق من الله.

وللعلاقات القوية التى كانت تربطنى بالمشير، رأيت أن أستفسر عن نقطتين هامتين بالنسبة لى: **الأولى** : هل اتفق مع الرئيس عبدالناصر على هذا القرار؟

والثانية: هل هى عملية إبعاد بالنسبة لى؟

أما النقطة الأولى: فلأن مجموعة عبدالناصر كانت تقول له باستمرار إننى من رجال المشير عامر، ولم أكن أرغب أن يصدر عامر هذا القرار بدون مناقشة الأمر مع عبدالناصر حتى لا يتأكد الرئيس فعلا أنني من مجموعة عامر. وإذا لم أكن بقادر على أن أوضح لعبدالناصر الآن، أنني أرتبط بصداقة مع كل منهما، وأننى مازلت حريصا على هذه الصداقة. وإذا كانت علاقات الرجلين قد أصيبت بصدع رئيسى فذلك شأنهما، وهما رجلان ربطت بينهما صداقة عميقة ومصاهرة وتشابكت علاقتهما، وأيا كانت خلافاتهما أو تعارض مصالحهما، فهما قادران دائما على تجاوز هذا الخلاف.

وأما أنا فسأظل صديقا لهما، ولن أنحاز لأى منهما أيا كانت الخلافات بينهما.

وكانت العلاقات بين الرجلين قد تردت بشكل مأساوى بعد نجاح الإنقلاب العسكرى السورى الذى قضى على الوحدة المصرية السورية ١٩٦١، وإذا كان المشير يتحمل نصيبه من المسئولية لأن عبدالكريم النحلاوى قائد الانقلاب كان يعمل بمكتبه، فإن لعبدالناصر نصيبا وافراً من هذه المسئولية ايضاً.

واتسعت الفجوة بين الرجلين، وظللت الشكوك والريب علاقتهما وكان منطقيا أو طبيعيا أن يحاول المتفعون والانتهازيون استغلال هذا الشقاق الذى حكم علاقات الرجلين.

وبتلقائية محببة فى المشير سألنى إذا كنت أخشى أن يظن عبدالناصر أننى من رجاله ؟ فقلت له نعم، فقال سأتصل بجمال الآن، وفعلا اتصل به أمامى وأخبره أنه سيقرر إسناد مسئولية منصب الملحق الحربى فى ألمانيا لمحمد صادق وأنى موجود معه الآن، فوافق عبدالناصر وطلب أن يحادثنى فهنأنى بالمنصب وتمنى لى التوفيق.

وبعد أن وضحت النقطة الأولى، قال المشير يا محمد ، ولماذا أقرر إبعادك أو التخلص منك ؟ إننى فى حاجة إلى جهودك فى ألمانيا، ولم أجد أفضل منك لأسند إليه هذه المسئولية.

وقلت له، إننى سأكون عند حسن ظنه بإذن الله.

وبدأت أستعد للسفر إلى ألمانيا، وقررت أن أسافر بالبحر لتتاح لى فرصة قراءة عدد من الكتب فى قواعد العمل الدبلوماسى، والتاريخ الألمانى، والنظام السياسى والاقتصادى بعد انهيار الرايخ الثالث وتقسيم ألمانيا إلى دولتين.

وبدأت فى ممارسة مسئولياتى بالعاصمة الألمانية بون عام ١٩٦٣، ولم تكن العاصمة أكثر من قرية صغيرة على شاطئ نهر الراين ، تقرر اختيارها عاصمة لألمانيا بعد هزيمة النازى، لمجرد أنها المدينة التى ولد ونشأ بها مستشار ألمانيا القوى كونراد اديناور.

اللواء محمد أحمد صادق الملحق العسكري بألمانيا
يحضر احتفال بتكريمه عميداً للملحقين العسكريين بألمانيا الغربية

وبدأت دورة التعارف التقليدية، مع المسئولين العسكريين، ومع نظرائى من الملحقين العسكريين الأجانب. وبهدوء عملت على تكوين شبكة من العلاقات مع العسكريين الحاليين والسابقين، ومن مختلف الأسلحة ولم أنس الطلبة المصريين، وباقى أعضاء الجالية المصرية الذين كانت شكوك السلطات المصرية تحاصرهم تماما، وتصنفهم على أنهم أعداء النظام، فلم أبال بنصائح البعض فى القاهرة، وبنيت جسورا معهم وقررت أن أكتشف مواقفهم بنفسى لا استنادا على التقارير والإشاعات.

ومضت الحياة بإيقاعها السريع، وكثرة الانتقالات التى تعهدت أن أجعلها سياسة ثابتة لى، لأعطى الانطباع للمخابرات الألمانية أننى رجل كثير الأسفار، سريع الحركة، وإن تعمدت أن تظل كل لقاءاتى علنية ومكشوفة سواء مع العسكريين والمدنيين الألمان أو مع المصريين طلبة وجالية أيا كانت ألوان أعضائها السياسية.

وكان المصريون فى الخارج يبحثون عن الحقائق والمعلومات التى تنقصهم عن أحداث كبيرة، مثل الوحدة المصرية السورية والانفصال السورى والتدخل المصرى فى اليمن وقرارات يوليو الاشتراكية وغيرها من الأحداث الكبرى التى تعيشها مصر.

وقد حرصت أن أطلعهم على الحقائق كما أعرفها، لا كما يذكرها ويرددها الإعلام، وكان ذلك كما عرفت فيما بعد واحدا من أهم عوامل الثقة التى ربطت بيننا ونهجت نفس النهج مع الألمان، ما أن أواجه بسؤال حتى أجيب بما أعرفه من حقائق، ولما كنت أعلم ما يجب أن يقال وما لا يجب أن يقال، كانت إجاباتى مقنعة للسائل. وكان هذا أسلوبى أيضا مع الملحقين العسكريين، وكنا جميعا، نسعى وراء المعلومات.. الملحقون العسكريون ، والقادة ، وضباط المخابرات الألمان ، ورجال الأحزاب ، والصحفيون، الكل كان يسعى وراء المعلومات.

وتتميز دول الغرب، بوجود عشرات من مراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وسعيت وراء تقارير هذه المراكز، وحضرت ندواتها ومؤتمراتها، وقد أفادنى ذلك كثيرا.

ووجدت طريقى إلى البوند ستاج (البرلمان الألمانى) ، وكانت جلساته وتقارير لجانه مفيدة جدا، وغنية بالمعلومات. ولم أتأخر فى التعرف على رجال الصناعة، وهم دائما دعامة العمود الفقرى الألمانى.

وتبدأ خيوط اكتشاف صفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل، وأنا أقضى أول أجازة قصيرة لى بمصر، فقد فوجئت باتصال تليفونى من الفريق سليمان عزت قائد القوات البحرية، وخلال المكالمة طلب منى أن نلتقى إما فى الأسكندرية أو بالقاهرة، فقلت له بل أنا الذى سأحضر إليك بالأسكندرية. وفى مكتبه أخبرنى أنهم يبنون غواصة جيب، ولكن ينقصهم جهاز حدده لى، وطلب أن أبحث عن مهندس ألمانى متخصص، وقال لى إن الألمان يبنون مثل هذا النوع من الغواصات فى المنطقة المطلة على بحر البلطيق.

وكانت مصر قد انغمست بقوة منذ نهاية الخمسينيات وطوال النصف الأول من الستينيات فى مجال الصناعات الحربية، مستفيدة من المصانع التى بناها رجل الصناعة المصرى أحمد باشا عبود ، واتجه المسئولون عن هذا النشاط إلى ألمانيا للاستفادة من خبرة العلماء ورجال الصناعة الألمان.

فعلى سبيل المثال فقد استعانت مصر بقائد المظلات الألمانى الشهير سكورزونى صاحب خطة الاستيلاء على جزيرة كريت خلال الحرب العالمية الثانية بواسطة الطائرات الشراعية، وهو الرجل الذى تمكن مع رجاله من اختطاف الزعيم الايطالى موسولينى من القلعة المعزولة الشديدة التحصين التى اعتقلوه بها. وقد وضع الرجل خبرته الكبيرة أمام الرجال الذين تحملوا مسئولية إنشاء سلاح المظليين بمصر.

وبعد عودتى لألمانيا فى النصف الثانى من عام ١٩٦٣ بدأت أسعى لتلبية طلب الفريق سليمان عزت قائد القوات البحرية فى العثور على خبير ألمانى يمكنه أن يقود فريق العمل المصرى لطريق النجاح لبناء غواصة جيب، هذا النوع الصغير الحجم من الغواصات كان يتناسب وخطط القوات البحرية وأهدافها. وكانت القوات البحرية قد بدأت فى إنشائها سرا منذ فترة ليست بالقصيرة دون أن تحقق النتائج المرجوة.

ومنذ أن توليت مهام الملحق الحربى فى ألمانيا سعيت لتوثيق علاقاتى بالقادة والضباط الألمان خاصة هؤلاء الذين لم يخفوا كراهيتهم لليهود والدولة اليهودية، ولحسن الحظ كان من بين هذا الفريق عدد كبير يشغل عددا من مقاعد الصفوف الأولى.

ومن خلال دراستى لمجالات عمل وتخصص هذه النخبة من الأصدقاء تذكرت أن النقيب إيرهارد ، صديق يعمل بالبحرية الألمانية. ولأول مرة تعرفت على إيرهارد، أكتشفت أنه فقد عينا من عينيه، ومع ذلك ما زال يعمل بالقوات البحرية الألمانية، ولم تؤثر إصابته على عمله أو مستقبله.

ووجهت دعوة لصديقى إيرهارد وزوجته للعشاء حيث احتسى المشروب الكحولى الذى يفضله ويسميه الألمان «شنابس» وأفرط إيرهارد قليلا فى الشرب. وعندما وصل إلى مرحلة السكر ظهر وجهه النازى، وأفاض فى الحديث عن أودلف هتلر والمرحلة النازية، وأعلن عن ولائه للنازية، مجد ألمانيا والألمان، وتركته يتحدث دون مقاطعة ورأيت وهو يواصل الشرب أن أمهد للحديث للوصول إلى الهدف، فطلبت منه أن يحدثنى عن عالم الغوص والغواصات بصفته خبيرا فى هذا المجال، فإذا بالقائد الألمانى ينتفض غاضبا ويخاطبنى بأسلوب حاد قائلا: «جنرال صادق يجب أن تعلم إننى عارضت حتى النهاية تزويد إسرائيل بغواصات أو دبابات أو أى أسلحه ألمانية، وطرحت حججى أمام القيادة الألمانية وكان أن نجحت فى عدم تزويد إسرائيل بالغواصات أما بالنسبة للدبابات والمدافع والسيارات فلم أوفق»

وقال: «إن القوات البحرية ستقوم بتسليم إسرائيل زوارق بحرية سريعة ، أما عن تسليم باقى الأسلحة الخاصة بالقوات البرية فهو لا يعلم عنها شيئا فمعلوماته مقصورة على القوات البحرية. وقال إنه أبلغ قياداته أن هذه الصفقة العسكرية لإسرائيل صفقة خاسرة وإنه إذا تم تنفيذها وعلم العرب بها فسنخسر العرب جميعا ......».

وحتى هذه اللحظة لم أكن أعلم شيئا عن تلك الصفقة وكانت الفرصة متاحة لاستثمارها لمعرفة حقيقة هذه الصفقة التى تحدث عنها. ولأن القائد الألمانى تصور أننى على علم سابق بالصفقة أو ببعض تفاصيلها نتيجة للسؤال الذى طرحته عليه كمدخل للحديث فلم يجد ما يمنعه من مواصلة الحديث معى عن الصفقة وتفاصيلها، وعن أسرار العلاقة بين ألمانيا وإسرائيل، والضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة لتزويد إسرائيل بهذه الصفقة. وكذلك الضغوط التى تمارسها إسرائيل لابتزاز ألمانيا عسكريا كما تبتزها ماليا واقتصاديا بحجة التكفير عن «الهولوكوست».. ولم ينس القائد الألمانى أن يخبرنى إن هذه الغواصات يتم بناؤها فى هانوفر.

وحافظت على نفس الخط، وأخبرته أن مصر على علم تام بالصفقة، فاعترف إيرهارد أن ذلك خطأ فادح، وقعت فيه الحكومة الألمانية.

وبعد انصراف الضابط الألمانى ، بدأت أرتب أفكارى والأسلوب الأمثل الذى يجب أن أسلكه فى ضوء المعلومات الهامة التى سقطت فى يدى الليلة .

ومبكرا طلبت مدير المخابرات الألمانية لتحديد موعد عاجل، لمعلومات هامة وصلتنى فى رسالة عاجلة من القاهرة. فأخبرنى بأن لديه موعدا فى التاسعة والنصف صباحا، فقلت له، إننى أريد موعدا قبل ذلك. وتحدد الموعد فعلا قبل التاسعة والنصف.

واستقبلنى الرجل فى مكتبه، فأخبرته أننى تسلمت رسالة من القاهرة تستفسر عن صفقة الأسلحة الألمانية الإسرائيلية والتى تضم دبابات ومدافع وسيارات وغواصات وزوارق. وصعق مدير المخابرات الألمانى من هذه المعلومات، وطلب منى محاولة تهدئة الموقف، وحاول شرح أبعاد وحقائق هذه القضية الطويلة والمعقدة.

وفى خطوة تالية طلبت موعدا مع وزير الدفاع الألمانى.

وقلت للوزير: إن الرئيس عبدالناصر مستاء للغاية من الموقف الألمانى، وإنه يريد توضيحا ورداً واضحاً، بعد أن نقلت له المعلومات التى سبق أن قلتها لمدير المخابرات مضافا إليها المعلومات التى وردت فى رد مدير المخابرات ونحن نتحدث معا.

وأخبرت المسئول أن مصر ستتخذ موقفا تجاه ألمانيا، وسيكون ذلك الموقف نتيجة للمعلومات الخاصة بهذه الصفقة وموقف ألمانيا منها.

وفى مساء نفس اليوم أرسل إلىَّ لودفيج إيرهارد مستشار ألمانيا زوج أخته، فى محاولة لمساومتى على تهدئة الموقف ومنع مصر من اتخاذ موقف متشدد. و وصل الأمر إلى أن

عرض الرجل دفع ٧٠ مليون مارك لمصر، مقابل ألا يعلن عبدالناصر قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية.

ومن مكتبى الذى توجهت إليه فورا أرسلت صورة من التقرير الذى كتبته إلى كل من الرئيس عبدالناصر والمشيرعامر ووزير الخارجية.

ولأن التقرير تضمن معلومات دقيقة عن أول صفقة سلاح ألمانية لإسرائيل. فقد استخدمت مصر هذه المعلومات للهجوم على ألمانيا ودورها فى مساندة إسرائيل عسكريا. وعلى ضوء هذه الحملة الإعلامية والسياسية واسعة النطاق تم تجميد الصفقة.

وقد أبلغنى سامى شرف رسميا تقدير وثناء الرئيس عبد الناصر على جهودى فى الكشف عن هذة الصفقة، وطريقة معالجتى واستشارى لها.

وكانت هذه المعلومات الخاصة بالصفقة التى قررت ألمانيا تجميدها مقدمة لمعلومات عسكرية أكثر سرية وأهمية تمكنت من معرفتها من خلال علاقاتى بالقيادات العسكرية الألمانية وكانت معظم هذه المعلومات تتعلق بحلف الاطلنطى وخططه وبرامج تسليحه.

وقد عرفت فيما بعد أن عبدالناصر كان شديد الاهتمام بهذه المعلومات واعتقد أنه نجح فى توظيفها والاستفادة منها خلال اتصالاته مع القادة السوفييت، وظل مكتب الرئيس يطلب منى المزيد من هذه المعلومات، وكلما بعثت بتقرير تلقيت الثناء من الرئيس وبعد فترة كان مكتب عبدالناصر يبلغنى ثناء السوفييت أيضا وإشادتهم بنشاطى فى ألمانيا الغربية !!!

والإنجاز الثانى الهام فى ألمانيا الغربية: كان الابن الشرعى لعملية إلقاء القبض على قائد نازى كبير حيث أودعته السلطات الألمانية السجن رهن المحاكمة، ومن خلال المحنة التى كان يعيشها، قرر أن يرسل صديقته لى، لتعقد معى صفقة، ففى مقابل تهريبه من السجن، سأحصل على حقائب من الوثائق عن اليهود والصهيونية وإسرائيل.

ودرست الأمر من كافة أبعاده، بعد أن تيقنت من صدق الرجل وأن الأمر ليس كمينا للملحق الحربى المصرى. ورأيت أن الصفقة متكافئة، فقررت تعيين صديقة القائد سكرتيره بمكتب الملحق الحربى المصرى، لسهولة الاتصال ونقل المعلومات والتعليمات.

ووضعت خطة لتهريب القائد وحارسه معا بعد أن وافق الحارس على الهرب وتهريب القائد، وفى مزرعة استأجرتها من أجل خطة التهريب كانت تنتظرهما طائرة صغيرة «بروبيلر» لتنقلهما إلى مزرعة خيول بالقرب من الحدود السويسرية. وبالمزرعة كان

فى انتظار الجميع جوازات سفر جديده وبطاقات سفر إلى القاهرة، وفى القاهرة كانت فى انتظارهما مجموعة خاصة من المخابرات العامة. وبعد سفرهما نظمت سفر أطفالها والمربية الخاصة، ليقيم الجميع معا بالقاهرة. وسلم الرجل الوثائق للقاهرة، وكانت قيمتها عالية.

وعندما نظمت المخابرات الألمانية خلال نفس الفترة رحلة صيد للملحقين الحربيين بالعاصمة بون، اقترب منى مدير المخابرات فى نهاية الرحلة وسألنى عما إذا كان «الصيد ثمينا...»، فأجبته بأننى أخرج لأول مرة فى رحلة صيد بألمانيا، وكل ما أتمناه ألا أكون الأخير فى ترتيب الصيادين اليوم، فابتسم الرجل، وقال اننى أعنى شيئا آخر...، فرددت علية مندهشا : «أننى لا أعلم ماذا تعنى..».

وللقصة فى مصر بقية، فالقائد الألمانى بعد أن استقرت أوضاعه بالقاهرة، اكتشف الجميع إنه زئر نساء، وإنه كان على علاقة بكل من صديقته والمربية، واكتشفت صديقته ما يجرى فما كان منها إلا أن أخبرت صحفى ألمانى يقيم بالقاهرة ويعمل بها عن وجود القائد النازى الهارب بالقاهرة. وخططت مع الصحفى لتصويره بما يؤكد صدق قصته الصحفية، وفعلا تمكن الصحفى من التقاط صورة له بفندق مينا هاوس.

وذاع الخبر وفوجئت سلطات الأمن الألمانية بوجود القائد الهارب فى القاهرة، وكانت الشكوك قد اتجهت إلى الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية.

وحضر إلى القاهرة أكثر من ٧٠ صحفيا ومصورا ألمانيا وبصحبتهم عدد من المسئولين بالمخابرات الألمانية، وروت لهم السكرتيرة القصة كما عرفتها، وكان ما تعرفه قليل جدا ولكن أهم ما اكتشفته السلطات الألمانية إننى طرف فى هذه القضية.

وفى مقابل اعترافها، حصلت من السلطات الألمانية على قرار يعفيها من كل المسئولية، كما سبق أن تعهدوا لها. وبعدها سعى الصحفيون ورائى دون جدوى. وانتهت القصة بأن وافق القائد الألمانى على تسليم نفسه لألمانيا الغربية لاستكمال فترة سجنه، ولم تعترض القاهرة على قرار القائد الألمانى.

وفى موضوع آخر: قبل سفرى إلى ألمانيا حاولت جمع المعلومات المتاحة وقراءة التقارير السياسية والأمنية الخاصه بالجالية المصرية، ومن بين ما سمعت اتهام الطلبة المصريين الموجودين بألمانيا، بالانتماء للإخوان المسلمين، أو على الأقل العمل على نصرة قضية الأخوان نتيجة نشاط سعيد رمضان ورجاله الموجودين بألمانيا، بل رأيت أن هذا

الاتهام قد تحول إلى اقتناع لدى المسئولين. وأدى هذا الاقتناع إلى التوقف عن بحث واستقصاء الموقف،أو محاولة معرفة الأسباب التى أدت إلى ذلك، هذا فيما إذا كان هذا الاتهام يمثل الحقيقة.

و رفضت هذا الاتهام وهذه الصورة.

وبعد أن وصلت ألمانيا، وحتى قبل أن استقر بدأت أتصل بهم وأدعوهم وأحاورهم وأناقشهم وأجيب على أسئلتهم.

كانوا فى حاجة للرعاية فالبعثة التعليمية والمكتب الثقافى والسفارة ككل تنأى عنهم ولا يقوم أى من هؤلاء المسئولين بدوره تجاههم. وكان الطلبة من جانبهم ساخطون متبرمون من هذا الموقف السلبى للمسئولين المصريين، بل كانت لديهم شكوك عميقة فى أن معظم الموجودين تابعون لأجهزة الأمن ومن كتبة التقارير. وحاولت تصحيح هذه الأوضاع بقدر ما أستطيع وتدخلت وضغطت واتصلت بالقاهرة من أجل هذا الهدف.

وكانت الغالبية منهم قد ابتعدت كثيرا عن الوطن، وافتقدوا بذلك أسرهم التى غابوا عنها طويلا. وكان معظمهم يخشى العودة للقاهرة خشية عدم الخروج منها مرة أخرى لأى سبب من الأسباب، ومن لم يسافر للقاهرة استفاد من درس البعض الذى سافر للزيارة ولم يتمكنوا من الخروج.

وساهم البُعد عن الوطن فى الانقطاع عن الأخبار، وكان مصدر معلوماتهم أجهزة و وسائل الإعلام الأجنبية، بكل ما هو معروف عن موقفها السلبى من مصر ومن جمال عبدالناصر. ولم أخف عنهم الحقيقة ، أجبت عن أسئلتهم، وأرضيت فضولهم وشوقهم للمعلومات وبحثهم عن حقيقة ما يجرى فى الوطن. وحاولت أن أزيل الشبهات التى رأوا أنها تحيط بمستقبلهم. وبالاتصال المباشر والحوار تولدت علاقة صداقة واحترام بيننا.ولم أحاول من قريب أو بعيد أن أشير إلى الصورة المرسومة لهم أو الاتهامات الموجهة إليهم.

أما نفوذ سعيد رمضان بين الطلبة فلم يكن خافيا، كان يعمل هو ورجاله بهمة ونشاط مستغلا بعض سلبيات النظام وعدم وضوح الصورة لدى الطلبة، وبدأت أجمع معلومات عن سعيد رمضان القائد الإخوانى وأعوانه الذين يعتمد عليهم. ولفت نظرى أن الرجل يعيش فى جناح بفندق كبير ومشهور.

واستطعت أن أصل إلى زوجة أحد مساعدى سعيد رمضان وأن أكسب ثقتها، فبدأت تحكى لى الكثير مما تعرفه عن العلاقات النسائية لزوجها وللقائد الإخوانى،

وبعد أن اطمأنت ووثقت بى، سألتها عما إذا كانت مستعدة لعقد مؤتمر صحفى تعلن فيه ما تعرفه ، فوافقت.

وحضر الصحفيون وبعض المصريين الموجودين بألمانيا، وبدأت الزوجة تحكى، كيف طردها زوجها فى الساعة الثانية صباحا بسبب اعتراضها على وجود امرأة أخرى معه بمنزل الزوجية. وتحدثت عن سعيد رمضان وزوجها وعن حياة الرفاهية التى ينعمون بها وقالت إنها لاتعرف من أين يأتون بكل هذه الأموال أو كيف ؟.

ولأول مرة يتعرف الطلبة المصريون على حقيقة الأوضاع فى مصر، ويحتكون بمواطن مصرى يهتم بهم وبمشاكلهم، حتى وإن كانت مسئوليته المباشرة هى رئاسة المكتب الحربى.

ولأول مرة يرون جانبا مهما من الصورة الحقيقية لزعامات إخوانية ، والتى تتناقض تماما مع ما يدعون إليه. وكان الشرخ الذى أصاب صورة سعيد رمضان ومساعده واحدا من الأسباب الرئيسية لتراجع النشاط الإخوانى بين الطلبة والجالية المصرية خلال هذه المرحلة.

وحدث خلال فترة عملى بألمانيا الغربية أن أصدرت الحكومة المصرية قانونا يؤثر على أوضاع الطلبة هناك ومستقبلهم. وجرت عملية تحريض واسعة النطاق قادها اتحاد الطلبة والمسئولون الطلابيون بالولايات الألمانية المختلفة. وأرسلت عددا من الرسائل والبرقيات لكل مستويات المسئولين أطلب إلغاء القانون، وأحذرهم من إعداد الطلبة الموجودين بألمانيا لمظاهرة حاشدة معادية لمصر والحكومة والرئيس عبدالناصر.

وأصم المسئولون جميعاً آذانهم، بل لم يهتم أياً منهم بالرد على رسائلى وبرقياتى. وقبل موعد الإضراب بساعات، تساءلت ولماذا لا أكتب لعبدالناصر مباشرة، وأرسلت برقية كالتالى:

« من اللواء محمد صادق الملحق الحربى المصرى فى ألمانيا إلى الرئيس عبدالناصر «سيدأ الطلبة المصريون فى ألمانيا صباح باكر إضرابا ضد مصر وضدكم بسبب القانون الذى أصدره مجلس الوزراء. اقترح إعادة النظر فى مضمونه».

وبعد ساعات تسلمت برقية من جمال عبدالناصر يخبرنى فيها بأنه يبعث بتحياته إلى أبنائه الطلبة فى ألمانيا الغربية و يعتز بهم، ويحمل لهم أطيب المشاعر، ويطلب منى إبلاغهم بأنه أصدر أمرا بإلغاء القانون فورا.

واتصلت باتحاد الطلبة فى بون وسلمتهم نسخة من برقية عبدالناصر، ولم ينم الطلبة وقضوا الليل يتصلون بزملائهم فى الولايات الألمانية لإعلامهم بمضمون رسالة عبدالناصر. وفى الصباح تحركت المظاهرات الطلابية كما كان مخطط لها، ولكن تأييدا لمصر وعبدالناصر.

وفى عام ١٩٦٥ انتهت فترة عملى بألمانيا نتيجة لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ولا شك أننى استفدت كثيرا من هذه الفترة، حيث اقتربت كثيرا من أسلوب التفكير والعمل الأوروبى، ومن المنهج العلمى الذى يسيطر على نواحى الحياة، ومن المناخ السياسى وأساليب العمل على المستويات المختلفة، وطبيعة المناورات السياسية، وكيفية التخطيط لها على ضوء الأهداف المستهدفه. وتعرفت عن قرب على المنهج الواقعى لتجاوز ما ألحقته الهزيمة الساحقة بألمانيا.

كما أتاحت لى هذه الفترة ، دراسة العقيدة العسكرية الألمانية والغربية، والفكر التخطيطى والعملياتى لحلف الأطلنطى والقوات العسكرية الأوروبية والأمريكية. وقد كرست الكثير من وقتى للدراسات العسكرية الغربية ، وكنت باستمرار أشعر أننى فى سباق مع الزمن، وأن علىّ أن أنهل من هذا المنهل مثلما نهلت من قبل العقيدة السوفيتية خلال فترة دراستى بأكاديمية فرونزه العسكرية للحصول على درجة أركان حرب أو الماجستير فى العلوم العسكرية. وبذلك، أُتيحت لى الفرصة لأجمع بين العقيدتين الشرقية والغربية وكان هذا من فضل الله علىّ.

وعدتُ من ألمانيا لأتسلم عملى ككبير للمعلمين بالكلية الحربية ، قبل أن أتحمل مسئولية إدارة المخابرات الحربية فى منتصف عام ١٩٦٦.

❁ ❁ ❁

ومن الجدير بالذكر إننى تلقيتُ قبل نهاية عملى بألمانيا غواصة الجيب التى تتسع لفرد واحد كهدية من الأصدقاء الألمان الذين تعاونوا معى طوال سنوات عملى كملحق حربى . وكان الفريق أول بحرى سليمان عزت قائد القوات البحرية قد أبدى اهتماما فائقا بالحصول على معلومات عن هذه الغواصة للبدء فى انتاجها فى مصر وقد عدت بهذه الغواصة فى رحلة العودة وسلمتها للقوات البحرية.

❁ ❁ ❁

الباب الثانى

الهزيمـــــــة

الفصل الثالث

بعض ما جرى فى اليمن

تحركت قوات الانقلاب العسكرى بقيادة عبد الرحمن السلال لإنهاء حكم الإمام البدر الذى خلف والده الإمام احمد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وبعد حوالى عام من إنفصال سوريا نتيجة إنقلاب عسكرى قاده عبدالكريم النحلاوى مدير مكتب المشير عامر فى العاصمة السورية دمشق.

وطلبت قيادة الانقلاب اليمنى قوات مصرية لدعم موقفها ومواجهة احتمالات التدخل المتوقعة ، وبدأت الأحداث تتصاعد لترجيح كفة التدخل. وكانت أطراف كثيرة تتحرك للضغط على عبدالناصر للإقدام على هذه الخطوة وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى الذى لوح بأنواع الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى سيوفره لمصر فيما لو تدخلت عسكريا لدعم الانقلاب اليمنى.

وبعد نجاح الانقلاب ، صور التدخل المصرى وكأنه نزهة ستعيد للقيادة المصريه دورها القيادى في العالم العربى بعد شرخ الانفصال السورى ، وكان عبدالناصر فى أعماقه يرحب بهذه الخطوة للثأر من المملكة السعودية التى دعمت وشجعت هذا الانفصال. وفى نفس الوقت تمكن السادات من إقناع عبدالحكيم عامر بأنه سيستعيد مجده وبريقه العسكرى على المسرح اليمنى لسهولة تحقيق الانتصارات هناك.

وهناك علامة استفهام كبيرة و حقيقية حول دور كل من السادات وعبد الرحمن البيضانى لدفع مصر للتدخل العسكرى باليمن ، هذا التدخل الذى تحول إلى ورطة حقيقية.

ومنذ البداية كان واضحا أن المملكة السعودية لن تقبل بوجود عسكرى مصرى فى اليمن لما يشكله ذلك من تهديد لأمنها واستقرارها. كما أن الإنجليز الذين كانوا مازالوا يحتلون عدن وباقى المحميات والمشيخات الممتدة على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية ، لن يرحبوا بوجود عسكرى مصرى فى اليمن خشية من تأثير ذلك على استقرار أوضاع القوات المحتلة.

ولا شك أن الذين اتخذوا قرار التدخل العسكرى غابت عنهم محاولات القوى الخارجية المستمرة لضرب الجيش المصرى الذى وصل إلى مستوى طيب من الإعداد والتسليح والتدريب ، وقد بدا ذلك واضحا من خلال المناورات العسكرية التى تمت حتى عام ١٩٦٢ حيث عبرت عن حقيقة اكتمال استعداد القوات المسلحة خلال عملية الحشد العسكرى فى سيناء خلال أزمة «التوافيق» عام ١٩٦٠.

وقد تم الحشد بسرعة وسهولة وبشكل انسيابى ، وأحمد الله أننى كنت على رأس القوات التى تم حشدها فى سيناء خلال هذه الأزمة. فقد تحركت قوات اللواء السادس مشاه ميكانيكى تحت قيادتى من شرق القاهرة إلى مثلث الحسنة فى سيناء بدون توقف ودون أية أعطال أو حوادث.

كانت مصر تدفع ثمن تدخلها العسكرى فى اليمن من مواردها ودماء أبنائها ، فى حين كان الاتحاد السوفييتى يجنى ثمار هذه الحرب ، فالعرش السعودى يهتز ، والاستعمار الإنجليزي على وشك أن يرحل ، و في الجنوب اليمنى تستعد القوى الشيوعية لتسلم السلطة ، بالإضافة إلى زيادة نفوذ السوفييت فى اليمن الشمالى.

أما وعود الاتحاد السوفييتى بدعم التدخل المصرى فقد تبخرت ، وتحولت الإمدادات العسكرية إلى زيادة فى حجم الديون المصرية ، أى أن خسائر مصر من المعدات كانت تضاف إلى أرصده السوفييت. وحتى ورش الإصلاح التى كان الروس يشرفون عليها فى اليمن كانت تتقاضى ثمن إصلاح الدبابات وغيرها.

وتكاتفت قوى كثيرة للعمل فى المسرح اليمنى لاستنزاف مصر فى جميع المجالات ولتركيع عبدالناصر، وفى مقدمة هذه القوى الولايات المتحدة وباقى دول المعسكر الغربى، أما معسكر الرجعية العربية طبقا للتقسيم الذى ساد خلال سيطرة النظم الثورية على مقدرات عدد من الدول العربية، فقد كان منطقيا أن يقف بجوار الإمام البدر الذى نجا بحياته وفر باتجاه الجبال الشمالية ليشكل قوات لمناوأة الانقلابيين، وتدخلت السعودية بقوة فى المسرح اليمنى ولم يتأخر الأردن عن تحمل مسئوليته.

و وجدت إسرائيل طريقا من خلال بعض النظم العربية للمشاركة فى استنزاف مصر.

وخلال هذا التورط المصرى ، وبعد أن زاد حجم القوات المصرية باليمن ، بدأت الأحداث تتصاعد بشكل درامى لتنتهى بقرار مصر حشد قواتها فى سيناء ابتداء من ١٥ مايو ١٩٦٧.

والسؤال : هل كانت العمليات العسكرية المصرية فى اليمن هى المشهد الافتتاحي لما جرى بعد ذلك فى سيناء عام ١٩٦٧ ؟

ومن كان صاحب المصلحة فى توريط مصر فى اليمن تمهيداً للتخلص من باقى الجيش المصرى فى سيناء ؟

وخلال سنوات التورط المصرى فى اليمن والتى استمرت منذ خريف عام ١٩٦٢ وحتى خريف عام ١٩٦٧ تم تدمير جزء كبير من المعدات والأسلحة نتيجة للعمليات وسوء و وعورة الأرض.

وبدأت روح النظام العسكرى تتفكك نتيجة تقسيم التشكيلات والوحدات إلى وحدات صغيرة وجماعات لمواجهة حرب العصابات.

❁ ❁ ❁

القيادتان السياسية و العسكرية و يونيه ١٩٦٧

حين توليت إدارة المخابرات الحربية فى نهاية عام ١٩٦٦، شرعت مع بعض القادة والضباط الأكفاء الذين اخترتهم لمعاونتى فى تكوين عدة خلايا من أبناء سيناء للعمل داخل إسرائيل للحصول على معلومات.

وكانت تلك الخطوة من أولى الخطوات التى أقدمت عليها لتطوير الجهاز وزيادة فاعليته ، وقد أتت هذه الخطوة بعد أن تعرفت على النقص الواضح فى المعلومات المتوفرة بالإدارة عن العدو. وهذه المجموعة من أبناء سيناء تم تدريبها بشكل جيد لتتمكن من إنجاز المهام التى ستكلف بها. وكان الهدف المخطط لعناصر هذه المجموعة ، الحصول على معلومات محددة يجرى تكليفهم بها وفقا لاحتياجات الإدارة لاستكمال النقص فى المعلومات المتوفرة عن العدو.

وبالطبع لم يكن فى حساباتى فى ذلك الوقت ، ولا فى حسابات أى مسئول أن تندلع الحرب فى يونيه ١٩٦٧.

وانفجر الموقف فجأة بعد أن أبلغ الروس عبدالناصر بأخبار الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية ، وعندما أمرت عناصر مختارة ومدربة بالتوجه إلى الحدود الإسرائيلية السورية عبر إسرائيل للتأكد من صحة هذه المعلومات ، كنت أتوقع النتيجة التى عادوا بها ، وهى أنه لا صحة لهذه المعلومات. وقد كتبت تقريرا بهذه النتيجة لكل من المشير عامر وشمس بدران وزير الحربية ، كما أطلعت عبدالناصر على هذه المعلومات.

وبعد عودة الفريق أول فوزى من سوريا وتأكده من عدم وجود أى حشود إسرائيلية على الحدود السورية ، كنت أتوقع أن تخف درجة حرارة الأزمة ، ولكن القيادة المصرية واصلت اندفاعها على طريق التصاعد بالأزمة ، ودونما اعتبار لتوزيع القوات المسلحة بين مصر واليمن وما هو قائم من عدم اتزان استراتيجي فى أوضاع القوات المسلحة أو

للخطة الدفاعية «قاهر» التى صدق عليها الرئيس جمال عبد الناصر فى نوفمبر ١٩٦٦ بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة أو حتى للظروف الدولية والإقليمية والمحلية غير المواتية.

وذلك لاقتناع القيادة بأن الأمر لن يخرج عن كونه مناورة قد تجبر إسرائيل فى النهاية على التراجع واستخلاص ما كسبته من حقوق تتعلق بالمرور عبر مضيق خليج العقبة كثمن لانسحابها من سيناء عام ١٩٥٦، وكان من الضروري أن تراعى القيادة السياسية احتمال إقدام إسرائيل على خوض تجربة الحرب خاصة وهى تعلم يقينا حقيقة الأوضاع المصرية المناسبة لها تماما، وتأكدها أنها لن تجد ظروفا دولية أو إقليمية أفضل من تلك الظروف لتحقيق انتصار عسكرى وسياسي سهل على القوات المصرية والنظام السياسي المصرى.

وأعتقد أن عبدالناصر بكل خبرته وسعة أفقه وذكائه لم يكن لتغيب عنه هذه الحقائق، ولم يكن بغافل أن إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية إنما يمثل إعلانا للحرب على إسرائيل بجانب كونه تغييرا لأمر واقع بالقوة، وهو مالا يمكن أن تقبل به إسرائيل بسهولة.

وستظل علامات الاستفهام المحيطة بهذه الفترة بدون إجابات مقنعة:

* فلماذا صدق عبدالناصر أنباء الحشود وأغفل كل المعلومات التى أكدت له عدم صحة هذه الأنبـــاء ؟
* ولماذا أقدم على إغلاق الملاحة فى خليج العقبة أمام إسرائيل ؟
* ولماذا طلب سحب قوات الطوارئ الدولية ؟

وكانت هذه الأسئلة تحيرنى، كما حيرت غيرى وظللت أتحين الفرص لسؤال عبدالناصر، وعندما حانت أول فرصة سألته: «لماذا أمرت بحشد القوات في سيناء بالرغم من أن الفريق أول فوزى عاد من سوريا ليؤكد عدم صحة الأنباء الخاصة بالحشود الإسرائيلية ؟ كما أن تقريري الذى قدمتُه كمدير للمخابرات لم يكن يختلف فى نتيجته عن النتيجة التى توصل إليها الفريق فوزى ؟

فأجاب بقوله :

«هل أصدق معلوماتك يا محمد ولا أصدق معلومات المخابرات الروسية ؟»

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن السوفييت قد مارسوا ضغطا على عبدالناصر من أجل تجاوز مرارة العلاقات بين مصر وسوريا من جراء انفصال ١٩٦١ وتمادي النظام السوري

فى الهجوم على مصر وعبدالناصر **وتوقيع اتفاقية دفاع مشترك وقد وقعها عبدالناصر فعلا فى نوفمبر ١٩٦٦، وكانت هذه الاتفاقية هى التى أدت إلى تورط مصر فى حشد قواتها فى سيناء بعد أنباء الحشود العسكرية الإسرائيلية الكاذبة على الحدود السورية.**

فهل كانت هذه الاتفاقية جزءا من سيناريو أعدته القيادة السوفييتية ؟

ولماذا ؟ وما الهدف ؟

وبعد أن أصدر عبدالناصر أمرا بحشد القوات المسلحة فى سيناء اعتباراً من يوم ١٥ مايو ١٩٦٧، أقدم على خطوة رئيسية تالية ساعدت على تدهور الأوضاع فيما بعد وقادت إلى اندلاع معركة يونيه، فقد طلب سحب قوات الطوارئ الدولية المتمركزة على حدودنا الشرقية فقط.

وكان بعض العرب «الثوريون والرجعيون» يهاجمون عبدالناصر من هذه النقطة ويتهمونه بأنه يحتمى خلف قوات الطوارئ الدولية، كما أن المشير عامر خلال زيارته لباكستان أرسل برقية مفتوحة يطلب فيها من عبدالناصر سحب قوات الطوارئ الدولية.

ورأى عبدالناصر أن بدء عملية الحشد العسكرى فرصة ملائمة لسحب هذه القوات، ولإنجاز هذه المهمة أرسل الفريق فوزى رئيس الأركان خطابا إلى الجنرال ريكى قائد قوات الطوارئ الدولية لسحب قواته يوم ١٦ مايو أى فى اليوم التالى لعملية الحشد.

وكان واضحا من سطور الرسالة أن المطلوب فقط سحب جزئى لقوات الطوارئ مع الابقاء على القوات الموجودة بغزة ومنطقة شرم الشيخ والتى تحمى الملاحة الإسرائيلية فى مضايق تيران وصنافير. و يوم ١٧ مايو تسلم رئيس الأركان رسالة من الجنرال ريكى يقول فيها، إنه يجب الرجوع فى هذا الأمر إلى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة بوصفه صاحب الأمر والمسئول عن اتخاذ الإجراءات القانونية حيال طلب سحب قوات الطوارئ الدولية، وأكد أن مثل هذا الأمر ليس أمرا عسكريا.

خاصة وهو يعلم يقينا أنه لا صحة لأخبار الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية.

وكنت وأنا أبدى اعتراضى على الحشد العسكرى فى ظل هذه الظروف لا أجد من بين القادة من يدعم موقفى، لقد وجدت من يعترض على انتظار الضربة الأولى وفى مقدمتهم الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية، ولكن أحدا لم يعترض على أمر الحشد العسكرى فى سيناء.

وأعود إلى اجتماع القادة برئاسة عبدالناصر يوم ٢ يونيه ١٩٦٧ :

والذى قدمت فيه تقريرا مزوداً بخريطة تبين توزيع القوات الإسرائيلية والذى جاء فيه أن العدو يستطيع بدء الهجوم فجر ٣ يونيه أى بعد ساعات ، أو فجر ٤ يونيه على الأكثر.

وعلق عبدالناصر بصوت مسموع وهو يقرأ التقرير قائلا : المرجح أن إسرائيل ستهجم يوم ٥ يونيه، ثم طالب بتقوية الدفاعات المصرية فى منطقة رفح لمواجهة تجمع ضخم للعدو عند مثلث رفح العريش أبوعجيلة. وفى هذا الاجتماع طالب عبدالناصر بانتظار الضربة الأولى ، بعدها توجه القوات المسلحة ضربتها ، وقال إنه لا يريد أن يخاطر بالاصطدام مع الولايات المتحدة إذا ما قامت مصر بالضربة الأولى.

وقد اعترض صدقى محمود على انتظار الضربة الجوية الإسرائيلية الأولى ، ليقوم وقواته بالضربة الثانية ، ودار نقاش حول نتائج هذه الضربة الإسرائيلية ، وأن مصر والقوات المسلحة والقوات الجوية لن تتحمل هذه الضربة.

وقد اقترحت على المشير عامر بحضور صدقى محمود إخلاء مطارات سيناء المتقدمة طالما يتعذر علينا تجنب المفاجأة المتوقع حدوثها خلال ساعات كتقديرى أو يومين كتقدير عبدالناصر ، وأيدني فى ذلك المشير عامر ، لكن صدقي محمود رفض اقتراحي هذا و رد غاضبا إنه يفهم عمله جيدا ويجب أن يعرف «اللواء صادق» أن إخلاء المطارات المتقدمة سيقضى على الروح المعنوية للطيارين .....

وفى ذلك الوقت كانت القوات الجوية المصرية تعانى من قلة المطارات ومن تخلف طائراتها بمسافات كبيرة عن طائرات العدو ، وتخلف تسليحها أيضا ، بالإضافة إلى قلة عدد الطيارين والأطقم المعاونة من المهندسين والفنيين. وكانت هذه الصورة شديدة الوضوح أمام جميع القادة خاصة قادة القوات الجوية ، فقد دارت معركتان جويتان فى ديسمبر عام ١٩٦٦ بين مقاتلات مصرية ومقاتلات إسرائيلية ، لم يذع عن المعركتين أى شئ ، وظلتا من الأسرار بالنسبة للمصريين على الأقل.

وفى المعركة الأولى قاد المقاتلات المصرية طيارون مصريون ، أما فى الثانية فقد قاد المقاتلات طيارون سوفييت ، وأسفرت المعركتان عن خسارة كاملة للطيارين والطائرات، وأوضحت هذه النتيجة تفوق الطيارين الإسرائيليين ، وتفوق المقاتلات الإسرائيلية ، وكان هناك احتمال أن يكون الذين قادوا المقاتلات الإسرائيلية من الطيارين الأمريكيين

المدربين جيدا ، وأثبتت هاتان المعركتان الجويتان أن القوات الجوية لا تمتلك عناصر السيطرة الجوية فى تلك الفترة.

وكان على القوات الجوية وهى فى تلك الحالة أن تتحمل نتيجة الضربة الأولى ، وأن تكون مستعدة لتوجيه الضربة الثانية.... وهناك نقطة ضعف رئيسية تمثلت فى عدم وجود ملاجئ خرسانية للطائرات ، وهذه لا يتحمل مسئوليتها قائد القوات الجوية ، فقد طالب بإنشاء هذه الملاجئ لحماية طائرات السلاح الجوى إلا أن الموقف المالى لمصر لم يكن يسمح بالاستجابة لمطلبه.

أما الدفاع الجوى ، وكان تابعا لقيادة القوات الجوية فكان بعيدا عن أن يكون مستعدا أو مؤهلا لمواجهة القوات الجوية الإسرائيلية خلال توجيه ضربتها الأولى ، وبالرغم من ذلك فقد بدأت الغارات الجوية الإسرائيلية ونيران الدفاع الجوى مقيدة بسبب وجود طائرة المشير عامر فى الجو ، حيث توجه إلى سيناء للاجتماع بالقادة وتفقد القوات فى نفس توقيت اندلاع النيران ، كما كانت هناك طائرة أخرى تقل السيد حسين الشافعي ورئيس وزراء العراق والوفد المرافق فى طريقهم لزيارة الجبهة.

ومعنى النيران مقيدة ، أنها تلقت أمرا بعدم إطلاق نيران مدافعها على الطائرات أو الأهداف الموجودة بالجو، ولتلك الأسباب العديدة عندما نفذت إسرائيل ضربتها الجوية صباح يوم ٥ يونيه كانت النتيجة الحتمية إنهيار وتدمير قواتنا الجوية على الأرض.

ولم يتأخر الهجوم البرى ، وكان يمكن للقوات الموجودة بسيناء أن تصمد وأن تقاتل بعد أن فقدت الغطاء الجوى ، وأن تلحق بالقوات الإسرائيلية المهاجمة قدرا كبيرا وموجعا من الخسائر ، وأن تحول بينها وبين تحقيق هذا الانتصار السهل .

وبعد سماعي بخبر الانسحاب بهذا المستوى ، اتصلت تليفونيا بالمشير عامر مستفسرا عن الحقيقة ، فأبلغنى بأنه أصدر فعلا أمر انسحاب ، فقلت له إنه انسحاب له خطورته على الرجال ، وإن الجيش بهذا الأمر قد ضاع ، وإن القوات بالجبهة ستواجه كارثة حتمية ومروعة.

وظل المشير صامتا ، فسألته ، وأين هو الخط الذى ستنسحب إليه القوات وتتمسك به؟ فقد كان المنطق يقتضى أن يكون أمر الانسحاب إلى خط المضايق والتمسك به، وعدت أسأله ، أما كان من المفروض أن يستشيرنى قبل أن يصدر هذا الأمر بما أننى أمثل العدو فى القيادة المصرية وبالتالي فإن الاستماع لرأيي من الضرورة بمكان ؟

ولم يقل المشير أكثر من «إمسك أعصابك .. إمسك أعصابك» ، ثم قال إننى أعطيت أوامر لبعض الوحدات والتشكيلات لتقوم بهجوم مضاد ، والفرقة رقم كذا ستبدأ هجوما مضادا ، فسألته عما إذا كان يعلم أن قائد تلك الفرقة موجود فى الإسماعيلية الآن، وأنه قد وصل إليها منذ ساعات ؟

وعاد المشير ليطلب منى أن أمسك أعصابى ....!!

وكنت فى حديثى معه منفعلا ، لأننى على بينة من حجم المأساة ، فقد مررت بمثل هذه الظروف ولكن بصورة مصغرة خلال معركة عام ١٩٥٦ ، فقد كان الفريق أنور القاضى يتحمل مسئولية قيادة القوات الموجودة بسيناء وقتذاك ، وكنت رئيسا لأركان هذه القوات ، ولم يكن حجم القوات يتجاوز سبع كتائب منتشرة على محاور سيناء الثلاثة.

وعندما صدر أمر الانسحاب عام ١٩٥٦ إلى غرب القناة ، نجحنا فى خداع العدو ، فقد ظللنا نقاتل ونضرب حتى لا يشعر بانسحابنا المنظم ، وقد قاتلت القوات الموجودة فى منطقة أبوعجيلة بقيادة على عبدالخبير لتحمى الانسحاب ، وصمدت القوات الموجودة فى رفح، وكانت القوات المنسحبة ، تنسحب من خط دفاعى إلى آخر، تحمى بعضها بعضا، والكل فى حالة تماسك وبالرغم من التخطيط الجيد والسيطرة الكاملة على القوات الموجودة بالجبهة طوال الوقت ، إلا أن الفضل الأساسى لله وحده. والحمد لله وصلت القوات إلى غرب القناة متماسكة وسليمة بأسلحتها ومعداتها ، وكنت مع آخر مجموعة ضباط تعبر القناة ، بعد تأكدى من تمام عبور كل القوات المنسحبة.

وبعد معركة ٥٦ اجتمعنا شخصيا بالرئيس جمال عبدالناصر والمشير عبدالحكيم عامر وشرحنا لهما بالتفصيل كل ما حدث فى عملية الانسحاب، وأوضحنا أنها عملية ليست سهلة بل صعبة، خاصة وأنها تتم تحت ضغط العدو وعدم كفاية الطرق ، وغياب المظلة الجوية.

لكن شتان بين الانسحابين ففي يونيه ٦٧ أصدر المشير أمرا بالانسحاب لأكثر من ٤٠٠كتيبة، على نفس الطرق التى انسحبت عليها سبع كتائب منذ ١١ عاما. وبعد أن وضعت سماعة التليفون اتصل بى المشير عامر بعد فترة وسألنى هل هناك إمكانية لإيقاف الانسحاب .. ؟

فأجبته إننى شخصيا لا أستطيع أن أفعل شيئا ، لأن القادة لا يأخذون أوامرهم منى أو من مكاتب إدارة المخابرات الحربية الأمامية ، وطلبت منه أن يحاول عن طريق هيئة

العمليات أو قادة سيناء المحليين لكى يوقفوا الانسحاب أو أن تتمسك القوات بخط المضايق على الأقل. واستدعى المشير عامر عددا من القادة ورئيس هيئة العمليات وكان الوقت قد تأخر لمعالجة الموقف .....

كانت الصورة شديدة القتامة ، فالطوابير الإسرائيلية المدرعة تتسابق للوصول إلى مداخل المضايق الثلاثة من اتجاه الشرق ، وطابور آخر يتقدم على الطريق الساحلى ليغلق المضايق الثلاثة من ناحية الغرب. كانت الخطة شديدة الوضوح ، فالطوابير الثلاثة تقوم بدور المطرقة، أما الطابور المتقدم على الطريق الساحلى فسيقوم بدور السندان ، وما بين المطرقة والسندان خططوا للإجهاز على القوات الموجودة بالجبهة.

وكانت القوات الجوية الإسرائيلية تمتلك السيطرة والسيادة التامة فوق مسرح العمليات وعلى الجانب الآخر كان الانهيار أوضح ما يكون خاصة بالمستويات القيادية، وقد بدأ الأمر بالتخبط وعدم وضوح الهدف ، وتداخلت خطوط القيادتين السياسية والعسكرية ، فالقيادة السياسية اندفعت على طريق الحرب بالرغم من كل التحذيرات، كما كانت صاحبة قرار إغلاق خليج العقبة ، بعد أن طلبت وأصرت على سحب قوات الطوارئ الدولية ، ورغم علمها أن هذا القرار يعنى الحرب ، ثم واصلت التدخل للخروج على الخطة الدفاعية «قاهر» بإصرارها على تحريك قوات للدفاع عن غزة شمالا والكونتيلا جنوبا ، مما أدى إلى تغيير أوضاع القوات الدفاعية بالجبهة، وفرض إجراء تحركات طوال الفترة التى سبقت الحرب ، والأخطر أن معظم المستويات القيادية كانت تعمل وكأن الأمر مجرد مظاهرة عسكرية.

أما القيادة العسكرية فقد أقرت مبدأ الخروج على الخطة «قاهر» واقتنعت بمنطق القيادة السياسية من أجل الحفاظ على هيبة مصر ، وفى نفس الوقت بدأت تخطط لعمليات تعرضية «هجومية» وبها أدى إلى تشكيل قوات لشن هذه العمليات ، وبالتالى إلى تحركات جديدة على الطرق.

وتأكد للقادة المجتمعون برئاسة المشير صعوبة إلغاء أمر الانسحاب أو حتى وقف انسحاب بعض القوات ، ولما كانت شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية قد تعرضت لتدخل العدو ، فقد اعتمد الجميع على شبكة اتصالات المخابرات الحربية الغربية الصنع، وتأكد الجميع بالتالى من عدم القدرة على التمسك بخط المضايق. وكان من الضروري وقف تقدم قوات العدو المتقدمة على الطريق الساحلى ولو لعدة ساعات حتى تتاح فرصة للقوات المنسحبة عبر المضايق من إتمام إنسحابها.

وأمام تقدم القوات الإسرائيلية على الساحل الشمالى ، طلبت من القيادة العامة أن تأمر بتحريك قوات بسرعة إلى الإسماعيلية ولو كانت عدة سرايا لايقاف تقدم هذه القوات لبعض الوقت وبما يسمح لقواتنا أو لجزء منها اتمام انسحابها قبل أن تصل القوة المتقدمة لغلق المضايق من ناحية القناة ولتشكل السندان الذى خططت له القيادة الإسرائيلية حتى تواصل قوات المطرقة أداء دورها ولكى تضع القوات المنسحبة بين المطرقة والسندان.

وتمكنت من توفير عدد من العربات المدرعة الموجودة للاستطلاع وجمعت قوة صغيرة من الضباط والصف والجنود تحت قيادة البطل إبراهيم الرفاعى ، وتحركت هذه القوة من القاهرة إلى الإسماعيلية لتعبر القناة تحت ظروف الانسحاب ثم تتقدم على الطريق الساحلى باتجاه الشمال. وأبلغت المشير عامر بأننى أرسلت هذه القوة وأننى حددت لها المهمة ، أن توقف تقدم العدو على المحور الساحلى لعدة ساعات. وفعلا اشتبكت القوة مع قوات العدو، وقد نفذ الرفاعى المهمة بنجاح ، وعرقل تقدم القوات الإسرائيلية لمدة خمس ساعات .

وفى مساء نفس اليوم ٧ يونيه ، شكل الرائد محمود عادل قائد ثان مكتب مخابرات العريش بالتنسيق معى، قوة من المتطوعين الفلسطينيين واثنين من الضباط المصريين، أثناء وجوده بمكتب مخابرات الإسماعيلية ، وعاد بهذه القوة إلى سيناء لعرقلة تقدم القوات الإسرائيلية على الطريق الساحلي. وقاموا بزرع ألغام على الطريق الاسفلتى فى عدة مناطق ، بحيث يصعب على القوات المتقدمة تجنبها. وتحرك الرائد عادل بسيارته للأمام للاستطلاع وحماية المجموعة التى تضع الألغام على الطريق. وأثناء وجوده فى منخفض على جانب الطريق فوجئ برتل دبابات وعربات مجنزرة يندفع بأقصى سرعة على الطريق الأسفلتى ، وعندما وصلت إلى مناطق الألغام أصيبت عدة عربات مجنزرة ، وتوقف الرتل للاستكشاف وقللت سرعة الاندفاع على الطريق. وبعد أن تخلصت من حقل أو حقول الألغام ، واصلت تحركها ببطء على الطريق الساحلى فكان فى انتظارها كمين أعده الرفاعى والمجموعة التى معه ، وانطلقت صواريخ (شميل) المضادة للدبابات لتصيب عددا كبيراً منها مما ادى إلى توقفها. فى ذلك الوقت كانت مجموعة الرائد محمود عادل قد انسحبت سيرا على الأقدام ، بعدها تخلصت مجموعة الرفاعى من الاشتباك وعادت أيضا إلى غرب القناة....

بذلك تم إتاحة الوقت لانسحاب آلاف من القوات إلى غرب القناة ، ولكن كانت مازالت هناك آلاف أخرى تحاول أن تشق طريقها أو أن تجد طريقها إلى غرب القناة....

وكان الإعلان عن قبول وقف إطلاق النار يفتح الباب أمام الرأى العام لمعرفة بعض الحقيقة عن هذه الكارثه ، حيث كان المواطنون فى مصر يعيشون أوهاما جميلة عن انتصارات عسكرية حققتها القوات المسلحة وخسائر عسكرية إسرائيلية كبيرة من الطائرات ، فقد ظلت وسائل الاعلام تتابع إعلان هذه الأنباء السعيدة التى لا علاقة لها بالواقع.

وفى نفس الوقت الذى أمر فيه عبدالناصر بتأمين الجبهة الداخلية والقوات المسلحة ، طلب من الأستاذ هيكل رئيس تحرير الأهرام كتابة خطاب التنحى الذى كان من المقرر أن يلقيه مساء التاسع من يونيه بعد إعلان قبول مصر وقف إطلاق النار بيوم واحد.

وكان واضحا من تصرفات عبدالناصر ومن الإجراءات التى أمر باتخاذها، عزمه على إنهاء هذه الازدواجية فى السلطة التى استمرت طويلا أيا كانت الوسيلة أو الطريقة التى تحقق له ذلك.

وأعتقد أن الرئيس عبدالناصر كان بحاجة لتبرير هذه النكسة بقوله للرأي العام المصري على الأقل إن مصر لم تكن تواجه إسرائيل وحدها ، بل كانت تواجه قوى عظمى ، لذا كانت الهزيمة.

ولم تمض ٢٤ ساعة على خطاب التنحى حتى تراجع عبدالناصر عن هذا القرار وهو يحمل تفويضا شعبيا جارف بالاستمرار. وتابع المشير عامر وشمس بدران ومن معهما ما يجرى من أحداث، وأدرك الجميع مدى مهارة ودهاء عبدالناصر.

حيث كان كل منهما قد اتفقا على أن يتنحيا سويا ويتيحا الفرصة لقيادة أخرى لكى تتحمل المسئولية ، واتفقا معا على أن يكون شمس بدران هو الشخصية المناسبة لخلافة عبدالناصر على كرسى الرئاسة ، وعاش شمس بدران حلم المنصب وبدأ يستعد له بعد أن أصبح فى متناول يده ، إلى أن سمعا الجزء الأخير من الخطاب و فوجئا بالرئيس يعلن تخليه عن السلطة لصالح زكريا محى الدين ، حينها أدركا بعض ما يدبره عبدالناصر .

وتصاعد الصراع بين الرجلين ناصر وعامر إلى ذروة جديدة، وكانت مناورة عبدالناصر واضحة ، فقد أراد بالاتفاق مع المشير على تعيين شمس بدران رئيسا للجمهورية بعد أن يتنحيا سويا منع المشير من استغلال الظروف والانقلاب عليه وتحميله مسئولية الهزيمة وقدم له الطعم المقنع ألا وهو تسليم السلطة لشمس الذى يعد رجله وبما يعنى

أن السلطة ستنتقل فعلا إلى المشير ، وعندما حانت لحظة إلقاء الخطاب تراجع وكانت إجراءات تأمين القوات المسلحة قد اكتملت إلى حد كبير.

أما طرح اسم زكريا محى الدين كخليفة له والمعروف بميوله اليمينيه وقربه من موقف الولايات المتحده فقد استهدفت إثارة مخاوف التنظيم الطليعى ، ومن جانب آخر توجيه رسالة إلى السوفييت للحيلولة دون انتقال مصر إلى المعسكر الغربى وبما يعنى خسارتهم لمصر كمنطقة نفوذ مستقر لهم، وحقق عبدالناصر أهدافه على خطوات ، وبدأت مرحلة جديدة من العمل العسكرى وإن لم يحسم الصراع على القمة.

كان عند الجميع ما يشغلهم، وكانت ادارة المخابرات على رأس اهتماماتها إنقاذ آلاف الشاردين من القوات المنسحبة في سيناء. وبدأت استعين بمجموعة المتطوعين أعضاء الخلايا التى سبق أن كونتها من أبناء سيناء للمساهمة فى تجميع وإرشاد الشاردين ، وفتحت مكاتب جديدة للمخابرات فى منطقة القناة للعمل على وصول القوات التى لم تتمكن من الانسحاب إلى غرب القناة.

وتطوع عدد كبير من ضباط المخابرات للتسلل خلف خطوط العدو لقيادة مجموعات المنسحبين من مناطق تجمعها. وتعاون أهالي سيناء مع خلايا منظمة سيناء وضباط المخابرات لانجاز هذه المهمة. وكانت مجموعات المنسحبين تصل إلى الضفة الشرقية فى الأماكن والتوقيتات المحددة ليتم نقلها بالقوارب إلى الضفة الغربية. ولم يتورع العدو عن نصب مصايد لقتل المئات من هؤلاء المنسحبين بعد أن امتلأت معسكراته بآلاف الأسرى.

وفى نفس الوقت كانت إدارة المخابرات مشغولة بتدمير ما تركته القوات المنسحبة من أسلحة ومعدات وذخائر ومستودعات وقود وتموين حتى لايستفيد منها العدو. وكانت أول عملية كبيرة خلف خطوط العدو ، هى تدمير مخازن ومناطق تشوين ذخيرة القوات المسلحة فى سيناء ، وتوالت العمليات إلى أن تم تشكيل **المجموعة ٣٩ قتال** بشكل رسمى بقيادة ابراهيم الرفاعى.

وبدأت فى تنظيم خطة لجمع معلومات عن قوات العدو فى سيناء. وأقنعت القيادة السياسية بأهمية العمل خلف خطوط العدو وبسرعة حتى لا تستقر فى أذهان القوات المسلحة صورة القائد والضابط والجندى الإسرائيلي «السوبر» ، وهذه الخطوة تعد خطوة رئيسية لاستعادة الروح المعنوية للقوات المسلحة.

وكانت للقيادة السياسية تحفظات حول توقيت هذه العمليات على قرار وقف إطلاق النار الذى قبلته مصر خشية أن تؤثر العمليات سلبا على مصر عالميا ، وخشية من رد الفعل الإسرائيلي على مثل هذه العمليات.



الفريق صادق يصافح الدكتور عالى نصر و المقدم إبراهيم الرفاعى أعضاء المجموعة ٣٩ قتال

وأوضحت لعبدالناصر ، أنه لابد من دفع ثمن ، ولكن الهدف يستحق ، فالروح المعنوية للقوات المسلحة بعد هذه النكبة ، واستعادة الثقة بالنفس ، وامتلاك القدرة على ضرب العدو ، وجعله يدفع ثمن الاحتلال ، ومنعه من الإحساس بالاستقرار كقوة احتلال فى سيناء يساوى أى ثمن يمكن أن تدفعه مصر.

وكانت الروح المعنوية للقوات الموجودة بالجبهة بصفة خاصة وباقى عناصر القوات المسلحة تتوهج مع أخبار هذه العمليات ، وكان الرأى العام المتعطش لاستعادة الكرامة والثأر يتعايش بالفرحة مع هذه الضربات الموجهة للعدو.

وكانت نقطة الضعف ، أن القوات المسلحة لم تكن تمتلك خطا دفاعيا يحقق لها الحماية، ولكن كانت خطوات بناء هذا الخط تمضى بقوة، فقد كانت الخطوة الاولى التى اتخذها عبد الناصر هو تعيين الفريق أول محمد فوزى قائداً عاماً للقوات المسلحة و الفريق عبد المنعم رياض رئيساً للأركان ، وإعفاء قادة القوات الجوية و البحرية و البرية و قادة

آخرين ، وتعيين قادة جدد يتصفون باحتراف العمل العسكرى ، و بدأنا جميعاً نستخلص الدروس المستفادة من حرب يونيو لتكون أساساً لبناء جديد، فتعيين الفريق فوزى الذى يتصف بالصرامة و الانضباط هو ما كنا نفتقده فى تلك الفترة بعد التسيب الذى ساد نتيجة لحرب اليمن، واقحام القوات المسلحة فى مجالات أخرى.

أما تعيين الفريق عبد المنعم رياض كان يمتاز بعلم و ثقافة عسكرية متميزة وهو ما نحتاج إليه فى التخطيط ، فكلاهما يكمل الآخر.

وخلال تلك المرحلة الحرجة ، رأى عبدالناصر أن يحسم الصراع مع المشير عامر قبل سفره إلى الخرطوم لحضور القمة العربية التى تقرر عقدها ، وفعلا نجح فى تصفية الجيب الذى أقامه المشير فى القصر الذى كان يقيم به على شاطئ النيل بالجيزة بجوار مبنى السفارة السوفييتية.

ومن خلال التحقيقات التى أجريتها كمدير للمخابرات ، تبينت أن هذه المحاولة كانت تتضمن ثلاثة انقلابات متتابعة ، كما أعترف لى شخصياً أحد أبرز قادة الصاعقة المتهمين، فالانقلاب الأول يستهدف إعادة المشير للقوات المسلحة ولمناصبه ونفوذه بالقوة، والثانى لكى يقفز شمس بدران إلى قمة السلطة على أجساد الجميع ، والثالث والأخير لإزاحة شمس بعد أن يكون قد تخلص من عبدالناصر والمشير عامر ولم يبق إلا هو ومن يثق بهم.

وهذا الانقلاب خططت له مجموعة من القيادات الوسطى أى من رتبة عقيد ومقدم اقتناعا بأن القيادتين السياسية والعسكرية وكبار القادة العسكريين يتحملون مسئولية الهزيمة المهينة فى يونيه ١٩٦٧، والتى لا تستحقها مصر أو قواتها المسلحة.

وعندما عرضت الأمر على الرئيس عبدالناصر ، رأى ألا يتم التوسع والتعمق فى هذا الأمر ، والاكتفاء بالتركيز على المحاولة الإنقلابية للمشير عامر طالما أن باقى المشاركين تم اعتقالهم .

وقد لاحظت شيئاً من الإنزعاج يجتاحه وأنا أروي له تفاصيل اعترافات قائد الصاعقة. وبعد انتهاء التحقيقات التى أجراها المدعي العسكري العام ومعاونوه، أُحيلت القضية إلى المحكمة العسكرية.

وكان للسادات ما أراد ، وقبل أن تبدأ زيارة «لي كوان يو» حاكم سنغافورة لمصر أمر عبدالناصر بعودته لمنصبه ، وكان ذلك قبل وفاة عبدالناصر بأسابيع قليلة....

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس

يونيه ١٩٦٧ .. والمخابرات الحربية

تسلمت عملى كمدير لإدارة المخابرات الحربية فى خريف عام ١٩٦٦ ، أى قبل نكسة يونيه ١٩٦٧ بحوالى تسعة أشهر ، وكما هو متعارف فإن عملية الاستلام من المدير السابق والوقوف على حقائق العمل فى فروع الإدارة المختلفة تستغرق ستة أشهر على الأقل.

خلال هذه الفترة كانت القوات المسلحة تواصل تورطها فى معارك اليمن دون أن تبدو بارقة أمل فى الخلاص من هذا المستنقع الذى اعتصر حيوية القوات المسلحة وأصابها وأصاب عددا كبيرا من قادتها بالترهل وأبعدهم كثيرا عن طريق الاحتراف العسكرى ، ومثل هذا الوضع أدى إلى تردى أوضاع القوات المسلحة ككل، بل أدى ايضا الى استنزاف مصر اقتصاديا ، وتأثرت الأوضاع الداخلية بهذا النزيف الذى لا يبدو له نهاية فى الأفق.

فقد بدأ التدخل بحجم محدود من القوات، ولكن هذا الحجم بدأ يتزايد حتى وصل إلى أكثر من ثلاث فرق بجانب المجهود الجوى والبحرى ، وكانت إدارة المخابرات بالضرورة تتحمل مسئولياتها بمسرح العمليات فى اليمن.

ولم يكن غائبا عن الذهن وأنا أتحمل هذه المسئولية حقيقة الصراع الذى لم يعد خفيا أو خافيا بين الرئيس عبدالناصر ونائبه المشير عبدالحكيم عامر لعملية تصنيف القادة ، باعتبار هذا من رجال عامر .. أما ذاك فمن رجال عبدالناصر.

وكانت كل هذه التصنيفات تؤثر بشكل قوى على أسلوب تعيين القيادات داخل صفوف القوات المسلحة. وبالرغم من هذا الوضع ، فقد حاولت أن أكون على علاقة طيبة ومتوازنة بالرجلين ، فكل منهما صديق ، وكنت بذلك أؤكد أن بإمكان من يريد أن ينتمى لمصر باعتبارها الأبقى والأخلد والأحق أن ينتصر لها. وبالرغم من هذه المحاولة، وهذا الحرص على أن أكون على مسافة متساوية بين الرجلين ، إلا أن الأمر لم يخل من محاولة البعض تصنيفى باعتبارى من رجال عبدالناصر.

وكانت عملية التطوير التى خططت لها وسعيت لتحقيقها تتطلب ميزانية بجانب انتقاء عناصر جديدة من بين القادة والضباط لتشارك مع العناصر الموجودة فى حمل المسئولية.

وكنت بعلاقاتى الطيبة ، قادرا على إقناع القيادة العامة بتوفير الاعتمادات المالية المطلوبة والموافقة على نقل القادة والضباط الذين وقع عليهم الاختيار إلى المخابرات الحربية.

وقد استفدت كثيراً من خبرتى التى اكتسبتها خلال عملى كملحق حربى بألمانيا الغربية واحتكاكي بأجهزة المخابرات الحربية لمعظم دول حلف الأطلنطى فى وضع خطة تطوير المخابرات والإمكانيات الفنية والمعدات والأجهزة التى تساعد على وضع هذه الخطة موضع التنفيذ.

وكان من بين عناصر الخطة تغيير شبكة الاتصالات اللاسلكية بالكامل، فقد تبينت أن الإدارة مثلها فى ذلك مثل باقى القوات المسلحة تعتمد على أجهزة اتصال لاسلكى روسية، وقدرت أن العدو يمكنه بسهولة اختراق هذه الشبكة والتدخل فى عملها وتعطيلها إذا أراد. وعندما عرضت الأمر على كل من الرئيس جمال عبدالناصر و المشير عبدالحكيم عامر لم يوافق أى منهما على تغيير شبكة الاتصالات اللاسلكية بالقوات المسلحة. وحاولت أن أوضح لكل منهما على انفراد ضعف شبكة الاتصالات التليفونية الخطية المكشوفة وقدرة العدو على اختراق الشبكة اللاسلكية الروسية ، إلا أنهما ، ونحن مازلنا فى شتاء ١٩٦٦ وبداية عام ١٩٦٧ لم يوافقا على تغيير شبكة الاتصالات للقوات المسلحة استنادا إلى أن مصر لن تخوض الآن أو فى القريب حربا مع إسرائيل ، وإلى الإمكانيات المالية المحدودة ، وعدم الرغبة فى إغضاب السوفييت.

وبدأت خطة تطوير المخابرات الحربية، وعندما تجمعت نذر الحرب خلال شهرى ابريل ومايو ١٩٦٧ ، كانت إدارة المخابرات ما زالت فى بداية عملية التطوير، ووجدت المخابرات أنها مطالبة بالعمل على توفير معلومات عن العدو. ولم تكن إدارة المخابرات تملك وسائل للاستطلاع اللاسلكى أو الالكترونى ،وكان الاستطلاع الجوى تابعا لقيادة القوات الجوية. ومثل هذه الإمكانيات لا يمكن مقارنتها بإمكانيات مخابرات العدو المتفوقة.

وكانت الصورة كالتالى: مصر تسعى للحرب وقواتها تفتقد للاتزان الاستراتيجي ، وفى ظل توزع قواتها بين المسرح اليمنى والمصري أي أن ما يقرب من نصف القوات المسلحة يبعد عن النصف الآخر بآلاف الكيلومترات ، ولعدم وجود وسائل نقل جوى أو بحرى كافية ، فإن القيادة العامة عاجزة عن المناورة بهذه القوات والاستفادة منها خلال عملية الحشد الواسعة النطاق التى أمر بها الرئيس جمال عبدالناصر القائد الأعلى للقوات .

وفى حين كان العدو يمتلك خطة عمليات بدأ التدريب عليها بعد انتهاء معركة ١٩٥٦، ومنذ بدء العملية ٩٠٠٠، أى العمليات العسكرية باليمن، فقد تعرضت برامج وخطط تدريب القوات المصرية لكثير من العوائق التى حالت دون استمرارها وانتظامها، ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الخلل عمليات اليمن ونقص الميزانيات.

وأيضا كان معلوما أن العدو يمتلك الكثير من المعلومات عن موقف وأوضاع القوات المسلحة وكانت تلك المعلومات متداخلة من أكثر من مصدر بجانب أجهزة مخابراته التى لم تغفل عينها لحظة عن مصر وقواتها المسلحة، دون أن تفقد اهتمامها بالعالم العربى خاصة دول الجوار. وحين بدأت أتابع حجم المعلومات المتوفرة عن العدو ذهلت من ضحالة ما هو متوفر وعدم أهميته.

وبدأت الإدارة تنشط وبقوة بالرغم من الإمكانيات المحدودة فى ظل التنظيم الجديد وحالة الحماس التى دبت فى الجميع. فقد تمكن الرجال من القيام بواجبهم وتحملوا كل التضحيات، بل إن كثيرا من القادة والضباط تحمسوا لتنفيذ العديد من المهام وهم يعلمون أنهم لن يعودوا منها ، وقد سقط منهم الكثير من الشهداء.

هذه الروح الفدائية لرجال المخابرات الحربية ، والثقة الكبيرة بالنفس ، والعزم على النجاح هى التى مكنت الجميع من الحصول على معلومات كافية عن الحشود الإسرائيلية ونوايا العدو وحجم قواته الموجودة على الحدود وفى العمق وأوضاع هذه القوات وتحركاتها الحالية والمحتملة، وحددت بدقة موعد بدء العمليات ، بعد أن تأكدت من إتمام العدو لاستعداداته.

ولقد تضمنت تقارير المخابرات الحربية حتى ما بعد ٢ يونيه ١٩٦٧ عن حجم وتسليح القوات الإسرائيلية على محور رفح والعريش وكرم أبوسالم ، ثم تجميع العدو لقواته فى أبوعجيلة والقسيمة وتجاه غزة والكونتيلا، ثم منطقة إيلات والمنطقة الوسطى

وبير سبع ، وذكرنا تفصيلا أشكال تجميع هذه القوات وحجمها ابتداء من مجموعة عمليات حتى تشكيل لواء ، ومناطق تمركز قوات الاحتياطى التعبوى للعدو ، والقوات الاحتياطية الاستراتيجية ، ولم ننس ذكر التحركات الخداعية والهيكلية واتجاهاتها على المسرح ، وحللنا اتجاهات القوات الإسرائيلية الرئيسية حين تقوم بالهجوم واتجاهاتها الفرعية.

وقلت فى أحد التقارير إنه بالرغم من أن الحشد الإسرائيلي الرئيسى فى اتجاه المحورين الشمالى والأوسط ، إلا أنه لا يستبعد تحوله إلى المحور الجنوبى ، وهذا التحليل من واجبات المخابرات ، لكى ترى القيادة العامة الصورة بكل تفاصيلها واحتمالاتها ، وهذا يتيح لها اتخاذ قراراتها على أساس قوى من المعلومات والتحليلات والاستنتاجات. وكل ما قمنا به من تحليلات واستنتاجات كان من واقع دراستنا العميقة للعدو وخبراتنا به وبنواياه.

وجاء فى تقرير آخر بعد سحب قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة من شرم الشيخ وإغلاق القوات المصرية لخليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية «إن إسرائيل لن تسكت وإن غلق مضيق العقبة أمام إسرائيل سيدفعها للتحرك عسكريا».

قلنا ذلك.. بالرغم من اقتناع القيادتين السياسية والعسكرية ، بأن إسرائيل لن تخاطر بالحرب ، وأن الأمر لن يخرج عن كونه مجرد مناورة قد تخرج منها القيادة السياسية ببعض المكاسب. وكنا فى هذا التقرير نؤكد أن إسرائيل لن تقبل أبدا بتغيير أمر واقع ترتب فى ١٩٥٦، خاصة وأنه يحرمها من حق قد اكتسبته كثمن لانسحابها من سيناء، وهو حق المرور فى خليج العقبة ، الذى فتح لها الطريق للوصول إلى شرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

وبهذا التقرير أردنا أن ننبه القيادات إلى حقيقة نوايا إسرائيل ، وأن القيادة الإسرائيلية ستتجه إلى الحرب لا محالة بعد أن أقدمت القيادة السياسية المصرية على خطوة إغلاق مضيق العقبة.

وصباح يوم ٢ يونيه ١٩٦٧ قلت فى نهاية تقريرنا «لقد استكملت إسرائيل ما بين ٢٨ مايو وحتى ٢ يونيه استعداداتها الحربية وإن الصورة التى قدمناها تنطق بحتمية الهجوم واتجاهاته». وثبت عمليا بعد ذلك سلامة وصحة تقديراتنا ومعلوماتنا.

وتم تنفيذ طلعتان جويتان وبالرغم من نتائجها السلبية ، فإننا لم نحصل على الصور والمعلومات الخاصة بها من القيادة العامة ، **فقد كان فرع الاستطلاع الجوى يرسل**

بحصيلة عمله إلى القيادة العامة ، ثم تقرر القيادة العامة ما إذا كانت ترسلها إلى إدارة المخابرات الحربية أم لا !!

وقد قام فرع الاستطلاع الجوى فيما بعد بتصوير مطار هيكلى فى منطقة «الخالصه» ، يستخدمه الطيران الإسرائيلي للتدريب بالذخيرة الحية ، وقال خبراء الصور الجوية إنه مطار حربى ، وعلى ضوء هذه القراءة قام الطيران المصرى بطلعة جوية لقصفه ، فتبينت القيادة خطأ المعلومات التى وردت إليها.

تقرير مكتب مخابرات العريش في ٤ يونيو ١٩٦٧

وكان من بين أهم التقارير والمعلومات طوال الفترة التى سبقت الحرب ، تقرير **المعلومات الوارد من مكتب العريش مساء يوم ٤ يونيه ١٩٦٧** ، ففى هذا التقرير أكد المكتب أن العدو سيهاجم خلال ساعات وأن قواته المحتشدة فى المنطقة استعدت لبدء العمليات. وكان يرأس هذا المكتب واحد من أكفأ ضباط المخابرات الحربية ، هو المقدم ابراهيم سلامة وكان قائد ثان المكتب الرائد محمود عادل أيضا من ألمع الضباط وأكثرهم ذكاء ومقدرة.

ومساء يوم ٣ يونيه ١٩٦٧ اتصل بى الرائد محمود عادل لوجود المقدم ابراهيم سلامة خارج المكتب وأبلغني ما أخطره به مندوب من أهالى العريش عن وصول مدافع من عيار ٢٥ رطلا إلى منطقة «العوجة» . وأكد أن معنى احتلال هذه المواقع لمرابض النيران الموجودة بالمنطقة ، أى للمواقع المتقدمة الموجودة بالقرب من الحدود المصرية ، وأن العدو سيطلق منها نيران دعم للقوات المهاجمة ، وأن احتلالها المبكر وقبل موعد الحرب الذى سبق للمكتب تحديده وهو يوم ٥ يونيه يكشف أنها ستستغل هذا الوقت لتجهيز مواقعها وتجهيز البيانات الحسابية الخاصة بالأهداف المصرية التي ستقصفها. ونقلت هذه المعلومات إلى القيادة العامة فورا لأهميتها.

وأذكر هنا أن بعض القادة قد اتصل بى وأكد أن الحرب التى أتحدث عنها لن تحدث، وأن كل ما فى الأمر هو أن العدو يقوم بتغيير لقواته وأنه لا داع لإفزاع القيادة بمثل هذه التقارير!!

ومساء يوم ٤ يونيه وردت معلومات من مندوبى مكتب مخابرات العريش تؤكد وجود كتيبة استطلاع القيادة الإسرائيلية قرب الحدود وانتشار حوالى ١٠٠ دبابة فى خط عند العوجة وأن أنوار هذه الدبابات مضاءة ، فاتصل الرائد محمود عادل بمكتب

مخابرات غزة الذى أكد أنه رصد تحرك ٤٠٠ مركبة مدرعة ودبابة من الشمال فى اتجاه الجنوب. واتصل الرائد محمود عادل بالمقدم أشرف بسيم رئيس فرع استطلاع الجبهة **الشرقية وقال له إن الحرب ستبدأ صباح غد ٥ يونيه ، وعليه إبلاغ القيادة.**

ونقل الرائد عادل هذه المعلومات للمقدم إبراهيم سلامه رئيس مكتب مخابرات العريش، وفى نفس الوقت كان رئيس المكتب يعد تقريرا عن أن الدوريات الأمامية لوحدات نطاق الأمن شاهدت أنوارا وسمعت أصوات عربات جنزير وجنازير دبابات وهى تتحرك فى مناطق فتح وحدات العدو ، ولم يكن لذلك من معنى سوى أن العدو سيهاجم فجر غد ٥ يونيه.

وتوالت المعلومات على مكتب العريش الذى بدأ يعمل كمركز استطلاع تعبوي للقوات الموجودة بالجبهة ، وحرص قائد المكتب على تأكيد هذه المعلومات الخطيرة ، ثم بدأ فى التجميع والتوفيق والتحليل قبل أن يكتب التقرير الإنذار ، بعدها أرسل التقرير الذى يتضمن هذه المعلومات لمكتب المشير ووزير الحربية ومدير المخابرات.

وعندما تسلمت التقرير، أرسلت نسخة منه لمكتب رئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات ، ولم أترك مسئولا إلا وأرسلت له نسخة من هذا التقرير، ثم اتصلت بالجميع تليفونيا. كانت المعلومات واضحة ومؤكدة ، فعملت على وصولها إلى كل المستويات القيادية.

وأجد من الضرورى أن ألخص تقريرا أعدته الإدارة عن الهجوم الإسرائيلي المتوقع يوم ٥ يونيه ١٩٦٧، ففى المقدمة قلت ، قد يظن البعض أن إسرائيل ستشن حربا محدودة تركز فيها مجهودها الرئيسى لفتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، ولكن بناء على الاستطلاعات الجوية والبرية الإسرائيلية التى تم تركيزها على القطاع الأوسط أذكر أن العدو الإسرائيلي لن يغامر بعملية محدودة ذات فائدة محدودة ، بل سيقدم على عملية كبرى يتحقق فيها فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية كهدف ثانوى.

وفى الفقرة الثانية أوضحنا أن اتجاه الهجوم كالتالى :-

- المجهود الرئيسى ، باتجاه العوجة الإسماعيلية.
- المجهود الثانوى ، باتجاه العريش القنطرة.اتجاه خداعى وتثبيتى على المحور الجنوبى.
- وفى الفقرة الثالثة الخاصة بالموعد المحتمل للحرب ، قلت من واقع تركيز وكثافة الاستطلاعات الجوية والبرية ، و وصول الاستطلاعات البرية إلى مستويات استطلاع

قادة وحدات صغرى بالإضافة إلى ورود معلومات عن تحركات من العمق إلى المواجهة، وتزايد النشاط السياسى العدائى ضد مصر ، فإننى أتوقع بدء العمليات العسكرية خلال الأيام القليلة القادمة.

وكان تاريخ هذا التقرير ٢ يونيه ١٩٦٧ .

ولم يأخذ أحد بهذا التقرير ، ولم يتوقف قائد أو مسئول أمام المعلومات التى وردت من مكتب العريش يومى ٣ ، ٤ يونيه والتى تأكد فيها أن الحرب ستنشب صباح ٥ يونيه ١٩٦٧ .

كانت أنظار القيادة المصرية السياسية والعسكرية متجهة كلية إلى خليج العقبة ومحاولة العدو فتحه أمام الملاحة الإسرائيلية. وقد حاولنا أن نقول للجميع إن إسرائيل لن تغامر بالحرب من أجل فتح خليج العقبة ، فمثل هذا الهدف هدف ثانوى ، ويظل الهدف العام والرئيسى هزيمة مصر وتدمير قواتها المسلحة لفرض الاستسلام عليها.

ولم يقتصر مجهود المخابرات الحربية على الجبهة المصرية بل امتد للجبهة السورية، حيث أبلغت المخابرات الروسية أنور السادات رئيس مجلس الأمة أثناء توقفه فى موسكو وهو عائد من زيارة لكوريا الشمالية إلى مصر بوجود حشود عسكرية إسرائيلية على الحدود السورية ، ولم يتوقف السوفييت عن تأكيد هذه المعلومات بكل الوسائل ، وفعلت نفس الشئ السلطات السورية. وواصلت مصادر أخرى إبلاغ هذه المعلومات للجانب المصرى.

وحرصا منى على توضيح الموقف ومعرفة حقيقة هذه الحشود الإسرائيلية أصدرت أوامرى لمكتب المخابرات الحربية فى سيناء بإرسال مجموعة من الفلسطينيين المتعاونين معه إلى منطقة الحدود السورية عبر الأراضى المحتلة لاستطلاعها بالنظر ، وفعلا اختار المكتب مجموعة من ذوى المهارة والخبرة للقيام بهذه المهمة ، وبعد عودتهم أكدوا أنه لا وجود لأية حشود إسرائيلية على الحدود السورية.

و دافعت بكل قوة عن صحة مصادر معلوماتى مؤكدا للمشير عامر والفريق أول فوزى حقيقة عدم وجود حشود إسرائيلية وأبلغت الرئيس عبدالناصر بهذه المعلومات وقلت له إنها أكذوبة روسية سورية وإن الواقع يؤكد كذب هذه المعلومات فقرر الفريق أول فوزى إرسال العميد جمال بركات إلى سوريا لاستطلاع الموقف ، وعندما طلب منه الرئيس عبدالناصر السفر بنفسه للتحقق من هذه المعلومات رأس الفريق أول فوزى

وفدا ضم العميد جمال بركات والتقى هناك فى دمشق بسويدان رئيس الأركان السورى وطلب صورا حديثه لمنطقة الحدود ، كما زار الوفد العسكرى المصرى الجبهة السورية ، وعاد فوزى ليؤكد فى تقريره عدم وجود حشود عسكرية إسرائيلية على الحدود السورية.

وخلال نفس الفترة طلبت من المشير عامر أن يأمر بتنفيذ طلعات استطلاع جوى مصرية على منطقة الحدود السورية لتأكيد صحة أو عدم صحة هذه المعلومات التى يمكن أن تقود مصر إلى معركة لا يعلم نتيجتها إلا الله ، فاستجاب الرجل وأمر بهذه الطلعات التى عادت وأكدت صحة معلومات المخابرات الحربية.

وبالرغم من هذه التأكيدات التى تقطع بعدم وجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية ، اندفعت القيادة السياسية ومعها القيادة العسكرية لتأمر بحشد القوات المسلحة فى سيناء. ومن المثير للدهشة أن سوريا بدأت فى إذاعة أنباء الحشود الإسرائيلية على حدودها بعد أن تأكدت من حشد القوات المسلحة المصرية فى سيناء ، وبدأت القيادة الإسرائيلية فى حشد قواتها فى مواجهة القوات المصرية.

وكان إقدام مصر على حشد قواتها المسلحة بداية للتورط فى معركة عسكرية لم تستعد لها ، وفى ظل ظروف دولية غير مناسبة ، وفى نفس الوقت كان العالم العربى مقسما بين قوى رجعية تابعة للاستعمار والإمبريالية الأمريكية، ومعسكر يضم القوى الثورية ومنها مصر طبعا ، ولم تكن مصر على علاقة طيبة بدول المعسكر الرجعى ، بل كانت مشتبكة فى معركة مسلحة فى اليمن طرفها الآخر لا القوات الملكية للامام البدر الذى خلعته ثورة السلال ، بل معظم القوى التى صنفتها القيادة المصرية و وصفتها بالرجعية ومن خلفها الولايات المتحدة ودول كثيرة من المعسكر الغربى.

وعندما بدأت مصر العملية «صلاح الدين» لتحرير عدن وباقى سلطنات ومحميات جنوب شبه الجزيرة العربية ، فقد كانت تخوض بذلك معركة شرسة مع الاستعمار الإنجليزي. وهذه المعركة تشابكت خيوطها مع معركة مساندة الثورة اليمنية أو انقلاب السلال العسكري. وقد وجدت كل هذه القوى فى تورط مصر بالمسرح اليمنى فرصة لتسوية حساباتها مع القيادة المصرية واستنزاف قواها العسكرية والاقتصادية إلى آخر قطرة.

وكان معسكر القوى الثورية منقسما على نفسه ، وكانت مصر قد خاضت عدة معارك مع قيادات وزعامات لدول بالمعسكر الثورى منها معركة مع البعث السورى بعد

الانفصال عام ١٩٦١ ، ومعركة أخرى مع عبدالكريم قاسم قائد الانقلاب العسكرى العراقى عام ١٩٥٨.

وقد ارتبط معسكر الدول الثورية بالاتحاد السوفييتى ودول المعسكر الاشتراكى ، وألقى هذا الارتباط بظلاله على هذه الدول حتى صنفها الغرب دولا دائرة فى الفلك السوفييتي، واتهم رؤساء هذه الدول بالشيوعية.....

وعلى جانب متوازى كانت القيادة الإسرائيلية تعمل بقوة للوقيعة بين مصر والولايات المتحدة ، وتدمر أى فرص لتحسين العلاقات بين البلدين وكانت تستغل كل الفرص المتاحة لتشويه صورة مصر وعبدالناصر.

وبالرغم من جهود المخابرات الحربية وإنجازاتها ، فقد تعرضت لحملة تشهير تتهمها بالتقصير والعجز عن توفير المعلومات المطلوبة عن حشود العدو ونواياه.

لقد حسبوا أن فتح النار على إدارة المخابرات الحربية يمكن أن يؤدى إلى إسدال الستار وإخفاء فشلهم الذريع سواء كان فى إدارة المعركة أو التورط فى دخولها.

لجنة المارشال زخـاروف :

وبعد النكسة وصلت إلى القاهرة لجنة عليا سوفيتية برئاسة المارشال زخاروف رئيس أركان القوات المسلحة السوفيتية لمعرفة و التحقيق فى أسباب الهزيمة ، وقد ضمت اللجنة من ٢٥ إلى ٣٠ من صفوة القادة والخبراء فى شتى أفرع القوات السوفيتية.

وبدأ القادة الروس فى بحث الأسباب التى أدت إلى مثل هذه الهزيمة ، لقد توقعوا الهزيمة لأنهم كانوا على بينه من أوضاع القوات المصرية المسلحة ولكنهم لم يتوقعوا ما جرى من انهيار وبمثل هذه السرعة ، وتم استجواب كل قائد وضابط تحمل مسئولية من أى نوع ، واطلعوا على كل الوثائق لمدة شهر كامل ، وكنت أنا وضباط المخابرات الحربية ممن استجوبوا ، وأذكر أن فترة الحوار معى استمرت حوالى ١١ ساعة متتالية.

وهذه اللجنة لم تكن تستمع لحكايات أو تصغى ، بل كانت تسأل عن التقارير اليومية والأسبوعية والشهرية ، والمعلومات التى تم الحصول عليها وتوفيرها للقيادات المسئولة عن مواقع العدو وأماكن تمركزه واستعداداته للهجوم. وهذه اللجنة محايدة تماما ، وأتى تقريرها الذى أعدت منه نسختين ، تسلم عبدالناصر النسخة الأولى ، وتسلمت وزارة الحربية النسخة الثانية.

وهذا التقرير الوثيقة ، لم تعده اللجنة لمصر ولا للعالم العربى ولا حتى للاتحاد السوفييتى، بل للتاريخ ، كانت اللجنة تضع فى اعتبارها صورة القيادة والقادة السوفييت، ولا تريد أن تبدو وكأنها لا تعرف ما تفعل ، أو أنها غرقت فى بحر الهزيمة والأوضاع المصرية ، كانت تعمل بدقة وتبذل جهدا يتناسب والحرص على سمعة أعضائها وسمعة القيادة العسكرية السوفييتية ككل. ولم تكن اللجنة تدين لأحد بمجاملة من أى نوع ، ولم يكن من بين أعضائها من يتطلع إلى مكسب من أى نوع من أى قائد أو مسئول مصرى ، أى أن تقريرها ، تقرير موضوعى ومحايد.

وكم أتمنى أن ينشر هذا التقرير على الرأى العام ، وعندما توليت مسئولياتى كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة بحثت عن النسخة التى تسلمتها الوزارة فلم أجد لها أثر على الإطلاق ، وكان الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وقتذاك ، وللحساسيات الشديدة بيننا لم أثر هذا الموضوع ، وبعد أن تحملت المسئولية كوزير للحربية ، كررت المحاولة مرة أخرى ، ولم أتمكن من العثور على هذا التقرير، ولم أعرف حتى كيف اختفى.

كل ما عرفته أن الفريق أول فوزى احتفظ به فى مكتبه ، وفقد الجميع أثره منذ تلك اللحظه ، وظللت على أمل العثور على النسخة التى سلمت لعبدالناصر، والموجودة بالضرورة ضمن الوثائق الخاصة بالسكرتارية الخاصة للرئيس ، وللأسف فقد تبينت أن هذه النسخة قد اختفت أيضا ، عندما حاولت العثور عليها سواء بعد وفاة عبدالناصر أو بعد تولى السادات مسئولياته كرئيس لمصر لم أوفق .

وفى هذا التقرير الذى أطلعنى المارشال زخاروف عليه ، أشادت اللجنة بالخرائط وتقارير المعلومات التى أعدتها وكتبتها إدارة المخابرات الحربية ، وأكدت أنها لا تختلف كثيرا عن حقائق أوضاع قوات العدو ومناطق تمركزها واستعداداتها للهجوم ، وتوقيتات واتجاهات الهجوم الرئيسية والثانوية.

وكان هذا التقدير لجهد إدارة المخابرات واحدا من الإيجابيات القليلة التى تضمنها التقرير السوفييتى الذى أوضح وكشف المسئولين عن الهزيمة ، وحدد دور كل من هؤلاء المسئولين سواء قبل أو أثناء العمليات الحربية ، وربما كان ذلك من أهم أسباب اختفاء هذا التقرير.

وأمام حقائق إمكانيات إدارة المخابرات التى تبينها القادة السوفييت وحقيقة الإنجازات التى حققتها الإدارة بهذه الإمكانيات ، لم يتوقفوا عن التساؤل وكيف

حققتم هذه الإنجازات ؟ كيف حققتموها وليست لديكم وسائل استطلاع لاسلكى أو الكترونى ؟

وكنا نوضح لهم أن الضباط والمندوبين أدوا المهام المطلوبة منهم على المحاور المختلفة، وداخل إسرائيل ، وعلى الحدود السورية ، ودفعوا الثمن استشهادا أو فقدا ، ولم يتأثر الأداء فى مواجهة العقبات. وكنت أؤكد لهم دائما أن ما تحقق يرجع الفضل فيه إلى هؤلاء الرجال.

وكانت هناك ثغرات ونواقص فى أداء إدارة المخابرات ، وقد وردت فى التقرير، ولكنها كانت فى إطار السياق الموضوعى للتقرير ، وكانت الخلاصة التى انتهى إليها التقرير بخصوص ادارة المخابرات الحربية أنه لم يكن ممكنا أن تؤدى أو تحقق الادارة نتيجة أفضل مما تحقق فى ظل الامكانيات المتوفرة لديها ، وأن نسبة الخطأ بين حقائق أوضاع القوات الإسرائيلية وبين المعلومات التى تمكنت من توفيرها، فإن ذلك أمر منطقى وطبيعى فى عمل أجهزة المخابرات ، وأن هذه النسبة تظل أقل مما هو متعارف عليه. وبالرغم من وضوح النتيجة التى انتهى إليها التقرير السوفييتى خاصة فيما يتعلق بمسئولية المخابرات الحربية ، فإن اللغط لم يتوقف...

وبمناسبة مرور عام على النكسه دعا الرئيس جمال عبدالناصر إلى اجتماع موسع يوم ٥ يونيه ١٩٦٨ لدراسة أخطاء ١٩٦٧ حضره جميع قادة القوات المسلحة ليتدارسوا سويا الأسباب والنتائج ، فقدم الفريق أول فوزى وزير الحربية بحثا قال فيه إن من أسباب الهزيمة عدم الحصول على معلومات تفصيلية عن حشود القوات الإسرائيلية ، ومن بعده تحدث اللواء الجمل فأيد فوزى فيما قال.

وأمام دهشتى الواضحة وطلبى الرد على ما قاله الفريق أول فوزى و اللواء الجمل ، رفع الرئيس عبدالناصر يده طالبا من الجميع السكوت وقال يجب حسم هذا الموضوع . وأمر برفع الجلسة لمدة ساعة ، وكلف رئيس هيئة العمليات بإحضار التقرير العسكرى الذى ألقاه مدير المخابرات الحربية اللواء صادق وخريطة العدو التى قدمها فى اجتماع يوم ٢ يونيه ١٩٦٧، والتقرير الذى ذكر فيه أن الحرب واقعة لا محالة وأنها قد تبدأ اعتبارا من باكر ٣ يونيه ، وطلب أيضا خريطة موشى ديان وتوزيع قواته كما ظهرت بعد ذلك على أرض الواقع.



الرئيس عبد الناصر والفريق أول فوزي والفريق صادق أثناء حضور مناورة حربية.
(المناوره «القدس» فى ٥ مايو ١٩٧٠)

وبعد ساعة اجتمعنا ، وكنت ما زلت مندهشا من قوة ذاكرة عبدالناصر ، فبالرغم من المجهود الذى واصل بذله بعد الهزيمة وثقل المسئوليات التى يحملها وحالته الصحية ، كانت ذاكرته غاية فى القوة ، وقدرته على استدعاء المعلومات فى أوجها.

وبدأ الاجتماع ، ونظر عبدالناصر إلى الخريطتين ، خريطة موشى ديان ، والخريطة التى تقدمت بها وعليها توزيع القوات الإسرائيلية ، وأماكن حشدها. وقتها شكرت الله على إلهامه وتوفيقه ، ودعوته أن يتغمد بالرحمة شهداء المخابرات الحربية الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل أن تتوفر لمصر هذه المعلومات. وكان الفرق بين الخريطتين لايزيد عن ٢٠٪.

وقال عبدالناصر ، والجميع يتابعون : « **هذا إنجاز كبير جدا ، واللواء صادق أعطى معلومات صحيحة بنسبة ٨٠٪ عاوزين إيه اكثر من كده ... ؟؟**»

وأضاف: «ثم إذا كان الجيش لم يكن قادرا على الدفاع فكيف يمكن أن يكون مؤهلا وقادرا على الهجوم ؟»

وأخرست هذه النتيجة وهذه المقارنة العلنية كل الذين كانوا يهاجمون المخابرات الحربية ويتهمونها بالتقصير. وأفحم عبدالناصر هؤلاء القادة.

وبعد توقف الهجوم على دور المخابرات الحربية لفترة ، واصل الفريق فوزى حملته عليها فى مذكراته التى نشرها فى مجلة «المجلة» عام ١٩٨٢ ثم جمعها فى كتاب فيما بعد. وسوف أستعرض وأفند أهم نقاط هجومه على اداء إدارة المخابرات الحربية خلال حرب ٦٧ مثال ذلك فى الحلقه السابعة بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٨٢ ذكر :

« كذلك ثبت أن جميع معلومات المخابرات الحربية عن العدو الإسرائيلي كانت خاطئة ، إذ أثبتت الأحداث أن تقديرات هذا الجهاز عن قوة العدو وحتى تحليل المعلومات ، كل هذه الأشياء وهى من صميم عمل المخابرات الحربية كانت خاطئة ، ولعل أكبر الأخطاء التى أرتكبها هذا الجهاز هو تأخير المعلومات فى اللحظات الحاسمة ، فقد أرسل مكتب مخابرات العريش معلومات تتعلق بتحركات العدو صباح ٥ يونيه فى الساعة الرابعة فجر ذلك اليوم ولكن هذه المعلومات لم تصل إلى هيئة العمليات إلا فى الساعة ٩,٤٠ صباحا رغم أن المعلومات كانت تشير إلى استعداد العدو للهجوم».

وعن نفس هذه الرواية يقول فوزى فى الحلقة التاسعة من المذكرات :

« كان نذير المعركة هو إرسال إنذارين تعبويين غاية فى الأهمية ، الأول من مكتب مخابرات العريش بقيادة المقدم ابراهيم سلامة »

أكرر أنه قال من «مكتب مخابرات العريش» إلى جهة غير معنية بالعمليات (مكتب الوزير شمس بدران فى كوبرى القبة) فى الساعة السابعة صباحا ، بينما وصل إلى هيئة العمليات فى الساعة ٩,٤٠ من صباح يوم ٦/٥.

وقبل تحليل هذه الأقوال نواصل سماع باقى أقوال الفريق فوزى عن هذا الإنذار حيث ذكر :

« وسأروى لكم كيف تم هذا الخطأ ، ولكننى أقول إنه لو وصل هذان الإنذاران صباح يوم ٦/٥ قبل بدء العمليات بساعة ونصف ، لكانت على الأقل تغيرت الحوادث عما وقع فعلا يوم ٦/٥ » لقد تجمعت لدى الدوريات الأمامية لوحدات نطاق الأمن مشاهدات أنوار ، وسماع أصوات عربات جنزير فى مناطق فتح وحدات العدو واستعداده للهجوم حوالى الساعة ٤ صباح يوم ٦/٥/٦٧.

وصلت هذه المعلومات إلى مكتب مخابرات العريش الذى كان يعمل مركز استطلاع تعبوى للجيش فى الوقت نفسه ، وقد حاول هذا المكتب التوفيق والتجميع والتحليل لهذا الإنذار بوسائله الأخرى ، وأرسل إشارة فى الساعة ٧ صباحا من هذا اليوم إلى قياداته العليا بمكتب وزير الحربية شمس بدران فى كوبرى القبة ، هكذا كان اسلوب الاتصال منذ زمن ، ولم يعدل هذا الأسلوب أو استطاع أحد أن يعدله لاحتمال قيام العمليات الحربية أو كجزء من تنظيم وإدارة العمليات الحربية. ثم استقبل الضابط المناوب فى كوبرى القبة هذه الإشارة وأرسلها إلى مكتب المشير حيث كان نائما فى القيادة العامة فى مدينة نصر ، استلم هذه الإشارة المقدم على شفيق صفوت مدير مكتب المشير، وعرضها عليه فى غرفة نومه عقب استلامها أى فى حوالى الساعة السابعة صباحا ، ولم يعلق المشير أو المقدم على شفيق صفوت بأى تعليق على فحوى الإشارة ، إلا أننى علمت (الفريق فوزى) بعد ذلك متأخرا فى نفس اليوم ٥/٦/٦٧ أن هذه الإشارة وصلت الجهة المعنية، أى هيئة عمليات القوات المسلحة فى الساعة ٩,٤٠ صباحا أى بعد حدوث الهجوم الفعلي».

هنا لابد من توضيح بعض النقاط :

أولا : إن مكتب مخابرات العريش أرسل إنذاراً مبكرا لوزير الحربية شمس بدران فى الساعة السابعه عن نية العدو للهجوم صباح يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ .

ثانيا : إن هذا الإنذار وصل إلى المشير عامر نائب القائد الأعلى وقرأه فى الساعة السابعة صباحا ولم يعلق عليه.

ثالثا : ما هو المطلوب من جهاز مخابرات أكثر من ذلك، أن يكتشف تحركات العدو قبل أن تنتصف ليلة ٤/ ٥ يونيه ١٩٦٧ وأن يقوم بإخطار نائب القائد الأعلى ووزير الحربية وينذرهم بنوايا العدو ؟

رابعا : يقول الفريق فوزى أن هذا كان أسلوب الاتصال منذ زمن ، ولم يعدل هذا الأسلوب ، حسنا لماذا وهو رئيس للأركان ؟؟؟ أى أنه بصفته وطبيعة مسئولياته يرأس جهاز المخابرات الحربية والاستطلاع لم يصدر تعليمات وأوامر بتعديل نظام الاتصال ، خاصة والقوات المسلحة مقدمة على عمليات حربية كما يقول فى مذكراته ؟!! أى إنه يدين نفسه لأنه لم يقم بواجبه ، ويريد تحميل غيره المسئولية.

خامساً : لماذا لم يلغ المشير سفره إلى الجبهة رغم هذا الانذار ؟ هل لدى فوزى إجابة على هذا السؤال ؟ وقد حدث نفس الشئ مع الإنذار الذى أرسله الفريق عبدالمنعم رياض من عجلون بالأردن.

ويواصل الفريق أول فوزى حملته على المخابرات الحربية فيقول :

«الغريب فى موقف إدارة المخابرات الحربية تحت قيادة اللواء محمد أحمد صادق انها أبلغت فى يوم ٣ يونيه ٦٧، أى قبل بدء المعركة بيومين ، ملخص تقرير مخابرات رقم (٢١) الذى يشتمل على وجود حشود للقوات الإسرائيلية على الحدود المصرية وأماكن توزيعها ، وجاء فى النص تحت فقرة «المحور الجنوبى» أي الكونتيلا ، ونخل ، والشط قرب الحدود ، كتيبة نحال ، وكتيبة أقليات للمراقبة والإنذار ، وفى الخلف لواء مشاة ميكانيكى ، وبعض الدبابات».

ويعنى هذا التقرير من خلال استقراء أعداد القوات ونوعياتها أن نية العدو فى الهجوم ليست من اتجاه الجنوب كما جاء فى كل تقارير المخابرات السابقة ، ولكن للأسف كان الوقت متأخرا جدا لتدارك الموقف ، كما أن هذا التقرير كان حصيلة أول استطلاع جوى ناجح من قواتنا تم فى الساعة الواحدة ظهر يوم ٢ يونيه ٦٧ فوق النقب الجنوبى، ولعمق ١٢ كيلو مترا داخل حدود إسرائيل وذلك بعد فشل طلعتى الصباح فى اليوم نفسه.

وكانت هذه المعلومات تخالف جميع المعلومات التى وردت من المخابرات الحربية عن قوة الحشد الإسرائيلي المدرع وهى ٣ ألوية، ٣ ألوية مشاه ، ٢ كتيبة مدرعة امام الكونتلا، وقد وردت هذه المعلومات فى تقرير المخابرات رقم (١٣) فى ٢٦ مايو٦٧ وعلى أثره تغيرت جميع خطط عمليات المشير وركز المجهود الرئيسى للقوات فى الدفاع عن المحور التعبوى الجنوبى ، كما تبنى ما أسماه بالستارة المضادة للدبابات و وضع فرقة مدرعة فى مكان يساعد هذه الستارة فى صد الهجوم أمام هذا الحشد الكبير المزعوم من المدرعات والأغرب من ذلك أنه بعد قراءة التقرير رقم (٢١) فى ٣ يونيو وهو أول تقرير معلومات سليم وكان القادة مجتمعين فى قيادة الجيش فى منطقه «ريشات الحمان» مساء اليوم نفسه و لم يصدر عن أى منهم تعليق يفيد بأن مثل هذه القوة التى وضعها العدو فى الجنوب ، لايمكنها القيام بالضربة القوية فى اتجاه الجنوب ، مما يستدعى تركيز قواتنا فى هذا الاتجاه.

وحتى المشير عامر شخصيا لم يحاول بعد وصول هذا التقرير اليه إحداث أى تغيير فى أوضاع القوات فى سيناء، وكان الواجب يحتم بدون تردد إزالة هذا الوهم والخوف من

قوة العدو المدرعة فى جنوب النقب ، وسرعة إعادة توزيع القوات على المحاور الثلاثة، وعلى وجه التحديد المحورين الشمالى والأوسط كما كان محددا فى توقيعات وتقديرات الخطة «قاهر». كما كان الواجب يحتم على قادة الجيش الميدانى ، وقائد الجبهة أن يطلبوا وبشكل عاجل ضرورة تغيير أوضاع وتمركز القوات ، ويتم الضغط على المشير إلى حد إجباره على الموافقة ، لكن للأسف لم يحدث كل هذا».

وهكذا اعترف فوزى بنفسه وفى نفس الحلقة السابعة بأن المخابرات فى تقريرها رقم (٢١) يوم ٣/ ٦ قد قدمت تقرير معلومات سليمه وألقى بنفسه اللوم على المشير عامر وقائد الجبهة وقادة الجيش الميدانى لأنهم لم يقوموا بما كان يجب أن يقوموا به.

❁ ❁ ❁

ولكن بقيت عدة ملاحظات :

أولا : فى السطور الأولى من هذه الحلقة التى خصصها الفريق فوزى لإدانة المخابرات الحربية أصدر حكما قاطعا بقوله «فقد ثبت أن جميع معلومات المخابرات الحربية عن العدو الإسرائيلي كانت خاطئة» فهل يمكن أن يصدق أحد أن المخابرات الحربية المصرية لم تقدم سوى المعلومات الخاطئة فقط ؟

هل هذا منطقى أو يمكن تصديقه ؟؟؟ ومن الواضح جلياً أن مبدأ تصفيه الحسابات لم يغب عنه ابداً، فكيف له أن ينسى اننى حرمته من تحقيق أحلامه حتى ولو كانت ضد مصلحة مصر ، فهو لم ولن ينس أننى قد حلت بينه وبين السيطرة على مقدرات هذا الوطن خلال أحداث مايو ١٩٧١ الشهيرة.

وإذا كان غضب الفريق فوزى قد أنساه الموضوعية وأبعده عن المنطق، رغم أنه قد عاد واعترف في السطور الأخيرة من مذكراته بصحة وسلامة التقرير رقم (٢١) في ٣/ ٦/ ٦٧. والأهم أنه تحول ليدين المشير والقادة كلهم. المهم أنه يبعد نفسه تماما من تحمل أية مسئولية .. !! ونسى أنه كرئيس أركان مسئول ومسئولية كاملة عن هزيمة ١٩٦٧ ، وأنه يتساوى في المسئولية مع المشير عامر و شمس بدران وزير الحربية ، إن لم يفوقهما بحكم أن منصب رئيس الأركان منصبا عسكريا لا يشغله إلا عسكرى محترف وكفء .. أو هكذا يجب أن يكون. أما منصب نائب القائد الأعلى ومنصب وزير الحربية فهما منصبان سياسيان أساسا ، وبالتالى فمسئولية فوزى أبشع من مسئولية عامر وبدران.

ثانيا : والفريق أول فوزى ما زال يرد على نفسه ، لقد قال فى الحلقة السابعة من مذكراته إن تقرير المخابرات رقم (١٣) بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٦٧ أدى إلى تغيير جميع خطط عمليات المشير وركز المجهود الرئيسى فى الدفاع عن المحور التعبوى الجنوبى.

حسنا .. إذا صدقنا هذا فكيف نصدق الفريق أول فوزى عندما يعدد أسباب أخرى لتحركات القوات المسلحة ، ففى الحلقة الثامنة بدأ يعدد أسباب التحركات العسكرية بقوله : « بصدور أول توجيهات العمليات ، برز الاتجاه العسكرى فى الخروج على الخطة المعتمدة « قاهر » المعدلة كما تم تغيير مركز ثقل المجهود البحرى من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر كما حددت التوجيهات بالنص ، القيام بعمليات تعرضيه فى اتجاهى العوجه وإيلات ، مما ترتب عليه نقص القوات المخصصة لتنفيذ أى خطة دفاعية».

وأنه صدر أمر تحرك يوم ١٥/ ٥/ ٦٧ إلى الفرقة السادسة واللواء ٤٧ مدفعية وسط ، ولواء ٥٩ مدفعية ، وكتيبة ٢٢ مقذوفات موجهة للدبابات وكتيبة ٢٠ مدفعية صاروخية من المنطقة المركزية إلى مناطق تجمع «حول الحسنة» خروجا عن الخطة الدفاعية «قاهر» وكانت هذه الفرقة مخصصة للدفاع عن النطاق الدفاعى الثانى فى الخطة «قاهر» كل هذا تم بناء على توجيهات عمليات رقم (١)

صدرت توجيهات نائب القائد الأعلى بتجهيز قوة المظلات لاحتلال منطقة شرم الشيخ على وجه السرعة ، وإلغاء تحرك لواء ٤ مشاه ، وكان هذا اللواء قد خطط واستطلع للتمركز فى هذه المنطقة طبقا للخطة «قاهر».

فى الرابعة من مساء يوم ١٨/ ٥/ ٦٧ أصدر رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى اللواء اسماعيل لبيب تعليمات العمليات الجوية لاتمام الضربات الجوية والمظلة اللازمة لوقاية القوات البرية المهاجمة لمنطقة إيلات ، وأطلق عليها اسم كودي «أسد» كما أعدت قوات الجيش الميدانى تجهيز نفس الخطة لنفس الغرض وأطلقت عليها اسم «فجر» وهى خطة تعرضية هجومية. ونتيجة لتوجيهات عمليات نائب القائد الأعلى بتغيير مهمة القوات التى أصدرها يوم ١٤/ ٥ ، كما ذكرنا سابقا ، إجراء عمليات تعرضية مشتركة ضد إيلات ، أدى هذا إلى تغيير آخر بالنسبة إلى مهمة الفرقة السادسة مشاه «١٤ ألف جندى» إذ تم نقلها إلى المحور الجنوبى يوم ١٨/ ٥.

ويعود الفريق أول فوزى فى نفس الحلقة ليذكر لنا أن هذه الخطط تم الإعداد لها من قبل إلا أنها تغيرت فى اللحظات الأخيرة مما سبب نوعا من الإرباك وعدم الفهم ، وساعد فى تحقيق تفوق العدو.

وتبين مما كتبه فوزى بيده ونشره فى مذكراته أن تحركات القوات المسلحة فى سيناء شمالا وجنوبا كانت بسبب ما استقر عليه رأى القيادة من القيام بعمليات تعرضية «جنوبا فى اتجاه إيلات» وشمالا فى اتجاه غزة وكرم أبوسالم والدنجور.

وأن هذه التحركات قد خطط لها اعتبارا من ٢٣/ ٥/ ٦٧ أى قبل صدور تقرير المخابرات رقم (١٣) الصادر يوم ٢٦/ ٥/ ١٩٦٧ الذى أرجع إليه فوزى كل تحركات القوات المسلحة فى سيناء.

وماذا أقول وهو يتهم إدارة المخابرات بالتقصير ويحمل الإدارة مسئولية التحركات التى تمت على ضوء المعلومات التى تضمنها التقرير رقم (١٣)، ثم يكتب فى صفحات تاليه ما يدحض هذا الاتهام، ولندع الرجل يرد على نفسه ويكذب نفسه بنفسه.

ولنترك الفريق أول فوزى يرد على نفسه مرة أخرى عندما يتحدث عن قرار أصدره عبدالناصر للدفاع عن قطاع غزة وتأمينه مما استدعى تحركات أخرى على المسرح وخروج عن الخطة العسكرية الدفاعية «قاهر». يقول فوزى فى الحلقة الثامنة من مذكراته المنشورة يوم ٣٠ يناير ١٩٨٢ :

« قام المشير يوم ٢٠/ ٥/ ٦٧ يصاحبه وزير الحربية شمس بدران، بالمرور على القوات فى سيناء، وفى اليوم نفسه تصاعدت مشكلة خليج العقبة الذى و صل إليه لواء مظلات.

وأعتقدت القيادة السياسية وكذلك القيادة العسكرية أن إسرائيل سوف تتأثر لهذا العمل، وتقوم بالاعتداء على قطاع غزة ومنطقة الكونتيلا. هكذا جاء الاعتقاد نتيجة الحرب النفسية التى بدأها العدو وخدمته القيادة السياسية والعسكرية.

وفى هذا التاريخ أى يوم ٢٠/ ٥/ ١٩٦٧ صدر أكبر خطأ تعبوى فى حق هيكل الدفاع للقوات المصرية فى سيناء.

ويواصل الفريق فوزى قائلا : «وقد تبين الرئيس عبدالناصر فى اجتماع تم فى يوم ٢٢/ ٥/ ٦٧ فى القيادة العامة ضرورة تأمين قطاع غزة وتعزيزه بهدف الاحتفاظ بهيبة مصر سياسيا ومعنويا».

واستجاب المشير وأصدر توجيهاته العسكرية بدفع الفرقة ٧ مشاة والقوة الخفيفة رقم ١ التى تقرر إنشاؤها وتجميعها فى نفس اليوم واللواء المدرع رقم ١٤ إلى منطقة رفح التى تعتبر حيوية للدفاع التعبوى عن قطاع غزة، كما أن تواجد قوات مدرعة وخفيفة فيها، يهدد أى قوات من العدو تحاول الاعتداء على قطاع غزة.

كما أصدر المشير توجيهاته بدفع قوات أساسية لمنطقة الكونتيلا، بغرض الدفاع عنها، وهذه المنطقة محتاجة بطبيعتها إلى قوات كبيرة خاصة وأنها غير مجهزة - أى المنطقة - من قبل للدفاع، وقد احتلها لواء ١١٣ مشاة المدعم بالإضافة إلى لواء مدرع».

ويواصل فوزى قائلا :

« أقف هنا لحظة لأبين كيف تم زوال «الخطة قاهر» كما تمت خلخلة الدفاع عن سيناء كليا نتيجة دفع القوات إلى منطقة رفح ودفع القوات إلى منطقة الكونتيلا. لقد تغير الحد الأمامى للدفاع فأصبح الكونتيلا - القسيمة - رفح - بدلا من خط التمد - القسيمة - أم القطف - العريش، الذى تحول تلقائيا ليكون النطاق الدفاعى الثانى.

وترتب عليه سحب قوات من العمق لتحل محل القوات التى دفعت للأمام فى الحد الأمامى للدفاع عن الكونتيلا - رفح، كما قل عمق الدفاع فى سيناء، واضطرت الظروف المفاجئة التى تولدت أثناء دفع القوات إلى الكونتيلا ورفح، إلى استخدام احتياط الجيش، والاحتياط الاستراتيجى للدخول فى صلب النطاق الدفاعى، فحرمت القوات المسلحة من الاحتياط الاستراتيجى القوى، ونشأ عن تواجد الفرقة السابعة فى رفح للدفاع وهى غير مجهزة، وضع غير سليم عسكريا إذ أن المطلوب من القوات الدفاع عن شريط ساحلى ليس له عمق دفاعى، الأمر الذى جعلها سهلة المنال فى أول هجوم إسرائيلي يوم ٥/ ٦/ ٦٧، ومن المعروف عسكريا أن منطقة رفح والعوجة هما نقطتا وثوب لقوات تتجمع منها «مدرعات وقوات محمولة» للهجوم على جنوب إسرائيل وكليهما ليس صالحا للدفاع وقد نتج عن دفع التشكيلات القوية إلى الأمام وعلى كلا من طرفى المواجهة أى الكونتيلا وبروز رفح - أن خلا المحور الشمالى والمحور الأوسط من القوات، وهما المحوران المتوقع هجوم العدو عليهما كما جاء فى تقرير وتصور الخطة قاهر، وفعلا حدث ذلك كما نتج عن دفع الاحتياطى الإستراتيجي واشراكه فى صلب الهيكل الدفاعي أن قل سمك وكثافة عمق الدفاع في سيناء.

ودون مزيد من التفاصيل التى ذكرها فوزى عن أسباب الخروج عن الخطة «قاهر» يحق لنا أن نتساءل، إذا كانت القيادتان السياسية والعسكرية ونتيجة لظروف ودواع جرى تقديرها، فتقرر تعديل النطاق الدفاعى وفى نفس الوقت تقرر القيام بعملية تعرضية فى اتجاه إيلات خصصت لها الفرقة السادسة المشاة. وإذا رأت القيادة السياسية الدفاع عن غزة حفاظا على هيبة مصر وهيبتها وقررت دفع الفرقة السابعة إلى رفح. وكل

هذه التحركات جرت خلال فترة الحشد أى اعتبارا من يوم ١٤/ ٥ فأين هى التحركات التى جرت نتيجة لتقارير معلومات المخابرات الحربية .. ؟!

لقد هاجم فوزى المخابرات الحربية فى الحلقة السابعة من مذكراته ، وفى الحلقة الثامنة قدم الدليل على أن التحركات لم تكن بسبب المعلومات بل بسبب قرارات سياسية وأخرى عسكرية.....

هكذا رد الفريق فوزى على نفسه.

وهذه أول مرة يذكر فيها اسم الخطة «قاهر» لكن للأسف أوقف التنفيذ بسبب شغل قوات كبيرة نسبيا فى تنفيذ الخطط التعرضية.

وهكذا يدلل فوزى على أن المشير عاد للتمسك بالخطه «قاهر» يوم ٢٩/ ٥/ ٦٧ أى بعد ما ادعاه عن تقرير المخابرات رقم (١٣) فى ٢٦/ ٥/ ٦٧ والذى نسب إليه كل ما جرى من كوارث فى سيناء ويؤكد أن سبب عدم القدرة على وضع توجيهات المشير رقم ١٨/ ٦٧ فى ٢٩/ ٥/ ٦٧ موضع التنفيذ كان بسبب القوات الكبيرة نسبيا فى تنفيذ الخطط التعرضية الهجومية.

فى محاولة للتقليل من شأن تقرير المعلومات رقم (٢١) بتاريخ ٣/ ٦/ ١٩٦٧ قال إنه كان حصيلة أول استطلاع جوى ناجح من قواتنا فى الساعة الواحدة ظهرا يوم ٢/ ٦/ ١٩٦٧ فوق النقب الجنوبى، ولعمق ١٢ كيلو مترا داخل حدود إسرائيل وذلك بعد فشل طلعتى الصباح فى اليوم نفسه.

وللحقيقة وللتاريخ: جرت طلعتان جويتان يوم ٢ يونيه ١٩٦٧ بعد إلحاح من إدارة المخابرات الحربية ، الأولى لتصوير إيلات جنوبا ، وقامت بتصوير ميناء العقبة الأردنى، والثانية لتصوير العوجة شمالا ، فقامت بتصوير بئر سبع !!!! .

وعن طائرات الاستطلاع قال الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية خلال يونيه ٦٧ على صفحات جريدة الوطن الكويتيه يوم ٢٠ يونيه ١٩٨٢

« لم يكن لدينا طائرات مخصصة للاستطلاع الجوى» وقال فى نفس العدد «كانت الطائرات الميج ٢١ مجهزة بآلات تصوير عمودية وبهذه الطريقة كانت المناطق التى تصورها محدودة جدا»

أى أن هاتين الطلعتين كانتا بلا فائدة تذكر بالنسبة للمعلومات المطلوبة ولم يكن الخطأ خطأ الطيارين ، بل يرجع إلى عدم التدريب على مثل هذه المهام من قبل وعدم القيام بها. فالاستطلاع الجوى شئ آخر يحتاج إلى طائرات مجهزة ولم تكن متوفرة لدينا

وطيارون أكفاء ومدربون ، وكان لدينا الطيارون الأكفاء ، ولكن بلا تدريب على مثل هذه المهام.

فى شهادة الفريق صدقى محمود أمام لجنة التاريخ والتى نشرتها جريدة الوطن الكويتية قال يوم ١٤ يونيه ١٩٨٢ :

«اتصلت بالفريق فوزى فقال لا أبدا ما تهتمش سيادتك دى عملية مظاهرة .. ده اللفظ».

وقال يوم ١٦ يونيه ١٩٨٢ : « أول ما اتصلت بفوزى بعد الحشد قالوا لى إنها مظاهرة، واستمرت العملية على أنها مظاهرة رغم أنى قلت لهم مظاهرة ، كيف نسميها مظاهرة؟ «

وإذا كانت هذه هى إجابة الفريق فوزى كرئيس لأركان للقوات المسلحة على تساؤلات قائد القوات الجوية وهو الرجل المحترف والذى يلى نائب القائد الأعلى و وزير الحربية فى سلم القيادات ، فهل الذى يعمل فى إطار مظاهرة عسكرية قادر على تنفيذ مهام قتال حقيقية قادرة على تحقيق الحماية لمصر ولقواتها المسلحة ؟!!

وهل تتحمل المخابرات الحربية تبعة هذا التقصير ؟

ويكشف اللواء طيار عبدالحميد دغيدى قائد القوات الجوية والدفاع الجوى بمنطقتي القناة وسيناء خلال يونيه ١٩٦٧ عن مفاجأة تتعلق بمعلومات مكتب مخابرات العريش وذلك في حديث منشور له بجريدة الشعب يوم ٦ يولية ١٩٨٢ فيقول «إن قائد مخابرات العريش قد أرسل إنذارا إلى قائد الجبهة الساعة ٢٣٣٠ أى الحادية عشرة ونصف مساء يوم ٤/ ٦/ ١٩٦٧ عن توقع هجوم العدو على سيناء في فجر باكر ٥ يونيه»، أى أن المخابرات الحربية قد وفرت المعلومات عن هجوم العدو على سيناء وذلك قبل أن ينتصف ليل ٤/ ٥ يونيه ١٩٦٧ أى قبل بدء الهجوم بحوالى تسع ساعات وهذه فترة كافية جدا لاتخاذ التدابير الضرورية.

وهذه المعلومات التى يؤكدها اللواء دغيدى ترد على أقوال الفريق فوزى وتصحح له ما ذكره عن وصول المعلومات فى الساعة السابعة صباحا من مكتب مخابرات العريش. وتصحح له ما ذكره عن وصولها إلى جهة غير مختصة ، وأنها وصلت إلى هيئة العمليات فى الساعة ٩,٤٠ صباحا.

والسؤال هل وصول هذه المعلومات إلى قائد الجبهة يمثل أيضا وصول المعلومات إلى جهة غير مختصة ؟

ويواصل اللواء دغيدى : « رغم الإنذار الذى حدد ساعة الصفر فقد فضل قائد الجيش الميدانى الفريق محمد صلاح الدين محسن أن يكون في استقبال المشير عبدالحكيم عامر بمطار بير تمادا، ولم يكتف بذلك بل استدعى كثير من قادة الفرق ورؤساء أركانها لزفة المشير تاركين مراكز عملياتهم من ورائهم ، وهى بدونهم لا وزن لها إطلاقا ولا حيلة لها فى القتال ، لا هجوم ، ولا دفاع» .

ولا أجد تعليقا أفضل مما قاله اللواء طيار عبدالحميد دغيدى.

۞ ۞ ۞

الباب الثالث

الصراع على السلطة

اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

يوم ١٨ أبريل ١٩٧١ برئاسة وزير الحربية

رأى الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، أن القوات المسلحة هى التى ستحسم الصراع بين الجانبين ، السادات من جانب و على صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعه ومن معهم من جانب آخر.

وماقدره الفريق فوزى ، هو الواقع ، فمن يمتلك ورقة القوات المسلحة فى يده ، يمكنه حسم أى صراع لصالحه ، ولكن إلى جانب ذلك تمثل الشرعية أو مقعد رئيس الجمهورية فى مصر ورقة قوية ، لايمكن لمن يخوض صراعا مع الرئيس أن يتجاهلها.

ولم يكن لا محمد فوزى أو أى من أعضاء الفريق يعطى وزناً لا للرئيس ولا لمقعد السلطة ولا للشرعية ، كان الجميع يستهينون بالسادات ، ولم يكن يخالجهم أى شك فى أنهم سيطيحون به عندما يريدون ، كانت المسألة بالنسبة لهم مسألة وقت وتوقيت.

ولم تكن نواياهم غائبة عن تفكير السادات ، ولكن خططهم ومخططاتهم ، لم يكن يدرى عنها شيئا ، لقد أمده أشرف مروان بكثير من المعلومات والتقارير التى أفادته جدا ومن بينها الكثير من الوثائق الخاصة بالرئيس عبد الناصر ، ولكن كيف يفكرون ويدبرون للتخلص منه؟ فكانت قضية بالنسبة له.

ولكى يضمن الفريق فوزى الاحتفاظ بورقة القوات المسلحة ، فقد سعى بكل قواه لكسب الأنصار والتحريض على الرئيس القائد الأعلى. ومع بوادر تصاعد الصراع بين الجانبين بدأ الفريق فوزى يحرص على أداء صلاة الجمعة بالمسجد القريب من مبنى وزارة الحربية بكوبرى القبة ، متصورا أن هذا العمل سيساعده على كسب شعبية يفتقدها، وإضافة بُعد دينى إلى أبعاد شخصيته التى كانت مشهورة بالقسوة والصرامة، ولأول مرة بدأ يتودد لرجال القوات المسلحة ويبدي استعداده للاستجابة لطلباتهم.

أما أحاديثه الخاصة والعامة مع القادة والضباط والجنود ، فكانت تحمل الكثير من التحريض على القائد الأعلى للقوات المسلحة ، خاصة بعد أن أعلن مبادرته السلمية يوم ٤ فبراير ١٩٧١، تلك المبادرة التى أحبطت مخططات فوزى لتجديد معارك الاستنزاف.

وبلغ التحريض مداه خلال اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذى دعا إليه، يوم ١٨ أبريل ١٩٧١، فى أعقاب توصل الرئيس السادات إلى اتفاق لإنشاء اتحاد الجمهوريات العربية الذى يضم كل من مصر وسوريا وليبيا ، وذلك خلال قمة طرابلس التي شهدها كل من الرئيس أنور السادات والرئيس السورى حافظ الأسد والعقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية.

وما أن بدأ الاجتماع الذى شهده ١٧من كبار قادة القوات المسلحة ، حتى أوضح الفريق فوزى أن الهدف من الاجتماع هو مناقشة اتحاد الجمهوريات العربية.

وأخبر الجميع فى نبرة لا تخفى دلالتها ، بأنه كوزير حربية وقائد عام للقوات المسلحة لم يعلم بإعلان هذا الاتحاد رسميا إلا حوالى الساعة الواحدة صباحا ، أى قبل إذاعته فى وسائل الإعلام بخمس ساعات فقط ، ثم انتقل للتساؤل عن جدوى هذا الاتفاق أو الفوائد التى ستعود على مصر من ورائه ، ولاسيما أن العلاقات المصرية السورية طيبة جدا ، ثم قال للحاضرين، إن هناك اتفاقا سريا بين مصر وسوريا تم التوصل إليه فى نوفمبر١٩٧٠، يعطى لوزير الحربية المصرى سلطة قيادة كل من القوات المصرية والقوات السورية المسلحة.

وانتقل برشاقة لغمز السادات من قناة اتصالاته السرية بالأمريكيين وموافقته خلال مباحثاته مع روجرز وزير الخارجية الأمريكى على انسحاب اسرائيلى جزئى من الضفة الشرقية للقناة بقوله ، إنه لا يوافق على الحل المقترح بانسحاب اسرائيلى جزئى شرق القناة.

ولم ينس أن يؤكد للمجتمعين أن الفريق صادق رئيس الأركان يتفق معه فى الرأى ويقر كل ما قاله.... ولم أعترض على ما قاله فوزى، فالوقت لم يكن قد حان لإعلان موقفى الحقيقى .

وبذكاء انتقل الفريق فوزى إلى النقطة الحيوية فى حديثه ، فقال بوضوح ، إن الجهات السياسية العليا ترفض الاتفاقية التى وقعها السادات فى العاصمة الليبية ، وإنه وبعد أن ينتهى هذا الاجتماع ، سيتوجه لحضور اجتماع سياسى على أعلى مستوى ، وفى هذا الاجتماع سيخبر المجتمعين بموقف القوات المسلحة.

وبهذه الجملة أكد للجميع حقيقة الصراع الدائر على قمة السلطة في مصر ، وأكد لهم أنه والجهات السياسية العليا فى جانب وأن السادات فى جانب آخر. وقد سبق أن أكد لهم فى حضورى أن رئيس الأركان يتفق معه تماما ، أي انهما معا ضد السادات.

وكان على الجميع أن يدركوا أنهم إذا وقفوا مع القائد العام ، فإنهم يقفون مع الجانب المنتصر.

وهنا من الضرورى أن أشير إلى أن العرف قد جرى أن يتحدث الوزير القائد العام بعد أن يبدى جميع القادة وجهات نظرهم فى الموضوعات التى يتضمنها جدول الأعمال، حرصا على ألا يتأثر المجتمعون بآراء الوزير إذا كان أول المتحدثين.

ولكن الفريق أول فوزى ، اختار أن يكون أول المتحدثين ليصادر آراء القادة وليضعهم أمام اختيار واحد ، وهو الانضمام لمعسكر المنتصرين. وعندما بدأ يعطى الكلمة للقادة ، أيد الجميع وجهة نظر محمد فوزى ، واعترضوا على اتفاقية الاتحاد الثلاثى.

وقبل أن ينتهى الاجتماع ، أصر أحد القادة أن يسمع وجهة نظر رئيس الأركان ، وقال مخاطبا الوزير ، لقد أخبرتنا أنه يؤيد كل ماتقول ، ونحن نصدقك خاصة والفريق صادق يجلس بجوارك ، ولكننا نود أن نسمع رأيه قبل أن ينتهى الاجتماع. ولم يكن هناك مخرج من هذا الموقف إلا بإعلان معارضتى للاتحاد.

وهكذا انتهى الاجتماع ، وفوزى يشعر بسعادة بالغة للنتائج التى حققها ، فها هو يخرج منتصرا ، فقد أعلنت القوات المسلحة تأييدها لموقفه ، ورفضها للاتفاقية التى وقعها السادات فى طرابلس ، قبل أن يجف حبرها.

وهذا الرفض يدعم موقف المعسكر المناوئ للسادات ، بل وسيثير القشعريرة فى جسد السادات عندما يعلم بما جرى ، وهذا الاجتماع للمجلس الأعلى كان اختبارا للقوى داخل القوات المسلحة ، خرج منه محمد فوزى وهو واثق من تأييدها له فى صراعه مع السادات. ولم يكن يخالجه أدنى شك بعد هذه النتيجة في حقيقة سيطرته على القوات المسلحة.

ولم يعكر من صفو الفريق فوزى ولا من اقتناعه إلا موقف سعد الشاذلى قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية، و الذى دُعيَ لحضور الاجتماع بالرغم من أنه ليس عضوا بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة وقتذاك.

وقد سمح ترتيب أو دور الشاذلى المتأخر فى الحديث وإبداء رأيه بمعرفة موقف الأغلبيه التى وقفت مناصرة لرأى وزير الحربية أيا كان رأيه فإنه لن يغير من الأمر شيئا.

وعندما جاء دور الشاذلى لإبداء وجهة نظره أعلن أنه يوافق على قيام هذا الاتحاد استنادا إلى أن إنشاء هذا الاتحاد لن يلحق الضرر بمصر وحتى وإن لم يكن من ورائه اى فائدة ، فإنه يؤيده. وعندما حاول أحد القادة مقاطعة الشاذلى وهو يطرح وجهة نظره المخالفة لما أجمع عليه القادة ، تدخل الوزير وطلب من هذا القائد عدم مقاطعة الشاذلى.

ولم يختلف رأي القادة الذين تحدثوا بعد قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية عن رأي الأغلبية. وأذكر أن الفريق أول فوزى قد اختتم المؤتمر بتأكيده أن الجميع فيما عدا اللواء الشاذلى يعارضون هذا الاتحاد.

ثم قال بصوت واضح وقوي حتى يسمعه الجميع وتسمعه الآذان التى ستنقل للسادات مادار فى هذا الاجتماع ، إنه سوف ينقل هذا الرأى للذين سيشهدون الاجتماع السياسى المهم الذى سيذهب لحضوره فور انتهاء هذا الاجتماع. ولم تغب عن الجميع حالة البهجة التى اعترت وزير الحربية طوال فترة الاجتماع وشعوره بالسعادة وهو يستمع للقادة وهم يعارضون اتفاقية الاتحاد.

وبهذا الاجتماع تأكد للفريق أول فوزى أنه يمتلك ورقة القوات المسلحة ، وتأكد للمناوئين للسادات أنهم يحوزون هذه الورقة، وبحيازتها أصبحت فى أيديهم كل الأوراق ، فبجانب القوات المسلحة هناك وزارة الداخلية وقوات الأمن المركزى وكل الهيئات والإدارات والمصالح التابعة لهذه الوزارة القوية الواسعة النفوذ والتأثير ، وهناك التنظيم السياسى الوحيد، الاتحاد الاشتراكى العربى ابتداء من قمة التنظيم حتى أصغر وحدة تابعة له بالإضافة إلى مجلس الأمة ، ناهيك عن اتحاد العمال والنقابات المهنية.

وكانت هناك أيضا قوات الحرس الجمهورى والمخابرات العامة و وزارة الإعلام.

ولم يكن بجانب السادات من ينصره أو يقف بجواره.

ولا شك أن وزير الحربية ومن معه كانوا يدركون أنهم بهذا الاجتماع التاريخى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة والنتيجة التى انتهى إليها قد أتموا خطة حصار الرئيس السادات وأن المبادرة قد أصبحت فى أيديهم.

وكان واضحا أن نتيجة هذا الاجتماع سيعرف بها السادات ، وعلى ضوئها سيبنى حساباته ، وأى حسابات يمكن أن يجريها وهو يتبين يوما بعد يوم أن السلطات قد أفلتت من يده لصالح خصومه ومعارضيه. وكان تقدير الجميع أن السادات قد خسر معركته مبكرا.

وكان تقدير فوزى وهو يخرج من هذا الاجتماع ، أن انحياز القوات المسلحة ممثلة فى أعلى سلطة سيشكل ضغطا كبيرا على رئيس الجمهورية ، وقد يقنعه هذا العامل بالاستسلام لإرادتهم.

والاختيار الثانى إذا لم يرتدع فالتخطيط لانقلاب عسكري لإزاحته جاهز للتنفيذ .

وهذه الخطوة لم تكن بعيدة عن ذهن محمد فوزى ، بل كان يفكر ويمهد لها بكل مايقوم به من تحركات وزيارات ، وما يطلبه من كلمات خلال زياراته للمناطق العسكرية أو للأسلحة المختلفة.

كانت هذه حسابات وزير الحربية ،

أما حساباتى أنا فقد كانت تمضى فى طريقها فى انتظار اللحظة المناسبة.

وكنت على يقين أن كل منا سيمضى فى طريق مختلف عن الآخر، وأن هذه اللحظة التى سيختلف فيها طريقانا لن تتأخر كثيرا.

❁ ❁ ❁

عاصفة مايو ١٩٧١

الكل وقد داهمتهم وفاة عبدالناصر حتى وإن لم تكن الوفاة مفاجأة بالنسبة للبعض، بدأوا يتكتلون ويناورون ويتقاتلون حول من يخلف المسجى جثمانه بداخل قصر القبة.

وبدا واضحا أن الفريق الذى أسند إليه عبدالناصر خلال الفترة الأخيرة من حياته مسئوليات إدارة الكثير من الشئون الداخلية، قد انقسم إلى فريقين، فريق يطرح الاستمرارية والحفاظ على الشرعية وأبرز عناصره محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام والرجل القريب من عبدالناصر، والذى أئتمنه الرئيس الراحل على تاريخ المرحلة وتاريخه، واستودعه صورة من كل وثائق هذه الفترة لهذا الغرض، وكان طرح هذا الفريق تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية إستناداً لمنطق الشرعية الدستورية بصفته نائب الرئيس.[1]

وكان طرح هيكل للاستمرارية والحفاظ على الشرعية قد صاحبه تلويح باسم زكريا محيى الدين، بنشره بروازا كبيرا فى الأهرام يحمل هذا المعنى وفى نفس الوقت كان زكريا هو الرجل الذى اختاره عبدالناصر للسفر إلى الولايات المتحدة خلال اشتعال الموقف بين مصر وإسرائيل ابتداء من النصف الثانى من شهر مايو ١٩٦٧. ولولا اندلاع الحرب صباح الخامس من يونيه لسافر زكريا إلى الولايات المتحدة. وبالتالى فقد كانت أوراقه قوية كرجل عرف بين زملائه بأنه ذو اتجاهات يمينية. كما أنه الرجل الذى ولاه عبدالناصر المسئولية فى خطاب التنحى الشهير. وكانت هذه المناورة تستهدف الضغط على الفريق الآخر للقبول بالسادات رئيسا لمصر. وإلا ...

وكان الفريق الثانى ويضم على صبرى والفريق أول محمد فوزى وشعراوى جمعة وسامى شرف يجمع على موقف رافض لتولى السادات السلطة.

---

١ - ومن المعروف أن الرئيس عبدالناصر كان قد غضب على أنور السادات عندما علم وهو يعالج بالاتحاد السوفيتى بقضية القصر الذى أمر بالاستيلاء عليه (قصر الموجى بشارع الهرم) . وبمجرد عودته إلى القاهرة أمره بالراحة فى قريته ميت ابوالكوم ولم يستمر هذا الإبعاد طويلا. وكان أول ظهور علنى له خلال استقباله لى كوان يو رئيس وزراء سنغافورة. وكان ذلك قبل وفاة عبدالناصر بأسابيع. وهذه العودة بكل ماصاحبها من ظهور علنى حافظت للسادات على وضعه كنائب للرئيس. وكان هو الوحيد من بين أعضاء مجلس قياده الثورة الذى استمر بجوار عبدالناصر ليس كعضو فقط بل وكنائب له.

وكانت الساعات شديدة الوطأة، فبعض الأطباء يرفضون كتابة شهادة وفاه لعبدالناصر ويصرون على تشريح الجثة لتأكيد شكوكهم. وقد أخبرنى الدكتور رفاعى كامل أنه يشك فى أن الرئيس مات مسموما، وأن أظافره الزرقاء اللون تضاعف من شكوكه، وأنه ليس وحده الذى يشك فى ذلك، وأنهم يريدون أن يقطعوا الشك باليقين. وكانت الأسرة والفريق الثانى يرفضون بإصرار مثل هذا الأمر، فمجرد السماح بالتشريح سيساعد على إطلاق الإشاعات، ولن تهدأ الأمور حتى ولو تأكد الأطباء من أنه لم يمت مسموما.

وظل الأمر محل خلاف ، إلى أن تم الاتفاق معهم على كتابة شهادة الوفاة من أجل الحفاظ على استقرار مصر، وعلى صورة الرئيس.

وكان من الضرورى اتخاذ الترتيبات الخاصة بالجنازة وإجراءات الأمن الضرورية والاستعداد لكل الاحتمالات فى مثل هذا الموقف وتأمين ضيوف مصر الذين سيحضرون للمشاركة فى تشييع عبدالناصر إلى مثواه الأخير. وقبل ذلك وبعده تأمين الجبهة تماما مع رفع درجة الاستعداد.

ولما كان الفريق أول فوزى يتولى منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة وكنت أشغل منصب رئيس الأركان، فقد كان على كاهلنا هذه المسئوليات. كنا نتحرك وكأننا فى سباق مع الزمن، وفى نفس الوقت نعيش الجو المشحون بالقلق والتوتر والمناورات. ومع أننى وفوزى عملنا سوياً عن قرب طوال الفترة التى أعقبت تعيينى مديرا للمخابرات الحربية ثم رئيسا للأركان كما كنا نعرف بعضنا منذ زمن طويل، وكان لدى كل منا صورة كاملة تقريبا عن الآخر، إلا أن فوزى خلال هذه الفترة لم يكن يعرف ما هو موقفى من الصراع الدائر حول منصب رئيس الجمهورية. وكان بالضرورة يدرك أننى على بينة مما يدور، لكن ذلك بالنسبة له لم يكن كافيا. لقد كان يريد أن يعرف وبشكل واضح ومؤكد مع من أقف ، لذا كان يبحث بإصرار، يتحدث ويحاور ويطرح مواقف وتساؤلات، وكنت أجيبه بإجابات لاتقطع بشئ، ولا تكشف اتجاها أو حتى نوايا.

فى ظل هذه الظروف كنت أرى أن صالح مصر يعلو ولا يعلى عليه، وأن تسلم السادات لمسئولياته كرئيس وفقا لما نص عليه الدستور يحقق أمن مصر ويساعد على استقرارها. ولكن الفريق فوزى كان له رأى آخر.

وقد فوجئت به يعرض عليَّ خطة لتحركات بعض تشكيلات و وحدات القوات المسلحة فى إطار إجراءات التأمين. وأدركت أن وراء هذه التحركات استعداداً لانقلاب

عسكري يمكن أن يقوم به. ولم يكن هناك أفضل من المكاشفة وبأقصر الطرق، فسألته عما إذا كان يريد أن يستخدم القوات المسلحة وهو القائد العام لحسابات يراها من وجهة نظره صحيحة؟

ولأن الفريق فوزى قد اعترف أمامي بالتدبير للانقلاب فقد آثرت أن أكون بجواره وأن أؤكد له ضرورة الحرص على سلامة و وحدة القوات المسلحة، وأن أى محاولة للسيطرة على السلطة بالقوة الآن ستدفع مجموعات أخرى تتسم بالطموح والجرأة للإقدام على نفس المحاولة. وذكرته أن المحاولات الإنقلابية كانت تجري بمعدل محاولة كل ستة أشهر، وذلك بالرغم من شخصية عبدالناصر ونفوذه والبريق الذى يحيط به، وقوة أجهزة الأمن.

والآن بعد وفاة الرئيس ودخول وزير الحربية إلى ساحة الانقلابات، فإن ذلك سيؤدى حتما إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الانقلابيين. وبالطبع سيجرى كل هذا الصراع الداخلى على السلطة والعدو فى سيناء على مسافة حوالى ١٢٠ كيلومترا من القاهرة.

وسألته إذا ما كان يعلم أن المحاولة الانقلابية التى قادها المشير عبدالحكيم عامر بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، كانت ثلاثة انقلابات؟ وكان نجاح الانقلاب الأول سيعقبه المحاولة الثانية للتخلص من المشير نفسه، وإذا ما نجحت المحاولة الثانية سيتم تنفيذ الانقلاب الثالث، وبه ستستقر السلطة فى أيدى الخلية الرئيسية التى تستند إليها كل هذه المحاولات.

وفوجىء فوزى بهذه المعلومات وسألنى لماذا لم تتضمن أوراق القضية ذلك ؟؟ فقلت له أننى أبلغت الرئيس عبد الناصر بكل التفاصيل وكان قراره ألا نتوسع فى هذه التحقيقات طالما تم إحباط المحاولة الإنقلابية الرئيسية للمشير عامر، وتم تقديم كافة المشتركين فيها للمحاكمة، هذا هو كل ما يهم أما ماهو أكثر فسيؤدى إلى تشويه صورة القوات المسلحة ويكفى ما نالها نتيجة هزيمة ١٩٦٧ .

وسألته فيما لو مضى لتنفيذ محاولته، هل سيضمن كيف سيتصرف القادة والضباط الذين سيشاركون فيها؟ ألا يوجد احتمال أن تتحرك مجموعة لحسابها الخاص؟ وتنبه وزير الحربية لأول مرة منذ فكر فى الاستيلاء على السلطة بانقلاب عسكرى، إلى المخاطر التى يمكن أن تواجهه.

وعدت لتذكيره بأن السادات لن يكون أكثر من مجرد فرد يشغل مقعد الرئيس وبأنه سيكون رئيسا بدون قوة تدعمه، فالسلطات كلها فى يده وفى يد باقى أفراد المجموعة.

واضطر فوزى للتراجع عن فكرة الاستيلاء على السلطة بعد أن تأكد أن رئيس الأركان لن ينضم له، بل وأنه لا يضمن وقوفه على الحياد. وكان يدرك أننى من موقفى قادر على إحباط وعرقلة أية أوامر تصدر منه لتحريك وحدات عسكرية. وبدا واضحا من تصرفاته وتصرفات الآخرين أنه أقنعهم بأنه لا ضرورة للقيام بانقلاب الآن. ولكن هذا المنهج الانقلابى، عاد إلى الظهور مرة أخرى خلال أزمة مايو ١٩٧١. ومن الجدير بالذكر أن أيام العسل بين السادات ومجموعة على صبرى لم تطل.

وفى البداية أبدى السادات من الإشارات ما يقنع المجموعة بأنه مجرد رئيس بلا سلطة، ولا وزن له، رئيس ضعيف يستمد منهم العون، يستند فى وجوده إلى شخصية الرئيس الراحل. ومن هذه الإشارات انحنائه أمام التمثال النصفى للرئيس عبدالناصر بمجلس الشعب فى نهاية الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٠، وتعظيمه للرئيس عبدالناصر فى البيان الذى أصدره عقب إعلان نتيجة الاستفتاء على رئيس الجمهورية يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٠. وفى هذا البيان شكر المواطنين الذين قالوا نعم والذين قالوا لا.

كما عظم الرئيس الراحل وأوضح أن اعتقاده الشخصى أن الذين قالوا لا، لم يقولوها اعتراضا على الثورة، وإنما تحفظا على المرشح لرئاسة الجمهورية. فإن هذا الشعب لا يجب أن يمنح ثقته المطلقة لفرد بعد جمال عبدالناصر...

هذه الإشارات الإيجابية، والعلنية، أسعدت مجموعة على صبرى وفوزى وشعراوى جمعة وسامى شرف، وأكدت لهم صحة استنتاجهم بأنه شخصية ضعيفة ورئيس أضعف، وأنهم قادرون على تنفيذ كل أهدافهم من خلاله إلى أن تحين لحظة التخلص منه. هذه الإشارات بالنسبة للسادات كانت مجرد إشارات حتى يتمكن من الإمساك بزمام الموقف.

وكان تقديرى للموقف مختلفا عن مجموعة على صبرى، كنت واثقا أن السادات داهية، وأنه ليس الشخصية التى يرسمها للآخرين، وأن مايقوم به مجرد أداء واستمرار للإطار الذى رسمه لنفسه فى علاقته بعبدالناصر منذ بداية الثورة. والسادات ليس هذه الشخصية الباهتة الخانعة المؤيدة على طول الخط، بل شخصية شديدة المكر والدهاء قادر على إخفاء حقيقة أفكاره، ومشاعره وأهدافه.

وكنت أعرف الكثير بحكم العلاقة الطويلة بيننا، والمناصب التى تحملت مسئوليتها، ومن خلال هذه الصورة التى رسمها لنفسه والإطار الذى كان يتحرك من خلاله،

تجمعت لدى معلومات عن إدعائه المرض، وعن أوجاع قلبه العليل، وكان دائما ما يرجو الرئيس عبدالناصر العناية بأولاده بعد وفاته. وكثيرا ما تهدج صوته وهو يقول لعبد الناصر .. أوصيك بأولادى ياجمال ..

وكان السادات يحرص على زيارة السفير السوفيتى بمنزله مساء كل يوم اثنين مما أثار شكوك عبدالناصر فى احتمال أن يكون على اتصال بالسوفييت، وفى نفس الوقت كان يتابع الاتصال بقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة لمجرد تبادل تحية الصباح. وكنت واحدا من الذين كان يحرص على استمرار الجسور بيننا طوال فترة رئاستى للمخابرات الحربية ولأركان حرب القوات المسلحة.

ومثل هذه الشخصية التى انتظرت طويلا لتصل إلى قمة السلطة، لن تفرط فيها أبدا أيا كانت القوى التى تواجهه. وتوقعت الصدام القريب بينه وبين هذه المجموعة. فهو كرئيس سيعمل بكل قواه لتجميع خيوط السلطة بيده ولن يسمح لقوة أبدا أيا كانت بأن تشاركه فى سلطاته.

أما المجموعة الأخرى فستحاول التصرف على أساس أنها تملك عناصر القوة، وستعمل على تمرير كل ماتريده من قرارات استنادا إلى ضعف شخصية السادات، كما أنها ستعمل أو ستصر على أن تكون القيادة جماعية، لفرض نفوذها وممارسة سطوتها، وحصاره منذ البداية. وهذه العوامل ستعجل بالصدام.

وفعلا لم يتأخر الصدام. وقبل محطات الصدام الرئيسية كانت هناك احتكاكات حول اختيارات وقرارات كثيرة للسادات منها اختيار الدكتور محمود فوزى لرئاسة أول وزارة بعد تسلمه منصبه رسميا كرئيس للجمهورية. كانت المجموعة تتوقع اختيار شخصية منهم لرئاسة الوزارة، إلا أن السادات اختار من يثق به ومن يثق فى أنه بعيد تماما عن هذه المجموعة أو هذه (الشلة) بمعنى أصح.

وزادت مشاعر الغضب عندما تأكدوا أن هيكل هو الذى رشح د. محمود فوزى لهذا المنصب وقدروا أيضا أن هيكل قد اختار أن يناصبهم العداء، وأن يدعم سلطات السادات.

وخفت حدة الموقف بإسناد مسئوليات أكثر لشعراوى جمعة داخل مجلس الوزراء. ومن القرارات التى أغضبت المجموعة القرار الخاص برفع الحراسات الذى اتخذه السادات فى شهر ديسمبر. وكانت خطورة القرار بالنسبة لهم، أنه يمثل أول تراجع

عن منهج الرئيس الراحل عبدالناصر، وأنه بمثل هذا القرار يحاول أن يكسب شعبية، والأهم أنهم يخسرون كثيرا فيما لو احتجوا علنا على هذا القرار، وكانت خطوة رئيسية تكشف عن نوايا السادات الحقيقية

أما أول صدام حقيقى وعلنى، فكان فى فبراير عام ١٩٧١. كانت فترة وقف إطلاق النار التى أقرتها مصر بإعلان قبولها لمبادرة روجرز تنتهى فى فبراير، ولم يكن لدى السادات أية نوايا لكسر وقف إطلاق النار، وفاجأ السادات الجميع بإعلانه عن مبادرة السلام. وقبل أن يتحدث السادات أمام مجلس الأمة ليعلن مبادرته، تدخلت المجموعة وحذفت بعض الفقرات من خطابه، لمجرد التحدى. وكان ذلك أول صدام علنى بين الفريقين، هذا إذا ما اعتبرنا السادات وهيكل فريقا.

ولكن ذلك لم يكن كل ماجرى، فقد حاول الفريق أول محمد فوزى بعد اجتماع عسكرى بمقر القيادة العامة، أن يدفع السادات لتوقيع ورقة أو قرار قدمه على السلم الخارجى للمبنى، وقبل أن يستقل الرئيس سيارته، ولكن السادات لم يوقع القرار، بل قرأه بإمعان ، ثم نظر مليا إلى الفريق فوزى، قائلا له إن مثل هذه القرارات لا توقع على السلم. ولم يكن القرار أو الورقة المطلوب توقيعها، سوى أمر من القائد الأعلى بكسر وقف إطلاق النار وتجديد معارك الاستنزاف.

كان الفريق فوزى يسعى لتوريط السادات لتحميله مسئولية كسر وقف إطلاق النار ولم يكن الهدف الحقيقى العودة إلى معارك الاستنزاف، بل إحكام القبضة على الرئيس ، ففى ظل تبادل إطلاق النيران، سيظل الرئيس أسيرا لحركة الأحداث، ولن يتمكن من مواجهتهم وسيصبح كل همه إدارة المعركة، والتعامل مع الضغوط السوفيتية وصفقات التسليح، وضغوط نزيف الخسائر الاقتصادية والبشرية، والرأى العام المصرى والعربى والعالمى. وقد قرأ السادات سوء نية الفريق فوزى وأدرك هو بدوره ما فهمه السادات. وجاءت مبادرة السادات لتحبط مخططات فوزى ومن سانده. وتأجلت المواجهة الرئيسية لصدام آخر يكونون فيه فى موقف أفضل.

وبدأت المجموعة تشعر بالقلق ، فها هم يكتشفون أن السادات ليس بالضعف الذى توقعوه، وأنه قادر على تحقيق أهدافه وعرقلة مخططاتهم. وأعادوا قراءة ما جرى خلال الأشهر الماضية وتبادلوا الرأى فى اجتماعاتهم ولقاءاتهم وأحاديثهم التليفونية، وتوقفوا طويلا أمام ما رأوه من اتصالات مصرية أمريكية. ففى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ تلقى

السادات رسالة تهنئة بعيد ميلاده من الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون واغتنم الرئيس الفرصة ليفتح قناة اتصال بالرئيس الامريكى ، وكان هذا مقلقا بالنسبة لكل أفراد المجموعة، فالأمر ليس خروجا على منهج أو سياسة عبدالناصر فحسب ، بل تنكر للصداقة السوفيتية المصرية التى تعد بالنسبة لهم الأساس لسياسة مصر الخارجية والداخلية أيضا.

فالسادات بالنسبة لهم الآن، رجل يتصل بالأمريكيين وهم لايعلمون ما يدور خلال هذه الاتصالات، وفى نفس الوقت يرفض العودة إلى معارك الاستنزاف. وكان واضحا بالنسبة لى أن السادات يتعمد استفزاز هذه المجموعة فى محاولة لدفعها إلى ارتكاب أخطاء، لتعجل بالصدام فى وقت مبكر لينهى بذلك هذه المرحلة الانتقالية التى تتسم بالقلق والتوتر والتربص وسوء النوايا.

وخلال الأحاديث المتبادلة مع محمد فوزى كان دائم الشكوى من السادات ومحاولته التمرد والخروج عن خط الرئيس عبدالناصر ولم ينس أن يصب سخطه على الأستاذ محمد حسنين هيكل. ويبدو أن كراهيته لهيكل قد سيطرت عليه.

ففى نهاية شهر مارس، وأثناء دخوله مبنى الوزارة بكوبرى القبة لاحظ أن عبده مباشر الصحفى بجريدة الأهرام يدخل من باب الوزارة، فواصل صعود السلم وانتظر بالشرفة المطلة على المدخل ومن خلفه القادة الذين كانوا بصحبته، وما أن رأى عبده مباشر يدخل من الباب وقبل أن يتجه يمينا بالدور الأرضى فى الطريق إلى مكتبى ناداه قائلا:

يا مباشر .. الذى توقف أمام النداء متوقعا أن الوزير سيدعوه للقائه ليسر إليه بخبر أو بمعلومه كما كان يفعل أحيانا، إلا أنه فوجىء بالوزير يقول له: « **قل لهيكل «يتلم... وإلا فحسابه عسير»** ، رد عليه مباشر قائلا :

« **يا سيادة الوزير أنتم ناس كبار مع بعض، وتستطيع أن تبلغه ذلك بنفسك، أما أنا فلا أستطيع نقل مثل هذه الرسائل**».

فما كان من الفريق فوزى إلا أن قال له :«طيب يا مباشر..». ولم يكن مباشر هو الذى فوجىء بالموقف ولا القادة المرافقين للوزير، بل كل من بالمبنى الذى عرف بالموقف والحوار. وبعد دقائق من هذا الحوار، كان عبده مباشر معى يسألنى عن معنى ذلك....

وحانت لحظة الصدام المنتظرة فى أعقاب توقيع السادات لاتفاقية الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا وليبيا فى بنى غازى يوم ١٧ أبريل ١٩٧١، هناك أعرب على صبرى للسادات أثناء وجودهما معا عن معارضته للاتفاقية، فطلب منه تأجيل النقاش حول هذا الموقف لحين العودة للقاهرة.

واجتمعت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى يوم الأربعاء ٢١ أبريل باستراحة الرئيس بالقناطر الخيرية. ولاشك أن على صبرى قد استعد جيدا لهذا الاجتماع، ورتب أوراقه بشكل أحرج السادات كثيرا. ففى هذا الاجتماع الذى شهده ٧ أعضاء من اللجنة فى حين تغيب رمزى استينو العضو الثامن باللجنة لوجوده ببلغاريا. وعندما جرى التصويت على الاتفاقية بعد مناقشات حادة وعصيبة جاءت النتيجة ٤ لصالح على صبرى ، ٣ لصالح الرئيس السادات. وقف فى جانب على صبرى كل من عبدالمحسن ابوالنور ، لبيب شقير وضياء الدين داوود وفى جانب السادات وقف حسين الشافعى و محمود فوزى.

ولتحديد موقف شعراوى جمعة أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى والذى لايحق له التصويت سأله السادات عن موقفه، فحاول التملص من الإجابة إلا أن السادات ألح عليه فلم يجد مفرا من أن يعلن أنه مع رأى على صبرى.

وبعد أن خسر السادات هذه الجولة نقل الأمر إلى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى التى تحدد يوم ٢٥ ابريل موعدا لاجتماعها. وخلال الفترة من ٢١ حتى ٢٥ ابريل تحرك كل فريق لترتيب أوضاعه، على صبرى وباقى أفراد المجموعة عملوا على حشد أعضاء اللجنة المركزية حتى تأتى النتيجة لصالحهم، ليتبين السادات أنه وحده وعليه ، إما أن يستقيل أو أن ينصاع لهم.

هذا من الجانب المدنى، أما من الجانب العسكرى، والذى كنت أتوقع أن يعتمدوا فيه على الفريق فوزى لحسم الموقف، فبعد انتهاء اجتماع اللجنة التنفيذية العليا يوم ٢١ أبريل ، حضر محمد فوزى فى مساء نفس اليوم إلى مبنى الوزارة وطلب منى أن أصعد إليه فى مكتبه ، وعندما دخلت عليه المكتب الموجود بالدور الأول لمبنى الوزارة ، فوجئت به فاقدا لأعصابه تماما، وأخذ فى توجيه الشتائم البذيئة للرئيس السادات، ولم يترك تهمة لم يلصقها به، وبصوت عال، وكأنه كان يتعمد أن يسمع الآخرون خارج مكتبه ما يقوله.

وبعد هذا الفاصل سحب ورقة وكتب عليها أمرا واضحا باتخاذ إجراءات استعدادا لتنفيذ انقلاب عسكرى للاستيلاء على السلطة وإزاحة الرئيس السادات.

وكان نص الأمر كالتالى :-

فريق صادق :

باكر ترتبط وتنظم وتخطط مع:

١ – مخابرات حربيه.

٢ – فرقة ٦ مشاه ميكانيكيه.

٣ – لواء ٢٥ مدرع.

٤ – شرطة عسكرية:

لأغراض تأمين القاهرة –

أى احتمالات – نظام الكود –

أماكن التجمع –

أرقام التليفونات – الخ.

– مصدر الأمر

(فوزى + شعراوى+ سامى)

– واجبات:

١ – الإذاعة.

٢ – مداخل القاهرة.

٣ – حرب اليكترونية، أجهزة لاسلكى السفارات.

صورة من الوثيقة التاريخية
التي كتبها الفريق أول فوزى بخط يده التى تدينه بتدبير انقلاب عسكرى أثناء أحداث مايو ٧١ والتى أخفاها الفريق صادق لديه ولم يظهرها إلا بعد وفاة السادات.

وعادت مرة أخرى فكرة الإنقلاب العسكرى للظهور على مسرح الأحداث، لكن بشكل عملى. وطوال الفترة منذ محاولته الأولى نفذت مخططا دقيقا وصارما للسيطرة على التحركات العسكرية، وفرض الرقابة على فوزى ورجاله. ولم يكن السادات يعلم شيئا عن ذلك، بل إنه لم يحاول الاتصال بى خلال تلك الفترة.

وكان ذلك من المؤشرات التى دفعت فوزى والآخرين لاستمالتى إلى جانبهم، وكان منطقهم، إذا لم يكن قريبا من السادات فلماذا لايكون قريبا منا؟

وحاول فوزى كثيرا معرفة أين أقف أو كيف أفكر. وكثيرا ما طرح أسئلة غير مباشرة في البداية ثم مباشرة فيها بعد. وكنت دائما ما أجيب بما لا يقطع الشك باليقين.

وكان هدفى أن تبقى القوات المسلحة بعيدا عن هذا الصراع.

ولقد قمت بجولات وزيارات للأفرع الرئيسية للقوات المسلحة بحكم عملى ووفقا لظروف الإعداد للمعركة الذى بدأ منذ تولى السادات السلطة واجتماعه بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠. وكانت نتيجة الجولات والزيارات واللقاء بالقادة إيجابية جدا. وكان القادة على بينة من الأمر، وكان فهمهم للموقف عميقا، وكان رأيهم أن أهم ما يشغلهم هو الإعداد للمعركة، وغسل عار القوات المسلحة، لا المشاركة فى صراعات السلطة أيا كان أطرافها.

وفى نفس الوقت كان فوزى يقوم بزيارات مماثله، لحشد من يستطيع وراء هدفه الذى يسعى إليه، وعقب كل زيارة له كنت أتعمد المرور على نفس الأماكن لمسح الآثار التى يمكن أن يكون قد تركها. وكنت أتجنب دائما الاتصال بالقادة والمديرين الذين يدينون له بالولاء. كان قادة الجيوش والتشكيلات والمناطق العسكرية والوحدات، على مستوى الموقف، فهما وموقفا ووطنية وحرصا على مصالح الوطن.

كانت كل هذه المراقبات والمتابعات تجرى دون أن تلفت نظر فوزى أو أى من أفراد مجموعته. وكانت زياراتى للجيوش والتشكيلات والمناطق العسكرية والوحدات تتم ولا تثير شكوكه، وقد واصل فوزى محاولاته لكسب ثقتى، وعندما تصور أو توهم أنه نالها دعانى لحضور اجتماعات هذه المجموعة.

ولاشك أن هذه الدعوة قد نوقشت فيما بينهم، بل وفيما بينهم وبين السفير السوفيتى بالقاهرة. وقد عرفت فيما بعد أن فوزى قد أكد لهم ثقته الكاملة في شخصى.

وكانت أهم الأوراق لكسب ثقة أفراد هذه المجموعة، أن السادات لم يتصل بى، وأننى لم أجر أى اتصالات مع السادات. وكان فى إمكانهم التأكد من ذلك، فكل تليفوناتى واتصالاتى كانت تحت المراقبة، كما أثبتت الأيام فيما بعد، بأن أحمد كامل مدير المخابرات العامة قد وضع تحركاتى تحت المراقبة وكانت الاجتماعات تعقد إما فى منزل شعراوى أو سعد زايد أو بمكتب محمد فوزى. ومعظم هذه اللقاءات - خاصة اللقاءات الليلية - كان يحضرها السفير السوفيتى بالقاهرة.

ورأيت أن الوقت قد حان لاتخاذ المزيد من الإجراءات التى تكفل تأمين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة والتشكيلات والوحدات والمناطق العسكرية. وطلبت من القادة شخصيا ألا ينفذوا أية أوامر إلا منى أو بالرجوع إلىّ شخصيا والتأكد من أننى المتحدث.

وكان القادة جميعا عند مستوى المسئولية كقادة للقوات المسلحة، وكمواطنين شرفاء.

و بتمام خطوات وإجراءات تأمين القوات المسلحة، وإحباط كل ما أقدم عليه الفريق أول فوزى، يحين وقت تأمين قوات الحرس الجمهورى.

كنت قد أبقيت الحرس الجمهورى، ليكون آخر قوة أقوم بتأمينها، وقطع الطريق عليها، ومنعها من التدخل فى هذا الصراع لحساب أى طرف من الأطراف لتظل بعيدة عن صراع السلطة. وكنت أعلم أن الفريق أول الليثى ناصف منغمسا ومتورطا مع مجموعة على صبرى عن طريق سامى شرف الذى يدين له بالولاء التام .

ولتحقيق هذا الهدف استعنت بالفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران وقتذاك، وكنت ومازلت أعتبره واحدا من الوطنيين الغيورين على مصلحة مصر. دعوت الفريق أول سعد الدين متولى على إفطار بمنزلى ودعوت معه عبده مباشر الصحفى بجريدة الأهرام لتبدو المناسبة وكأنها مناسبة اجتماعية. وفى الشرفة المطلة على الشارع الرئيسى اخترت مجلسنا للإيحاء لفرق المراقبة والتحريات التابعة للداخلية والمخابرات العامة، بأن اللقاء لايحمل أكثر من دلالة اجتماعية .. وتركت سعد يتحدث مع عبده فبجانب الصداقة التى تجمع بينهما ، جمع بينهما أيضا أن كل منهما متزوج من ألمانية.

وتحدثت مع الفريق متولى بصراحة فهو صديق قديم لى منذ الصغر وشرحت له الموقف وخطورته و التقت وجهات نظرنا حول خطورة ما يحدث على مصر وشعبها ومستقبلها، وأتفقت معه أن ينقل رسالة إلى الفريق الليثى ناصف عن خطورة تصرفاته وخطورة ما سيترتب عليها من نتائج سيتحمل هو بمفرده مسئوليتها وتبعتها، وأننى كرئيس أركان حرب القوات المسلحة لن أسمح لأى وحدات أو جماعات مسلحة بالخروج من معسكرات الحرس الجمهورى، وأننى سأعطى أوامر بنصب كمائن صواريخ مضادة للدبابات على مداخل ومخارج هذه المعسكرات لديها أوامر بإطلاق نيرانها على أى قطعة تخرج إلى الشارع.

أردت بهذه الرسالة أن يعرف الليثى ناصف أننى اخترت أن أقف مع مصر وأننى لن أسمح للطامعين فى الاستيلاء على السلطة بتحقيق هدفهم وأننى مسيطر على القوات المسلحة. وكنت واضحا وضوحا شديدا وأنا أقول له إنه يقف فى صف سامى شرف ولكن فليعلم أنه لا هو ولا القوات التى تأتمر بأمره من الحرس الجمهورى بقادرة على أن تحقق أى شىء ما دمت سأمنعها من الخروج من ثكناتها بالقوة. وبهدوء وبإيمان عميق واصلت استعداداتى.

أما الفريق سعد متولى فقد نجح فى مهمته تماما، ففى نفس اليوم، وبعد تسلمه الرسالة، خرج الليثى ناصف بنفسه ليستطلع الموقف، فتأكد من صدق ما تضمنته، و وجد الكمائن المضادة للدبابات منتشرة أمام جميع مداخل ومخارج الحرس الجمهورى وبشكل لا يلفت الأنظار. وصباح اليوم التالى، أبلغ السادات أنه يضع نفسه وقواته تحت تصرف رئيس الجمهورية.

وبذلك انتقل الليثى ناصف من معسكر سامى شرف ومحمد فوزى لينضم لمعسكر الرئيس السادات. ولم يبلغ السادات بشىء عن الرسالة التى تسلمها والتى أرسلتها له، كان يريد أن يعلن ولاءه للسادات، اقتناعا منه بجدارة السادات لهذا الولاء... ومنذ هذه اللحظة بدأ يبتعد عن سامى شرف ويتودد لمن هم حول السادات.

والسؤال لماذا اخترت الفريق أول سعد الدين متولى؟

والإجابة ببساطة: أن الرجل صديقى وتربطنى به علاقات وثيقة حيث تزاملنا مدة خدمتنا بالحرس الملكى قبل قيام الثورة، كما أننى أثق في وطنيته وصدقه وإخلاصه وبجانب كل ذلك كنت أعلم يقينا أنه لا يحمل وداً لسامى شرف ويعتبره عدواً له، وكثيراً ما عبر عن كراهيته في أحاديثه الخاصة معى طوال السنوات التي عملا فيها معا بجانب عبدالناصر.

أما على الجانب المدنى، كان قرار السادات بتصفية على صبرى وإبعاده عن المسرح تماماً خطوة موفقة ، فبالرغم من أن على صبرى هو رأس هذه المجموعة، إلا أن القوة الحقيقية كانت فى يد الفريق فوزى وشعراوى جمعة، ولأن على صبرى كان محسوبا على السوفييت فقد استدعى السادات السفير السوفيتى بالقاهرة لمقابلته وقال له: إنه حريص على العلاقات بين البلدين ولكن تطورات الموقف تستدعى إبعاد على صبرى وأن مثل هذا الأمر من صميم الشئون الداخلية المصرية، وطلب منه إبلاغ القيادة السوفيتية بذلك.

لقد كان رئيس الجمهورية خلال هذه الفترة فى حالة تشتت و خوف لا يعلم ماذا يفعل ..

وكان يرى كل يوم الحلقة تضيق من حوله ولا نصير له ورغم ذلك لم يكن لديه أية معلومات عن حقيقة ما يدبر له ..

فالرقابة على تحركاته وتصرفاته مستمرة من الجماعة .. ولم يبق معه إلا الأستاذ محمد حسنين هيكل والدكتور محمود فوزى والمهندس عزيز صدقى.

وقد رأيت بعد تفكير عميق أنه لابد من رسالة ما إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل تنير له الطريق وتجعله على بينة من الموقف. كانت علاقتى بالأستاذ هيكل علاقة صداقة قوية مبنية على الاحترام لتفكيره ووطنيته، وكثيرا ما كنت أستشيره فى أيام عبدالناصر، كان دائما صاحب التحليل المنطقى السليم وصاحب الرأي الصائب. كما كنت أشعر بعمق عاطفة هيكل نحو القوات المسلحة فكان يضع آماله كلها فى أنها هى التى ستغسل عار مصر وتعيد لها مجدها. كان دائما مستقلا فى الرأى والتفكير ولاينتمى لأى مجموعة من المجموعات التى تتصارع على المسرح السياسى.

ولقد لاحظت أن جماعة الفريق فوزى تكن له حقداً شديداً لوقوفه بجانب السادات وتبنيه لسياسة إعلامية تخدم سياسة السادات فاعتبروه عقبة يجب أن تزول ولم تكن هذه الجماعة تتورع عن أى شىء فى سبيل تحقيق أهدافها، مما جعلنى أتخذ قرارى بتحذير هيكل سرا. ولم أجد أفضل من الاستعانة بالصحفى عبده مباشر لأداء هذا الدور ، فقد كنت أثق فيه وفى وطنيته وشجاعته ولا أنسى أنه المدنى والصحفى الوحيد الذى اختار بإرادته التطوع للقتال خلف خطوط العدو فى سيناء تحت قيادة البطل ابراهيم الرفاعى. وكانت كل تقارير العمليات تشيد بشجاعته وكفاءته وروحه المعنوية العالية وقدرته على الكتمان. ولم يكن اختيارى للأستاذ عبده مباشر ليلفت نظر أحد فهو يتردد على القيادة العامة باستمرار ويلتقى بأغلب القادة وما دام يعمل بجريدة الأهرام، فمن الطبيعى أن يلتقى برئيس التحرير.

ومهدت للأمر بأن طلبت من عبده مباشر أن ينقل عدة رسائل شفوية لرئيس تحرير الأهرام تتعلق بالعمل وحين حانت اللحظة المواتية طلبت منه أن ينقل رسالة إلى الأستاذ هيكل وكنت متأكدا أن هذه الرسالة ستصل بأمانة إلى رئيس الجمهورية لكى توضح موقف القوات المسلحة التى تعى دورها تماما والمؤهلة لأداء هذا الدور وهكذا وصلت الرسالة إلى هيكل فى الوقت المناسب لينقل للسادات أن يطمئن لموقف القوات المسلحة.

وبعد أن وصلت الرسالة إلى رئيس الجمهورية اطمأن وبدأ يعمل للتخلص من بعضهم واختار أول مايو تاريخ الاحتفال بعيد العمال ومن فوق المنصة فى احتفال حلوان أعلن تحديه لهم رغم أن الاحتفال كان معدا لإحراجه والضغط عليه.

وبالطبع لم تدر مجموعة فوزى سر هذا التحدى الذى أقدم عليه السادات وكيف امتلك فجأة قلب الأسد ليلقى بالقفاز فى وجوههم، وقبل أن يفيقوا أقال على صبرى من جميع مناصبه يوم ٢ مايو ونشر الخبر فى الصحف.

وبدأ السادات خطوته بالاتصال بالقوات المسلحة، فعقد عدة اجتماعات ولكن ثقة الفريق فوزى فى ولاء مجموعته وأصدقائه قد أعمته عن أن معظم هؤلاء القوم فى الحقيقة فئة من النفعيين المتسلقين وأنهم لايستطيعون أن يفعلوا شيئا.

وجاء يوم الخميس ١٣ مايو اليوم الحاسم فى صراع السلطة بين رئيس الجمهورية وجماعة فوزى.. فى هذا اليوم كان مقررا أن يتوجه رئيس الجمهورية للاحتفال فى مديرية التحرير ولكنه أعتذر عن عدم الذهاب وشاع فى هذا الوقت أنه كانت هناك محاولة لاغتياله.. ولم أتأكد من صدق هذه المعلومة.

وظهر يوم ١٣ مايو اتصل بى الفريق فوزى وهو منفعل بصورة غير طبيعية وأخبرنى أن الرئيس أقال شعراوى جمعه وفى نهاية المكالمة قال إنه سيتصل بى بعد ذلك ليخبرنى بما يستجد فى الموضوع. وفى حوالى الساعة الثانية ظهرا طلب منى أن ألقاه فى مكتبه بمبنى الوزارة وعندما دخلت مكتبه وجدت شعراوى جمعة وعددا من أعضاء الجماعة أصدقاء فوزى.

وتحدث فوزى عن إقالة الرئيس لشعراوى جمعه وتعيينه لضابط شرطة برتبة لواء يدعى ممدوح سالم ليحل محله فى وزارة الداخلية، وقال إنهم هم الذين وضعوا السادات على الكرسى ليحكم مصر، وإنهم وضعوه رغم ماضيه ورغم كل ما سجل عليه هو وأسرته فى الملفات.. رددت عليه قائلا إن ممدوح سالم ضابط شرطة ممتاز ومن أوثق الناس صلة بسامى شرف ويعتبر من أكبر ضباط الشرطة ولاء لسامى شرف ومن قيادات التنظيم السرى لسامى شرف وحاولت تهدئتهم.

ولما سألت عن سامى شرف قالوا إنه فى مقابلة مع رئيس الجمهورية وسيحضر حالا. وبعد فترة حضر سامى شرف وكان متأثرا جدا ، نتيجة لموقف رئيس الجمهورية الذى اعتبره غدرا به، وحاولت أن أوضح لهم أن رئيس الدولة سواء كانوا هم الذين أتو به أم لا فهو الرئيس ومن حقه أن يقيل من يشاء من وزرائه بل له أن يقيل الوزارة بأكملها ووجهت حديثى إلى شعراوى جمعة للتخفيف عنه قائلا: أحمد الله أنك أعفيت من هذه المهمة الثقيلة واقترحت عليه أن يطلب ممدوح سالم تليفونيا لتهنئته بالمنصب وليتمنى له التوفيق، وأجرى فعلاً المكالمة واستمر الحديث بينى وبين الحاضرين .

كان الجميع ثائرون ، واعتبروا أن ماجرى غدرا بواحد منهم ، وهم الذين كانوا السبب في وجود السادات في مقعد الرئيس! ولاحظت أن شعراوى جمعة شديد الاضطراب وعندما سألته علمت أنه حاول الاتصال باللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة

ليطلب منه إعدام بعض الوثائق وكل أشرطة التسجيل التى يحتفظ بها والأوراق التى تتضمن كل الأحاديث والحوارات المسجلة على هذه الأشرطة بعد أن علم بإقالته واتجاه نية السادات لتعيين ممدوح سالم وزيرا للداخلية، إلا أن اللواء طلعت أخبره أن مجموعة أفراد من رئاسة الجمهورية قد حضرت إلى الوزارة حاملة تعليمات من رئيس الجمهورية للسيطرة على الوزارة إلى أن يتسلم مسئولياتها وزير الداخلية الجديد . وبعد أن اكتشف أفراد هذه المجموعة وجود الأشرطة المسجلة ونصوصها المكتوبة ، اتصل قائدهم بالرئيس الذى أمر بالتحفظ عليها. وأسقط في يد شعراوى ، وعندما علم الجميع بما جرى أصابهم الفزع من انكشاف أمر هذه الأشرطة.

وكان معروفا أن أجهزة كثيرة تأمر بالتنصت على المكالمات الهاتفية ومنها وزارة الداخلية دون حاجة إلى إذن السلطة القضائية ، وبالممارسة وعدم وجود أى نوع من الرقابة أو المساءلة ، اتسع نطاق عمليات التنصت ، بل تحولت في أحيان كثيرة إلى محاولة الوصول إلى تسجيلات تصلح للضغط والابتزاز.

وقد كشفت الأحداث فيما بعد أن الجميع كانوا يقومون بتسجيل المكالمات التليفونية للجميع ، فلم ينج تليفون مسئول من الرقابة بما فى ذلك من كانوا يأمرون بتسجيل المكالمات التليفونية. ومن هذه التسجيلات اكتشف السادات واكتشفت معه أن أى من هذه المجموعة لم يكن يثق بالآخر ، فالكل أخضعوا باقى الفريق الأخر لعمليات التسجيل، أى أن الكل كان مكشوفا أمام الكل ، وكان الموقف شائنا.

ولاحظت طوال الوقت أن الفريق أول فوزى يدفع المجموعة نحو إجراء مشترك لمواجهة تصرف الرئيس وكان يشاركه في هذا الاتجاه سامى شرف. فتدخلت للمرة الثانية ، وقلت إن هذا خطأ ، وأى قرارات أو خطوات ستقدمون عليها وأنتم فى مثل هذه الحالة من الإنفعال ، ستكون خاطئة وأنا أرى أن تعودوا إلى منازلكم الآن لتهدأوا قليلا ، ونصحت شعراوى بالسفر إلى الأسكندرية للابتعاد عن هذا الجو وليستريح من عناء العمل المستمر ، وأن من حقه أن يحصل ولو على إجازة قصيرة ، ولما وافقوا على العودة إلى منازلهم حرصت على أن أصحبهم إلى سياراتهم الخاصة حتى باب الوزارة لأتأكد من مغادرتهم مبنى الوزارة.

وتمنيت أن يستجيبوا لنصيحتى لهم بالهدوء وأن يكتفوا من هذه المعركة بما حدث ، وظللت بمكتبى أراجع إجراءات السيطرة على القوات المسلحة ، ثم ذهبت إلى منزلى ،

وأثناء وجودى بالمنزل سمعت نبأ الاستقالات الجماعية للوزراء والمسئولين من إذاعة القاهرة وكان ذلك خطأً غبياً ... فعدتُ فورا إلى مكتبى لمواجهة أية محاولات ، ومن هناك تحدثت لأول مرة تليفونيا مع رئيس الجمهورية ، وقلت له إن القوات المسلحة خارج هذا الصراع وإنها لاتكن أى ولاء إلا للسلطة الشرعية ولمصر وأن عليه أن يتصرف وهو على يقين من ذلك ، فرد قائلا: «أنا كنت أبحث عنك وعاوزك تيجى دلوقت لتحلف اليمين كوزير للحربية» ، فأوضحت له أننى لا أستطيع أن أترك مكانى حاليا في القيادة لأن الموقف لا يسمح بذلك ، وعندما أطمئن إلى استتباب الوضع سآتى إليه.

وبعد حوالي ساعة، اتصل بي أنور السادات مرة أخرى وسألنى لماذا لم أحضر لأحلف اليمين ، فقلت له إننى مازلت في حاجة إلى بعض الوقت، فسألنى عما إذا كان في إمكانه تحريك دبابات من الحرس الجمهورى إلى سراى القبة ، فاعتذرت لأننى سبق أن أبلغت قائد الحرس الجمهوري الفريق الليثى ناصف بعدم تحريك أى قوات أو أفراد أو مدرعات من أماكنها ، وتعهدت له بأننى أضمن له أمنه وأن أوفر له الحراسة المطلوبة، وأنه لاحاجة لأى عسكرى زيادة عن الحراسة الموجودة فسألنى ولماذا لا أوافق على تحريك هذه الدبابات تحت إشراف ، فأوضحت له أننى لا أستطيع تعديل خططى حاليا، وأن أى قوات ستتحرك ستعتبر خارجة عن السيطرة وستواجه بقوة ، فاقتنع وقال إنه ينتظرنى.

اتصلت بقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، وقادة الجيوش وقائد المنطقة المركزية والرؤساء، ومديرى الادارات وطلبت منهم البقاء فى أماكنهم وعدم إطاعة أى أوامر من أى شخص إلا إذا كانت صادرة منى شخصيا.

وكررت لهم أوامرى بعدم إجراء أى تحركات إلا بعد تأكيدها بالاتصال بى تليفونيا.
وطلبت من المجموعة ٣٩ قتال التى يقودها العميد إبراهيم الرفاعى أن تؤمن وزارة الحربية ومبنى القيادة العامة.

وطلبت من القوات التى سبق أن خصصتها للتدخل ضد الحرس الجمهورى أن تكون مستعدة برغم علمى بأن الليثى ناصف قد اختار الوقوف على الحياد، ثم انضم إلى رئيس الجمهورية فى آخر وقت، إلا أن حرصى على عدم ترك أية ثغرات أو أى شىء للصدف دفعنى إلى ذلك. كما طلبت من عدد من مجموعات المخابرات الحربية أن تكون مستعدة لتنفيذ أى أوامر لاعتقال أى شخص يخرج عن التعليمات.



الرئيس السادات والفريق أول فوزي والفريق صادق

ولما كان الفريق أول محمد فوزى ما زال موجودا بمكتبه ويعقد اجتماعا مع مجموعة من القادة ومديرى الإدارات، فقد رأيت أنه من الضرورى إنهاء هذا الموقف وحسمه خاصة وقد تمكنت من السيطرة على موقف القوات المسلحة. فصعدت إلى مكتب الوزير بدون حراسة أو سلاح ، بالرغم من أن المجتمعين يناقشون خطة تحرك عسكرى، ودور كل منهم فى هذا التحرك، بعد أن تأكد فوزى أننى لم أنفذ الأمر الذى أصدره لى.

وأصيب مدير مكتب الوزير بالدهشة وهو يرانى أدخل مكتب الوزير متجاوزا الحراسة الموجودة على بابه. وساد الصمت الجميع، وتجاوزتهم بعد تحية قصيرة لأتوجه بالخطاب للوزير مباشرة، وسألته عن سر وجوده بالمكتب الآن وبعد أن تقدم باستقالته؟

وقبل أن يجيب طلبت منه أن يعود إلى منزله، فهو لم يعد وزيرا وليس من حقه أن يبقى فى هذا المكتب أو يعقد اجتماعا عسكريا.

وسألت الحاضرين: «ألم تسمعوا بنبأ استقالة سيادة الوزير؟
وإذا كنتم سمعتم، فلماذا لبيتم دعوته لعقد اجتماع؟ هل تتآمرون على مصر؟
هل تظنون أنكم قادرون على قلب نظام الحكم؟»

وبحسم ووضوح أمرتهم بمغادرة مبنى الوزارة فورا، وأن يعودوا إلى منازلهم مباشرة.
وفعلا لملم الفريق أول فوزى بعض أوراقه وخرج عائدا إلى منزله. وخرجت من خلفه سيارة مراقبة لتتأكد من عودته لمنزله. أما القادة فقد خرجوا بعد خروج الوزير مباشرة.

وعندما استرجع الموقف الآن، أتساءل لماذا لم يأمر فوزى حراسه ورجاله باعتقالى فى مكتبه خاصة وأننى بدون سلاح أو حراسة؟ لقد كان فى إمكانه أن يفعل ذلك، وأعود وأقول إن الله أراد أن يحفظ مصر ويجنبها أى مكروه.

بعد ذلك اتصلت ثانية بالرئيس السادات وأخبرته أن يطمئن تماما إلى وضع القوات المسلحة، فطلب ثانية أن أذهب لحلف اليمين، فأكدت له أننى لا أستطيع أن أترك مكانى فى الوقت الراهن.

وللتاريخ فإن دور كل من اللواء على عبدالخبير قائد المنطقة المركزية والعميد عمران قائد الفرقة السادسة الميكانيكية وقائد اللواء ٢٥ مدرع مستقل الذى كان يعسكر خلف مدينه نصر مباشرة قد ساعد على استقرار الأوضاع ونجاح خطة تأمين القوات المسلحة وإنقاذ مصر من مغبة صراع السلطة. ولم أذهب للقاء الرئيس السادات إلا حوالى منتصف الليل وبعد أن تأكدت من استقرار الأوضاع أى بعد ما يقرب من خمس ساعات من دعوته لى للحضور لحلف اليمين.

وعندما ذهبت إلى منزل الرئيس وجدت الدكتور محمود فوزى رحمه الله والدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة وقتذاك والأستاذ محمد حسنين هيكل. استقبلنى الرئيس السادات فاتحا ذراعيه محييا مطريا كل ما قمت به.. موضحا أن تدخلى جاء فى الوقت المناسب لإنقاذ مصر وإنقاذه شخصيا وعائلته من كارثة محققة. فأجبته بأننى لم أفعل له شيئا وأن كل ما فعلته كان من أجل مصر أولا ورجوته أن يعفينى من منصب وزير الحربية وأن أبقى رئيسا للأركان لإدارة المعركة قريبا مع العدو ولكنه أصر وأمر بترقيتى إلى رتبة فريق أول.

وطوال الأيام التى تلت ذلك لم يتوقف عن الإشادة بى وبالدور الذى قمت به إلا أننى كنت مقتنعا بأن ما فعلته كان لصالح مصر ولصالح القوات المسلحة ، واستمر رئيس الجمهورية في كل احتفال وكل خطاب يلقيه خاصة في القوات المسلحة أو مجلس الشعب في الإشادة بي وبالدور الذي قمت به لإنقاذ مصر مع تأكيده بأن التاريخ سيشهد بأنى قمت بهذا «العمل النبيل» من تلقاء نفسى دون أن يطلبه أحد منى حسب قوله... وبعد فترة بدأ فى الإشادة بممدوح سالم و الليثى ناصف كشركاء لى فى عملية إنقاذ مصر...[٢]

---

[٢] - على سبيل المثال خطاب الرئيس السادات فى لقاءه بضباط القوات البحرية بأبى قير ٢٢ يونيه ١٩٧١ «وهنا أود أمامكم يأبنائى .. يارجال القوات البحرية أن أقرر أن الوزير محمد صادق بشرف وأمانة وبوطنية وبتقاليد عسكرية سليمة أستطاع أن يجنب القوات المسلحة معركة الصغائر التى حدثت فى الأسابيع الماضية على يد الحفنة المتآمره وأقول لكم لأول مرة ان الفريق أول محمد صادق هو الذى قام بهذا العمل شخصيا من نفسه ولايتصور أحد انى طلبت منه ذلك .. لكنه قام بهذا

ويبقى سؤال هام... لماذا لم أقدم الوثيقة التى أعطاها لى الفريق فوزى بخط يده إلى رئيس الجمهورية، وخاصة بعد أن تم إلقاء القبض على فوزى وزملائه وتقرر تقديمهم للمحاكمه؟

وللحقيقه أننى لم أكن أسعى لإلحاق الأذى بالفريق فوزى، أو أى من أعضاء جماعته فبعضهم كنت ولا زلت مقتنعا بوطنيته وإخلاصه، وأنهم إذا كانوا قد خاضوا صراعا على السلطة مع رئيس الجمهورية لاختلاف وجهات نظرهم.. فذلك ما رأوه.. وأننى إذا كنت قد اتخذت موقفا ضدهم إلا أنه فى واقع الأمر لم يكن إلا لتجنيب القوات المسلحة هذه الصراعات.

فلم أتخذ موقفى لأكون مع رئيس الجمهورية أو ضد هذا الفريق انما اتخذت قرارى بعيدا عن هذا المنهج كنت مع ما هدانى الله إليه لصالح مصر والقوات المسلحة.

وبالتالى احتفظت بالوثيقة معى لإدراكى أنها وثيقة إدانة بالغة الخطورة قد تؤدى إلى الحكم بإعدام البعض منهم وتشديد العقوبة على البعض الآخر. وكنت أكره أن أكون سببا فى أن يقوم السادات بتصفية دموية لأعدائه.

وبالنسبة للفريق فوزى فإننى لم أسمح أن يوضع فى السجن كباقى رفاقه، فلقد أمضى مدة سجنه فى ميس أطباء مستشفى الحلمية العسكرى، وكانت لديه جميع وسائل الراحة، وكانت عائلته تزوره يوميا، وعندما أرسل لى الفريق فوزى الفريق طبيب رفاعى كامل يطلب منى زيارته، ذهبت إليه فى نفس اليوم، وكان طلب فوزى الوحيد أن ينقل إلى مستشفى المعادى، وفعلا تم ذلك فى اليوم التالى وبسيارتى الخاصة وبقى فى مستشفى المعادى.

وبعد إقالتى أرسل فوزى ألتماسا وأستعطافا إلى الرئيس السادات يقول فيه إننى السبب فى سوء التفاهم الذى حدث بينهما فأفرج عنه السادات وأفاض عليه من خيراته...

وقد تسببت معاملتى للفريق فوزى فى إغضاب أنورالسادات واتهامى بأننى أجامل أعدائه إلا أننى كنت أقول دائما إن قائد عام القوات المسلحة لايوضع فى السجن أبدا، فمن يصل إلى هذا المنصب يصبح رمزا للقوات المسلحة حتى ولو أخطأ فيجب ألا يكون

= العمل النبيل بدافع وطنى وكان هو الذى أخذ المبادرة فى ذلك عندما اتصل بى يوم ١٣ مايو وقال لى تمام يافندم القوات المسلحه كلها سليمة وبعيدة من كل هذه الصغائر . هذا الموقف سوف يسجله التاريخ للقوات المسلحه...»

جزاؤه ماساً بكرامته وكبريائه بالإضافة لدوره الكبير فى إعادة بناء القوات المسلحة بعد هزيمة يونيو ٦٧ ولقد طلب منى أنورالسادات بعد أحداث ١٥ مايو أن أستغنى عن خدمات أصدقاء و مجموعة الفريق فوزى وكنت أعرفهم فردا فردا ومع ذلك رفضت ولم يخرج ضابط واحد من القوات المسلحة.

حمدا لله وشكرا لله ..

فقد حققت جميع أهدافى كما خططت لها، فلم تحدث تصفية دموية لأنصار فوزى. وأزحت الخطر عن الوطن والجيش دون أن أدفع الامور إلى صراع دموى لا يعلم مداه إلا الله..

وأعددنا الجيش للمعركة إعدادا سليما كانت نتيجته والحمد لله الاقتحام العظيم الذى حققته القوات المسلحة يوم ٦ أكتوبر على مشهد من العالم كله.

إن ما حدث فى مايو ١٩٧١ لم يكن ثورة، ولم يكن هناك رجال وقفوا أو قاوموا، بل إن بعض الذين وقفوا مع رئيس الجمهورية فى آخر المطاف هم أنفسهم الذين كانوا فى جانب أعدائه فى البداية.

إن ما حدث فى مايو ١٩٧١ يجب أن يكون درساً للزعماء والقادة الذين تلتف من حولهم مجموعة من المتسلقين والمنتفعين والمتظاهرين بالولاء، فهؤلاء باستعدادهم الأخلاقى هم الحقل الخصب دائما لكل خيانة وانحراف وهم أول الفارين عندما تدق الساعة أو يحيق الخطر.

وبانتهاء عاصفة مايو ١٩٧١ وضحت صورة ما جرى خلال أزمة الصراع على السلطة ، وأصبح السادات مقتنعا بأن السوفييت غدروا به وتآمروا مع مجموعة على صبرى للتخلص منه.

ولكن خلال زيارة بودجورنى ، أجاد إخفاء مشاعره وبالغ في الترحيب بالوفد الروسى و وقع معاهدة الصداقة التى أحضرها معه بودجورنى بالرغم من كل المحاذير المتعلقة بها. كان السوفييت يريدون وثيقة تحمى مصالحهم في مصر ، وكان السادات يريدها طريقا يتيح لمصر الحصول على الأسلحة التى تحتاجها لخوض المعركة التي نتطلع لها مع العدو الإسرائيلى.

❁ ❁ ❁

الباب الرابع

الدائرة المحيطة

الصدام الأردنى الفلسطينى
وتهريب أبوعمار إلى القاهرة

نتيجة بعض تجاوزات لرجال المقاومة الفلسطينية بالأردن وتجاهلهم لسلطات الدولة وقوانينها، وتصرفهم على أساس أنهم دولة داخل الدولة ، ونتيجة لتطورات الأوضاع الإقليمية بالمنطقة وتفاقم الموقف الداخلى بالأردن ، قرر الملك حسين حسم الموقف مع المقاومة الفلسطينية بالقوة المسلحة.

واعتبارا من يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ ، بدأ الجيش الأردنى قصف معسكرات وأماكن تجمعات المقاومة الفلسطينية بنيران كثيفة ومتصلة. وأدرك قادة المقاومة أن الملك حسين يخوض هذه المعركة لتصفية وجود المقاومة الفلسطينية بالأردن، وأنه قد حسم أمره فعلا، ومستعد للمضى إلى النهاية.

وقررت كل المنظمات الفلسطينية خوض المعركة، ولم يكن أمام المقاومة فرصة للانتصار على الجيش الأردنى الحسن التدريب والموالى للملك حسين. وكان الملك من الدهاء بحيث أفسح الطريق أمام المقاومة لترتكب الكثير من الحماقات وبما يثير غضب الشارع الأردنى، وتصاعد هذا الغضب الذى لم تبال به القيادات الفلسطينية فى الوقت المناسب ، بل ولم تعره أى اهتمام استنادا إلى وجودها القوى ورسوخ أقدامها بالضفة الغربية للأردن التى تضم نسبة كبيرة من السكان الفلسطينيين ، و كذلك إلى تعاطف الرأى العام العربى معها باعتبارها أول تجسيد للمقاومة العربية بعد نكسة يونيه ١٩٦٧ . وظل الغضب يتصاعد ضد المقاومة الفلسطينية ورجالها.

وعندما قرر الملك حسين حسم الأمر بالقوة مع المقاومة الفلسطينية ، كان على بينة من حقيقة موقف الرأى العام الأردنى ، كما انه استند فى تحركه إلى دعم القبائل الموجودة بالأردن وهى الأكثر ولاء للملك. واستمرت العمليات العسكرية الأردنية ، وكان من

بين هذه العمليات ، الهجوم على قاعدة تدريب مصرية يقودها ويشرف عليها النقيب رأفت جمعه ومعه اثنين من المعلمين المصريين وأسفر الهجوم عن استشهاد أحدهما.

وكنت قبل أن يبدأ الهجوم الأردنى على المقاومة الفلسطينية قد قررت دخول مستشفى القوات المسلحة فى ضاحية المعادى بالقاهرة لإجراء جراحة ولم أخبر أحدا بدخولى المستشفى ، كان فى ذلك الوقت الرئيس جمال عبدالناصر موجودا فى مرسى مطروح لراحه إجبارية فرضها عليه الأطباء ، ولن يزعجنى أحد ، وعلي أن أجرى الجراحة وأمضى بضعة أيام فى المستشفى ثم أعود لعملى كرئيس لهيئة أركان القوات المسلحة المصرية. وبعد دخولي المستشفى بساعة واحده دق جرس التليفون وقيل لى أن الرئيس عبدالناصر على التليفون.

لازلت أذكر صوته يرن فى أذنى : «أهلا يا صادق .. انت فين .. إحنا عاوزينك لمهمة عاجلة ستسافر الآن فورا إلى الأردن فى مهمة لوقف القتال الدائر هناك ، المقاومة فى مأزق وانت أعرف الناس بهم ، انت فين دلوقت ؟؟»

ولم أشأ أن أقول للرئيس إنني في المستشفى ، وعاد عبدالناصر يكمل حديثه قبل أن أرد : «إلى جوارى الآن الرئيس القذافى هو أيضا سيكلمك».

ويقول القذافى « يا أخ صادق سفرك الآن ضرورة لإنقاذ الثورة الفلسطينية «. ويعود الرئيس عبدالناصر ليتابع تعليماته :» جهز نفسك للسفر فورا إلى عمان «.

وأجيب أنا :» لكن يا سيادة الرئيس .. عمان تحترق ، القتال فى الشوارع ، مطار عمان مغلق»

ويرد الرئيس :«يا صادق تصرف ، وأنا واثق فى حسن تصرفك ، كل ما نطلبه من الملك حسين هو وقف نزيف الدم .. وتحقيق المصالحة وإنقاذ عرفات من هذا المأزق الخطير».

وغادرت المستشفى من دون أن أجرى الجراحة .. رغم تجهيز حجرة العمليات فعليا. ومن مستشفى المعادى إلى مطار «ألماظة» مباشرة حيث أصدرت تعليماتى بتجهيز طائرة حربية للإقلاع فورا على أن تملأ خزانات الوقود إلى نهايتها .. ولم أشأ أن أطلعهم على وجهة سفرى ، فقط اكتفيت بالقول إننا متجهون إلى بيروت ، وعند وصولنا أجواء العاصمة اللبنانية قلت لقائد الطائرة : «الآن إلى مطار المفرق فى الأردن» ، وبلا إجراء أى اتصالات لاسلكية كنا فوق مطار المفرق وهبطت الطائرة.

وهناك توجهت لقائد المطار العسكرى وكشفت له عن شخصيتى ، أنا الفريق محمد صادق رئيس أركان القوات المسلحة المصرية ، أريد لقاء عاجل مع جلالة الملك حسين .. معى رسالة مهمة من الرئيس عبدالناصر. اتصالات عديدة تمت مع القصر الملكى .. أخيرا الملك حسين على التليفون ليقول لى: «إن الطريق غير مأمون لوصولك».

قلت : أعلم ذلك .. أرجو إرسال طائرة هليكوبتر للوصول إليك. وبالفعل جاءت طائرة الملك حسين إلى مطار المفرق ، وركبنا الطائرة التى هبطت بنا في فناء القصر الملكى بالحمر.

الملك حسين فى ردائه العسكرى .. مظاهر الإرهاق بادية على وجهه .. استقبلني مرحبا ومتسائلا : «ها أنت ترى أفعالهم ، لابد من القضاء على الفتنه وإنقاذ الأردن».

جلست طويلا مع الملك وبعد أن أطلعنى على كل دقائق الموقف العسكرى قلت: أريد أن أقابل ياسر عرفات .. وأين هو عرفات؟ قال لى الملك :

« لن تجده .. نحن نبحث عنه ولا نجده »

وبعد مناقشات دامت حوالى ثلاث ساعات غادرت القصر الملكى بسيارة مصفحة نقلتنى إلى مقر السفارة المصرية فى جبل عمان حيث يواجهها فندق الأردن أكبر فنادق عمان العاصمة ، وهناك لم أجد أحدا فى السفارة إلا ضابط اتصال مصريا شجاعا ، لم يكن معنا فى السفارة سوى جهاز اللاسلكى، وجهاز راديو ، والقصف يحيط بنا من كل النواحى، ظللت ثلاثة أيام داخل السفارة ، ومن الطابق العلوى كنت أراقب مسرح العمليات وأجريت من خلال ضابط الاتصال المصرى اتصالات مباشرة مع عدد من قادة المقاومة وبدأت عملية إبلاغ الرسائل إلى أبوعمار عن طريق أبراهيم الدخاخنى ضابط الاتصال حول شروط وقف إطلاق النار.

الملك حسين يبلغ عبدالناصر فى القاهرة بالشروط التى يراها ملائمة لوقف إطلاق النار ويتصل عبدالناصر بى لأبلغها بدورى لضابط الاتصال الذى يقوم بإبلاغها لياسر عرفات. وكان عليه أن يخترق خطوط القتال سيرا على الأقدام من الجانب الأردنى إلى الجانب الفلسطينى. وقد رأى ياسر عرفات أن الشروط الأردنية قاسية، ولا يستطيع قبولها، وطلب فى رسالة إلى عبدالناصر الحصول على شروط أفضل من تلك الشروط.

وعدت إلى القاهرة وقابلت على الفور الرئيس عبدالناصر وقدمت له تقريرى النهائى، وقتها كان عبدالناصر قد دعا الملوك والرؤساء العرب لاجتماع قمة طارئ يعقد

فى القاهرة، وخلال المؤتمر اقترح عبدالناصر تشكيل وفد يمثل القمة العربيه برئاسة الرئيس السودانى جعفر النميرى وعضوية الباهى الادغم رئيس وزراء تونس آنذاك ، والشيخ سعد العبدالله السالم وزير الدفاع الكويتى آنذاك بالإضافة إلى شخصى كرئيس لأركان القوات المصرية المسلحة.

وأتفق على أن يكون هذا الوفد ممثلا لكل المجتمعين فى القاهرة وله سلطة التصرف بأسمهم فى الموقف على أساس الاتصالات بالملك حسين وبالسيد ياسر عرفات.

كانت قمة القاهرة قد عقدت فى محاولة جادة من مصر لإيجاد مخرج للأزمة المتدهورة فى الأردن حيث يرتفع عدد الضحايا كل دقيقة بطريقة مخيفة. وعقد وفد القمة اجتماعا فى فندق هيلتون ، تم خلاله الاتفاق على خطة عمل الوفد المسافر إلى عمان ، وبعد ذلك اتجهت للقاء منفرد مع الرئيس عبدالناصر الذى بادرنى قائلا :

«أهم شئ عندى الآن هو أن تحضر لى ياسر عرفات حيا إلى القاهرة ، فعرفات يمثل الرمز الفلسطينى ولابد من إنقاذ هذا الرمز ، عليك أن تتصرف فى نطاق من السرية الكاملة ، ولك كل الصلاحيات ، بقية المهام يقوم بها وفد القمة مجتمعا ، وضع خططك ونفذ التعليمات فنحن فى سباق مع الزمن ».

غادرنا جميعا مطار القاهرة إلى مطار عمان حيث فوجئ الجميع بوصول وفد الملوك والرؤساء العرب ، واتجهنا فورا إلى لقاء الملك حسين الذى كان يحيط به كبار ضباطه وبدأ العاهل الأردنى شرحا مطولا للموقف. و عقب انتهاء المباحثات وجه الرئيس نميرى بيانا أذيع عبر أذاعة عمان موجها لجماهير الشعب الأردنى قال فيه :

« إننا جئنا إليكم باسم مؤتمر القادة العرب الذى ينعقد اليوم فى القاهرة ، فور أن حلت النكبة فى بلدكم العزيز هذا ، وما وقع فيه من أحداث دامية مؤسفة عصرت الدماء فى قلب الأمة العربية لقد كانت الشعوب العربية ، تتابع كفاحكم ضد العدو المشترك لحظة بلحظة طوال السنوات الماضية .. ولكنها روعت فجأة بوقوع الكارثة بالأردن المتفتح، وقد كانت تتوقع حدوث أى شئ ما عدا هذا لثقتها بأن الذى يقف فى أرض المعركة هو أكثر الناس إدراكا وتمسكا بمعنى الاتحاد والتعاون والتلاحم تحت كل الظروف ، إن الشعوب العربية لم تكن تتصور أن تتفاقم الأحداث وتصل إلى ما وصلت إليه بين الأخوة الأشقاء فى الدار والدم واللقمة والهدف والمصير ، بل كانت تؤمن أن القوى الصامدة فى الأردن هى أكبر من كيد العدو ومكره وأساليبه الخبيثة المدمرة ، لقد

اجتمعت وأعضاء الوفد العربى مع جلالة الملك حسين ولمست مع إخوانى جراحات قلبه وأسى فؤاده .. ولكننا لمسنا إلى جانب ذلك إيمانه بالعمل الفدائى ، وحرصه عليه ، وإيمانه بوحدة شعبه وقدسيتها وحرصه عليه ، وقد لمسنا من جلالته الاستجابة الصادقة والفورية لنداء أمته وصوت ضميرها وهو الذى كافح وعمل فى سبيل أمته طوال حياته، ولئن تعذر علينا الاجتماع بالأخ ياسر عرفات ، فقد اجتمعنا بالأخوة صلاح خلف ، وفاروق قدومى ، وإبراهيم بكر ، وبهجت أبوغربية ، والعقيد سمير الخطيب ، ووجدنا عندهم الاستجابة الفورية والصادقة لنداء أمتهم وصوت ضميرها وهم العاملون المكافحون فى سبيل قضيتها المقدسة».

وأخيرا نجحت الجهود العربية ، وتم الاتفاق على عودة قوات الجيش الأردنى إلى ثكناتها وقواعدها العادية ، وجلاء الفدائيين من عمان والمدن والقرى ، ونقل قواعدهم إلى خطوط وقف إطلاق النار والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تضم وقتئذ منظمات المقاومة العشر برئاسة السيد ياسر عرفات ، وتطبيق نظم الدولة وقوانينها على الفدائيين وعلى كل من يعيش على أرضها .

عدنا إلى القاهرة وقد وصلت الجهود إلى نتيجة يمكن لها على الأقل أن توقف النزيف والخراب ، وأن تعطى للقادة العرب فرصة للتفكير والتدبر ، فهناك اتفاق تم التوصل إليه لوضع حد للحرب الأهلية فى الأردن ، وهذا الاتفاق يحظى بموافقة كل الأطراف - أردنيا وفلسطينيا وعربيا - وكان هذا بالتحديد يوم ٢٣ سبتمبر (أيلول) سنه ١٩٧٠، وفى هذا اليوم غادر الرئيس اللبنانى شارل حلو القاهرة إلى بيروت بعد أن شارك فى جانب من اجتماعات القادة العرب وفى الوقت نفسه كان الرئيس اللبنانى الجديد سليمان فرنجيه قد تسلم سلطاته الدستورية اعتبارا من يوم ٢٣ أيلول ثم غادر بيروت إلى القاهرة صباح ٢٤أيلول ليشارك فى اجتماعات القمة العربية ، وفى اليوم التالى ٢٤ ايلول ١٩٧٠ حدثت المفاجأة ، فاتفاق وقف إطلاق النار لم يصمد طويلا ، القتال استؤنف بطريقة أشد و أعنف.

عاد القادة العرب المجتمعون فى القاهرة لليوم الثالث على التوالى إلى مشاوراتهم ووصلوا إلى نتيجة محددة ، أن الأمور وصلت بما تتجه إليه الأحداث فى الأردن إلى حد يتعين معه حسم الموقف بصفة قاطعة ونهائية.

الملك حسين ملك الأردن يستقبل الفريق صادق أثناء أزمة الأردن (أيلول الأسود) فى سبتمبر ١٩٧٠

واتفق القادة العرب على أن يعود الرئيس جعفر نميرى إلى عمان مرة أخرى وأخيرة على رأس وفد يضم الباهي الأدغم والسيد حسين الشافعى والشيخ سعد العبدالله السالم والدكتور رشاد فرعون مستشار الملك فيصل والسيد فاروق أبوعيسى وزير خارجية السودان آنذاك والفريق محمد أحمد صادق ، وكانت مهمة الوفد المعلنة هى تقصي الحقائق والعمل بكل الوسائل من أجل وقف إطلاق النار على أن يعود الملوك والرؤساء العرب للاجتماع مرة أخرى فى اليوم التالى (٢٥ سبتمبر) للنظر فى النتائج النهائية لمهمة الوفد.

كانت هذه هى مهمة الوفد الرسمية والمعلنة أما المهمة الأخرى السرية التى لم يكن يعرفها أحد غيرى فهى صدور تعليمات مباشرة لى من الرئيس عبدالناصر بإحضار ياسر عرفات إلى القاهرة بأى طريقة وبأى أسلوب كان.

وصلنا إلى عمان وعقدنا اجتماعا مطولا مع الملك حسين ، تركت الاجتماع وذهبت إلى شرفة القصر الملكى استطلع ميدان المعارك ، كان القصف مركزا وشديدا على مناطق معينة علمت أنهم يعتقدون أن أبوعمار كان موجودا فيها ، وأثناء المقابلة الطويلة قطعت الإذاعة الأردنية إذاعتها التى كانت تقتصر على الأناشيد العسكرية ، لتعلن أن الرئيس

نميرى سيذيع بيانا بعد وقت قصير ، وفى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق مساء ٢٤ سبتمبر (أيلول) أذاع راديو عمان نداء بصوت الرئيس نميرى كان نصه : «الأخ المناضل ياسر عرفات ، باسمى شخصيا ونيابة عن الوفد الذى وصل إلى عمان هذه الليلة نرجو منكم أن تقترحوا علينا كيف يمكن الاتصال بكم ومكان وموعد الاجتماع وبأى وسيلة متاحة ، وبما أن الأمر هام وعاجل فأرجو تحقيق ذلك حالا .. نكرر حالا وشكرا ..».

وظل راديو عمان يكرر النداء بعد ذلك عدة مرات ، وبعد حوالى الساعة .. وفى الساعة الثانية عشرة و ٤٥ دقيقة رد أبوعمار على النداء ببيان أُذيع من راديو اللجنة المركزية فى دمشق قال فيه :

« سيادة الأخ الرئيس اللواء أركان حرب جعفر محمد نميرى .. سمعت نداءكم الموجه إلينا من إذاعة عمان من أجل لقاء عاجل وفورى يجمعنا .. وتلبية لندائك أقول : ليكن الاجتماع الليلة وفى حدود الساعة الواحدة ، ونقترح أن تصلوا سيادتكم عبر الطريق الموصل من فندق الكرمان إلى مدرسة عالية إلى مقر سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى جبل اللويبده ويصلكم مندوب من طرفنا ليرافقكم إلى مقر الاجتماع. لقد عممنا على قوات الثورة فى جبل اللويبدة لتأمين وصولكم وعدم التعرض لسيادتكم وسيكون أكثر أمنا لمسيرتكم لو شددتم على الطرف الآخر بالتقيد بوقف إطلاق النار فى جبل اللويبدة هذه الليلة والى أن نلتقى بكم لكم التحية من إخوانكم المناضلين».

ومن القصر الملكى فى عمان ذهبنا إلى لقاء ياسرعرفات وكان دليلى هو ذلك الضابط المصرى الشجاع إبراهيم الدخاخني ، وتحت ستار من القصف المدفعى الشديد توجهت ثلاث سيارات مصفحة إلى مكان الاجتماع بعرفات ، توقفت السيارات الثلاث عند مكتب الوزير المفوض المصرى فى جبل اللويبدة ، منطقة يسيطر عليها الجيش الأردنى، وعلى بعد كيلو متر واحد يقف الفدائيون متحصنين فى مواقعهم على قمم جبال عمان وفوق أنقاض المنازل التى تهدمت و وصل مندوب من ياسر عرفات ، وبعد مداولة قصيرة تقرر أن ينتقل الرئيس السودانى ومعه أعضاء الوفد إلى المقر السرى لعرفات ، ويتم اللقاء ، ويتفق على أن ينتقل الجميع إلى مقر السفارة المصرية فى جبل عمان ، وكان لابد من تغيير زى ابوعمار حتى لا يتعرف عليه أحد ، وبالفعل نجحنا وركبنا السيارات ومعنا عرفات ودخلنا السفارة المصرية من دون أن يحس أحد أن معنا ياسر عرفات ، وبدأنا المفاوضات مع الملك حسين.

وفى الساعة الثانية إلا الثلث بعد ظهر يوم ٢٥ سبتمبر أذاع راديو عمان أن وفد الملوك والرؤساء قد اجتمع مع كل من الملك حسين وياسر عرفات ، وقال أنه نتيجة للجهود المباركة التى بذلها الوفد برئاسة اللواء جعفر نميرى فقد تم بحمد الله الاتفاق الشامل على وقف إطلاق النار ، وأضاف أن ياسر عرفات سلم إلى اللواء نميرى «نداء خطيا» موقعا منه بوقف القتال ، بعد ذلك بدأ وفد الرؤساء بحث الخطوات التنفيذية للاتفاق ، ولكنها تعثرت بالتطورات التى حدثت عند العصر ، فالقتال استؤنف مرة أخرى وتجدد القصف وشمل كل مناطق عمان.

ولكى أتمكن من إخراج ياسرعرفات من عمان من دون علم أى فرد فى الأردن طلبت منه أن يصعد إلى الطابق الثالث من السفارة ويظل هناك إلى أن أحضر إليه ، فى الوقت نفسه طلبت من ضابط الاتصال المصرى أن يقوم أبوعمار بتسجيل بيان يذاع بصوته فى وقت حددته له من إذاعة المقاومة يهاجم فيه الأردن ويعلن استمرار القتال حتى يتم الاتفاق الكامل على وقف إطلاق النار ، وقتها اعترض ابوعمار قائلا : كيف ذلك ؟ قلت له : أرجوك لا وقت لدينا نفذ ما طلبته منك وأنا ضامن للنتيجة النهائية وهى حقن الدماء ، وسأتجه أنا الآن مع وفد القمة العربية للقاء أخير مع جلالة الملك حسين.

وبالفعل ذهبت مع الرئيس نميرى ودخلنا مع الملك حسين فى مفاوضات حول تثبيت وقف إطلاق النار ، وبعد مضى نصف ساعة ، دخل علينا أحد ياوران الملك حسين ومعه جهاز تسجيل أداره للملك فسمعنا بيانا بصوت ياسر عرفات يهاجم فيه الأوضاع بشدة ويعلن استمرار القتال حتى يتم التوصل إلى إيقاف حقيقى للمعارك ، وثار الذين من حول الملك وبدا الوضع فى غاية الصعوبة فقلت لهم بالقطع هذا ليس صوت عرفات ، ولم يستمع أحد لتبريراتى ، وانتهى الاجتماع بقرارنا العودة فورا إلى القاهرة.

وعدنا إلى السفارة المصرية وقد اشتدت المعركة ، وقد لاحظت من خلال متابعتى أن القصف تركز هذه المرة على المنطقة التى التقينا فيها بياسر عرفات فى جبل اللويبدة ، وقبل أن نغادر السفارة المصرية طلبت أن اصطحب معى فى الطائرة عددا من المصريين الذين حاصرتهم الأحداث ، وبالفعل وصل إلى مقر السفارة عدد من السيدات طلبت منهن أن يجهزن أنفسهن لركوب السيارات التى ستتجه إلى المطار ، وصعدت إلى الطابق العلوى من السفارة وطلبت من أبوعمار أن يحلق ذقنه وهنا فقط أخبرته أنه سيصحبنا إلى القاهرة ، فعارض عرفات ذلك بشدة ، فقلت له إن هذا هو قرار الرئيس عبدالناصر،

وإن وجودك الآن حيا خارج عمان أفضل للمحافظة على الثورة الفلسطينية، والرئيس عبدالناصر لديه من الخطط ما يضمن إنهاء الاقتتال الدائر خلال يومين أو ثلاثة ، عارض عرفات طويلا ولكنه فى النهاية وافق، ثم استعرت عباءة الوزير الكويتى وألبستها لعرفات ونزلت به إلى الطابق الأرضى للسفارة وطلبت من إحدى المواطنات المصريات أن تركب السيارة ومعها عرفات وابنتها ، وبدأنا جميعا نتحرك إلى السيارات من دون أن يشعر به أي فرد من رجال المخابرات الأردنية.

و وصلنا إلى مطار عمان فطلبت من سائق سيارة عرفات أن يتجه مباشرة إلى الطائرة ونزل عرفات ومعه السيدة المصرية التى لم تكن تعرفه، وصعد إلى الطائرة وجلس فى مقعده من دون أن يحس به أحد بينما كنت أنا منهمكا فى حديث ضاحك مع أحد ضباط الجيش الأردنى الكبار كما صافحت حرس الطائرة لأشغلهم عن متابعة الصعود إلى داخلها.

وانطلقت الطائرة إلى القاهرة ونزل منها الرئيس نميرى وبقية أعضاء الوفد واستقبلنا فى المطار من دون أن يشعر أى فرد فى مصر ، ومن المطار إلى مكتبى فى رئاسة الأركان ومعى عرفات ، وفجأة دق جرس التليفون ، كان المتحدث سامى شرف : «حمدا لله بالسلامة ، نقدر جهودكم ، الرئيس عبدالناصر يسأل عنك وما هى أخبارك» ،

قلت : «كله تمام» ،

سأل سامى شرف : «ماذا تعنى ، ماذا أقول للرئيس ؟».

قلت : «كله تمام».

قال : ماذا تعنى ؟

قلت : «لاشئ ، فقط أرجو إبلاغه : المهمة نفذت».

قال : «أى مهمة ؟»

قلت : «أرجوك أبلغ الرسالة للسيد الرئيس».

وبعد دقائق كان عبدالناصر شخصيا على التليفون «يا صادق حمدا لله بالسلامة ، ماذا فعلت ؟»

قلت : «المهمة نفذت يافندم ، كله تمام ، عرفات موجود معى».

قال الرئيس : «موجود فين ؟»

قلت : «عرفات معى الآن».



الرئيس عبد الناصر ونائبه الرئيس السادات والفريق صادق وياسر عرفات
أثناء إجتماع القمة الأخير في سبتمبر ٧٠ بعد إخراجه من الأردن أثناء أحداث أيلول الأسود.

قال الرئيس : «معك الآن فى القاهرة ؟ كيف حصل ذلك ؟ كيف خرجت به من عمان من دون أن يعلم أحد ؟ وكيف دخلت به القاهرة من دون أن يراك أحد ؟»

قلت : «يا فندم أبوعمار إلى جوارى الآن يرتدى بذلة الياور المرافق لى».

قال الرئيس : «إذن أحضر أنت وهو فوراً .. ؟ نعم الآن وفورا..»

وبعد دقائق كنا ياسر عرفات وأنا في منزل الرئيس عبدالناصر بالأحضان وبالعناق قابله عبدالناصر والدموع تملأ عينيه .. «الحمد لله» ... قالها الرئيس عدة مرات.

قلت للرئيس عبدالناصر : «ما العمل الآن يا سيادة الرئيس ؟»

قال : «ماذا تقترح ؟»

قلت : «يظل عرفات معنا بصفة سرية لبضعة أيام ثم يطير إلى دمشق ومن هناك يبدأ العمل».

هنا قال عبدالناصر : «بل عرفات سيظهر للناس غداً وبصفة رسمية..».

قلت : «هذا سيؤزم الموقف».

قال الرئيس : «يا صادق اذهب الآن لتنام لقد نفذت مهمتك بنجاح.. واترك لى المهمة الآن».

وبالفعل تركت عبدالناصر ومعه أبوعمار وعدتُ إلى مكتبى. وبعد ساعتين دق التليفون وصوت عبدالناصر : «يا صادق افتح الراديو أخبار الساعة الواحدة والنصف مساء ستعلن وصول ياسر عرفات إلى مصر».

قاطعته قائلا : «يا ريس أخشى من تأزم الموقف».

وهنا قال عبدالناصر «ظهر غد يكون الملك حسين فى القاهرة وستتحقق المصالحة».

فى اليوم التالى كان الملك حسين يتصل بالرئيس عبدالناصر ويبلغه أنه فى طريقه إلى القاهرة لحضور القمة، وفى مساء يوم ٢٧ سبتمبر أعلن من القاهرة التوصل إلى اتفاق شامل بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية، وبدأ الملوك والرؤساء العرب يغادرون القاهرة إلى عواصم بلادهم وكنتُ مع عبدالناصر بالمطار وكانت السعادة تغمره. و كانت آخر كلماته لى :

«يا صادق اذهب الآن لتستريح . وبعد ذلك فلتدخل المستشفى لتجرى الجراحة. لماذا لم تقل لى وقتها انك كنت فى المستشفى عندما طلبت منك السفر فوراً إلى عمان ؟»

قلت له يا سيادة الرئيس لم أفعل سوى الواجب، فلتعد سيادتكم الآن للمنزل وتستريح.

قال لى: « بالفعل أنا تعبان وسأنام ملء جفونى. الحمد لله . تحققت المعجزة . سأذهب لأنام ولا أريد أي إزعاج من أي واحد منكم. أنت أيضا اذهب لتنام مفهوم وبعدها سنلتقى...».

وودعت الرئيس بعد أن أديت له التحية العسكرية وذهبتُ إلى مكتبى..

وبعد ساعات دق جرس التليفون : عليك بالتوجه فوراً إلى منزل الرئيس عبدالناصر.

وقتها قلت لنفسي «سبحان الله ، الراجل ده مش حايريح نفسه أبدا ..»

ولم يخطر على بالى أي شئ سوى أنها مهمة جديدة سيكلفنى بها الرئيس عبدالناصر.

وفى بيته فى منشية البكرى كانت الفاجعة ...

عبـدالناصر فى رحـــاب اللـه ...



الفصل التاسع

الإنقلاب العسكرى الشيوعى بالسودان

قطع راديو أم درمان إرساله العادي فجأة فى السادسة والنصف من مساء ١٩ يوليو ١٩٧١، ليذيع موسيقى عسكرية بشكل متواصل لمدة ٤٠ دقيقة دون تدخل من المذيعين، وفجأة قطع المذيع الموسيقى ليعلن أن الرائد هاشم العطا سيذيع بيانا هاما ويطلب منهم أن يترقبوه.

وعاد راديو أم درمان لإذاعة الموسيقى العسكرية وإعادة ما قاله المذيع ونصه كالتالي: أيها المواطنون... سنذيع عليكم بعد قليل بيانا هاما من الرائد هاشم العطا، فترقبوه.

وتسابقت وكالات الأنباء لكشف الستار عما جرى فى السودان. واعتبارا من الساعة العاشرة والثلث مساء تأكدت الشائعات التى انتشرت فى العالم الخارجى عن وقوع انقلاب ضد نظام الرئيس جعفر نميرى فى السودان.

وقالت أول الأنباء إن المدرعات تحيط بالقصر الجمهوري في الخرطوم، وتحاصر محطة الإذاعة الرئيسية في أم درمان ، وإن حركة الطيران قد توقفت فى جميع مطارات السودان، كما تم قطع الاتصالات اللاسلكية ابتداء من الساعة الرابعة بعد الظهر بين الخرطوم ومدن السودان الأخرى، ثم بينها وبين العالم.

وفى العاشرة والربع مساء أذاع الرائد هاشم العطا فى بيانه الأول تفاصيل ما حدث فى الخرطوم، وأشار إلى أن الحركة التى قادها تهدف إلى تصحيح مسار ثورة ٢٥ مايو بما يحقق آمال جماهير أكتوبر التى خاضت صراعا عاتيا ضد تسلط الحكم الرجعى القائم فى ذلك الوقت، مستندا إلى التحالف مع الرأسمالية.

وكان يشير بذلك إلى الثورة التى حققها تحالف قوى الشعب السوداني فى أكتوبر عام ١٩٦٤، لإسقاط الحكم العسكري للفريق إبراهيم عبود الذى استمر ٧ سنوات متصلة، وهاجم العطا فى بيانه حكم الرئيس جعفر نميرى واتهمه بالعجز عن تحقيق أهداف حركة أكتوبر.

وبمجرد أن تحرك الإنقلابيون، بدأ العقيد فاروق بشير الملحق الحربي المصري بالخرطوم فى إرسال تقاريره إلى شخصيا ولمدير المخابرات الحربية، وبوصول التقرير الأول اتصلت بالرئيس السادات وأبلغته بما يحدث فى الخرطوم، فطلب منى أن أجمع المزيد من المعلومات وأن أحيطه علما عندما تكتمل الصورة.

وعندما أبلغت السادات أن الشيوعيين هم منفذو الإنقلاب وأن الحزب الشيوعي السوداني الذي يعد واحدا من أقوى الأحزاب الشيوعية بالعالم العربي، يحاول السيطرة على الشارع السوداني، لم يخف السادات إحساسه بالقلق، وكشفت تقارير الملحق المصرى عن المعلومات التالية :-

١ - بدأ الإنقلاب فى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين ١٩ يوليو ١٩٧١، عندما تحركت قوة مدرعة من معسكرها بمنطقة الشجرة على مسافة ٢٠ كيلومترا من العاصمة ، وفور دخولها الخرطوم انضم إليها قوات الحرس الجمهوري. وخلال ٤٥ دقيقة، استولت قوة الانقلاب على المرافق العامة، وحاصرت المنزل الذي يقيم به الرئيس جعفر نميرى بالقرب من رئاسة القوات المسلحة، وهو لا يبعد كثيرا عن القصر الجمهوري. وكان نميرى وقتذاك مجتمعا مع عدد من أعضاء مجلس ثورة ٢٥ مايو الذين دعاهم لتناول طعام الغذاء والاستماع لتقرير من الرائد زين العابدين عبد القادر عن نتائج اجتماعات مرسى مطروح. وحضر هذا الاجتماع الوزير معاوية ابراهيم. وفى نفس الوقت توجهت قوات أخرى لتحديد إقامة الوزراء الآخرين بمنازلهم ، واعتقال عدد أخر من المسئولين.

٢ - يرأس مجلس الثورة المقدم بابكر النور الموجود بالعاصمة البريطانية لندن، أما الرائد هاشم العطا الذى قاد الإنقلاب وأذاع بيان الثورة الأول فقد شغل منصب نائب رئيس المجلس.

وباقي أعضاء المجلس المكون من ٧ أعضاء هم :-

١. الرائد فاروق عثمان حمد الله ، وكان موجودا بالعاصمة البريطانية مع بابكر النور.
٢. المقدم محمد أحمد المريح الشيخ، قائد إحدى وحدات الدفاع الجوى.
٣. الرائد محمد أحمد الزينى ، قائد إحدى وحدات المدرعات.
٤. الرائد محمد محجوب عثمان ، شقيق عبد الخالق محجوب رئيس الحزب الشيوعي السودانى، وكان موجودا بتشيكوسلوفاكيا للعلاج.
٥. النقيب معاوية عبدالحى ، من قوات الحرس الجمهوري.

وكان الرائد هاشم العطا «٣٥ سنه» من مؤسسي تنظيم الضباط الأحرار الذين نفذوا انقلاب ٢٥ مايو بقيادة جعفر نميرى، وعندما تحقق الإنقلاب أرسلوا لاستدعائه من ألمانيا الغربية حيث كان يعمل مساعدا للملحق الحربي السوداني.

ويوم ٢٦ مايو صدر قرار بتعيينه عضوا بالمجلس مع المقدم بابكر النور «٣٨ سنه» والرائد فاروق عثمان حمدالله «٣٧ سنه» وكان الشيوعيون قد شاركوا فى التخطيط والتدبير لانقلاب ٢٥ مايو، وذلك قبل أن ينقلب عليهم جعفر نميرى.

ويوم ١٧ نوفمبر عام ١٩٧٠ صدر قرار بفصل الأعضاء الشيوعيين الثلاثة ، العطا والنور وحمدالله من المجلس ومن جميع مناصبهم العسكرية وذلك بعد اتهامهم بالاتصال بعناصر مخربة، مدت نشاطها إلى داخل المجلس، مما أدى إلى تسريب أخباره للخارج.

٣ - كان الرائد العطا حتى تاريخ فصله يشغل منصب مساعد رئيس الوزراء للقطاع الزراعي ووزير الثروة الحيوانية، بينما كان بابكر النور يعمل مساعدا لرئيس الوزراء ووزيرا للتخطيط أما فاروق عثمان حمدالله فكان يشغل منصب وزير الداخلية.

٤ - الرائد محمد محجوب عثمان، سبق أن اشترك فى محاولة انقلاب فاشلة كان للشيوعيين دور رئيسي فيها عام ١٩٥٩، وصدر حكم بإعدامه تم تخفيفه إلى السجن المؤبد، وظل سجينا حتى أفرجت عنه ثورة أكتوبر ١٩٦٤، وأعادته إلى الخدمة.

٥ - (أ) ألغى مجلس قيادة الثورة قوانين ثورة مايو وحل المنظمات التى أنشأها، ومن بينها اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي السوداني.

(ب) تقرر إلغاء الحظر المفروض على نشاط المنظمات التى تعد قواعد لنشاط الحزب الشيوعى السودانى الأربع وهى اتحاد الطلبة ، اتحاد نقابات العمال ، رابطة الشباب ، والاتحاد النسائي.

(ج) تكوين جبهة وطنية ديمقراطية، تكون أساس الحكم على كل المستويات من تحالف العمال و الزراع والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الأحرار والرأسمالية الوطنية.

(د) تعطيل جميع الصحف حتى إشعار آخر، ماعدا صحيفة القوات المسلحة.

ولم يفت الملحق الحربي المصري بالخرطوم أن يعلق على الاعتراف السريع من جانب حكومة العراق البعثية بالنظام الجديد فى السودان، والذي جاء بعد ٣ ساعات فقط من وقوع الإنقلاب، فقد وضح من ذلك اشتراك البعثيين مع الشيوعيين فى هذا الإنقلاب ، وإن لم تكن لديه معلومات عن حقيقة الدور البعثي.

واتصلت بالسادات تليفونيا ووضعت أمامه صورة كاملة للموقف على ضوء المعلومات المتاحة.

ولم تكن القاهرة هى العاصمة الوحيدة المعنية بما جرى، بل كانت هناك عواصم أخرى ترقب وتتابع باهتمام و أول هذه العواصم موسكو التى تحركت بسرعة لدعم الإنقلاب الشيوعى بالخرطوم فتكون بذلك العاصمة العربية الثانية التى يسيطر على مقاليد الأمور بها حزب شيوعى بعد عدن عاصمة اليمن الجنوبى.

أما فى ليبيا، فبمجرد وصول الأنباء الأولى للإنقلاب الشيوعى حتى ثارت ثائرة القادة الليبيين، و بدءوا فى تجميع المعلومات من عناصرهم الموجودة بالسودان. وفى نفس الوقت اتصلوا بالرئيس السادات وناقشوا معه الموقف وإن اتسم حديثهم بالعصبية، وكانت تخايلهم فكرة القضاء على الإنقلاب بواسطة تدخل عسكرى مصرى - ليبي.

وفى بغداد كان واضحا كما استنتج العقيد فاروق بشير أن القيادة العراقية تعتبر الإنقلاب نجاحا لها، وكانت تستعد لدعمه بكل الإمكانيات المتاحة.

وفى القاهرة لم يخف الشيوعيون فرحتهم وسرعان ما توجه عدد منهم إلى الخرطوم لتقديم المشورة والمساندة المعنوية ومحاولة الترويج للإنقلاب وقادته وأهدافه بوسائل الإعلام المصرية وغير المصرية، بحكم وجودهم القوى بهذه الساحة.

وظل العقيد فاروق بشير الملحق العسكرى بالخرطوم، وهو من ضباط المخابرات الحربية على اتصال دائم بالقيادة المصرية بواسطة جهاز لاسلكي بموجة خاصة. وكان هو مصدر المعلومات الرئيسي للأحداث التى تشهدها العاصمة السودانية، وفى اليوم التالي اتصل بى الرئيس أنور السادات، ليطلب منى السفر فورا إلى طرابلس ولقاء العقيد معمر القذافى وأعضاء مجلس قيادة الثورة والتفاهم معهم حول الموقف تجاه الإنقلاب العسكرى بالسودان. وكشف لي السادات أن الأخوة بليبيا يريدون القيام بتدخل عسكرى مصرى لإجهاض الإنقلاب الشيوعي.

وأكدت للسادات بما لا يدع مجالا للشك أنني لا أوافق إطلاقا على الاشتراك فى مثل هذه القضية، فالموقف لا يسمح بالتدخل، كما أننا لا نملك القوات أو المعدات المطلوبة لمثل هذه العملية، بالإضافة أن مثل هذا التدخل سيسبب لنا حرجا سياسيا عالميا، فضلا عن أن السودانيين سيعتبرونه تدخلا فى شئونهم الداخلية مما يعود علينا بالضرر.

وكان رد السادات بعد هذا التوضيح: «أنا ماليش دعوة، روح اتفاهم مع الجماعة دول، واتفق معاهم وبعدين قولي هاتعمل إيه...».

وقلت للسادات إن العقيد القذافى وأعضاء مجلس قيادة الثورة لهم تصورات وآراء مثالية، فماذا نعمل ؟ وما هو التصرف المطلوب؟

فقال: « يا أخي أنت محمد صادق .. تصرف»

و لوهلة تصورت أن السادات يريد أن يقول شيئا ولكنه تراجع، وانتظرت أن يكمل حديثه، فسألته، أية أوامر يا سيادة الرئيس ؟. فأخذ نفسا عميقا ثم قال، يا محمد بالمناسبة أنا أرسلت أحمد حمروش وأحمد فؤاد لمقابلة هاشم العطا، أولا لاستطلاع نوايا قادة الإنقلاب ومعرفة ما وراء ذلك ، وثانيا وهو الأهم ، لكسب الوقت حتى تتمكن أنت والجماعة فى ليبيا من الوصول لحل مناسب.

وأبلغني السادات أن العقيد القذافى أرسل طائرته الخاصة التى ستصل إلى القاهرة بعد ساعة، ويقودها قائد القوات الجوية الليبية. فتوجهت من مكتبي رأسا إلى المطار بصحبة العقيد جمال حسن مدير مكتبي وعبده مباشر الصحفي بالأهرام.

وعند وصولنا إلى مطار طرابلس وجدت فى انتظاري أبو بكر يونس. ومن المطار توجهنا إلى منزل العقيد ، وهناك وجدت أعضاء مجلس قيادة الثورة يتقدمهم العقيد القذافى يفترشون الأرض وأمامهم خريطة كبيرة بمقياس كبير للسودان.

وبمجرد أن رآني عبدالسلام جلود حتى قال: «يا سيادة الفريق عاوزينك تنزل فوق الخرطوم لواء مظلات لاحتلال المطار كمقدمة لوصول طائرات تحمل القوة الرئيسية للاستيلاء على الخرطوم و الإفراج عن جعفر نميرى، وتنهى هذا الإنقلاب الشيوعى» .

وابتسمت لهذه الأفكار ثم سألته عما إذا كان يعلم عدد الطائرات اللازمة لنقل لواء مظلات من أسوان ، أقرب قاعدة مصرية إلى الخرطوم؟

وقلت له هل تعلم أن إنزال أى قوات عسكرية فى بلد آخر، يعتبر من وجهة نظر القانون الدولي اعتداء وتدخلا عسكريا، يواجه بالاعتراض والشجب من جميع دول العالم، خاصة وأن أحدا هناك لم يطلب مثل هذا التدخل بشكل قانوني؟

وواصلت متساءلا، وهل تعلم عواقب مثل هذا التدخل؟ ثم لماذا لا نتوقع أن يستفيد قادة الإنقلاب من مثل هذا التدخل لاستدرار العطف وإثارة مشاعر باقي القوات المسلحة والشعب السوداني لصد الاعتداء المصرى؟

وسألت الجميع، بعد أن تبينت أنهم جميعا مقتنعون بضرورة التدخل العسكرى المصرى للقضاء على الإنقلاب ، هل تعلموا أن مثل هذا التدخل العسكرى قد يفشل عسكريا إذا ما واجه قوات مدرعة؟

وهل تعلمون أن بدء أى تدخل عسكري قد يتسبب فى سرعة التخلص من نميرى باغتياله؟

وقلت لهم فيما لو تدخلت مصر عسكريا بشكل مباشر، فماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتي، المصدر الرئيسي للسلاح خاصة ونحن نستعد لمعركة قادمة وقريبة؟

وخلصت إلى النتيجة المنطقية، وهى أن مثل هذا التدخل لا يمكن تنفيذه عسكريا وأنا شخصيا لا أوافق عليه من الناحية السياسية.

واستطردت قائلا، لو كنا سنفكر فى التدخل، فيجب أن يكون هناك فى القيادة السودانية من يطلب منا هذا التدخل، حتى يكتسب قدرا من الشرعية.

ولم يعجب هذا الحديث عبد السلام جلود، فواصلت قائلا إن خلف ما قلته خبرة فى الحياة العسكرية طولها ٣٥ عاما بكل ما فيها من تجارب ومعارك وعلم وخبرات مكتسبة،فرد جلود قائلا إنه سبق أن اتفق مع السادات على ذلك، وإنه قد أوفدني إلى طرابلس لسماع رأيهم....

فأكدت له ولهم، أن هذا هو رأيي وأن ما يقولونه أو يقترحونه خطأ عسكريا وسياسيا.

وسادهم الوجوم واليأس، فعرضت عليهم أن يشرحوا لي هدفهم بالتحديد، وبعد ذلك سنفكر سويا فى الأسلوب الأنسب لتحقيقه.

فقالوا جميعا، نريد القضاء على الإنقلاب الشيوعي فى الخرطوم لخطورته على كل من مصر وليبيا والمنطقة بوجه عام. واستطردوا قائلين، لو تمكن الشيوعيون من تثبيت أقدامهم فى السودان فإن ذلك سيكون كارثة على العالم العربي أجمع.

وعادوا جميعا للحديث عن ضرورة التدخل العسكري، كان كل منهم يتحدث حتى يشعر بالإجهاد ليلتقط الخيط عضو آخر وهكذا. كانوا على اقتناع تام بضرورة التدخل العسكري. وسيطرت عليهم خطة إنزال مظليين مصريين أو سودانيين من الكتائب السودانية الموجودة بمصر ويصاحب ذلك قصف الخرطوم جوا، وإرسال باقي القوات جوا بعد احتلال مطار الخرطوم، وتركتهم يتحدثون حتى صمتوا.

وعدت لأشرح لهم أن مصر لا تستطيع إسقاط سوى كتيبة واحده لعدم وجود مجهود جوى كاف. وستواجه هذه القوات مشكلة عدم وجود مدرعات، وبالرغم من تسليحها بأسلحة مضادة للدبابات، فإن القوات المدرعة السودانية تستطيع سحقها لأنها بلا دروع تحميها.

وعلينا أن نعلم أننا لا نستطيع دعم هذه القوات بالسرعة المطلوبة، لأن الرحلة من أسوان إلى الخرطوم تستغرق ساعة ذهابا ومثلها إيابا بالإضافة إلى فترة للتحميل، وشرحت لهم أن الإسقاط الجوى سيتم بفاصل يفصل بين طائرة وأخرى، وأن هذا الفاصل الزمني يمكن أن يكون كافيا للقضاء على هذه القوات.

وأمام هذه الصورة القاتمة بالإضافة إلى ما سبق أن قلته شعرت إننى قد دمرت أحلامهم التى بنوها للقضاء على الثورة الشيوعية بالسودان، وهنا حاولوا استثاره همتي، وبدءوا يقولون إننا استدعينا الفريق أول صادق وزير الحربية المصرى الذى يتحمل مسئولية دفع الجيش للوقوف على قدميه، والعمل خلف خطوط العدو، وكثير من هذا القبيل... وأخيرا سألوا، وما هو الحل؟ وذلك بعد ان طووا الخرائط التى كانت مفرودة، بعد أن انطوت صفحة خطة الإنزال الجوى.

وهنا سألت أبوبكر يونس والمرحوم محمد المقريف عن آخر معلومات لديهم عن المجموعة التى استولت على الحكم فى السودان، وأماكن وجودهم، ومتى سينضمون إلى القائمين على الأمر بالخرطوم؟ وكنت أعلم قبل حضوري إلى طرابلس أن أهم عناصر الإنقلاب موجودون بالعاصمة البريطانية لندن، وأنهم يستعدون للعودة إلى الخرطوم.

ولم تكن لديهم معلومات تفصيلية عن خطة عودة مجموعة لندن إلى الخرطوم. فشرحت لهم أن هاشم العطا بالخرطوم هو ومن معه لن يكتمل لهم النجاح إلا بوصول بابكر النور وفاروق عثمان حمدالله الموجودان الآن بلندن، وبالطبع هناك آخرون ضالعون فى الإنقلاب أو أعضاء مؤثرين فى الحزب الشيوعى موجودون معهم هناك. كما أن هذين القائدين يستعجلان العودة إلى الخرطوم لقطف ثمار النجاح والثأر من جعفر نميرى الذى أنقلب عليهم من قبل وفصلهم.

وهذا الفريق الموجود بلندن حاليا ليس أمامه من طريق سوى استخدام الطائرات المدنية التى تعمل على خط لندن - الخرطوم، وافضل اختيار بالنسبة لهم سيكون الخطوط الجوية البريطانية. وطلبت من محمد المقريف أن يتصل بالسفير الليبي فى لندن ليطلب منه إبلاغ طرابلس عن تحركات هذه المجموعة وموعد سفرهم ورقم الرحلة وموعد إقلاعها

من لندن، وأكدت ضرورة مراعاة الحذر فى الحديث. وسألني المقريف، هل يستخدم الشفرة ؟ فقلت له لا وقت للشفرة، فنحن فى حاجة للوقت الذي يمكن أن يضيع فى التشفير هنا وفك الشفرة هناك. ثم طلبت من قائد القوات الجوية الليبية، خريطة تتضمن الممرات الجوية التى تستخدمها الخطوط المدنية، خاصة الممر الجوى الذى تستخدمه طائرات شركة الخطوط الجوية البريطانية، خط لندن - الخرطوم.

وسألت ما إذا كانت الطائرة تطير مباشرة إلى الخرطوم أم تقف للتزود بالوقود أثناء الرحلة؟

وبعد فترة عاد القائد ومعه خريطة توضح خط سير الطائرات البريطانية. واتضح منه أن طائرات هذا الخط تقف فى مالطة للتزود بالوقود ثم تتجه إلى العاصمة السودانية الخرطوم مرورا فوق بنغازي بليبيا.

ولذلك كان لابد من تعديل الخطة، لذا سألت قائد القوات الجوية عما إذا كان لديه طائرات ميستير أو أية طائرات مقاتله فى بنغازي، فقال لا.

فسألته هل تستطيع إرسال مقاتلات الليلة من أية قواعد جوية إلى مطار بنغازى؟ فأجاب قائلا إن الأمر يحتاج ترتيبات للتزود بخزانات احتياطية.

فطلبت منه إعداد طائرة العقيد الخاصة من طراز «جيت ستار» التى حضرنا بها من القاهرة إلى طرابلس، وإعادة تزويدها بالوقود، والانتظار بالمطار.

وبعد مرور حوالي ساعتين لم يتوقف خلالهما النقاش حول الخطة واحتمالات نجاحها، وأثناء تناولنا لعشاء خفيف، وصلت رسالة من السفير الليبي فى لندن أن الطائرة التى تقل قادة الإنقلاب السودانى قد أقلعت فعلا من لندن.

وقد حرص راديو الخرطوم على ترديد نبأ وصول القادة إلى العاصمة السودانية صباح باكر، حيث ستجرى احتفالات كبيرة لاستقبالهم فى المطار.

لقد أقلعت الطائرة «الهدف» . وسألت قائد القوات الجوية عن موعد وصول الطائرة إلى مالطة، وموعد إقلاعها، وموعد مرورها فى الأجواء الليبية فوق منطقة برقة.

وجاءت الإجابة بأن الطائرة ستكون فوق بنغازي حوالي الساعة الثالثة صباحا بعد إقلاعها من مالطة آخر محطة تتوقف فيها قبل الطيران إلى الخرطوم.

وحان موعد شرح الخطة لمجلس قيادة الثورة الليبية، لإقرارها، بما أنهم سيتحملون مسئولية ما يحدث. وكانت هذه الخطة قد تبلورت من خلال الحوار والمعلومات التي

توفرت والظروف المحيطةوقلت لهم ببساطة إننا سنقوم بمقامرة و من الممكن أن يتحقق لنا النجاح وبنفس القدر قد نواجه الفشل، والخطة كالتالي :-

١ - ستقلع الطائرة الـ «جيت ستار» إلى بنغازى، وننتظر توقيت مرور الطائرة الهدف.

٢ - أثناء مرور الطائرة البريطانية ستعترضها الطائرة الليبية، ونأمر قائدها بالهبوط.

٣ - بعد هبوطها يتم إلقاء القبض على الزعماء الجدد للإنقلاب الشيوعى.

٤ - انتظار رد فعل الخرطوم، عندما يعلم هاشم العطا وباقي أعضاء مجلس الثورة هناك باحتجاز القادة العائدين فى ليبيا، وفى نفس الوقت رد فعل القوى المعارضة للإنقلابيين.

٥ - تنظيم العمل داخل الخرطوم، للإمساك بزمام المبادأة ، تحت إحساس قادة الإنقلاب بالصدمة، بعد احتجاز قادتهم، والعمل على الإفراج عن نميرى ليعود إلى سلطاته.

٦ - حشد القوات السودانية الموجودة فى مصر، فى أسوان تمهيدا لنقلها إلى الخرطوم فى حالة نجاح الإفراج عن نميرى واستعادته لسلطته وسيطرته على المناطق الاستراتيجية، خاصة المطار وبشرط أن يطلب وبشكل واضح عودة القوات السودانية الموجودة بمصر.

٧ - أبلغتهم بأنني طلبت سرعة استدعاء اللواء خالد حسن عباس وزير الدفاع السوداني والذى كان يزور يوغسلافيا على رأس وفد عسكري سوداني كبير للقاهرة ليشرف بنفسه على حشد القوات السودانية بأسوان، ونقلها جوا إلى الخرطوم تحت قيادته.

وكان أول تساؤل حول نجاح طائرة العقيد الخاصة الـ «جيت ستار» الصغيرة الحجم والتى لا تحمل تسليحا من أى نوع. فأوضحت لهم أن طيار الـ جيت ستار سيخاطب قائد الطائرة الإنجليزية باللاسلكى، ويطلب منه الهبوط باعتباره يقود طائرة مقاتلة اعتراضيه وبالرغم من حالة الظلام التى ستساعد الطيار الإنجليزي على ابتلاع الطعم - فإن عليه أن يعمل على ألا يراه الطيار الإنجليزي بأى صورة من الصور، وأن يظل فى طيرانه ومناوراته بعيدا عن مجال رؤية الطيار الإنجليزي ، مما سيعمل على نجاح الحيلة.

وعلى الطيار الليبى أن يكون حاسما وهو يطلب من الطيار الإنجليزي الهبوط، وإلا أطلق عليه النار باسم الحكومة الليبية.

وقلت لهم إن الطيار الإنجليزى المدنى، مثله مثل كل طيارى الخطوط المدنية لديهم تعليمات واضحة بعدم تعريض الركاب أو الطائرة لأية أخطار، وعليهم الاستجابة

لتعليمات الخاطفين فى حالة اختطاف الطائرة. والموقف الذى سيواجهه الطيار الإنجليزي لا يختلف عن موقف اختطاف طائرته ولكن هذه المرة، يأتى عنصر الخطف من الخارج لا من داخل الطائرة. وأكدت لهم ثقتي بنجاح المحاولة إذا ما التزم الطيار الليبي بالتعليمات. فليس هناك طيار يقبل المغامرة بطائرته وركابه.

ومع ذلك سألني بعضهم، وماذا إذا لم يطع الطيار الإنجليزي الأمر؟

فقلت لهم، في هذه الحالة لا نملك أى حل لإجباره على الهبوط، والموضوع كله عملية خداع نرجو من الله أن تتم بنجاح .

وطلبت من المرحوم محمد المقريف أن يصحب قائد القوات الجوية إلى بنغازى، ونبهت عليه بالاتصال بي بمجرد النجاح فى إجبار الطائرة على الهبوط.

وبدأت العجلة فى الدوران، وفى هذه الأثناء، وصلت معلومات جديدة من لندن تؤكد وجود زعماء الإنقلاب على ظهر الطائرة، وأن خط طيران الرحلة هو الخط العادى بدون تغيير، وأن الطائرة ستتوقف فى موعدها بمطار مالطة للتزود بالوقود.

واستأذنت من الحاضرين فى قليل من الراحة. وطلبت منهم إيقاظى فور هبوط الطائرة.

ولكن كانت عيونهم مليئة بالتساؤلات فقلت لهم، إن قائد الثورة فى الخرطوم، قد أعد الآن الطبول والموسيقى والأعلام والأفراح احتفاء بوصول رئيس مجلس قيادة الثورة وأعضاء الوزارة الجديدة ، وإن صدمة احتجاز هؤلاء القادة فى ليبيا كفيلة بإفقاده السيطرة على الموقف. كما أن المعارضين للثورة الشيوعية، أكثر مما تتوقعون والمترددون فى اتخاذ موقف كثيرون أيضا، ومن خلال إدراك انهم ليسوا وحدهم وأن هناك دولة أو أكثر بالخارج تقف ضد هذا الإنقلاب بل وتحتجز قادته، سيتبينون أن فرص نجاحهم فيما لو تحركوا ضد الثورة كبيرة جدا. وأكدت لهم أن الخطة ستنجح، وأن قائد القوات الجوية بطائرته الصغيرة الخالية من التسليح سيتمكن من إجبار طائرة الخطوط الجوية البريطانية على الهبوط.

وانصرفت إلى النوم فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، متوقعا إيقاظي فى الساعة الثالثة صباحا، أي بعد إجبار الطائرة على الهبوط، كما طلبت منهم.

وفى الساعة السادسة صباحا، أيقظونى وفتحت عيني لأجد أمامي محمد المقريف وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبي يتهللون فرحا.

فنظرت في الساعة، فإذا هي السادسة صباحا، فسألت أين الطائرة؟ وأين السودانيين؟ فأجابوا أنني أستطيع رؤية زعماء الإنقلاب، أما الطائرة فقد رحلت. وقالوا معا، لقد أحضرنا الشيوعيين معنا إلى طرابلس، وسمحنا للطائرة بالإقلاع بباقي الركاب.

ومن حديثهم علمت أنهم احتجزوا أربعة أفراد هم رئيس مجلس قيادة الثورة السوداني والوزراء الثلاثة، وتركوا باقي أعضاء المجموعة السودانية فى الطائرة. فثرت فى وجوههم، وسألتهم، ولماذا لم يوقظونى عندما هبطت الطائرة كما طلبت منهم؟ فقال المقريف إنه اتصل من بنغازى طالبا إيقاظى ، وانهم دخلوا على وهم فرحون لإيقاظى فوجدونى مستغرقا في النوم فأشفقوا على ، لأنهم يعلمون أننى لم أنم منذ بدء الإنقلاب، وأنني أحتاج هذه الراحة.

فلمتهم على ذلك، وأوضحت لهم أن الباقين هم قادة الحزب الشيوعي الذين سيشكلون قوة دعم للثورة، وهذا خطأ كبير يمكن أن يعرض العملية كلها للفشل.

وسألتهم أين هؤلاء الناس؟ فقيل لي انهم وضعوا في السجن. فطلبت الإفراج عنهم فورا، ومعاملتهم أحسن معاملة. وطلبت من جلود أن يستعد لمواجهة السفير البريطانى الذى سيحضر للاحتجاج على ما جرى خلال الساعات القادمة.

وبعد قليل أخبروني أن السفير طلب موعدا مع العقيد القذافى. ثم أخبروني انهم سيستقبلون السفير و في نيتهم مواجهته بحدة .....

فاقترحت عليهم ترك الأمر لوزير الخارجية الليبى «صالح بويصير» وقتذاك وعليه أن يتمسك بأنه ليس لديه معلومات عما جرى فى بنغازى وعن الموقف هناك، وانه سيتصل بالسفير البريطاني ليخبره عن ملابسات الحادث حينما يتلقى معلومات عنه.

أما إذا استقبله «جلود» فإن عليه أن يوضح له أن الطائرة خرجت عن الممر الجوى ، فاضطرت القوات الجوية لإجبارها على الهبوط كإجراء أمنى.

وسأل «جلود»، بماذا يجيب إذا ما سأله عن السودانيين المحتجزين، وهنا تدخل عبده مباشر فى الحديث وقال له، عليك أن تخبره بأن السلطات الليبية احتجزتهم لأنه كان مطلوب القبض عليهم من قبل لسابق اتهامهم بالتآمرعلى ليبيا......فصرخ القذافى فرحا، وقال هذا الصحفي نابغة.

وواصلت حديثي طالبا منه ان يتمسك بهذا الدفاع وأن يحرص على ألا يمتد النقاش. وأن المهم أن ينهى الموضوع فى هدوء مهما كان موقف السفير البريطاني.

وبنجاح هذه المرحلة من الخطة، كان الأمر يتطلب العودة إلى القاهرة لمتابعة باقى المراحل، وحرصت أن اذكر لهم أن ما تم هو تصرف ليبى ١٠٠٪، وأن مصر بعيدة تماما عما جرى، ولهذا سأعود قبل أن يكتشف أحد وجودي، وأن عليهم أن يظلوا على اتصال دائم بى بالقاهرة، وأن يفتحوا خطا مباشرا لإذاعة ما نراه ضروريا من بيانات للمساعدة على تهدئة الجو فى الخرطوم حتى نتمكن من تنفيذ باقي مراحل الخطة. وأوضحت لهم أنه طالما أن العملية بدأت فى ليبيا، فإنه من الأفضل أن تستمر كذلك، لنتجنب تهمة التآمر المصرى الليبى ضد الثورة الشيوعية بالسودان.

فعاد القذافى ليسألني عما أتوقع حدوثه بالخرطوم ؟

فأجبته بأنه سيكون هناك رد فعل قوى على كلا الجانبين، المؤيد والمعارض للإنقلابيين. وأن دورنا أن نتحرك بمهارة للاستفادة من هذه الصدمة ، لتغليب الجانب المعارض و إخراج النميرى من المعتقل ، وخلال وجودي بليبيا أصدرت أوامري لتحريك الكتائب السودانية من مناطق تجمعها إلى أسوان، وفى حالة وصول وزير الدفاع السودانى، فعليه أن يتحمل مسئولية الإشراف على هذه العملية، وأن يكون موجودا مع رجاله.

وعندما عدنا إلى القاهرة أبلغت السادات بكل التفاصيل، وأخبرته عن تجميع اللواء السودانى الموجود بمصر بأسوان وتجهيزه للعودة إلى الخرطوم.

وأقمت اتصالا مع العقيد فاروق بشير الملحق الحربى بالخرطوم، والذي تمكن من معرفة مكان جعفر نميرى وأقام معه اتصالا وهو رهن الاعتقال وسألته عما يجرى الآن فى الخرطوم؟ فأخبرني عن وجود تحركات عسكرية ضد الإنقلاب، وبدء تحركات فى الشارع السودانى معادية للإنقلابيين بعد إذاعة نبأ احتجاز قادة الإنقلاب بليبيا، فسألته هل يمكنه إخراج نميرى من معتقله؟

فأكد أن ذلك فى استطاعته بمعاونة وحدات سودانية موالية للنميرى وخلال حديثنا شرحت له الموقف وما هو مطلوب منه القيام به، مع الحرص على استمرار الاتصال، وفعلا وبتوفيق من الله، تحركت المظاهرات الشعبية المعارضة للإنقلاب وفوجىء هاشم العطا قائد الإنقلاب بثورة الجماهير وهتافاتها المعادية للشيوعية والشيوعيين، فثار فى وجه الشيوعيين المدنيين لأنهم سبق أن أخبروه بقدرتهم على السيطرة على الشارع السودانى، وتحريك مظاهرات التأييد وحتى لحظة إعدامه ظل يسخر من قادة الحزب الشيوعي والأوهام التى يعيشون فيها.

وأصدرت أوامري ببدء تنفيذ خطة نقل القوات السودانية إلى الخرطوم، بعد أن أخبرني العقيد فاروق بشير بنجاح القوات المؤيدة لجعفر النميرى فى السيطرة على المطار وتأمينه، وأنه لا توجد أيه احتمالات لاستعادة المطار من أيديهم.

وبعد أن وصلت القوات السودانية من أسوان إلى الخرطوم، وذاع نبأ ذلك بين الشعب والقوات المسلحة حتى تم حسم الموقف ، وبعد إخراج نميرى من المعتقل، اتصل بى فاروق بشير ثم جاءنى صوت نميرى الذى كان موجودا مع فاروق فهنأته بإعادة سيطرته على الموقف وعلى نجاته، وسألته عما اذا كانت القوات المؤيدة له قد استولت على الإذاعة ،فقال إنها فى طريقها لتفعل ذلك. فأنبأته بأن القوات العائدة لديها أوامر بإتمام السيطرة على المطار واحتلال مبنى الإذاعة وبذلك نجحت خطة القضاء على الإنقلاب الشيوعى فى السودان.

وبعد نجاح النميرى واستعادته للسلطة، أرسل القذافى القادة السودانيين المحتجزين بطرابلس وفى مقدمتهم بابكر النور رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية وفاروق عثمان حمدالله إلى الخرطوم، حيث جرت محاكمتهم و إعدامهم ومعهم قادة الإنقلاب.

برغم اتفاقى المسبق مع معمر القذافى على إحتجاز هذه المجموعة فى ليبيا، وأكدت له أنه من غير الإنصاف تسليمهم للنميرى فيما لو نجحت خطة القضاء على الإنقلاب ، لأننا جميعا نعلم المصير الذى سيواجهونه. وقلت للقذافى ، إنه يكفينا تحقق الهدف الذى نعمل من أجله، وليس هناك ما يدعو إطلاقا لإعادتهم للخرطوم ، وقد أبدى القذافى وباقي أعضاء مجلس قيادة الثورة موافقتهم على ما قلته. وإن كنت أعتقد أن الرئيس السادات قد لعب دورا فى ذلك الموقف.

وكان بوريس بوناماريف عضو المكتب السياسي الاحتياطي للحزب الشيوعي السوفييتي فى زيارة لمصر لحثها على مساندة الإنقلاب الشيوعي فى السودان، أو على الأقل عدم التدخل لإحباطه وظل يحاور السادات ويلتقى بالمسئولين لإقناعهم بوجهة نظره ملوحا بالأضرار التى يمكن أن تلحق بالعلاقات بين البلدين فيما إذا تدخلت مصر ضد الإنقلاب ، وخلال محاولاته نزل عليه نبأ احتجاز القادة السودانيين بالعاصمة الليبية كالصاعقة، ولم يكن لديه ولا لدى موسكو ولا لدى السفارة السوفييتية بالقاهرة أية معلومات يمكن أن تفيده.



الرئيس النميري والرئيس السادات والأمير سلطان وزير الدفاع السعودي مع الفريق صادق.

وعندما علم بنبأ القبض على قادة الإنقلاب وقادة الحزب الشيوعى وعودة المحتجزين بليبيا إلى الخرطوم، مارس ضغطا عنيفا على السادات للتدخل لوقف عمليات إعدامهم، وكان النميرى قد أسرع بمحاكمة وإعدام قادة الإنقلاب ، ثم لم يتوان عن محاكمة بابكر النور وفاروق حمدالله ومن معهم وإعدامهم ، وبقى عبدالخالق محجوب رئيس الحزب الشيوعى السودانى والشفيع أحمد رئيس اتحاد نقابات العمال فى انتظار مواجهة نفس المصير.

وتسارعت ضغوط بوناماريف وقادة الكرملين لإنقاذ هذين الزعيمين الشيوعيين، وفعلا قام السادات بالاتصال بجعفر نميرى وسأله ألا يعدم المحجوب والشفيع، استجابة للمطالب السوفيتية، فصارحه النميرى بأنهما سيعدمان غدا فى الصباح الباكر، وعليه أن يخبر بوناماريف وموسكو أنه لم يتمكن من العثور على النميرى. وعندما تكرر الاتصال فى الصباح سأخبرك أن الإعدام قد تم للأسف منذ قليل، وسأقول لك ليتك طلبتني قبل أن يتم تنفيذ عملية الإعدام، وفعلا أخذ السادات بنصيحة النميرى، واتصل

به صباح اليوم التالي. وأخبر السوفييت بمحاولاته، وعبر لهم عن أسفه لأن الأمور سارت إلى هذه النهاية المأساوية.

وكنت أعلم بحكم وجودي بالقرب من السادات أنه كان يتظاهر بمطالبة النميرى بالاعتدال، وفى نفس الوقت كان يطلب منه الإجهاز على الشيوعيين، وكنت قد رجوت السادات بأن يحتفظ بما جرى سرا حتى لا يغضب السوفييت، وحتى يظل دور مصر طي الكتمان، إلا أنه خلال اجتماعات المؤتمر القومي بجامعة القاهرة. وفى أول خطاب جماهيرى له أعلن أن الوحدة الثلاثية ولدت ولها أسنان، فصفق الناس طويلا. وكشف عن الدور الذى قمت به. وقد أثار ذلك غضب السوفييت الشديد، خاصة بعد عمليات الإعدام التى نفذها النميرى.

وعند حضور بوناماريف للقاهرة، أرسلني السادات لمقابلته. وما أن التقينا حتى بدأ هجومه. وكان واضحا أن السوفييت قد فقدوا صوابهم، وللأسف الشديد كان السوفييت على يقين أنني أمرت باستخدام القوات الجوية المصرية فى قصف الخرطوم، ومعسكرات الثوار، وتلا ذلك عمليات إسقاط جوى مصرية لإعادة نميرى إلى السلطة. وانتظرت إلى أن هدأ قليلا، وأكدت له أن القوات المصرية لم تشترك فى هذه الأحداث، وأن المصرى الوحيد الذى حارب هو العقيد فاروق بشير الملحق الحربى المصرى بالخرطوم. فهو الرجل العسكرى المصرى الوحيد الذى كان له دور فعال فيما جرى فى الخرطوم. وصححت له كل المعلومات أو الإشاعات التى كانت بالنسبة له يقينية ومؤكدة.

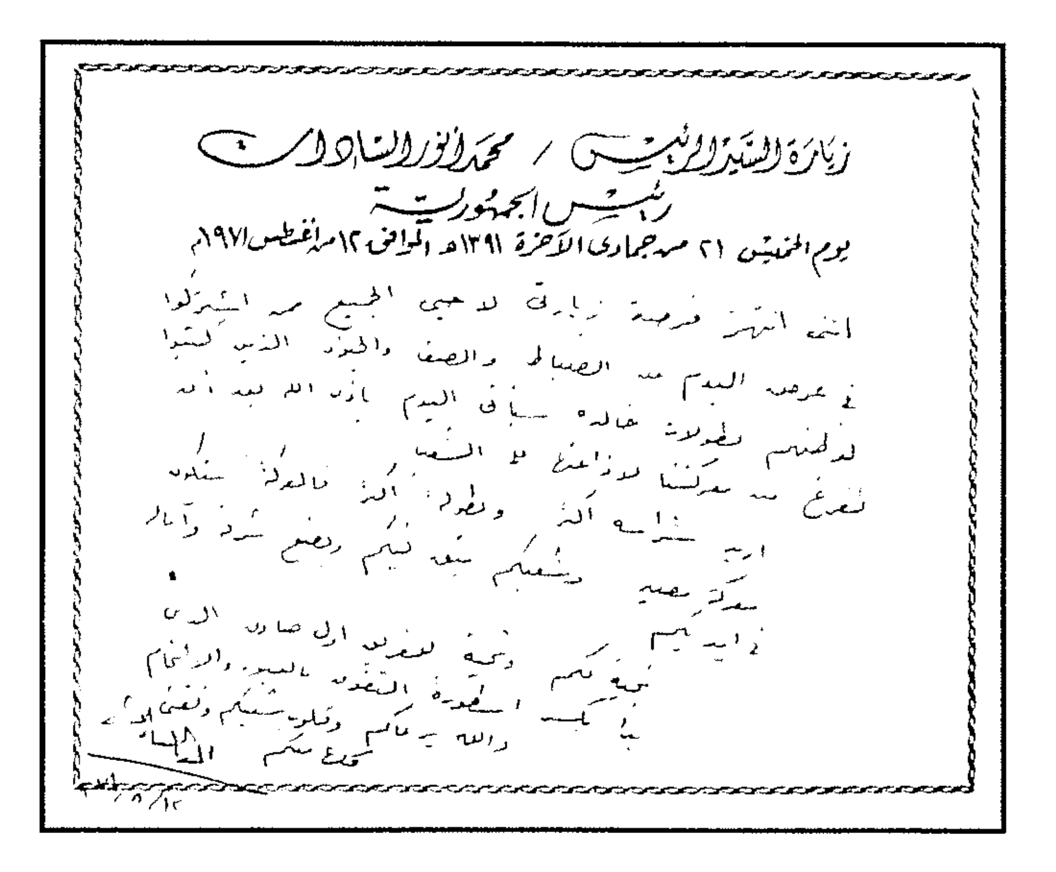
وأشك أن الرئيس أنور السادات قد لعب دورا مزدوجا، فمن جهة يصورني للسوفييت وكأنني عدوهم الأول، وعدو الشيوعية الكبير فى مصر والمنطقة، ومن جهة أخرى يوهمهم أنه الصديق الوحيد لهم وصمام الأمان القادر على كبح جماح وزير الحربية، عدوهم. وهو نفس الدور المزدوج الذى لعبه مع نميرى.

وللأسف الشديد ابتلع السوفييت هذا الطعم، وظلوا على اعتقادهم بأننى قدمت معاونة عسكرية للقضاء على الإنقلاب الشيوعي بالسودان، الذى هو بحق يعتبر من أقصر الإنقلابات العسكرية عمرا ....



الباب الخامس

الطريق الى أكتوبر ١٩٧٣



زيارة السيد الرئيس / محمد أنور السادات
رئيس الجمهورية
يوم الخميس ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ الموافق ١٢ من أغسطس ١٩٧١ م

الرئيس السادات في نهاية زيارته للمجموعة ٣٩ قتال بإدارة المخابرات الحربية

عمليات المجموعة ٣٩ قتال

كنتُ من أوائل الناس الذين شعروا بوطأة الكارثة عندما علمت بأن المشير عامر أعطى أمرا بالانسحاب إلى غرب القناة بدون أن يقدر الطرق الموجودة وقدرتها على استيعاب حركة ٤٠٠ كتيبة من أنواع مختلفة.

كانت الطرق المتوفرة ثلاثة طرق فقط وتحت سيطرة جوية تامة للعدو ، مع عدم وجود خطوط انسحاب مجهزة تستند إليها القوات المسلحة لسترها.

وكنتُ من أكثر الناس فهما لخطورة الموقف حيث مارست هذه العملية عمليا عام ١٩٥٦ ولم تكن قوتي تزيد عن سبع كتائب مشاه وأربع كتائب مدفعية وما يوازى لواء مدرع. وقد شكرت الله كثيرا أن استطعت سحب هذه القوة الصغيرة على هذه الطرق الثلاثة تحت نفس الظروف.

وكان رجال الاستطلاع من قوات المخابرات الحربية الوحيدين الذين لهم اتصال برئاستهم بواسطة أجهزة اللاسلكى، وهى كلها أجهزة غربية ، لذا لم يتمكن العدو من إجراء تشويش أو تداخل عليها ، حيث ركز على الأجهزة الروسية التى تملكها القوات المسلحة.

عملية تنظيم الانسحاب وتعطيل قوات العدو :

وعندما أبلغنى مكتب المخابرات فى العريش أن هناك قوة إسرائيلية مدرعة ومعها مشاة ميكانيكية متجها لطريق العريش - القنطرة ، فطلبت من القيادة العامة تحريك قوات لعبور القناة والاندفاع على الطريق الشمالى لإيقاف هذه القوة وتعطيلها حتى لاتتدخل فى عرقلة قواتنا المنسحبة على الطريق الأوسط لتتمكن من الوصول إلى القناة.

وللأسف الشديد كانت القيادة فى حالة ارتباك نتيجة لأمر الانسحاب العشوائى الذى لم يكن له ما يبرره أو يدعو إليه. ولم يكن هناك من يستجيب لاقتراحى ، برغم أنى علمت من هيئة العمليات بأنه قد صدرت فعلا أوامر لقوات موجودة بالإسماعيلية لتنفيذ ذلك.

وعندما أبلغتنى قوات الاستطلاع بأنه لا توجد أى قوات على الطريق الشمالى، قررت أن

أتصرف بمفردى. فدعوت المقدم أركان حرب إبراهيم الرفاعى وكلفته بقيادة قوة من الكتيبة التاسعة استطلاع الموجود جزء منها بالقاهرة ، وجرى تشكيل قوة من ٤ ضباط و٦ عربات استطلاع مدرعة. وتحركت هذه القوة بعد صدور الأمر لها بساعة ووصلت الإسماعيلية وعبرت القناة وتقدمت حتى منطقة جلبانة حيث تم أول اشتباك مع العدو. وكان عمل القوة تعطيلى ، أى أن تقوم بوضع ألغام على الطرق والاشتباك مع العدو بفتح النيران كلما حاول العدو التقدم.

وكانت القيادة العامة تبلغ بموقف العدو على المحور الشمالى الذى لم تكن تزيد قواته عن كتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة دبابات ،وفى الساعة ١٣٠٠ من نفس اليوم دعم العدو هذه القوة بباقى لواء مدرع، وأصدرت الأمر للقوة التى يقودها الرفاعى بالانسحاب المنظم بعد أن أدت دورها المطلوب منها وعطلت العدو أكثر من خمس ساعات ، كانت كافية لإنقاذ القوات المتجمعة شرق القناة فى هذه المنطقة، وكانت كافية لإعداد دفاع عن منطقة كوبرى الفردان لتأمين عبور القوات المنسحبة، وقد حدثت بعض الخسائر فى الأفراد ولكنها لم تؤثر على أداء هذه القوة الشجاعة لمهامها.

وكانت هذه العملية بالنسبة لى، الدافع والسبب فى تفكيرى للقيام بالعمليات الخاصة التى قامت بها المخابرات الحربية بعد ذلك.

وبعد المعركة انشغلت وجميع من يعملون معى بإدارة المخابرات فى العمل على إنقاذ أكبر عدد ممكن من القوات المنسحبة من سيناء. و قد وقع معظم العبء على مكتب المخابرات فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس حيث دعمت هذه المكاتب بأكبر عدد ممكن من الضباط وبجميع الإمكانيات اللازمة، وجرى التركيز على مكتب بورسعيد حيث قام الضباط وأفراد المكتب ببطولات كبيرة واستطاعوا إنقاذ المئات من الضباط والجنود من القطاع الشمالى ، وقد قامت مراكب الصيد وجميع لنشات هيئة القناة بالتقدم ليلا على امتداد الساحل حتى العريش واستطاعت باتصالها بعرب سيناء الموجودين على هذا المحور من تجميع المنسحبين على الشاطئ وإنقاذهم.

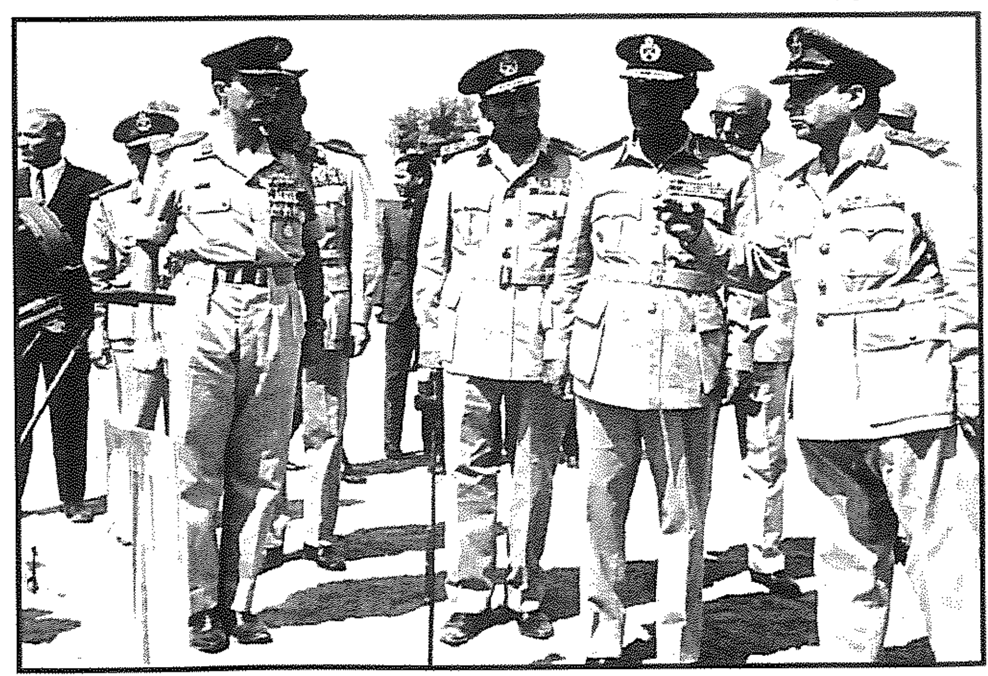
أما على المحاور الأخرى فقد قامت المكاتب بالاتصال بعرب سيناء لتجميع المنسحبين على مدقات وطرق غير الطرق الأسفلتية والوصول بهم إلى مناطق محددة ، ومنها تنقلهم المراكب إلى الضفة الغربية. واستمرت هذه العملية أكثر من شهر أى طوال شهر يونيه وجزء من شهر يوليه ١٩٦٧. وعندما كان يصلنا بلاغ عن وجود تجمع من

الضباط والجنود فى مناطق خلف خطوط العدو كنا نقوم بإرسال دوريات من الإدارة خلف خطوط العدو لقيادتهم إلى أماكن تجمع محددة سلفاً حيث تقوم المراكب بالتقاطهم والعودة بهم.

فالاهتمام بالاستطلاع وتوفير المعلومات والصور الحديثة للأهداف والمواقع المعادية يشكل القاعدة الأساسية للتخطيط الجيد والتنفيذ الدقيق للعمليات التى تستهدف هذه الأهداف والمواقع. وبدون الاستطلاع والمعلومات التى يوفرها يتخبط التخطيط ويعجز المنفذون عن أداء المهام المكلفون بها.

لذا اهتمت أجهزة القيادة في الجيوش المختلفة بالاستطلاع، وشكلت له قوات خاصة، ووضعت في تنظيم التشكيلات والوحدات الصغرى، أى في تشكيل الفرق واللواءات والكتائب عناصر استطلاع خاصة بها ، هذا بالإضافة لمهام الاستطلاع التى تقوم بها أجهزة المخابرات المختلفة كواجب رئيسى بجانب واجباتها الأخرى.

والقائد الذى يهتم بالاستطلاع هو القائد الذى يحقق أفضل النتائج في العمليات التى يخطط لها أو ينفذها.



الرئيس السادات والفريق أول صادق فى زيارة للمجموعة ٣٩ قتال
ويظهر على يمين الصورة اللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات الحربية
وعلى اليسار المقدم إبراهيم الرفاعي قائد المجموعة.

وكان البطل الشهيد إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة ٣٩ قتال واحدا من هؤلاء القادة الذين يحرصون على الاستطلاع وتجميع المعلومات عن الأهداف المعادية التى يخطط للهجوم عليها. وباختصار فقد كان الرجل وباقى قادة وضباط المجموعة في حالة استطلاع مستمر فيما بين العمليات. فكان التدريب على الاستطلاع جزء أساسي من برنامج التدريب بالنسبة للمجموعة ككل.

وتعد عملية الاستطلاع التى نفذت يوم ٧ يونيه ١٩٦٧ هى العملية الأولى في تاريخ المجموعة التى لم تكن قد تشكلت رسميا بعد .

العملية ٥٠٣ استطلاع وموقف العدو على المحور الشمالى وعرقلة تقدمه ٧/ يونيه/ ٦٧

لقد كان واضحا أن القوات الإسرائيلية التى تتقدم عبر سيناء تستهدف وضع القوات المسلحة المصرية بين المطرقة والسندان ، وتمثلت المطرقة في ثلاث مجموعات مدرعة إسرائيلية تتحرك بسرعة على ثلاثة محاور لدفع القوات إلى مضايق سيناء الثلاثة الرئيسية.

أما السندان فتمثل في القوة الإسرائيلية التى تتقدم على الطريق الساحلى بسرعة لكى تغلق المضايق من ناحية القناة ، وبإكمال وصول السندان وإغلاق المضايق من ناحية القناة تنحصر القوات المصرية فيما بين القوات المتقدمة من الشمال والوسط والجنوب والقوات التى تغلق الممرات من ناحية الغرب ، فيسهل القضاء عليها خاصة فيما لو انحصرت داخل مضايق سيناء.

وفى محاولة لمعرفة حجم القوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلى وعرقلة تقدمها ، وقع اختياري على المقدم إبراهيم الرفاعى لتنفيذ مهمة الاستطلاع وعرقلة تقدم هذه القوة لأطول فترة ممكنة وعبرت القوة القناة وتقدمت على الطريق الساحلى حتى منطقة جلبانة ، مجتازه بحرا من القوات المصرية المنسحبة غربا تحت ضغط العدو وكتلا من الحديد المنصهر الذى كان من قبل عبارة عن أسلحة مصرية ثقيلة تمكن العدو من إصابتها جوا.

وعندما وصل إلى منطقة رمانة أدرك أنه على اتصال بعناصر العدو الأمامية فنشر قواته على شكل ستارة دفاعية وبدأ في إعداد أول كمين مستخدما الألغام لإيقاف تقدم العدو، وعندما اصطدم العدو بالكمين بادرت السرية بالاشتباك معه وأجبرته على التوقف.

ومع أول اشتباك تمكنت السرية المصرية من تنفيذ مهمة الاستطلاع وأبلغت إدارة المخابرات بموقف العدو على المحور الساحلى وأن قواته المتقدمة تضم لواء مشاه

ميكانيكى وكتيبة دبابات. وفى الساعة الواحدة ظهر يوم ٧ يونيو دعم العدو هذه القوة بباقى اللواء المدرع.

وعندما توقف العدو بعد اصطدامه بحقل الألغام والستارة الدفاعية ، كان يحاول معرفة حجم هذه القوة المصرية وقوة نيرانها قبل أن يواصل التقدم وحتى تتاح له فرصة لاستدعاء القوات الجوية للتدخل وفتح الطريق. وبعد توقف استمر فترة طويلة نسبيا عاود التقدم مستخدما نيرانا كثيفة دون أن يعلم أن الستارة الدفاعية قد انسحبت إلى الخلف وبدأت في إعداد كمين جديد في منطقة رأتها مناسبة وأكثر ملائمة لمواجهة جديدة مع العدو.

وعاود العدو تقدمه بعد أن تصور أن القوة قد انسحبت أو تم القضاء عليها، ولكنه يصطدم بالكمين الثانى فيسارع بالدفع في تشكيل قتال وتستبسل القوة المصرية في الدفاع عن مواقعها لمنع تقدم العدو فيتوقف العدو من جديد وهو يدرك أن المقاومة تزداد شدة كلما اقترب من القناة ، ولأن قائد القوة الإسرائيلية لم يكن يريد التورط في الاصطدام من جديد بموقع دفاعى مصرى فقد أمر قواته باحتلال مواقع دفاعية فى انتظار تدخل القوات الجوية.

وينجح إبراهيم الرفاعى في وقف تقدم العدو على الطريق الساحلى محققا بذلك المهمة الثانية التى كلفته بها ، وتغتنم القوات المصرية المنسحبة فرصة توقف القوات الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلى لكى تصل إلى الضفة الغربية للقناة. أى أن هذه القوة المحدودة العدد استطاعت أن توفر للقيادة العامة وقتا ثمينا لانسحاب الآلاف من الجنود والضباط. وبعد أن نجح إبراهيم الرفاعى في تحقيق هدف الاستطلاع وعرقلة تقدم العدو تخلص من الاشتباك وانسحب بما بقى من قواته إلى غرب القناة. بعد فقدان أحد الضباط بالإضافة إلى ثمانية عشر فردا من الصف والجنود كشهداء.

عمليه نسف الذخيرة : ٤ يوليو ١٩٦٧

طوال شهر يونيه ١٩٦٧ لاحظت نقط مراقبة المخابرات الحربية الموجودة على الخطوط الأمامية لقواتنا على حافة القناة أن العدو يقوم بتجميع الأسلحة والذخيرة التى تركتها القوات المنسحبة خلف خطوط السكك الحديدية المواجهة لمنطقة جنيفة.

واستمر العدو طوال هذا الشهر يحشد كميات ضخمة تحتاج إلى حوالى ١٥٠ عربة سكة حديد. ولما لاحظت أن العدو قام بإصلاح خط السكة الحديد الذى يربط بين

الشط والقنطرة شرق والموازى للقناة وبدأ فى تجميع عربات السكة الحديد ، توصلنا إلى استنتاج مؤداه أن العدو سيبدأ فى نقل هذه الذخيرة لتكون فى متناوله وبعيدا عن أيدى قواتنا ونيران مدفعيتها لاستخدامها فيها بعد .

فتقرر القيام بعملية لنسف هذا التجمع الضخم من الذخيرة لمنع العدو من الاستفادة به. ووضعت خطة لتنفيذ هذه العملية وعهدت إلى المقدم ابراهيم الرفاعى ومعه الملازم أول رأفت محمد جمعه والملازم أول بهجت خضير ومعهم ١٠ أفراد مدربين للقيام بهذه العملية. وسلحت القوة بعشر عبوات منها خمس شديدة الانفجار وخمس عبوات حريق. وقام كل من الملازم رأفت والملازم بهجت بتوزيع هذه العبوات العشر داخل هذه الكمية الضخمة من الذخيرة. وكانت كل عبوة مجهزة بأقلام زمنية للتفجير.

وأثناء انسحاب المجموعة شعر بها العدو وبدأ فى إطلاق النيران عليها من دبابات كانت تقف على ناتج حفر القناة ، إلا أن المجموعة عادت سالمة دون أن تتبادل النيران مع العدو مما جعل العدو يظن أنها مجموعة من الجنود المنسحبين للعودة إلى غرب القناة.

وفى الوقت المحدد تم نسف الذخيرة وسمع دوى الانفجارات الشديدة على بعد عشرات الكيلومترات حتى أطراف القاهرة واستمرت الانفجارات حتى أتت على جميع الذخيرة الموجودة، وجرى تصوير الذخيرة قبل وأثناء الانفجارات.

دوريات استطلاع خلف خطوط العدو

من ١١/ ٧/ ١٩٦٧ إلى ٥/ ٨/ ١٩٦٧

كانت القيادة المصرية فى ذلك الوقت مشغولة بمحاولة معرفة نيات العدو ، وعما إذا كان سيحاول عبور القناة إلى الضفة الغربية أم لا.

وكان الاستطلاع الجوى غير متوفر والاعتماد الكلى على نقط المخابرات التى تعمل خلف خطوط العدو والتى بقى بعضها بأجهزتها اللاسلكية فى العريش والقسيمة وعند الطرف الجنوبى للنقب. وكانت هذه النقاط منتظمة فى تزويد الإدارة بالمعلومات.

وقررت الإدارة استطلاع شرق ممر متلا لمعرفة ما إذا كانت هناك حشود لمعدات عبور أم لا. وقام بتنفيذ هذه الدورية الملازم أول أبوالعينين محمد مختار والملازم أول حسن صلاح الدين يسرى بدون أفراد معهم ، وجرى التحرك من ميناء الأدبية بالسويس بواسطة مركب صيد حتى سقالة الكارنتينا ومن هناك تحركت الدورية تجاه عيون موسى ثم جبل الراحة، حتى وصلت إلى منطقه شرق ممر متلا «سدر الحيطان» حيث قامت بتصوير المنطقة ودراسة العدو الموجود فيها.

وعادت الدورية مرة ثانية لعيون موسى حيث جرى التقاطها بعد أن مكثت ١٠ أيام خلف خطوط العدو. وكانت هذه الدورية أول مجموعة استطلاع مؤخرة عدو. وبعد عدة أيام أى يوم ٢٥ يوليه جرى استطلاع منطقة الطور بنفس الطريقة وتصوير المطار وجمع معلومات عن تحركات العدو.

وفى يوم ٥ اغسطس قامت دورية أخرى باستطلاع منطقة أبورديس وما حولها باستخدام سفينة صيد إلى الطور والتحرك برا إلى أبورديس. وهناك شعر العدو بها وهاجمها وتمكن العدو من أسر الملازم أول رأفت جمعه فى ابورديس. أما الضابط الآخر ملازم أول بهجت خضير فقد انسحب إلى الطور ولم يتمكن من اتمام الانسحاب حيث جرى أسره هناك.

عملية الحصول على صواريخ للعدو ١٣/ ١١/ ١٩٦٧

لاحظت نقط المراقبة ان العدو يقوم بتجميع عدد من المواسير ويحيطها بأكياس رمل بعد أن نشرها على طوال خط المواجهة بمنطقة شرق القناة. ورغم المراقبة الشديدة لم تستطع أن تميز ماهية هذه المواسير وأسباب نشرها على امتداد خطوط المواجهة ؟

وكنا قد استنتجنا أنها قد تكون قواذف صواريخ ، ولكننا كنا نريد تأكيد هذا الاستنتاج، فتقرر إرسال دورية لاكتشاف كنه هذا السلاح ومحاولة إحضار بعضها لفحصها.

وعهدت بذلك إلى دورية مكونة من النقيب طبيب عالى نصر والنقيب بحرى اسلام توفيق والرقيب محمد غلوش ، وكلهم من البحرية ولكن من قوة إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع ومن أفراد الصاعقة البحرية الممتازين.

وقائد هذه الدورية النقيب طبيب محمد عالى نصر هو طبيب فى القوات البحرية ولكنه آثر العمل الفدائى على احتراف مهنة الطب اقتناعا بأن دور المقاتل فى هذه المرحلة يتيح له فرصة تقديم الأنسب لوطنه والأكثر تعبيرا عن حميته وشجاعته وحبه لبلاده واقتناعه، وقد التمس الالتحاق بمجموعات المخابرات الحربية للعمليات الخاصة.

وأمام هذه الروح وهذه الحمية وافقت على انضمامه وعلى قيامه بالعمل ضمن المجموعات الخاصة. وتم التحرك إلى منطقة جنوب البحيرات حيث اختير موقع العدو هناك كمنطقة عمل للدورية.

وفى الساعة ٢٣٠٠ قبل منتصف الليل بدأوا فى تنفيذ مهمتهم وحاولوا عبور القناة غطسا إلا أن سرعة التيار حالت دون ذلك ، فغيروا من الأسلوب وعبروا القناة سباحة

إلى الضفة الشرقية واقتربوا من موقع العدو حيث وجدوا أن الهدف عبارة عن موقع صواريخ مضادة للدبابات مقامة بطريقة يمكن تفجيرها كلها كهربائيا فى وقت واحد وكان المطلوب منهم إحضار نموذج واحد، ولكنهم أحضروا ثلاثة نماذج من الصواريخ والقواذف....

وترجع أهميه هذة العملية إلى التالى :

أبلغنا جميع قواتنا بماهية هذا السلاح مما مكنا من معرفه خواصه لتجنبه، أما إدارة المخابرات الحربية فاستثمرت هذه الفكرة وعملت على تصنيع هذه القواذف الصاروخية وتطويرها واستخدامها فى تسليح مجموعة العمليات خلف خطوط العدو، كما أنها سلحت الفدائيين الفلسطينيين به وواصلنا تطويره حيث كان العدو يستخدم قواذف عيار ٨١ ملليمترا فوصلنا بها إلى ١٣٠ ملليمترا.

واستمرت بعد ذلك عمليات استطلاع للساحل الشرقى للخليج حتى لا نفاجأ بأية عمليات فى اتجاه السويس وقامت قواتنا بعدة دوريات، وفيما بين ٦٨/ ١/ ١، ٦٨/ ١/ ٥ نفذت مجموعات من المجموعة ٣٩ قتال عدة دوريات استطلاع وعادت بعد أن أدت واجبها على أكمل وجه وتمكنت من توفير معلومات قيمة.

البحث عن حطام المدمرة ايلات

يوم ١٥ فبراير ١٩٦٨ حاول كل من المقدم ابراهيم الرفاعى والنقيب طبيب عالى نصر البحث عن حطام المدمرة ايلات بالغطس عدة مرات، إلا أنهما لم يتمكنا من العثور عليها.

وكررا المحاولة فى اليوم التالى حيث عثرا على حطام المدمرة التى سبق أن دمرتها لنشات الصواريخ أمام ساحل بورسعيد يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ وأحضرا منها بعض الأجهزة. وعاد الاثنان إلى نفس المنطقة يوم ٢٢ فبراير وتمكنا من إحضار مجموعة أخرى من أجهزة المدمرة الغارقة.

وفى اليوم التالى غطس الرفاعى وعالى نصر للمرة الرابعة لإحضار مجموعة جديدة من أجهزة المدمرة الإسرائيلية الغارقة.

بث ألغام على طرق تحركات العدو لإحداث أكبر خسائر ممكنة ١٩٦٨/ ٥/ ٥

إختيرت منطقة شمال رمانة للقيام بهذه العملية وجرى تشكيل الدورية من مقدم أ.ح ابراهيم الرفاعى والرائد عصام الدالى والرائد طبيب عالى نصر وجندى من ك ١٤١ فدائيين «سبق أن كونت هذه الكتيبة من بعض الفلسطينيين الذين عملوا مع الإدارة وبعض العرب من سيناء وذلك قبل هزيمة يونيه، أما الجندى الذى اشترك فى هذه الدورية فيعرف هذه المنطقة معرفة تامة». وتم التحرك من بورفؤاد بحرا بواسطة قارب اقتحام من طراز زودياك مارك - ٣. ووصلت الدورية إلى شمال رمانة وزرعت ١٢ لغما مضادا للدبابات فى خمس مناطق مختلفة.

وأثناء انسحاب الدورية كانت هناك ٢ عربة نصف جنزير للعدو محملة بالجنود ومعهما عربة جيب تتحرك على الطريق فوقعت فى الكمين وانفجرت العربات الثلاث. وقدرت خسائر العدو باثنى عشرة قتيلا وجريحا بالإضافة إلى العربات الثلاث.

كمين لقوات العدو التى تقوم بالاستحمام شرق القناة أمام كبريت ١٩٦٨/ ٧/ ٣٠

لوحظ أن أفراد العدو يقومون بالاستحمام فى مياه القناة شرق كبريت بعد أن أحدثوا ثغرة فى الأسلاك والألغام فى خطهم الدفاعى، مما أثار مشاعر الضباط والجنود المصريين فى تلك المنطقة.

وجرى إعداد دورية من أفراد المخابرات الحربية مكونة من رائد طبيب عالى نصر وثلاثة أفراد من الصاعقه البحرية. وقامت هذه الدورية باستخدام قارب زودياك وعندما اقتربت من المكان المحدد نزلت وتقدمت حتى مكان الثغرة، وبثت الألغام بها، وعادت بدون أن يشعر بها العدو. وفى اليوم التالى لاحظت المراقبة انفجار لغم فى مجموعة من الجنود كانت متوجهة للاستحمام. وأمكن للاستطلاع اللاسلكى تحديد مقتل قائد مدفعية العدو فى هذه المنطقة أثناء محاولته الاستحمام.

وفهم العدو الدرس واستمرت الإدارة بعد ذلك فى عمليات زرع الألغام على الطريق الشمالى وعلى امتداد المواجهة على الطرق العرضية بين المواقع وعلى المدقات الساحلية مما أحدث خسائر كبيرة فى العدو.

كمين للعدو شرق النصب التذكارى على الضفة الشرقية ٢٦/٨/١٩٦٨

بعد مراقبة تحركات العدو خاصة الليلية ودورياته بين النقط تقرر عمل كمين للعدو فى هذه المنطقة. وتكون الكمين من المقدم أ.ح ابراهيم الرفاعى والرائد أ.ح عصام الدالى والرائد طبيب عالى نصر والنقيب رجائى عطية والنقيب بحرى إسلام توفيق والملازم أول بحرى محمد سالم والملازم أول بحرى ماجد ناشد و ٢١ فردا من الصاعقة البحرية الذين التحقوا بإدارة المخابرات الحربية، على قوة المجموعة ٣٩ قتال.

وتم عبور الأفراد سعت ١٨٠٠ يوم ٢٦/٨/١٩٦٨ على ثلاث مراحل ، فى المرحلة الأولى عبر ماجد ناشد ومعه فردين سباحة إلى الضفة الشرقية للاستطلاع والتأمين ، وتلى ذلك باقى الدورية على مرحلتين. و وصلت الدورية كلها إلى أماكنها حوالى الساعة ١٩٠٠.

وفى الساعة ٢٠١٥ وصلت عربات العدو وكانت مكونة من ٢ عربة جيب وجرى تدمير العربتين وقتل ٦ أفراد وأسر واحد ، وعادت الدورية بالأسير، وكان أول أسير من قوات العدو بعد يونيه ٦٧، حيث لم يعش طويلا لإصابته الشديدة ومات بعد ذلك بالمستشفى.

واستمرت قواتنا فى الدوريات النشطة فى عمليات العبور خلف خطوط العدو وقامت فى ٤/٩/٦٨ ، ٢٤/٩/٦٨ ، ٢٦/١٠/٦٨ ، ٢٧/١٠/٦٨ بدوريات لزرع ألغام خلف خطوط العدو أحدثت خسائر بشرية و فى معدات مختلفة، مما أثر على تحركات العدو التى كان يقوم بها بدون اعتراض قبل ذلك.

بدء العمليات الخاصة فى أرض العدو ٢٧/١٠/١٩٦٨

قامت إدارة المخابرات الحربية بنقل العمليات إلى داخل أرض العدو حتى لا يشعر بالاطمئنان ، واختارت لذلك مدينة «بيسان» حيث قامت المجموعة ٣٩ بالتحرك إلى شرق الأردن ثم عبرت الحدود الإسرائيلية واقتربت من شرق بيسان وعلى مسافة خمسة كيلومترات ونصبت ١٠ صواريخ أرض - أرض من عيار ٢٤٠ ملليمترا و ١٥ صاروخ أرض - أرض من عيار ١٣٠ ملليمترا. وتم إطلاقها جميعا على مدينة بيسان حيث أحدثت بها انفجارات وخسائر كبيرة ، وكانت أول عملية تستخدم فيها الصواريخ المتطورة.

وواصلت الإدارة عمليات العبور و زرع الألغام على طول المواجهة ، فخلال شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩٦٨ نفذت عدة عمليات ،وكانت من أنجح الدوريات تلك التى تم

تنفيذها تمت يوم ١٣/ ٢/ ١٩٦٩ وكانت دورية كبيرة مكونة من المقدم إبراهيم الرفاعى والرائد محمد عصام الدالى والرائد عالى نصر والرائد أحمد رجائى عطية والنقيب بحرى إسلام توفيق والملازم أول وسام حافظ والملازم أول محسن طه و ٤٢ صف ضابط وجندى.

وقد قسمت المواجهة إلى ثلاث مناطق، الشمالية بقيادة عصام الدالى والوسطى بقيادة عالى نصر والجنوبية بقياده إبراهيم الرفاعى. وقامت هذه الدوريات الثلاث بزرع ٣٠ لغما مضادا للأفراد ، وكانت أول مرة يتم فيها تلغيم الجبهة بالكامل فى وقت واحد مما أحدث خسائر كبيرة بقوات العدو، كما أحدث ذعراً بالنسبة لتحركاته. وقدرت خسائر العدو بدبابة وسبع عربات وعدد كبير من القتلى والجرحى. وكنا نحصل على معلومات عن نتائج هذه العمليات بواسطة الاستطلاع اللاسلكى وإشارات العدو.

كما تمت فى الفترة خلال شهر فبراير ومارس ١٩٦٩ عدة عمليات عبور بعضها لاستطلاع الأرض واستطلاع مناطق تمركز قوات العدو ، وأخرى لوضع ألغام على طرق التحرك ، كما تم القيام بعملية قصف بالصواريخ لمواقع مدفعية العدو فى عيون موسى يوم ٢٢ مارس ١٩٦٩ عندما عبرت الدورية المكونة من ١٠ ضباط و ١٦ فردا ومزودة بالقواذف والصواريخ خليج السويس باستخدام ٥ قوارب زودياك.

كما قامت دورية أخرى بالعبور فى منطقة البحيرات المرة يوم ٣١/ ٣/ ١٩٦٩ وزرعت ١٢ لغما مضادا للأفراد وقصفت منطقة تل سلام بالصواريخ ، وكانت الدورية مكونة من ٦ ضباط و ١٥ فردا.

قصف ميناء إيـــلات بالصواريـخ

تحركت مجموعة يوم ٩/ ٤/ ١٩٦٩ بقيادة الرائد أ.ح عصام الدالى وبعض الأفراد بالإضافة إلى عناصر من تنظيم فتح إلى منطقه قريبة من الميناء ومنها تم قصف إيلات بـ ٢٠ صاروخ عيار ١٣٠ ملليمترا ، ١٠ صواريخ عيار ٢٤٠ ملليمتر.

وكان لهذا تأثير كبير على العدو حيث كانت المرة الأولى التى تتعرض فيها إيلات للقصف بهذه الكمية من الصواريخ. وقد نتج عن العملية خسائر كبيرة فى الأرواح ، واضطر الإسرائيليون لتحريك بعض قواتهم إلى هذه المنطقة لحمايتها. وكانت إسرائيل تعتمد من قبل على مجموعة من الحرس لحماية تلك المنطقة التى تضم ميناء وقاعدة بحرية رئيسية.

ويوم ١٩/ ٤/ ١٩٦٩ قامت دورية مكونة من ٨ ضباط بقيادة إبراهيم الرفاعى و ٨٠ فردا بمهاجمة موقع العدو فى لسان التمساح ثأرا للشهيد الفريق عبدالمنعم رياض. وقامت هذه القوة بالعبور إلى جنوب موقع لسان التمساح حيث تشكلت من ٥ مجموعات قامت بمهاجمة دشم العدو فى وقت واحد وتمكنت من السيطرة على الموقع ودمرته بالكامل بما فيه من عربات ومعدات وأفراد وأسلحة ، وعادت برشاش متوسط وعلم الموقع وبعض معدات الرؤية الليلية. كما دمرت للعدو ٢ عربة نصف جنزير كانتا خلف الموقع. وقد قتل جميع أفراد العدو فى الموقع. أما خسائر الدورية فكانت ٩ أفراد جرحى ، عادت بهم الدورية جميعا إلى الضفة الغربية.

وفى ١٩/ ٥/ ١٩٦٩ قامت دورية من المجموعة ٣٩ قتال بقيادة الرفاعى والدالى بضرب مصانع «سدوم» للفوسفات جنوب البحر الميت بـ ٢٠ صاروخ من عيار ١٣٠ ملليمتر سقطت كلها فى منطقة المصانع وأحدثت خسائرا كبيرة وأشعلت النيران فى عدة مواقع. وقد أفادت التقارير بعد ذلك أن الإصابات فى المصانع كانت جسيمة ولحقت بالعدو عدة خسائر فى الأرواح.

وفى ٥/ ٦/ ١٩٦٩ قامت دورية بقيادة ٤ ضباط و ١٠ أفراد بعبور خليج السويس وقصفت مواقع مدفعية العدو فى منطقة عيون موسى حيث أحدثت بها خسائرا كبيرة. وخلال شهر يونيه ١٩٦٩ قامت عدة دوريات بالعبور على طول المواجهة للاستطلاع وتلغيم الساحل الشرقى للبحيرات المرة ، وقد تم تدمير عدد من دبابات وعربات العدو النصف جنزير مما أربك تحركاته على طول خط المواجهة.

عملية الإغارة على موقع لسان التمساح شرق الإسماعيلية ٧/ ٧/ ١٩٦٩

قامت دورية من إدارة المخابرات الحربية بمهاجمة موقع العدو فى لسان التمساح شرق الإسماعيلية ، وذلك بقصد الاستطلاع بقوة ومعرفة نظم الدفاع وتسليح الموقع. وكانت الدورية مكونة من الرفاعى قائدا ومعه ٩ ضباط و ٩٠ فردا من إدارة المخابرات الحربية. وقد اصطدمت الدورية بالعدو واشتركت دبابات العدو فى القتال. وكان القتال شديدا وحققت الدورية مهمتها واستطاعت أن تدمر للعدو دبابتين و ٥ عربات نصف جنزير وقتلت عددا كبيرا من الأفراد. واستشهد من القوة ٩ أفراد.

دورية استطلاع الجزيرة الخضراء بعد هجوم العدو عليها

نفذ الدورية ضابطان وفردان بتاريخ ٢٠/ ٧/ ١٩٦٩ ، حيث تم تأمين الجزيرة ونزع القنابل اليدوية والاشراك الخداعية التى تركها العدو ، وتم الحصول على عدة أجهزة غطس من التى تركها العدو خلفه أثناء انسحابه. كما قامت عدة دوريات باستطلاع منطقة شرق بورفؤاد ومواقع العدو أمام موقع الكيلو ١٠، وأتمت هذه الدوريات عملها بنجاح خلال الفترة من ٢٥/ ٧ إلى ٣٠/ ٧/ ١٩٦٩ ويوم ٦/ ٨/ ١٩٦٩ قامت دورية مكونة من ٧ ضباط و ١٠ أفراد بالعبور إلى الضفة الشرقية بجوار ميناء الأدبية وهاجموا موقع الكارنتينا بالصواريخ والرشاشات وأحدثوا خسائرا كبيرة بالعدو.

وفى يوم ١٣/ ٨/ ١٩٦٩ قامت مجموعة مكونة من ٨ ضباط و ١٦ فردا بالعبور للضفة الشرقية فى منطقة البحيرات المرة الكبرى حيث قامت بزرع ألغام كثيرة ثم هاجمت موقعا للعدو فى تل سلام بـ ٨ صواريخ. وعادت الدورية بعد أن كبدت العدو دبابة و ٢ عربة نصف جنزير.

عمليه نسف سقالة الكارنتينا وزرع ألغام مضادة للعربات

يوم ٣٠/ ٨/ ١٩٦٩ قامت دورية بقيادة الرفاعى تضم عصام الدالى و٧ ضباط آخرين و ١٨ فردا بعبور خليج السويس فى ٥ قوارب اقتحام من طراز زودياك ، حيث زرعت مجموعة من الألغام وأعدت السقالة للنسف. وأثناء الانسحاب ظهرت دبابتان معاديتان واشتبكتا مع القوارب الخمسة واستشهد من المجموعة الرائد ا.ح عصام الدالى وفرد آخر. أما السقالة والدبابتان فقد تم تدميرهم.

كارثة عملية الزعفرانة ٩/ ٩/ ١٩٦٩

استطلاع وفتح الطريق الساحلى من أبوالدرك حتى الزعفرانة

أغارت قوات العدو على طريق السويس رأس غارب الموازى للساحل الغربى لخليج السويس وقطعته عند منطقة الزعفرانة وألحقت خسائرا بالمواقع الموجودة بالمنطقة وأصابت وقتلت المدنيين الذين تصادف مرورهم على الطريق ومن بينهم محافظ البحر الأحمر.

وظلت القوات الإسرائيلية موجودة بالمنطقة لفترة طويلة دون أن تتدخل القوات المصرية لصد القوات المغيرة. واستخدمت القوات الإسرائيلية قطع بحرية للإبرار البحرى من بينها الناقلة بيت شيفع (بيت سبع أو الأسد) وواصلت نشاطها فى حماية مظلة جوية ودوريات بحرية نشطة!!

وصباح نفس اليوم كان الرئيس عبدالناصر يشهد مناورة لقوات الجيش الثالث يرافقه كل من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة والفريق أحمد اسماعيل رئيس الأركان.

وعندما علمتُ كمدير للمخابرات بالإغارة حاولت إبلاغ عبدالناصر بها عن طريق القائد العام إلا أن القائد العام رفض إبلاغ الرئيس حرصاً على استمراره فى متابعة المناورة ، وعندما أبلغته أن هناك خطرا على حياة الرئيس عبدالناصر نتيجة وجود مظلة جوية إسرائيلية من خمسين طائرة فى سماء منطقة الزعفرانة ، أصر القائد العام على أن هذه المعلومات غير حقيقية بالمرة وأن من أبلغنى بها كان من الغائبين عن وعيهم.

وأمام تدفق المعلومات الواردة لإدارة المخابرات الحربية عن طريق عناصرها ونظرا لخطورة الموقف قمت بإبلاغ اللواء عبد القادر حسن قائد الجيش الثالث بالمعلومات المتوفرة لديَّ عن القوات الإسرائيلية الموجودة بالزعفرانة والتى تقطع الطريق وتهاجم القوات الموجودة بالمنطقة وأوضحت له أنني أخشى أن تكتشف المظلة الجوية المعادية وجود من يتابعون المناورة ومن بينهم الرئيس عبدالناصر فتغير عليهم مثلما فعلت وحدة إسرائيلية شرق الإسماعيلية فى مارس ٦٩ مما أسفر عن استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض وطلبت منه أن يبلغ الرئيس عبدالناصرمباشرة.. لأن الوزير ورئيس الأركان يرفضان إبلاغه، وفعلا نفذ اللواء عبدالقادر حسن المهمة بنجاح فقرر عبدالناصر العودة إلى القاهرة فورا.

وقد حرص الفريق أول فوزى على إبلاغ عبدالناصر أن المعلومات التى نقلها له اللواء صادق عن طريق اللواء عبدالقادر حسن ليست أكثر من أكاذيب و خرافات!!

وفى القاهرة طلب الرئيس عبدالناصر من محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام أن يوافيه بأية معلومات عن إغارة لقوات العدو على منطقة الزعفرانة ، فأكد له صحة أنباء الإغارة فما كان من الفريق فوزى عندما اتصل به عبدالناصر إلا أن حمل المسئولية للفريق احمد إسماعيل رئيس الأركان .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس عبدالناصر قبل أن يغادر السويس طلب من الفريق أحمد اسماعيل أن يتوجه فورا إلى منطقة الزعفرانة لمواجهة الموقف، إلا أنه علم فيما بعد أنه موجود بمكتبه بالقاهرة فاستشاط غضبا وأمر باحالته إلى التقاعد.

وكان طيران العدو قبل قيامه بالإغارة على الزعفرانة قد نفذ عدة طلعات استطلاع جوي وصور المنطقة بكل مافيها عدة مرات، كما تمكنت مجموعة استطلاع إسرائيلية من الوصول إلى الساحل الغربى لخليج السويس لاختبار منطقة الإنزال ونقطة التقاط الأفراد بعد انتهاء العملية. وواصلت قيادة العدو جمع المعلومات حتى تأكدت أن المنطقة المستهدفة ليس بها سوى مدفع واحد مضاد للدبابات من طراز (ب ١٠) بالقرب من فنار أبوالدرك.

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٩/ ٩/ ١٩٦٩ أغارت قوات العدو الجوية على كتيبة صواريخ دفاع جوى بالعين السخنة وموقع رادار الزعفرانة بجانب قصف عدة أهداف أخرى بالمنطقة.

ولتنفيذ خطة الإنزال البحرى استخدم العدو ثلاث سفن إنزال بحرية كان على ظهرها عربة جيب + ٨ دبابات من طراز ت ٥٤ (الروسية) كانت ضمن الدبابات التى تركتها القوات المصرية أثناء انسحابها من سيناء في يونيو ١٩٦٧، بالإضافة إلى مجموعة من القوات الخاصة الإسرائيلية. وتم إنزال هذه الدبابات مع باقى القوة على مسافة ٢٥ كم شمال أبوالدرك، وعندما وصلت إلى الطريق الأسفلتى بدأت في بث الألغام لإغلاق الطريق من الجانبين.

سير العملية :

بعد زرع الألغام على الطريق وبجانبيه لمسافة ٣,٩ كم من منطقة النزول عاد أفراد القوة الخاصة إلى سفن الإنزال البحرى التى تحركت جنوبا وفى نفس الوقت كانت

الدبابات تتحرك على الطريق الأسفلتى جنوبا وهى تطلق نيران رشاشاتها على نقط الحدود ونقط الملاحظة الجوية.

قام العدو ببث الألغام على مسافه ٦,٦ كم على الطريق الأسفلتى ثم على مسافة ١٠,٥ كم تم بث ألغام أخرى مضادة للأفراد والدبابات.

قصفت قوات العدو الجوية الطريق شمال نقطة الإنزال ١,٧ كم بقنابل ١٠٠٠ رطل كما قصفت عددا من السيارات المدنية التى كانت تتحرك على الطريق.

واصلت دبابات العدو تقدمها جنوبا دون أى مقاومة حتى مسافة ٥٠٠ م شمال أبوالدرك.

هاجمت دبابات العدو منطقة الفنار من اليمين واليسار ودمرت المدفع (ب ١٠) والأكشاك والفنار بدانات شديدة الإنفجار كما دمرت العربات الموجودة بالموقع.

استمرت الدبابات في التحرك جنوبا حتى وصلت إلى محطة الرادار حيث اشتبك معها أفراد القوة المصريه بالأسلحة الصغيرة والرشاشات المتوسطة.

استمر الاشتباك من **الساعة التاسعة وأربعين(٩٤٠) دقيقة حتى الساعة الثانيةبعد الظهر وعشرين دقيقة (١٤٢٠)**، وبعد مقاومة باسلة من رجال الموقع تمكنت دبابات العدو من اقتحامه وتدميره.

انسحبت الدبابات من نقطة شمال الزعفرانة حيث كانت ترسو سفن الإنزال على الساحل وذلك تحت ستار المظلة الجوية المعادية.

خلال المعركة استخدم العدو طائرات الهليكوبتر لإنزال قوات فى وادى عربة لإغلاق الوادى لمنع أى قوات من الوصول إلى منطقة المعركة.

استمرت المظلة الجوية وقوات العدو الجوية في قصف المنطقة والأفراد حتى الساعة السادسة مساء.(١٨٠٠)

وقد استخدم العدو في هذه الإغارة قواته البرية والبحرية بنجاح وكان التعاون فيما بين هذه القوات وثيقا.

وكان استخدام العدو للدبابات ت ٥٤ عملية خداع لإيهام أفراد نقط الملاحظة المصرية أنها دبابات مصرية وساعده ذلك على مفاجأة القوات الموجودة بالمنطقة.

وتعد هذه العملية من العمليات الرئيسية ذات الدلالات التى نفذتها إسرائيل طوال معارك الاستنزاف.

وقبل الحديث عن الدلالات يجدر بنا أن نوضح أن منطقة الزعفرانة هى نقطة التقاء الطريق الساحلى الذى يبدأ من السويس وينتهى عند آخر نقطة مصرية على ساحل البحر الأحمر وطريق القاهرة الكريمات الزعفرانة الذى يمر عبر وادى عربة ومنطقة بيرعريضة.

أى أن الزعفرانة هى المدخل للطريق المؤدى إلى القاهرة وهذا الطريق أحد المحاور التى أنشأتها القوات المسلحة لتيسير الانتقال بين الوادى وساحل البحر الأحمر ووصول القوات الإسرائيلية إلى الزعفرانة وقطعها لطريق القاهرة الكريمات الزعفرانة عند وادى عربة رسالة لاتخفى دلالتها عن القيادة السياسية المصرية فها هى القوات الإسرائيلية تقف على مسافة حوالى مائة كم من القاهرة وفى منطقة تخلو من الدفاعات المؤثرة.

وبما أن العدو بدأ الإغارة الساعة السادسة من صباح يوم ٩/٩ واستمر حتى السادسة مساء دون أى تدخل من جانب القوات المصرية ، فإن ذلك يعنى أنه ظل يعمل في منطقة مكشوفة محققا كل الأهداف العسكرية وبحرية تامة.

وقد اصطحب العدو معه فى هذه العملية وفود إعلامية قامت بتسجيل مراحلها بالصوت والصورة وكانت شاهدا على هشاشة الوضع الدفاعى المصرى بهذه المنطقة وعلى عجز القيادة عن التدخل ومنع العدو من تحقيق أهدافه.

وعندما انسحب العدو انسحب بإرادته حيث لم تتعرض قواته لأى ضغط من جانب القوات المصرية. كما أن الزعفرانة تمثل نقطة في الثلث الأول من خليج السويس الذى يبلغ طوله حوالى ٤٢٠ كم ، وتقع الزعفرانة على مسافة ١٠٠ كم جنوب السويس. وأوضحت الإغارة الإسرائيلية أن الساحل بهذه المنطقة يصلح لعمليات الإنزال البحرى.

وكل ماقام به الجيش الثالث تمثل في دفع فصيلة صاعقة وصلت بالقرب من العين السخنة حيث أفادت أن الطريق مغلق ولم تحاول التقدم أبعد من ذلك. بعدها تم دفع دورية من الحدود مكونة من عربتى جيب وعندما اكتشف العدو وجود الدورية اشتبك معها ودمر إحداها.

على أثر ذلك قمت بارسال مجموعة صغيرة بقيادة إبراهيم الرفاعى وتضم الرائد طبيب محمد عالى نصر وفردين حيث تحركت من السويس على الطريق الأسفلتى باتجاه أبوالدرك والزعفرانة وتمكنت من نزع ١٣ لغما مضادا للدبابات كما أعادت بعض الجرحى الموجودين فى المنطقة إلى السويس بعد أن تمكنت من استطلاع وفتح الطريق من الزعفرانة ، أما بالنسبة للألغام التى لم تتمكن من نزعها فقد حددت أماكنها وتركت

للقوات التى ستأتى فيها بعد لفتح الطريق مهمة نزعها وأسهمت بذلك فى إنقاذ عدد من العربات كان يمكن أن يتعرض للتدمير من جراء المرور فوق هذه الألغام.

❁ ❁ ❁

وفى إطار صراع الإرادات والحوار بالنيران عبر قناة السويس في معارك استهدفت بها القيادة المصرية استنزاف العدو رأت القيادة الإسرائيلية تنفيذ عمليات إغارة في العمق المصرى في معارك استنزاف مضادة ومن هذه العمليات عملية الإغارة على نجع حمادى التى أفزعت القيادة السياسية المصرية كثيرا لأنها كشفت عن اتجاه العدو لاستغلال واحدة من نقاط الضعف الرئيسية المتمثلة فى عدم وجود دفاعات جوية مصرية تحمى هذا العمق واستمرار انكشاف العمق المصرى كان يعنى إتاحة الفرصة أمام العدو لمواصلة الضغط على هذا العصب المكشوف ، وتأتى عملية الزعفرانة على نفس الطريق حيث كشفت ضعف وهشاشة الدفاعات المصرية على امتداد ساحل البحر الأحمر. وهذا الساحل الذى يمتد لأكثر من ألف كم يتطلب إمكانيات كثيرة للدفاع عنه لم تكن فى متناول القيادة المصرية وقتذاك.

أى أن العدو أراد أن يدفع القيادة المصرية إما إلى بعثرة قواتها لإقامة مواقع دفاعية على امتداد الساحل وبما يشكله ذلك من استنزاف للموارد المحدودة ، وإما أن يظل مكشوفا ومعرضا لعمليات مماثلة لعملية الزعفرانة.

وتحت ضغط هذه العملية وعملية الحصول على الرادار الموجود بمنطقة رأس غارب التى نفذها العدو بعد ذلك بقليل اضطرت القيادة إلى إنشاء منطقة عسكرية بالبحر الأحمر وأسندت قيادتها للواء سعد الشاذلى.

وتحت ضغوط عملية نجع حمادى والعمليات التى تلتها فى صعيد مصر اضطر الرئيس عبدلناصر لزيارة موسكو سرا في يناير ٧٠ ليطلب من القيادة السوفيتية حماية المواقع والأهداف المصرية بالصعيد بوحدات دفاع جوى سوفيتية.

عمليه موقع جنوب البحيرات ١٣/ ١٠/ ١٩٦٩

تكونت الدورية من ٣ ضباط بقيادة د.عالى نصر بالإضافة إلى٤ أفراد. وعبروا جميعا من موقع جنوب البحيرات بقاربى زودياك إلى موقع شرق كبريت حيث قامت الدورية بزرع ١٠ ألغام مضادة للأفراد ، كما جهزت صواريخ للإنطلاق مع أول ضوء من الجزيرة الموجودة غرب الموقع مباشرة. وفعلا تم ذلك بدقة وتم تدمير ٢ عربة نصف جنزير للعدو.

عمليه استطلاع أبوزنيمه وضربها بالصواريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٦٩

تم تنفيذ هذه العملية باستخدام طائرتى هليكوبتر من طراز مى - ٨ حملت ٣ ضباط و٨ أفراد، واتجهت من القاهرة إلى بنى سويف ومنها إلى الزعفرانة ثم إلى أبوزنيمة.

وقد أمرت بعودة الدورية التى كان المفروض هبوطها فى منطقة أبوزنيمة عندما التقطت إشارات لاسلكية يفهم منها أن العدو اكتشف ٢ هليكوبتر أثناء عبورها الخليج.

ونفذت دورية يوم ٢٧/ ١١/ ١٩٦٩ عملية تلغيم الطرق الموازية للخليج على الجانب الشرقى بمنطقة الطور وجنوب الطور. واستخدمت الدورية للوصول إلى المنطقة طائرتى هليكوبتر من طراز مى - ٨ ، هبطت إحداهما عند منطقة بير أبوشعير على الساحل مباشرة. وفى الساعه ٢٠١٥ هبطت الطائرة الأخرى على الطريق الأسفلتى جنوب الطور بـ ٦٠ كيلو مترا حيث جرى تلغيم الطريق فى عدة مناطق. واستمرت الدورية على الأرض لمدة ١٧ دقيقة ككمين لاصطياد أية قوات تتحرك على الطريق.

ويوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٦٩ قامت دورية بقيادة الرفاعى ومعه ٥ ضباط و ١٤ فردا بعبور خليج السويس إلى شمال الطور بحوالى ٧,٥ كيلومتر حيث تم نصب قاذفى صواريخ ١٣٠ ملليمترا وقصفت مطار الطور بثمانية صواريخ و زرعت عددا من الألغام بمواقع مختلفة. وقد أفاد الاستطلاع اللاسلكى عن تدمير أربع سيارات نقل بالإضافة إلى مخزن ذخيرة ومحطة لاسلكى بالمطار، وإصابة عدد من الأفراد الموجودين بالمطار.

عمليه تدمير مطار الطور وضربه بالصواريخ ٢/ ٢/ ١٩٧٠

نفذ المهمة ٦ ضباط بقيادة الرفاعى و ١٦ فردا ، واستخدمت المجموعة ٥ قوارب زودياك للوصول إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس.

وهناك رست القوارب شمال مطار الطور بحوالى ستة كيلومترات ومن هناك قامت بإطلاق ٨ صواريخ من عيار ١٣٠ ملليمترا على المطار أسفرت عن تدمير بعض المنشآت.

ويوم ١٣/ ٢/ ١٩٧٠ تم استطلاع مطار الطور من فوق ظهر مركب تجارى شاحطة شمال غرب الطور فى الخليج ، وذلك لتقدير الخسائر فى العمليتين السابقتين واستعدادا لقصف المطار للمرة الثالثة.

قصف موقع صواريخ هوك شرق البحيرات المرة الكبرى وزرع ألغام مضادة للأفراد فى ٢٥/ ٣/ ١٩٧٠

تم التحرك حتى منطقة شمال شرق كبريت بحوالى كيلومترين وتم زرع ١٠ ألغام مضادة للأفراد وإطلاق ٨ صواريخ من عيار ١٣٠ ملليمترا على موقع الصواريخ المضادة للطائرات من طراز هوك وأسفر القصف عن إصابة الموقع بإصابات مباشرة ولحقت بالعدو خسائر فى الأرواح.

❁ ❁ ❁

الفصل الحادى عشر

مناورات صغيرة

بوفاة عبدالناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ انفتح الباب أمام صراعات عنيفة بين كل القوى الموجودة، المهم أن هذا الفترة انتهت باختيار السادات رئيسا للجمهورية. وأجرى الاستفتاء على الرئيس الجديد وفقا للدستور وكان ذلك يوم ١٥ أكتوبر عام ١٩٧٠ ، وتولى السادات سلطاته رسميا يوم ١٧ أكتوبر وأقسم اليمين الدستورية.

وبدأت القيادة العامة فى وضع صورة كاملة عن الموقف العسكرى أمام الرئيس الجديد الذى لم يكن قبل ذلك ملما أو محيطا بأبعاد الموقف الحقيقية ، وجمع السادات المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر عام ١٩٧٠ أى بعد أربعة أيام من انتخابه و يومين من توليه المسئولية ، وكان ذلك تعبيرا عن خططه الخاصة لكسب ود القوات المسلحة.

خلال هذا الاجتماع أشار السادات إشارة مقتضبة عن تصوره لمعركة محدودة مع إسرائيل تقتحم فيها قواتنا القناة وتحرر عشرة سنتيمترات بعدها تتدخل الدول لوقف إطلاق النار ، ونتجه للسلام مع إسرائيل. ولم يعط أحد من الحاضرين هذه الإشارة الاهتمام الكافى ، ومرت دون أن تثير أية علامات استفهام ، خاصة أن الرئيس لم يتوقف عندها طويلا.

وخلال الفترة التى أعقبت اختياره رئيسا للجمهورية والتى بدأ يلتقى فيها بالقادة ، ويجتمع فيها بالمجلس الأعلى، لم يعد السادات يتصل بى مثلما كان يفعل من قبل. ولاحظ الفريق فوزي وآخرون ذلك ، وفى هذا الوقت كان محمد فوزى يعمل جاهدا للسيطرة على القوات المسلحة ، ومنع السادات من جذب عدد من القادة إليه وكسبهم إلى صفه تحسبا لأية احتمالات. وبدا واضحا أن المجموعات الموجودة على المسرح بدأت تتخذ من الأساليب والطرق ما يساعدها على تحقيق ما تصبوا إليه من أهداف.

فمجموعة على صبرى وشعراوى وسامى وفوزى ومحمد فائق بدأت تعمل داخل القوات المسلحة والحكومة واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى واللجنة المركزية ومجلس الأمة والنقابات والاتحادات المهنية والعمالية لبسط نفوذها ومد سيطرتها وتقليص نفوذ الرئيس السادات.

والرئيس السادات بدوره بدأ يعمل لتمهيد الأرض لحسابه وضرب هذه المجموعة فألغى الحراسات فى ديسمبر ١٩٧٠، واتصل بأمريكا وجدد فترة وقف إطلاق النار وقدم مبادرة السلام فى ١٦ فبراير ١٩٧١ ، واستمر على هذا النهج.

وحاولت هذه المجموعة المعارضة إقناع السادات ببدء معارك استنزاف جديدة أو القيام بعمليات هجومية تعرضية محدودة ضد العدو ، وذلك بقصد شل قدرته على التخلص منهم وإغراقه فى مشاكل عسكرية وسياسية معقدة تجعله متورطا بصفة دائمة وغير قادر على المناورة داخليا بصفة خاصة أو خارجيا ، خاصة وهم يشكون فى حقيقة ما يدور بينه وبين الأمريكيين. وجرى حسم هذا الصراع خلال شهرى ابريل ومايو ١٩٧١ لحساب السادات وذلك نتيجة لأخطاء هذه المجموعة.

كما كان لموقف القوات المسلحة التى كانوا يستندون إليها أثر كبير فى حسم الموقف لصالح السادات ، الذى يمثل السلطة الشرعية. وبدأت صفحة جديدة من العلاقات بينى وبين السادات ليلة حسم الموقف فى ١٣ مايو ١٩٧١ .

وهذه العلاقة الجديدة بدأت بداية تكشف الوجه الآخر للسادات ، فقد كنت بفضل الله وقدرتى على تحييد موقف القوات المسلحة ، القوة الحقيقية على المسرح ، ولم تنجح أية قوى بكل ما قدمته من إغراءات ، أو عرضته من عروض في إقناعي بأن التخلص من السادات إنما هو واجب وطني ولصالح مصر.

وقد علمتُ بنية السادات تعيين أحمد إسماعيل وزيراً للحربية يوم ١٤ مايو أي في اليوم التالي لحسم الصراع لصالحه. ولم يتغير تقديري للموقف وظللتُ متمسكا ومحافظا على حياد القوات المسلحة، وعندما وضح للسادات أنني القائد المسيطر على القوات المسلحة، وعلى الموقف فى مصر كلها ليلة ١٣ مايو، لم يجد مناصاً من تعييني وزيراً للحربية واستمات لكى أقبل المنصب وأقسمتُ اليمين، فقد كان يخشى أن أتخذ قرارا لحسابى، ولم يكن هذا الأمر واردا أبدا بالنسبة لي ، إلا أن عقليته التآمرية صورت له وهو حبيس منزله أن هذا يمكن أن يحدث.

واختار السادات أن يعين أحمد اسماعيل مديرا للمخابرات العامة بدلا من تعيينه وزيرا للحربية خلفا لأحمد كامل الذى كان ضالعاً فى المؤامرة.

وبخلو منصب رئيس الأركان طلب منى الرئيس السادات ترشيح من أراه الأكفأ لشغل هذا المنصب الرفيع من بين قادة القوات المسلحة، وقد طلب الرئيس أن أرشح له اثنين من القادة ليختار من بينهما واحدا. ورشحت له خمسة من القادة كان من بينهم

عبدالقادر حسن وسعد الشاذلى ، وفوجئت بأن السادات قد طلب من أحمد اسماعيل حضور اجتماع لاختيار عبدالقادر حسن أو سعد الشاذلى وكانت معارضته أشد للفريق عبدالقادر حسن.

وحسم الرئيس المناقشة بالتصديق على تعيين سعد الشاذلى رئيساً للأركان ، وصممت على تعيين عبدالقادر حسن نائباً لوزير الحربية لمعاونتى فى هذه المرحلة.

وكنت أرى أن عبدالقادر حسن هو أصلح المرشحين وأنسبهم لشغل منصب رئيس الأركان لكفاءته عسكريا وفنيا ، وقد أثبتت كل التجارب التى خاضها مدى شجاعته وحنكته كقائد ، فقد كان هو القائد الوحيد فى معركة ١٩٦٧ الذى نفذ الواجب المكلف به واخترق أرض العدو فى اتجاه إيلات ولمسافة تتراوح بين ٦٠ ، ٧٠ كيلو مترا ، ولم ينسحب إلا بعد أن صدرت إليه أوامر مشددة بالانسحاب.

ورغم أنني كنت أعلم أن سعد الشاذلى كثير الضجيج والدعاية لنفسه، إلا أنني رشحته لإدراكي أنه ضابط وطنى وشجاع ومنفذ جيد للأوامر.

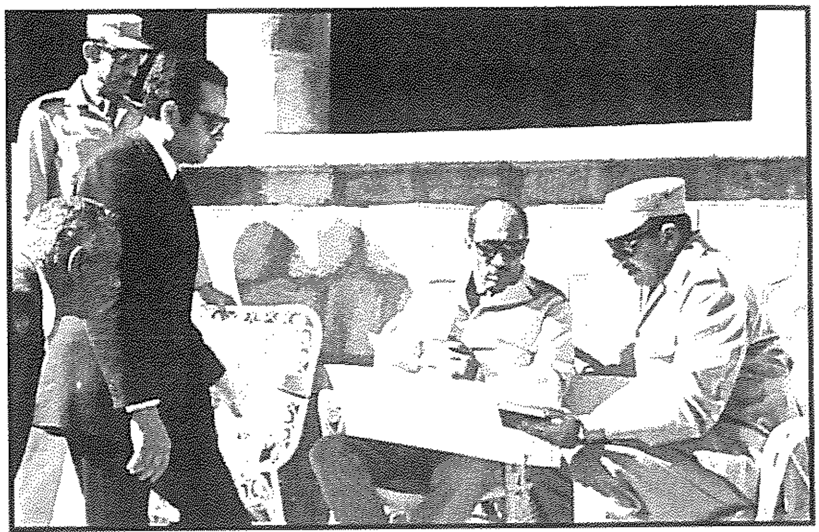
وكان السادات بإشراكه أحمد اسماعيل فى اختيار رئيس الأركان يكشف عن الدور الذى يعده له منذ ذلك التاريخ. فقد كان السادات منذ البداية مرغما على تعييني وزيرا للحربية، وكان تراجعه عن تعيين أحمد اسماعيل تراجعا أملته الظروف. وبمرور الأيام لاحظت تكوين جبهة من أحمد اسماعيل وممدوح سالم ومحمد عبدالسلام الزيات للعمل ضدى ، انضم إليها كل من حافظ اسماعيل وعزيز صدقى ومراد غالب فيما بعد.

وكانت هذه المجموعة تشك فى أن أشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبدالناصر يتولى إبلاغ الرئيس السادات بالمعلومات، ولأنهم كانوا يريدون عزل السادات عزلا تاما تمهيدا للسيطرة عليه وأن يكونوا هم مصدر كل المعلومات التى تصله اقترحوا إبعاد أشرف مروان من مكتب الرئيس للمعلومات. وكرروا هذا الاقتراح وهم مع الرئيس فى القناطر الخيرية، وكنت متوجها لمقابلته طبقا لموعد محدد ، فلما ذهبت إلى حيث يجلسون التفت إليَّ الرئيس وسألنى قائلا:

«يامحمد ايه رأيك ، الجماعة يروا أن أشرف مروان يجب إبعاده ؟».

فقلت : «سيادتك أدرى بموقفه منى لأنه يعمل معك، فقط أرجو مراعاة أن الذى عين أشرف مروان في هذا المنصب هو سيادتك، فهو لم يكن يشغل أيام الرئيس عبدالناصر أى منصب برغم أنه زوج ابنته».

ورد السادات قائلا : «معاك حق ومش وقته»



الرئيس السادات والفريق أول صادق في مطروح ويظهر بالصورة
الفريق الليثي ناصف وأشرف مروان السكرتير الخاص للرئيس للمعلومات .

والظاهر أنه كان شخصيا غير موافق واستند إلى ما قلته ليتخلص من ضغط المجموعة.

ومن الطريف أنه خلال المقابلة التالية لي مع الرئيس وكانت بطلب منه وفى القناطر أيضا، فوجئت بالسيدة حرم رئيس الجمهورية تلتقى بى بدلا من الرئيس، وقد ظننت لأول وهلة أن هذه المقابلة مصادفة ، ولكنها بدأت تحادثنى بعد أن صافحتنى بقولها:

«لماذا تساند هذا الولد ... وتمنع الرئيس من التخلص منه ؟».

و رددت عليها بسرعة إننى لم أساند أحدا ، ولم أتدخل لدى الرئيس للإبقاء على أشرف مروان..وواصلت حديثى معها قائلا لها : «إن كلمة ... كلمة كبيرة ، أستغرب أن تصدر منكِ، ثم ما هى الدلائل التى تستندى إليها لتوجيه مثل هذه التهمة إليه ؟».

فقالت : «إنه يرتب لليبيين حفلات خاصة طوال فترة إقامتهم بالقاهرة»

فضحكت كثيرا وقلت لها: «هل تعلمين أن المكان الذي يجرى فيه ذلك يتبع رئاسة الجمهورية...؟ واعتقادي أن مشاركة أشرف لهؤلاء الضيوف لا تصل إلى مستوى هذا الاتهام بـ ... وإن كنت لا أوافق على ما يحدث لا من رئاسة الجمهورية ولا من أشرف مروان».

وبعد أسابيع قليلة أصبح أشرف مروان هو المرافق الرئيسي للسيدة جيهان فى تنقلاتها خارج الجمهورية .....!!!!! .

❁ ❁ ❁

الفصل الثانى عشر

الرئيـــس ..
واجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة

تسلم الرئيس السادات سلطاته الدستورية بعد انتخابه رئيسا للجمهورية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٠، وبعد ذلك بأربعة أيام دعا المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع برئاسته لأول مرة ليتعرف على الموقف العسكرى.

كانت هذه اللفتة أو هذه السرعة فى الاجتماع بالمجلس الأعلى مؤشرا على الأهمية التى يوليها للقوات المسلحة باعتبارها نقطة الإرتكاز الرئيسية لسلطاته، ولم يكن فى ذلك مختلفا عن الرئيس عبدالناصر، الذى سارع بعد نجاح الثورة يوم ٢٣ يوليو بالضغط لتعيين صديقه وموضع ثقته الصاغ عبدالحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وترقيته استثنائيا لرتبة اللواء. كانت هذه الخطوة من عبدالناصر تعبيرا عن إصراره على العمل على تصفية الآخرين، وتجميع عناصر السلطة فى يده.

كان عبدالناصر مدركا لهذه الحقيقة ، وأتى السادات من بعده ليؤكد هذا الإدراك ، وقد ظلت القوات المسلحة موضع الاعتبار الرئيسى طوال فترة حكم الرئيس السادات ، وكانت رغبته فى تجميع كل خيوط السلطة فى يد واحدة من الأسباب التى دفعته لإبعادى عن موقع وزير الحربية القائد العام وتعيين أحمد اسماعيل وزيرا للحربية برتبه فريق أول وقائدا عاما للقوات المسلحة يوم ٢٦ أكتوبر١٩٧٢، وما شجعه على ذلك هو علمه المسبق بمرض أحمد اسماعيل بالسرطان.

وما قاله سعد الشاذلى فى رسالته بجريدة الوفد سبق أن قاله فى مذكراته التى نشرتها مجلة «الوطن العربى» ثم فى كتابه حرب أكتوبر - الجزء الأول ص ١٩٦ - الصادر عام ١٩٨٣ عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر.

« ولم يكن الاهتمام بالقوات المسلحة وقادتها ورجالها جديدا على السادات ، فقد ظل طوال فترة عبدالناصر يحاول بناء الجسور مع عدد من القادة و بأسلوب لا يثير انتباه أو

شكوك الرئيس عبدالناصر. وكنت واحدا من هؤلاء القادة الذين حرص السادات على الاتصال بهم» .

وبعد معركة يونيه ١٩٦٧ واشتداد المرض بالرئيس ، خاصة وهو مصاب بالسكر البرونزى ويعانى من أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم حرص السادات على توثيق علاقته بكبار قادة القوات المسلحة عبر الاتصالات التليفونية المنتظمة سواء للاستفسار عن الصحة والأسرة أو للاطمئنان على الأوضاع العسكرية بصفة عامة ، وكان يحاول إقناع من يتصل بهم أنه يتابع جهودهم بإعجاب وتقدير.

ونتيجة للحالة الصحية المتردية للرئيس ، كثرت سفرياته للعلاج بالاتحاد السوفييتى، والأوقات التى يقضيها فى راحه إجبارية استجابة لطلبات الأطباء. وبما أن السادات كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية فقد استغل هذا الوضع بصفته قائما بأعمال الرئيس فى غيابه للاتصال بالقادة ومتابعة الموقف معهم وتوجيه الشكر لهم على أعمالهم.

كانت معارك الاستنزاف مستمرة ، ولم يكن يمضى يوم دون اشتباكات أو عمليات من الجانبين تقريبا ، وأذكر أنه خلال فترة غياب عبدالناصر فى الاتحاد السوفييتى وبصحبته الفريق أول فوزى وزير الحربية ، كنت أتحمل مسئولية قيادة القوات المسلحة بصفتى رئيسا للأركان ، فى هذه الفترة جرت معركة شدوان ودارت معارك إسقاط الطائرات الإسرائيلية القاذفة المقاتلة من طراز فانتوم فى كمائن الصواريخ الشهيرة غرب القناة . فما كان من السادات إلا أن أوضح فى اتصالاته أن ما جرى هو مثار فخره الدائم ، لتوافق حدوث هاتين المعركتين أثناء قيامه بمهام رئيس الجمهورية.

وظل السادات ينهج هذا النهج بصفة مستمرة وإن استغل فترات غياب عبدالناصر لتكثيف اتصالاته بالقيادة ، ليظل على علاقة قوية بهم ، وفى نفس الوقت كان يوجه كل جهده لتحسين علاقته بالمحيطين بعبدالناصر. وقد لاحظت منذ تحملى مسئوليات أكبر خلال معارك الاستنزاف وأنا مازلت مديرا للمخابرات الحربية ، كثرة اتصالات السادات التليفونية وسعيه لتوثيق علاقته بى وإبداء الاهتمام بشخصى وبأسرتى. وبعد تعيينى رئيسا للأركان لم تنقطع مكالماته ، ولم يتوقف سيل المديح الذى يكيله لى ولا المكالمات التى تعبر عن احترامه وتقديره ، وأن التاريخ لن ينسى دورى فى خدمة الوطن.

وخلال الاجتماع الأول للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠ ، أعلن أمام الجميع انه سيترسم خطى الرئيس عبدالناصر، ولم يكن الحاضرون قد نسوا انحناءه أمام التمثال النصفى للرئيس عبدالناصر بمجلس الأمة.

وكان من أخطر ما قاله بعد أن استمع إلى تقارير القادة ، إنه لن يطلب من الحاضرين ومن القوات المسلحة أكثر مما تسمح به الإمكانيات ، وكل ما يطلبه هو العمل لتحرير ولو عشرة سنتيمترات شرق القناة ، ولم يعد هذه الجملة مرة أخرى ، قالها واستمر فى الكلام وربما لم يلتفت أغلب الحاضرين لهذه الجملة التى أتت عابرة.

وفى نهاية ديسمبر وتحديدا يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٧٠رأس السادات الاجتماع الثانى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقد طلب من وزير الحربية الفريق أول فوزى أن يقرأ التقرير الذى أعده عن الموقف العسكرى. وفى تقريره استعرض وزير الحربية موقف القوات المسلحة وحقيقة قدراتها العسكرية والقتالية. ثم تحدث السادات فأكد للحاضرين أنه لن يكون هناك مد لفترة وقف إطلاق النار والتى تنتهى يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ، وطلب أن يكون الجميع على أهبة الاستعداد لاستئناف العمليات العسكرية بما هو متوافر من أسلحة.

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧١ ، اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الفريق أول فوزى وزير الحربية لمناقشة الموقف من اتفاق «اتحاد الجمهوريات العربية» الذى وقعه الرئيس السادات فى ليبيا وضم كل من ليبيا وسوريا ومصر. وكان واضحا أن القوى المعارضة للسادات قررت استخدام تلك القضية لتصعيد حدة الصراع والصدام مع الرئيس السادات. وكان يقود الصدام على المسرح السياسى على صبرى ومعه باقى المجموعة ومن بين أعضائها سامى شرف وشعراوى جمعة وعبدالمحسن أبوالنور وضياءالدين داوود وسعد زايد ولبيب شقير ومحمد فايق.

أما على المسرح العسكرى ، فلم يكن هناك بالنسبة لهذه المجموعة أفضل من الفريق أول فوزى وزير الحربية القائد العام للقوات المسلحة. وادعى وزير الحربية فى بداية الاجتماع أنه لم يكن يعلم شيئا عن هذا الاتفاق ، وأنه علم به فى الساعة الواحدة صباحا تقريبا أى قبل أن تنشره الصحف بعدة ساعات. وأكد أن مصر لن تكسب شيئا من وراء هذا الاتفاق ، فبموجب اتفاق مصرى - سورى سرى تم توقيعه فى نوفمبر من العام الماضى، فإن وزير الحربية المصرى له سلطة قيادة القوات المسلحة السورية. وفاجأ المجتمعين بعد ذلك بانتقاله إلى نقطة أخرى عندما قال لهم ، إنه كقائد عام ووزير للحربية لا يوافق على حل مقترح يقضى بانسحاب إسرائيلى جزئى من الضفة الشرقية للقناة. وكان يشير بذلك إلى نتيجة اتصالاته السرية مع وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى صاحب مبادرة

روجرز التى أدت إلى وقف إطلاق النار بالجبهة اعتبارا من يوم ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ ، والتى أعلن عبدالناصر عن قبولها بموسكو أثناء اجتماعه مع القادة السوفييت وكانت هذه الاتصالات قد انتهت إلى موافقة إسرائيل على انسحاب جزئى شرق القناة.

وبذلك أراد الفريق فوزى أن يوجه سهمين إلى الرئيس السادات ، الأول تحريض القوات المسلحة على رفض اتفاقية اتحاد الجمهوريات العربية والثانى الإعلان عن نتيجة الاتصالات السرية ورفضه لها.

ولا يخالجنى أى شك فى أن مبادرة السادات التى أعلنها يوم ٤ فبراير وموافقته على مد فترة وقف إطلاق النار ، وتأكيد موقفه للقادة والضباط مرة أخرى فى المؤتمر العام الذى حضره عدد كبير من القادة والضباط من مختلف الرتب يوم ٢٣ مارس ١٩٧١ ، كان من العوامل التى ضاعفت من حدة عداء مجموعة على صبرى ومحمد فوزى للسادات ، لقد تبينوا يوما بعد يوم أن السادات يعمل بقوة لتمكين موقفه وزيادة أنصاره ، وحصارهم بمواقف علنية ، تختلف مع المواقف التى يتبنوها ويدافعون عنها.

واكتشفوا أن السادات يناور لكسب الوقت ففى اجتماع المجلس الأعلى يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٧٠ أكد السادات أنه لن يوافق أبدا على مد فترة وقف إطلاق النار عند انتهائها يوم ٤ فبراير ١٩٧١ ، وها هو السادات يعلن مبادرة سلام بدون التشاور معهم، ويوافق على مد فترة وقف إطلاق النار دون علمهم ، بل لم يكتف بذلك ، ودعا إلى مؤتمر عام للقادة والضباط ليشرح الأسباب التى دعته إلى إطلاق مبادرته.

وكان فوزى يدرك أن السادات يحاول الالتفاف من حوله ليكسب رأيا عاما داخل صفوف القوات المسلحة. واتسم حديث السادات فى مؤتمر ٢٣ مارس ١٩٧١ بالذكاء الشديد ، حيث أعلن فى البداية أن جهود مصر الدبلوماسية نجحت فى عزل إسرائيل عن العالم ، بل وتم عزلها من جانب أمريكا وانجلترا ومجموعة دول أوروبا الغربية بما فيها أسبانيا بجانب ايران التى كانت على علاقة وثيقة بإسرائيل.

وكشف السادات للحاضرين أن إسرائيل اعترفت لأول مرة فى وثيقة رسمية أرسلتها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يوم ٢١ فبراير ١٩٧١ ، أى بعد أسبوعين من مبادرة ٤ فبراير التى أعلنها ، بأنها لن تنسحب إلى خطوط الرابع من يونيه ١٩٦٧ ، وهذا الاعتراف وضعها فى موضع المواجهة مع العالم ، وبهذه الوثيقة كشفت إسرائيل عن حقيقة نواياها.

وأثناء المؤتمر وزع معاونو السادات على الحاضرين خريطة توضح مساحة الأرض التى تريد إسرائيل الاحتفاظ بها والأراضى التى يمكن إعادتها للدول العربية من جملة

مساحة الأرض التى احتلتها فى يونيه ١٩٦٧ . وبعد أن تم توزيع الخريطة على الحاضرين واطلعوا عليها ، سألهم ، هل من بينكم من هو على استعداد لقبول هذا الهوان ؟

وبحماس وعصبية رد الجميع: لا.

وبهذا الأسلوب الشديد الاحتراف كسب السادات جولة داخل القوات المسلحة وكسب رأيا عاما مواتيا. ولم يتوقف السادات، بل هاجم بقسوة الدول العربية ، وبعنف هاجم الرئيس الجزائرى هوارى بوميدين واتهمه بأنه باع نفسه للأمريكيين سياسيا واقتصاديا بعد أن وقع أخيرا عقدا مع الشركات الأمريكية للبترول ، يضمن لهم الاستمرار فى الحصول على البترول والغاز من الحقول الجزائرية لسنوات طويلة قادمة ، وبما يعنى أن الاقتصاد الجزائرى أصبح يعتمد بشكل كامل على الولايات المتحدة.

وكانت نغمة الهجوم على العالم العربى تجد استحسانا بين صفوف القوات المسلحة فى ذلك الوقت من جراء مواقف العرب المتخاذلة سواء تجاه مصر أو تجاه القضية الفلسطينية، أو قضية الصراع مع إسرائيل ولم يشر السادات إلى تفاصيل المبادرة التى أعلنها والتى استند إليها لمد وقف إطلاق النار. ويبدو أنه كانت لديه أسبابه لتأجيل إعلان تلك التفاصيل. وما لم يقله السادات فى مؤتمر ٢٣ مارس ، قاله فى مؤتمر ١١ مايو ١٩٧١ ، وهو المؤتمر الذى سبق ذروة أحداث مايو العاصفة.

فقد بدأت أحداث مايو تتدافع اعتبارا من اليوم الأول من مايو عندما بدأت المضايقات من الفريق المناوئ له أثناء إلقاء خطابه بمناسبة الاحتفال بعيد العمال ، وترتب على ذلك إقدام الرئيس السادات على إقالة على صبرى نائب رئيس الجمهورية ورأس المجموعة المناوئة والتى سميت فيما بعد «مراكز القوى» يوم ٢ مايو أى فى اليوم التالي مباشرة. وبهذه المواجهة ازداد الصراع على السلطة حدة وتصاعدت أحداثه بشكل درامى.

فى هذا المؤتمر أزاح السادات الستار عن تفاصيل المبادرة التى أعلنها بمجلس الشعب يوم ٤ فبراير مشفوعة بنتائج الاتصالات مع الأمريكيين والإسرائيليين. وقد ترتب على هذه المبادرة مد وقف اطلاق النار اعتبارا من يوم ٥ فبراير وأوضح أهم النقاط بها ألا وهى :

* إعادة فتح قناة السويس، وانسحاب إسرائيل إلى خط يقع شرق العريش، وتستغرق هذه المرحلة ستة أشهر.
* بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية مباشرة ويتم خلالها الانسحاب الكامل.

واكتفى السادات بهذه الجملة ، التى تحتاج المزيد من التوضيح ، ويبدو أنه ترك التفاصيل لمرحلة التفاوض حول هذه المبادرة ، كما توقع ، ولكن عندما يتقدم رئيس مصر بمبادرة يجب أن تتضمن الحد الأقصى - ومن هذه النقطة تبدأ المفاوضات - أما أن يقول الانسحاب الكامل دون أن يحدد من أين ؟ وإلى أين ؟ ومن أى أرض محتلة ؟ فذلك الغموض لا يعنى له سوى أنه قدم تنازلا للمفاوض الإسرائيلى لأن بالجملة إشارة تعنى أنه على استعداد للقبول بانسحاب كامل من سيناء دون ما اعتبار لباقى الأراضى العربية المحتلة.

* شروط فتح القناة ليست قابلة للتفاوض. وقال إنه أبلغ روجرز وزير الخارجية الأمريكى بذلك خلال لقائى معه ، وأكدت له أنه يجب أن تعبر القوات المسلحة المصرية لتقيم خطا دفاعيا شرق القناة لتأمين حرية الملاحة بالقناة.

كما أعلن السادات أنه طلب من روجرز إجابة عن سؤال نصه ، هل تؤيد أمريكا احتلال إسرائيل لأراضينا «لم يقل للأراضى العربية» أم أنها تضمن سلامة إسرائيل داخل حدودها فقط؟ وأبلغ السادات الحاضرين أنه سلم روجرز مذكرة مكتوبة تتضمن جميع هذه التفاصيل.

* أبلغ الأمريكيون الإسرائيليين بتفاصيل المبادرة ، وعندما حضر سيسكو مساعد روجرز كان يحمل معه بعض النقاط التى أثارها الإسرائيليون وهى :

أ - هل سيسمح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى قناة السويس بعد إعادة افتتاحها ؟ أم أن ذلك لن يتحقق إلا بعد الانسحاب الإسرائيلى بالكامل ؟

ب - سيتوقف عمق الانسحاب الإسرائيلى شرق القناة على مدى فترة وقف إطلاق النار ، فكلما طالت هذه الفترة سيزداد عمق الانسحاب.

ج - عدم الموافقة على عبور القوات المصرية إلى شرق القناة.

د - المطالبة بتخفيف القوات العسكرية الموجودة غرب القناة.

هـ- رفض فكرة الانسحاب إلى حدود الرابع من يونيه ١٩٦٧ .

و - أى اتفاق يتم التوصل إليه لن يصبح نافذا إلا بعد موافقة الكنيست الإسرائيلى.

ومرة أخرى أكد السادات للقادة والضباط أن العلاقات مع الاتحاد السوفييتى ممتازة وأنه يقوم بتنفيذ مشروعات صناعية فى مصر قيمتها ٤٦٠ مليون دولار. وكان السادات حريصا على أن يشير إلى متانة العلاقات المصرية السوفييتية فى كل لقاء مع قادة وضباط

القوات المسلحة. وكان أبرز ملامح هذا اللقاء خشونة لهجة السادات وإعلان تحديه للمجموعة المناوئة له.

وهذه الثقة التى بدت من حديث السادات ربما أراد أن يؤكد لى ثقته فى قدراتى على حسم الصراع لصالحه. هذه اللهجة المتحدية ، واستبداله لكلمة — نحن — كان يحرص على استخدامها باستمرار تعبيرا عن تمسكه بالقيادة الجماعية ، بكلمة أنا ، لم يكن السادات ليستخدمها إلا بعد أن وصلته رسالتى التى أرسلتها إليه عن طريق عبده مباشر و محمد حسنين هيكل وأكدت فيها وقوفى إلى جواره لحماية الشرعية الدستورية. ولدغدغة مشاعر القوات المسلحة ، أشاد السادات بالدور الذى تقوم به لدعم السياسة الخارجية، وقال إن أمريكا لم تكن لتتحرك وترسل وزير خارجيتها روجرز إلى القاهرة إلا لأنها تعلم أن قوتنا العسكرية قادرة على تحدى الغرور الإسرائيلى. ثم تحدث عن قدرة القوات الجوية على تحدى السيطرة الجوية الإسرائيلية وقال إنه لن يتمكن من النوم وهو مطمئن إلا بعد أن يكون لدى مصر ألف طيار.

فى الثالث من يونيه ١٩٧١ رأس الرئيس السادات اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة أى بعد أقل من ثلاثة اسابيع من الإطاحة بمجموعة مراكز القوى ، وكان الهدف أن يشرح الرئيس لكبار القادة حقيقة المؤامرة والإنقلاب الذى تم الإعداد له للخلاص منه. وتحدث الرئيس طويلا ، ونال من أفراد المجموعة التى ناوأته على السلطة. وانتقل للحديث عن السياسات الخارجية والداخلية ، ولم ينس الإشارة إلى الزيارة التى قام بها الرئيس السوفييتى بودجورنى خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ مايو ١٩٧١ ، أى بعد التخلص من رجال الاتحاد السوفييتى بمصر.

وخلال هذه الزيارة وقع الرئيسان على معاهدة صداقة بين الدولتين مدتها ١٥ عاما.[٣(١)]

وكان السادات الشديد الدهاء قد اختار مجموعة وزراء شيوعيين منهم الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله والدكتور فؤاد مرسى ، واستعان بعدد آخر من الشيوعيين فى مواقع مختلفة ، لطمأنة الاتحاد السوفييتى وأنه إذا كان قد تخلص من بعض رجال السوفييت فى مصر ، فقد استعان بمجموعة أخرى ، فى رسالة واضحة تعنى أنه تخلص من الذين نازعوه على السلطة فقط ، وأنه ليس فى الأمر عداء للاتحاد السوفييتى. وكان

٣ (١) الغى السادات المعاهدة عام ١٩٧٦ بعد انتصار اكتوبر وتوقيع اتفاقيتى الفصل الأول والثانى للقوات وكانت مصر قد تخلصت من التواجد السوفييتى فى يوليو ١٩٧٢.

توقيع معاهدة الصداقة خلال زيارة بودجورنى تمضى فى نفس سياسة طمأنة الاتحاد السوفييتى، فقد استبدل مجموعة من المسئولين الموالين للاتحاد السوفييتى بمعاهدة صداقة مدتها ١٥ عاما.

خلال هذه المرحلة ، لم يكن السادات قد نفض يده من الاتحاد السوفييتى ، وكان على بينة من حاجة القوات المسلحة للأسلحة والمعدات والذخائر السوفييتية - لذا نهج هذا النهج السياسى مع السوفييت. وقال السادات للقادة إنه لم يحدث مطلقا أن حاول بودجورنى أو أى من أعضاء الوفد السوفييتى التدخل فى شئون مصر الداخلية ، وقال إنه عندما سأله بودجورنى عن اختيار هذا التوقيت تحديدا لطرد على صبرى ، قال له ، لقد رأيت أن أعجل بذلك قبل حضور روجرز وزير الخارجية الأمريكى إلى القاهرة حتى لا يفسر طردى لعلى صبرى إذا ما تم بعد الزيارة ، بأنه جزء من صفقة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وقال للمجتمعين إن بودجورنى أجابه قائلا :

«إنهم فى القيادة السوفييتية انتهوا إلى هذا التحليل».

والشئ الذى صدق فيه هو مطالبته لأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة بالعمل فى حدود الإمكانيات المتوفرة والمتاحة ، وعاد من جديد ليطالبهم بتحرير عشرة سنتيمترات فقط شرق القناة ، وهو نفس الطلب الذى أشار إليه فى أول اجتماع يرأسه للمجلس الأعلى يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠. والفرق أنه فى الاجتماع الأول قالها بشكل عابر، أما الآن وبعد أن استقر على مقعد الرئيس، وجمع مقاليد السلطة فى يده بعد أن تخلص من مجموعة على صبرى ، فقد أصبح يطالب بها ويركز عليها ، ويتخذها كاستراتيجية لعمل القوات المسلحة.

وبعد انقضاء عام الحسم دون حسم ، وإعلان الرئيس للرأى العام أنه لم يحسم الأمر مع إسرائيل بسبب الضباب ، دعا المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع برئاسته يوم ٢ يناير ١٩٧٢ ، وفى البداية أخبر الحضور أن إسرائيل تحصل على ما تشاء من الولايات المتحدة فى حين أن الاتحاد السوفييتى لا يفى بوعوده لنا بما فى ذلك الوعد الذى قطعه القادة السوفييت فى أكتوبر الماضى ، وأشار إلى أن الاتفاقية التى وقعها مع السوفييت اللواء عبدالقادر حسن خلال زيارته الأخيرة لموسكو ، لم تتضمن كل ما وعد السوفييت به ، ثم قال إن المسئولين الأمريكيين أخبروه أنهم لن يمارسوا أى ضغط على إسرائيل وأنهم مجرد عامل مساعد لتحريك الأمر وقالها بالإنجليزية CATALIST.

وأوضح للمجتمعين أنه بدأ يراجع حساباته على ضوء الحرب الهندية الباكستانية التى اندلعت يوم ٣ ديسمبر الماضى وأدت إلى فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية وميلاد دولة بنجلاديش فى باكستان الشرقية ، وقال لقد دعم السوفييت الهند بقوة فى هذه الحرب مما أثر على موقفهم منا.

وبدأ بعد ذلك يستمع إلى تقارير القادة ، فقال اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى ، إنه يواجه مشكلة لأنه لا يملك سوى أسلحة دفاعية ، ولا يدرى كيف يخوض بها معركة هجومية كما هو مطلوب منه ؟ وطلب اللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية إغلاق كل الموانى المصرية فى مواجهة الأسطول السوفييتى بالتدريج للتصاعد بالضغط على السوفييت وإذا لم يدفعهم الضغط للاستجابة لمطالب مصر يتم المنع نهائيا.

وقال اللواء على بغدادى قائد القوات الجوية ، إنه يحتاج إلى طائرات يمكنها الوصول إلى عمق إسرائيل ، لأن هذه هى الوسيلة لامتلاك عنصر ردع.

والتقط اللواء على عبدالخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية الخيط وأوضح للرئيس أن هناك نقصا كبيرا فى إمكانيات القوات المسلحة فيما يتعلق بالمعركة الهجومية خاصة فى القوات الجوية و وسائل المواصلات وأسلوب فتح الثغرات فى حقول الألغام. أما اللواء سعيد الماحى قائد المدفعية فقال إننا يجب أن نعمل فى حدود إمكانياتنا.

ورأى الفريق سعد الشاذلى فى كلام الماحى مدخلا لتأكيد وجهة نظره ، فقال إن القوات المسلحة بما تملكه ومع التسليم بوجود نواقص ، فإنها قادرة على القيام بعملية هجومية محدودة وطالب الرئيس بالاتصال بالقادة السوفييت لمعرفة موقفهم فى حالة قيام مصر بالهجوم على القوات الإسرائيلية ، ولمزيد من التوضيح قال إن للروس فى مصر لواءين من طائرات قتال وفرقة دفاع جوى ، بالإضافة إلى سيطرتهم على إمكانيات الحرب الإلكترونية ، وإنه من الضرورى أن نعلم ما إذا كان السوفييت سيشتركون معنا فى المعركة أو لا ؟ وفى حالة اشتراكهم فمن الضرورى أن نعلم حدود هذا الاشتراك لوضع ذلك فى حسابنا عند التخطيط للمعركة.

وفى ختام عرض القادة لتقارير عن الموقف العسكرى وموقف قواتهم ، قلت للرئيس، إننا جميعا على استعداد للقتال فورا ، ولكن من الضرورى التأكد من تحقيق النصر ، فمصر لا تحتمل هزيمة أخرى ، وليس أمام مصر سوى تحقيق الانتصار فى معركتها ، وأرى أنه يجب أن نستكمل النواقص من دول الكتلة الغربية ، وسأقوم بذلك إن شاء الله وسأخطر سيادتكم بمجرد الانتهاء من ذلك.

ولم تكن لقاءات الرئيس بالقادة مقصورة على اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ففيما بين هذه الاجتماعات كان يقوم بزيارات متعددة للجبهة وللجيوش الميدانية والمناطق العسكرية وقيادات الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة أو يعقد مؤتمرات للقادة والضباط، أو لقاءات تجمع بين القادة والمستشارين السوفييت، وكان ذلك يعكس حرصه على دوام الاتصال والوجود بين صفوف القوات المسلحة.

وفيما بين اجتماع المجلس الأعلى يوم ٣ يونيه ١٩٧١ ، واجتماع يوم ٢ يناير ١٩٧٢ رأس الرئيس السادات مؤتمرا عسكريا يوم ٤ نوفمبر ١٩٧١ ضم كل من الوزير و رئيس الأركان واللواء عبدالقادر حسن واللواء على بغدادى واللواء محمد على فهمى واللواء الليثى ناصف والجنرال أوكينيف كبير المستشارين العسكريين السوفييت. وكان حضور أوكينيف أحد أوجه التعاون العسكرى المفروض على مصر من جراء هزيمة يونيه ١٩٦٧ والتى استغلها السوفييت لزيادة وجودهم وتأثيرهم فى مصر.

وأبلغ أوكينيف المجتمعين اقتراب موعد وصول القاذفات من طراز (TU-١٦) ووصول الأطقم التى ستتولى تدريب الطيارين والملاحين المصريين، كما قال إن المارشال جريتشكو يطلب تدريب فوج الصواريخ من طراز سام - ٦ (كوادرات) فى الاتحاد السوفييتى حيث تتوافر إمكانيات وتسهيلات التدريب والتى لا تتوافر بالقاهرة.

وفى نهاية حديثه أعلن عن وضع صور سيناء التى التقطتها الأقمار الصناعية الروسية تحت تصرف القيادة المصرية. وأمام أوكينيف وباقى الموجودين قال السادات إنه منذ هذه اللحظة سيتولى مسئوليات القائد العام للقوات المسلحة، وإنه سيباشر هذه المسئولية من مكتب سيخصص له بمبنى القيادة. وقد مهد لذلك بقوله إنه أخطر الأمريكيين بأن مصر ستدخل سيناء ولو كان ذلك بالبنادق فقط.

وكانت المفاجأة الثالثة إعلانه أنه سيسحب مبادرته التى أعلنها يوم ٤ فبراير لفتح قناة السويس يوم الخميس المقبل ١١ نوفمبر وإنه قد اجتمع أمس الأربعاء ٣ نوفمبر بمجلس الأمن القومى من أجل تعبئة جميع موارد الدولة لأغراض المعركة.

وبعد ١٥ يوما من هذا المؤتمر عقد الرئيس مؤتمرا ثانيا بقاعدة أنشاص الجوية حضره الوزير ورئيس الأركان وقائد القوات الجوية واللواء حسنى مبارك واللواء الليثى ناصف والسفير السوفييتى بمصر والجنرال أوكينيف.

وفى هذا المؤتمر تحدث الرئيس عن لقائه وبيرجس رئيس مكتب رعاية المصالح الأمريكية فى مصر وقال إنه أخبره أنه لا يثق بالأمريكيين من واقع خبرته معهم ، فقد

حولوا مبادرته إلى معنى لم يقصده إطلاقا ، وإنهم بذلك جعلوا المبادرة تخدم المصالح الإسرائيلية ، وقال له ، لقد سبق للأمريكيين أن سألوه عما إذا كان ممكنا مد فترة وقف إطلاق النار ، إذا سارت عملية الانسحاب شرق القناة طبقا للمبادرة ، فأجبتهم أن ذلك ممكن حيث يجرى المد لمدة ثلاثة شهور ثم ثلاثة شهور أخرى لمدة أقصاها سنة. وقال الرئيس إنه أبلغ بيرجس فى مقابلته أول أمس أنه سحب المبادرة. وقد سأله بيرجس،هل يقوم بإبلاغ واشنطن بأنه لا يثق بالأمريكيين وأنه لن يتفاهم معهم إلا بعد أن ترد إسرائيل على مذكرة يارنج بالإيجاب ، وأن إجابته كانت .. نعم..

وقال إن بيرجس أبلغه أنه يعلم بوصول طائرات يمكنها إطلاق صواريخ أسرع من الصوت ، ومصممة أساسا لضرب السفن الحربية ، وأن ذلك أثار القلق فى واشنطن، لأنه يدخل ضمن حسابات توازن القوى بين أمريكا والاتحاد السوفييتى ، فقلت له إننى لن أعلن الحرب على أمريكا ، ولكن يجب أن تعرفوا أن ضرب العمق المصرى سيقابل بضرب العمق الإسرائيلى، وقلت له أيضا إنهم يجب أن يخجلوا من أنفسهم لأنهم يزودون إسرائيل بأسلحة تسمح لها بالوصول إلى عمق مصر ، وعندما تحصل مصر على أسلحة تسمح لها بالوصول إلى عمق إسرائيل يشعرون بالقلق.

وكان أول المتحدثين فى هذا اللقاء اللواء على بغدادى قائد القوات الجوية ، حيث قال إن رئيس المستشارين الروس أخبره أن سرعة هذه الصواريخ ١٢٠٠ كيلو متر فى الساعة، ثم عقب قائلا إنه ما لم تكن سرعة هذه الصواريخ تعادل ضعف سرعة الصوت فإنها تصبح عديمة القيمة ، فرد أوكينيف قائلا، إن هذه المعلومات غير صحيحة. وبسرعة رد الرئيس قائلا إن معلومات أوكينيف صحيحة .

وأوضح أوكينيف أن تدريب الملاحين الجويين للطائرات من طراز (تيبيلوف ١٦) مشكلة حقيقية لأن كل ملاح يجب ألا تقل ساعات تدريبه عن ٥٠٠ ساعة.

وعبر الرئيس عن تخاوفه من أن يقوم العدو بتوجيه ضربه جوية مفاجئة ، بعد أن يخبرهم الأمريكيون إننا قد حصلنا على تيبيلوف ١٦ لذا فإنه طلب من السوفييت استطلاع سيناء بواسطة الطائرات ميج - 25 (M-500) واستطلاع إسرائيل بواسطة الأقمار الصناعية.

وطرح اللواء بغدادى مشكلة المقاتلات من طراز ميج - 21 م ف والتى أعلن السوفييت عن ارسال ٥٠ طائرة منها خلال عام ١٩٧١ ، فقال إن تركيبها يحتاج إلى ٣ شهور ، وطالب بالانتهاء من إنشاء ورش عمرة محركات الطائرات.

وفى نهاية المؤتمر طلب الرئيس من السفير السوفييتى إبلاغ القادة السوفييت بسرعة إرسال ما تم الاتفاق عليه ، وإحاطته علما بمواعيد وصول هذه الإمدادات ، وأيضا بسرعة إنشاء وتشغيل مصنع الطائرات و ورش العمرة.

وبعد انتهاء المؤتمر ، وكان ذلك فى ثانى أيام عيد الفطر اجتمع الرئيس برجال القوات الجوية والقوات الخاصة ثم توجه إلى الإسماعيلية للقاء رجال الجيش الثانى ثالث أيام العيد ، ثم توجه إلى السويس للقاء رجال الجيش الثالث قبل أن يعود للقاهرة.

وأمام تزايد الإشاعات حول الخلافات بينى وبين الاتحاد السوفييتى ، وبينى وبين الدكتور عزيز صدقى رئيس مجلس الوزراء ، دعوت المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع يوم ١٨ مارس ١٩٧٢ ، وخلال الاجتماع أوضحت للقادة أنه لا صحة للإشاعات عن خلافات بينى وبين الاتحاد السوفييتى ، فالاتحاد السوفييتى دولة عظمى، وهو المصدر الرئيسى لترسانة القوات المصرية المسلحة ، وهذه الحقيقة تعنى ضرورة استمرار الصداقة بين البلدين واستمرار التعاون فيما بينهما ، وإذا كانت هناك خلافات فى وجهات النظر أو حول المبادئ ، فذلك أمر طبيعى لاختلاف نظرة كل من الطرفين والاستراتيجيات المتباينة ، وإذا كان كل طرف يحاول أن يحقق مصالحه ويحميها ، فذلك أمر منطقى ، ولا يعنى إطلاقا وجود خلافات ، وبالمثل لا صحة لوجود خلافات بينى وبين رئيس الوزراء. وأكدت عدم صحة شائعة سيطرة الاتحاد السوفييتى على القواعد البحرية بالأسكندرية ومرسى مطروح وبورسعيد. وكان الفريق عبدالقادر حسن قد عاد لتوه من موسكو ، فأخبرتهم بأنه لم يوقع صفقة الأسلحة التى سافر من أجل التفاوض عليها وتوقيعها ، حيث طلب الروس أن ندفع ثمن الصفقة بالكامل وبالعملة الصعبة.

ودعا الرئيس السادات لعقد اجتماع لعدد محدود من أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٦ يونيه ١٩٧٢ ، وكان الحضور هم الوزير ورئيس الأركان واللواء محمود عبدالرحمن فهمى قائد القوات البحرية واللواء محمد نبيه المسيرى رئيس أركان القوات الجوية واللواء محرز عبدالرحمن مدير المخابرات الحربية واللواء محمد الجمسى رئيس هيئة العمليات واللواء على عبدالخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية واللواء عمر جوهر رئيس هيئة التنظيم والإدارة واللواء حسن الجريدلى سكرتير عام وزارة الحربية ، وفى البداية عرض اللواء الجمسى تقريرا عن موقف القوات المسلحة ، كما تم عرض تقرير آخر أعده أحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة والذى أكد فيه أن القوات المسلحة لا يمكنها القيام بعملية هجومية.

وبعد الاستماع إلى التقريرين ، قال الرئيس السادات « أنا والفريق صادق متفقان على أنه لا يجب أن نعمل إلا بعد تكوين قوة ردع ، أى أن يكون لدينا طيران يستطيع ضرب عمق العدو. وتساءل الرئيس ، ولكن يجب أن نفكر ماذا سنفعل إذا اضطرنا الموقف السياسى إلى بدء المعركة قبل الانتهاء من بناء قوة الردع ؟»

وقال الشاذلى ، إن ما ورد فى التقرير حقائق لا يمكن إنكارها أو المجادلة فى صحتها، ولكن السؤال الآن هو ، ما العمل ؟ ما هو الممكن عمله ؟ إن ربط المعركة بإعداد القوات الجوية يعنى تأجيل المعركة سنوات أخرى لا يعلم أحد مداها، إن الفجوة بين القوتين الجويتين المصرية والإسرائيلية تميل للاتساع لا إلى الضيق. إن الاستراتيجية المعلنة والمنفذة من جانب الولايات المتحدة فى المنطقة هى الإبقاء على إسرائيل قوية بحيث تكون قواتها الجوية أكثر قوة من القوات الجوية للدول العربية مجتمعة. إننا لم نحصل بعد على طائرة ردع يمكن مقارنتها بالطائرة الفانتوم ، وحتى لو حصلنا الآن على طائرة مماثلة فإن قدرتنا على استيعابها تتطلب فترة طويلة ، تكون إسرائيل قد حصلت خلالها على طائرة أخرى أكثر تقدما. وهكذا فإنى لا أرى أملا فى إغلاق أو تضييق الفجوة التى بيننا وبين إسرائيل ، والحل كما أراه هو التخطيط للمعركة استنادا إلى الصواريخ المضادة للطائرات من طراز سام.

ولم يعلق الرئيس السادات ، ولم يطلب من المجتمعين الأخذ برأى رئيس الأركان، وظل على موقفه الذى أعلنه فى البداية ، وهو الانتظار إلى أن تمتلك القوات الجوية المصرية طائرات قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلى، وهى ما أطلق عليها «قوة الردع»

❁ ❁ ❁

التخطيط للحرب

أيا كان موقف القيادة السياسية التى واجهت أسوأ هزيمة عسكرية منذ وصلت إلى قمة السلطة فى مصر ، فقد كان على القيادة العامة أن تتحرك على طريق التفكير فى استعادة الأرض المحتلة فى سيناء واستعادة الكبرياء والكرامة والثأر للهزيمة.

والتفكير هنا لا يعنى بالضرورة التخطيط من أجل معركة وشيكة أو حتى ممكنة ، بل للتدريب على التفكير وإعادة صياغة الفكر الاستراتيجى لأجهزة القيادة العامة ، ونبذ مرحلة الترهل التى سادت طوال الفترة التى سبقت النكسة والتخلص من المظهرية والشللية وتفضيل أهل الثقة، والأهم طى صفحة إعطاء الأولوية أو قصر الاهتمام على أمن النظام فقط دونما اعتبار لأمن الوطن.

وقد أثر ذلك بشكل ملحوظ على القوات المسلحة ككل وعلى فكر وسلوك المستويات القيادية ، وكان من المنتظر على ضوء حرب عام ١٩٥٦ أن يتغير فكر وسلوك القيادتين السياسية والعسكرية لتجنب مثل هذه الأزمات مستقبلا ، إلا أن شيئا لم يتغير ، وحتى بعد أن تورطت القوات المصرية فى اليمن ، ظلت الأمور تمضى فى طريقها.

ولم يختلف الأمر ومصر تندفع بلا ترو على طريق الصدام العسكرى مع العدو اعتبارا من منتصف مايو ١٩٦٧ ، وكان طبيعيا أن تنتشر الفوضى ويسود الارتجال استمرارا للنهج المألوف ، لم تشعر لا القيادة السياسية أو القيادة العسكرية بأن الموقف يتطلب الجدية و الاهتمام بالنظر للأمور ، فالأمر يتعلق بمصير وطن لا مصير قوات مسلحة يُزج بها فى معركة فى ظروف غير مواتية على الإطلاق.

وبعد أن كشفت الهزيمة عن الخلل السياسى والعسكرى ، استمر الصراع بين القيادتين السياسية والعسكرية ، هذا الصراع الذى انتهى نهاية مأساوية بوفاة عبدالحكيم عامر نائب الرئيس ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في سبتمبر ١٩٦٧ . وعندما تم حسم الأمر لصالح الرئيس عبدالناصر، كان لابد من إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة على

أسس جديدة وأيضا إعادة تنظيم أجهزة وأساليب عمل القيادة العامة. وتحول التفكير فى معركة هجومية إلى عملية استطلاع إمكانية مثل هذا الهجوم ، وكان الأسلوب الأنسب لذلك هو إجراء مشاريع استراتيجية تشارك فيها القيادة العامة وقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة والقادة بالجيوش الميدانية وعدد من القيادات الأخرى. وكان الهدف تدريب هؤلاء القادة على تحمل مسئولياتهم وفقا للخطة والأهداف الموضوعة لها.

ولم يغب عن أذهان المخططين والمشاركين فى هذه المشاريع حقيقة توازن القوى بين مصر وإسرائيل ، لذا كانت هذه المشاريع الاستراتيجية تتم استنادا إلى افتراض امتلاك عناصر قوة وإمكانيات ليست متوفرة وقت تنفيذ المشروع. أى أن واضعى الخطط العسكرية كانوا يضعون فى اعتبارهم امتلاك القوات المسلحة لإمكانيات تسمح لهم بافتراض وجود توازن فى القوى يسمح بوضع خطة أو خطط للهجوم لاتتعارض مع العلوم العسكرية. وعلى ضوء هذه الافتراضات تمت عدة مشاريع استراتيجية.

وخلال تنفيذ هذه المشاريع كانت الأسلحة والمعدات التى تتسلمها القوات المسلحة من الاتحاد السوفييتى أساسا تدعم قوتها وتوفر لها من الإمكانيات ما يجعلها تفكر فى وضع خطط هجومية صالحة للتنفيذ.

وكنتيجة للصراع على السلطة بين الرئيس السادات والمجموعة التى كانت تتصور أنها الأحق بوراثة عبدالناصر الذى تم حسمه لصالح الرئيس فى ١٥ مايو ١٩٧١، قرر السادات إسناد منصب وزير الحربية إلىَّ وتعيين سعد الشاذلى رئيسا للأركان.

وحتى ذلك التاريخ ، أى ١٥ مايو ١٩٧١ لم تكن للقوات المسلحة خطة هجومية ، ولم يكن الفريق أول فوزى مستعدا لوضع مثل هذه الخطة تنفيذا لما طلبه السادات فى اجتماع المجلس الأعلى يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠.

ومنذ الأسابيع الأولى بدأنا فى العمل لوضع أول خطة هجومية ضد قوات العدو بسيناء، وكانت الخطوة الأولى معرفة حقيقة الإمكانيات الفعلية للقوات المسلحة وكانت الصورة كالتالى:

- بالنسبة للقوات البرية توجد بها وفرة يمكنها تنفيذ خطة هجومية وكانت خطط التدريب ، وسنوات معارك الاستنزاف قد صقلت هذه القوات وساعدت على رفع كفاءتها القتالية. وكان المطلوب رفع كفاءة هذه القوات مع الاستعانة بقيادات مؤهلة تملك من الخبرات والعلم ما يسمح لها بتحمل مسئولياتها.

وكان هذا الإدراك وراء طلبى شخصيا من الرئيس السادات بإعادة عدد كبير من القادة من خريجى دفعتى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ الذين سبق إحالتهم للتقاعد بعد الهزيمة أو التورط فى محاولة المشير الإنقلابية أو حتى لمجرد أنهم من زملاء شمس بدران وأصدقائه، وقد اقتنع السادات وأعاد القادة الذين اقترحت عليه إعادتهم وقد أثبتت معركة أكتوبر ١٩٧٣، صدق تقديرى، فقد تحمل هؤلاء القادة مسئوليات رئيسية وكبيرة خلال المعركة، فقادة الفرق المشاة الخمس التى اقتحمت القناة ظهر السادس من أكتوبر من بينهم ٣ من دفعة ١٩٤٨، واثنين من دفعة ١٩٤٩. والفرقتان المدرعتان ٤ ، ٢١ لا تختلفان عن فرق المشاة ، وواصلت برنامج إسناد المسئوليات إلى الكفاءات العسكرية.

– أما بالنسبة للمدفعية فقد كانت السلاح الوحيد الذى يميل فيه ميزان القوى لصالح مصر.

– وكانت القوات الجوية المصرية مقارنة بقوات العدو الجوية فى الموقف الأضعف ، ولم يكن متاحا نتيجة مماطلة الروس توفير المقاتلات والقاذفات المطلوبة لدعم موقف القوات الجوية. وكان المطلوب العمل لزيادة إمكانيات القوات الجوية بطائرات حديثة وبمعدات أفضل. وكان تصورى أنه يمكن استخدام ماهو متوفر من طائرات فى توجيه ضربة جوية مركزة على مواقع وأهداف العدو الحيوية فى سيناء تصيبه بالشلل وبما يساعد القوات المهاجمة على اقتحام القناة ، مع مراعاة عدم الزج بالمقاتلات لخوض اشتباكات جوية إلا إذا كان الموقف يسمح لها بالانتصار.

– بالنسبة للدفاع الجوى ، فبعد بناء حائط الصواريخ غرب القناة أصبح فى مقدوره حماية سماء المعركة شرق القناة لمسافة محدودة. أما إذا حاول العدو الاقتراب من القناة أو من منطقة غرب القناة ، فإنه يقدم بذلك على مخاطرة غير محسوبة ، حيث كانت قوات الدفاع الجوى قادرة على حماية هذه المنطقة بشكل جيد ولكن نقطة الضعف أن بطاريات الصواريخ المتوفرة من طراز سام ٢ ثقيلة الوزن ، كبيرة الحجم ولا تتوفر لها حرية الحركة، ولو تم إخراجها من تحصيناتها فسيتم تدميرها. لذا كان من الضرورى التركيز على توفير صواريخ من طراز سام ٦ ، وهو طراز تتوفر له خفة الحركة بما يسمح بالمناورة به ، وبالتالى فإن هذا الطراز قادر على توفير الحماية للقوات المقاتلة شرق القناة.

– بالنسبة للقوات البحرية فهى تعد أقوى من البحرية الإسرائيلية بكل المقاييس ، إلا أن ضعف القوات الجوية المصرية سواء من ناحية عدد الطائرات أو مداها يحرم مصر من

استخدام التفوق البحرى بشكل متميز. ولكن هذه القوات بتلك الإمكانيات قادرة على قطع طرق إمدادات العدو البحرية فى البحرين المتوسط والأحمر ، وهذا مايجب وضعه أمام واضعى الخطط الخاصة بالقوات البحرية.

•• و وفقا لهذه الإمكانيات المتاحة وعلى ضوئها اجتمعتُ بالقادة المعنيين بحضور الفريق الشاذلى رئيس الأركان لمناقشة بدء العمل لوضع أول خطة هجومية. وكان واضحا أن الهدف خطة عمليات محدودة للوصول إلى خط المضايق ، وما أن طرحت الهدف أمام المجتمعين حتى أبدى الفريق الشاذلى وجهة نظر أخرى ، حيث طلب أن يقتصر الهدف على إنشاء رءوس كبارى شرق القناة واتخاذ أوضاع دفاعية على مسافة تتراوح بين ١٠ ، ١٢ كيلومترا.

كان الاتفاق بينى وبين رئيس الأركان على ضرورة اقتحام القناة وتدمير خط بارليف واحتلاله وعلى الهجوم بامتداد منطقة القناة ، أى التخلى عن فكرة ومنطق اتجاه رئيسى واتجاهات ثانوية حتى لا يركز العدو هجماته ونيرانه على الاتجاه الرئيسى للهجوم وعلى أن يتم الهجوم من خطوط دفاعية أما الاختلاف فيبدأ عند الهدف الرئيسى للخطة.

وهنا يجب أن أشير إلى أن كل منا كان يعرض وجهة نظره فى إطار الحرص على النجاح ومراعاة الصالح العام ، أى أن الاختلاف كان تعبيرا عن وجهتى نظر عسكريتين ، استنادا إلى الإمكانيات المتاحة أو التى يمكن توفيرها قبل بدء المعركة الهجومية ، وكان رئيس الأركان يرى أن هذه الإمكانيات لا تسمح بأكثر من إقامة رءوس كبارى على هذا العمق المحدود واتخاذ أوضاع دفاعية ، وفى حين كنت أرى أن الهجوم يجب أن يستمر حتى تصل القوات إلى خط المضايق الذى يشكل خطا يمكن للقوات أن تدافع عنه مستندة إلى طبيعة هذا الخط والصعوبة التى تواجه القوات المهاجمة إذا ما حاولت اجتيازه فى ظل قوات تتمسك به وتدافع عنه بشكل جيد.

وقد دافع الفريق سعد الشاذلى عن وجهة نظره بشكل جيد واستنادا إلى المنطق والعلوم العسكرية، أما أنا فقد أوضحت أن التوقف قبل الوصول إلى خط المضايق سيضع القوات المدافعة فى موقف صعب لأن الخط الذى ستتوقف عنده لا يستند إلى موانع طبيعية كخط المضايق ، أى أنه سيكون فى العراء وأجنابه معرضة للتطويق ، كما أن خطوط المواصلات عبر الكبارى المقامة على القناة ستكون عرضة لعمليات العدو الجوى.

وعند مناقشة امكانيات القوات المسلحة التى تسمح للقوات المهاجمة بالوصول إلى خط المضايق، أوضحت الصفقات التى تم توقيعها مع الاتحاد السوفيتى والمواعيد المحددة للتسليم، وأن تنفيذ الروس لهذه الصفقات سيتيح للقوات المسلحة الإمكانيات المطلوبة للهجوم ، وبالتالى فإننا يمكن أن نكون على أهبة الاستعداد لإطلاق الحرب من عقالها خلال أقل من عام ، إذا ما كانت القيادة السياسية ستصدر مثل هذا الأمر، ولكن الشاذلى رد قائلا إن توفير إمكانيات تنفيذ هجوم للوصول إلى خط المضايق يتطلب الانتظار عدة سنوات.

وكان لابد من عرض الأمر على الرئيس السادات واستمر الخلاف بيننا حول هذه النقطة إلى أن اتفقنا على إعداد خطتين للهجوم ، الأولى أطلقنا عليها اسم «**العملية ٤١**» والهدف منها الاستيلاء على خط المضايق ، والثانية وأطلقنا عليها اسم «**المآذن العالية**» وتتفق و وجهة نظر رئيس الأركان. وقد شارك المستشارون الروس فى وضع خطة «العملية ٤١» وكان هدفنا أن يتعرفوا معنا على الاحتياجات العسكرية التى تكفل وضع الخطة موضع التنفيذ ، ولكى يشاركوا فى وضع قوائم المعدات والأسلحة والذخائر المطلوبة.

وخلال هذه المرحلة تعددت الاحتكاكات بين الجانبين المصرى والسوفيتى ، السوفييت لايريدون أن تتضمن القوائم كل هذه المطالب لأنها مبالغ فيها حسب تقديرهم، ويسعون لتحجيمها ، والمصريون يعيدون على مسامع الروس ما سبق أن قالوه كثيرا عن مماطلتهم وتسويفهم وعدم احترامهم للصفقات الموقعة وعن عدم رغبتهم فى زيادة حجم الترسانة العسكرية المصرية لتظل إسرائيل متفوقة كماً وكيفاً.

أما الخطة الثانية «المآذن العالية» فقد اتفقنا على أن يقتصر العلم بها على القادة المصريين وألا يعلم السوفييت عنها شيئا حتى لا تتاح لهم فرصة إحباط المطالب المصرية من الأسلحة والمعدات والذخائر ، وحتى يظلون بعيدا عن اتجاهات القيادة العامة فى العمل على ضوء الإمكانيات المتوفرة فعلا.

وقد تمت إحاطة عملية وضع هذه الخطة بالسرية الكاملة ، واقتصر عدد من شاركوا أو علموا بها على عدد محدود من القادة المصريين.

وواصلت أجهزة القيادة العامة العمل بكل همة فى وضع الخطتين ، وفى نهاية شهر يوليو ١٩٧١ تم إنجاز الخطتين ، وبدأت مرحلة دراسة وتدقيق هاتين الخطتين قبل عرضهما على الرئيس السادات.

وفى أكتوبر ١٩٧١ توجهت مع الرئيس السادات إلى العاصمة السوفيتية موسكو للتفاوض حول احتياجات مصر من السلاح ، وانتهت الزيارة بتوقيع صفقة تسليح شملت ١٠٠ طائرة ميج ٢١ أف أم، وفوج صواريخ مضادة للطائرات من طراز سام٦. وتعهد الجانب السوفيتى بتسليم هذه الصفقه قبل نهاية عام ١٩٧١.

ولا شك أن وصول هذه الصفقة سيدعم امكانيات القوات المسلحة ويجعلها قادرة على مواصلة الهجوم حتى خط المضايق. ووصول هذه الأسلحة فى الموعد المتفق عليه يعنى استيعاب القوات المسلحة لها قبل ربيع ١٩٧٢ ، أى أن قرار الحرب يمكن اتخاذه اعتبارا من هذ التاريخ.

وكان منطقيا أن يعاد النظر فى الخطتين على ضوء وصول الأسلحة الجديدة وزيادة حجم القوات المسلحة وارتفاع مستوى الكفاءة القتالية وفقا لبرامج وخطط التدريب التى تنفذ بأكبر قدر من العناية وتحت إشراف ومتابعة القيادة العامة وفى ظروف لاتختلف كثيرا عن ظروف المعركة الحقيقية وفى ميادين تدريب مماثلة تماما لمسرح العمليات ، ومن العوامل التى ساعدت على إعادة النظر فى الخطتين ، توفر المزيد من المعلومات عن العدو خاصة عن تسليحه أى عن حجم وكفاءة الأسلحة الجديدة التى تسلمها أو انتهى من استيعابها.

ولأن الإعداد للحرب يعنى بالنسبة للقيادة العامة توفير المزيد من الإمكانيات وتلبية احتياجات القادة من الأسلحة والمعدات والأجهزة والذخائر واستكمال النواقص فى الوحدات والتشكيلات والجيوش ، فقد كان من الضرورى السعى للحصول على مزيد من الأسلحة لدعم الترسانة العسكرية المصرية.

ولما كان من الضرورى التوجه إلى الاتحاد السوفيتى، فقد واصلت القيادة العامة العمل على إشراك المستشارين السوفييت فى إعادة النظر فى «**خطة العملية ٤١**». وكلما تأخر السوفييت فى تلبية الاحتياجات أو تنفيذ الصفقات التى تم التعاقد عليها فعلا ، كلما ازداد سخط القادة على كل المستويات وارتفعت درجة التوتر بين الجانبين المصرى والسوفيتى وزادت الاحتكاكات.

وعندما اندلعت الحرب الهندية الباكستانيه فى ديسمبر ١٩٧١، التى انغمس فيها السوفييت بقوة لدعم الهند ، تأثرت حركة تزويد مصر باحتياجاتها العسكرية، وقد ظلت أجهزة القيادة العامة تعمل فى إعادة صياغة الخطط العسكرية على ضوء هذه العوامل.

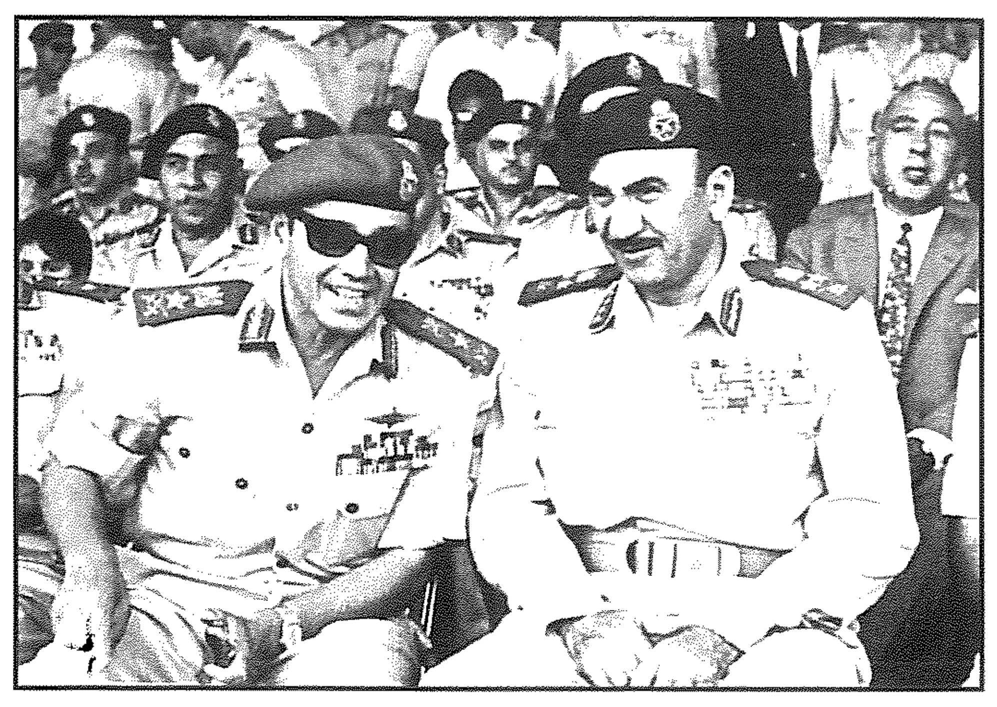


الرئيس السادات يترأس إجتماع المجلس الأعلي للقوات المسلحة بحضور الفريق أول صادق والفريق الشاذلي والفريق عبدالقادر حسن وعلي الجانب الآخر اللواء علي بغدادي قائد الطيران واللواء محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي

وعلى ضوء إعادة النظر فى الخطتين والتعديلات الأساسية التى أضيفت إليهما ، تغير اسم «**العملية ٤١**» ليصبح «**جرانيت ٢**» اعتبارا من بداية عام ١٩٧٢ ، أما خطة «**المآذن العالية**» فقد ظلت كما هى.

وطوال هذه الفترة ، وبالرغم من وصول نسبة من صفقات الأسلحة ، فقد ظل الفريق سعد الشاذلى متمسكا بأفضلية خطة «المآذن العالية» وكان فى ذلك معبرا عن موقف الرئيس السادات الذى سبق أن عبر عنه فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠، أى «تحرير ولو متر واحد شرق القناة». وظل يكتب المذكرات للرئيس السادات حول هذه النقطة.

وبدا واضحا أن ما بين الرجلين أكثر من تفضيل خطة على خطة أخرى ، طالما أن الهدف هو تحرير أرض مصرية من الاحتلال وفقا لإمكانيات القوات المسلحة، والثأر من هزيمة يونيه الموجعة، واستعادة الكبرياء والكرامة بعد أن أريقا على رمال سيناء، وتلقين القوات الإسرائيلية درسا قويا ومؤثرا بكسر نظرية الأمن الإسرائيلية بكل أبعادها ونتائجها على الفكر العسكرى والسياسى الإسرائيلى.



الفريق أول صادق مع الفريق سعد الشاذلى

لقد بدا أن كل منهما ومن خلال محور شكلاه يتطلع لتحقيق أهدافه الخاصة ، السادات يسعى للارتكاز على سند عسكرى للتخلص منى ، وسعد يتطلع لمنصب وزير الحربية القائد العام. وكان سعد الشاذلى من الذكاء ليدرك حقيقة نوايا السادات ورغبته فى إبعاد وزير الحربية.

ومنذ البداية كنت على بينة أننى سأدفع ثمن موقفى خلال عاصفة مايو ١٩٧١ والذى ترتب عليه استقرار السادات على مقعد رئيس الجمهورية.

فدروس التاريخ ــ وللأسف ــ توضح أن أى حاكم - خاصة فى دول العالم الثالث - لا يمكنه أن يقبل بوجود أصحاب الفضل فى وصوله إلى قمة السلطة ، وأن أول أهدافه ، التخلص منهم أو القضاء عليهم ، لأن استمرار وجود من ساعدوه على الوصول إلى هذا المنصب أو على الاحتفاظ به يعنى أنه سيمارس سلطاته تحت وطأة الإحساس بأنه مدين لهم بوجوده على القمة ، ولا يمكن لحاكم أن يتحمل العمل تحت وطأة هذا الإحساس.

ولأننى كنتُ أدرك هذه الحقيقة التاريخية ، والتى عالجتها المؤلفات فى العلوم السياسية، فقد أكدت للسادات عقب انقشاع عاصفة مايو أننى لم أقدم على ما أقدمت عليه ، إلا من أجل مصر، وأننى لم أنتصر له ، بل انتصرت لمصر.

ونعود مرة أخرى للخطتين العسكريتين «**جرانيت ٢**» التى تحولت فيها بعد نتيجة ما أدخل عليها من تعديلات جديدة إلى «**جرانيت ٢ المعدله**» والمآذن العالية ، فقد أكدت لكل المشاركين فى وضعهما ضرورة التخطيط لمفاجأة العدو استراتيجيا وتعبويا وتكتيكيا والعمل على الاحتفاظ بعامل المبادأة ، وأن يظل تكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر البشرية هدفا رئيسيا ، موضحا أن المفاجأة هى التى ستوفر أهم عناصر النجاح ، أما الخسائر البشرية فهى التى ستوجع العدو وتصيب المجتمع الإسرائيلى بشروخ رئيسية ، عندما يذوق لأول مرة طعم الهزيمة وثمنها الفادح بشريا ، بعد أن تمكن قادته من تحقيق الانتصار فى المعارك السابقه دون خسائر بشرية يحسب لها حساب.

وفى ذلك كنت والشاذلى على اتفاق تام ، كما كان التخطيط لضربة جوية مركزة على أهداف العدو الحيوية بسيناء لإصابة قيادته بالشلل ولتأخير رد فعله وتكبيده قدرا كبيرا من الخسائر المادية والبشرية بهذه الضربة هدفا لاخلاف عليه. وعندما واجهنا مشكلة الساتر الترابى بدأنا فى إجراء تجارب على وسائل كثيرة ثبت عدم فعاليتها ، إلى أن عثر مدير الأشغال العسكرية أثناء زيارة له لألمانيا على طلمبة توربينية.

وبهذه الطلمبة وصلنا للحل الذى يكفل للقوات المسلحة النجاح والتغلب على هذه العقبة ، وفى كلا الخطتين تقرر أن ينطلق الهجوم من مواقع دفاعية وأن يكون بامتداد الجبهة وأن تهاجم قوات الفرق المشاه الخمس بالجيشين الثانى والثالث فى نفس الوقت بأسلوب نمطى ، أى ينفذ الجميع الهجوم بنفس الأسلوب والتوقيتات.

وقد قام اللواء سعد الشاذلي رئيس الأركان بدور كبير فى المشاركة فى التخطيط والإشراف على التدريب، و وضع الحلول المبتكرة والمهمة لضمان نجاح الهجوم النمطى للفرق المشاه ، وبدون هذا الجهد الرائع الذى قام به الفريق سعد الشاذلى لم يكن الهجوم ليتم يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بهذا الشكل الانسيابى والبديع.

كما نجح الشاذلى فى ابتكار الأساليب والوسائل لوضع حلول للعقبات التى واجهت المخططين، فهو صاحب أسلوب استخدام الحبال فى تسلق الساتر الترابى، وعربات الجر الخفيفة لنقل الصواريخ المضادة للدبابات وغيرها من الذخائر الثقيلة الوزن وهو من صمم سترة للجنود تسمح لهم بحرية الحركة و بحمل ذخيرة وطعام وماء يكفيهم طوال الساعات الأولى للمعركة وإلى أن تنتظم عمليات الإمداد والتموين.

كما راعى المخططون العسكريون بالقيادة العامة قدرة العدو على العمل المضاد سواء أثناء التحضير للهجوم أو مرحلة الفتح تمهيدا لبدء الهجوم أو أثناء الهجوم أو عند تنفيذه

لهجمات مضادة بالاحتياطيات القريبة أولا ثم بالاحتياطيات البعيدة. وساهم الجميع فى وضع حلول تساعد قوات المشاه على الصمود فى مواجهة كل من طيران العدو ومدرعاته، ومن هذه الحلول تزويد المشاه بصواريخ مضادة للطائرات خفيفة من طراز **ستريلا** (سام ٧)، ودعم وحدات المشاه بعناصر مسلحة بصواريخ مضادة للدبابات. فقد كان على قوات المشاه وهى تقاتل شرقا أن تواجه قوات العدو الجوية ودبابات العدو إلى أن يتمكن المهندسون من إنشاء كبارى اقتحام فوق القناة تمهيدا لعبور الدبابات والمدرعات شرقا لدعم المشاه أى أن العناصر الرئيسية للخطتين لم تكن موضع اختلاف، **ولكن الاختلاف يبدأ عند تحديد الهدف من الهجوم.**

ولتضييق الفجوة بين الخطتين تم التخطيط لتنفيذ الخطه «**جرانيت ٢ المعدلة**» التى تستهدف الوصول إلى خط المضايق ، على مرحلتين ، فى المرحلة الأولى يتم اقتحام القناة وتدمير خط بارليف وإنشاء خمسة رءوس كبارى شرق القناة واتخاذ أوضاع دفاعية، أما فى المرحلة الثانية فلن تتم إلا عند توفر الإمكانيات التى تسمح بتنفيذها، و من خلالها تواصل القوات الهجوم للاستيلاء على خط المضايق.

وهكذا ضاق الفارق بين الخطتين.

وكنت مقتنعا أن القوات المسلحة استنادا إلى الخطط الجيدة الموضوعة ، وإلى مستويات التدريب المتميزة، وما تتمتع به من كفاءة قتالية وروح معنوية عالية واستعدادا للبذل وبما فى ترسانتها العسكرية من أسلحة وذخائر ومعدات يمكنها الوصول إلى خط المضايق واحتلاله.

وأيا كانت درجة النقص فى الذخيرة وبعض الأسلحة والمعدات ، فإن من يقاتل وهو يعلم أوجه النقص تلك ، ويعلم بحجم المغامرة فى قرار الحرب ، فإنه يجب أن يسعى لتحقيق مايمكن تحقيقه من أهداف ، وكانت القوات المسلحة قادرة على الاستيلاء على خط المضايق ، وكان الوصول إليها يعنى تحقيق انتصار مصرى كامل، بل ويتساوى مع الوصول إلى خط الحدود الدولية، فاتخاذ القوات المصرية من خط المضايق خطا دفاعيا فإن ذلك يعنى عدم قدرة قوات العدو على إعادة الاستيلاء على هذا الخط.

وبما أن هذا الخط ، هو خط الدفاع الأول والرئيسى عن مصر وعن القناة ، لأنه يستند إلى موانع طبيعية من الصعب اجتيازها ، فإن هذا يعنى أن أى وجود معادى شرق هذا الخط سيكون مكشوفا أى عاريا لعدم وجود موانع طبيعية فى سيناء شرق هذا الخط. ووصول القوات المصرية إلى هذا الخط سيسمح لها بنقل قواعد صواريخ الدفاع الجوى

الثقيلة والكبيرة الحجم من طراز سام ٢ إلى شرق القناة لتمتد بذلك شبكة الدفاع الجوى لتغطى المنطقة وتوفر الحماية للقوات الموجودة ، لأن بطاريات الصواريخ المتحركة من طراز سام ٦ لاتكفى لتوفير الحماية لهذه القوات.

وبالرغم من موقف السادات وتفضيله لخطة «**المآذن العالية**» أى أن يقتصر هدف الهجوم على تحرير مساحة يتراوح عمقها بين ١٠ ، ١٢ كيلو مترا شرق القناة ، فقد ظللتُ أؤكد أننا إذا ما بدأنا الحرب فيجب علينا أن نستثمر النجاح الذى سيتحقق فى البداية حتى نصل إلى خط دفاعى يستند إلى موانع طبيعية ودفع قوات العدو خلف هذا الخط، لتكون أكثر قدرة على مواصلة القتال ، وعلى تكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر إذا ما أصر على مواصلة العمليات الحربية ، إلى أن يتحقق وقف إطلاق النار.

وكانت جميع خطط العمليات تتضمن إسقاط وحدات من المظلات والصاعقه عند المضايق لاحتلالها كواجب رئيسى ، وفى نفس الوقت تقوم بمنع وتعطيل تدخل احتياطى العدو التعبوى الموجود فى العمق فى عمليات القوات المهاجمة حتى يتم العبور بالكامل.

وأوضحتُ أنه لو أن الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية قد توقفوا بعد نجاحهم فى إنشاء رأس كوبرى فى نورماندى واكتفوا بالقيام بالدعاية لهذا النجاح الذى أحرزوه لكانت الفرصة قد سنحت للقائد الألمانى «الفيلد مارشال رونشدت» لكى يقوم بالهجوم المضاد ويقذف بهم إلى البحر بسهولة ، ولذا فإن الاكتفاء بإنشاء رءوس كبارى والوقوف قبل المضايق لن يمكن قواتنا من إنشاء خط دفاعى قوى ، ويمكن للعدو حشد قواته واختراق الدفاعات المصرية ، وعبور قناة السويس إلى الغرب وتطويق قواتنا التى عبرت إلى الشاطئ الشرقى.

ولقد كانت فكرة السادات أن تعبر القوات المصرية القناة وأن تستولى ولو على متر واحد من الضفة الشرقية وبعد ذلك يبدأ السعى للوصول إلى حل سياسى ، وبعد ذلك تطورت فكرته إلى ضرورة التوقف بعد إقامة رءوس الكبارى شرق القناة وتحريك القضية سياسيا.

ولم أتوقف عن معارضة فكر السادات ومنطقه فيما يتعلق بهذه النقطة وأكدت له إمكانية اقتحام قناة السويس والتغلب على كل الصعاب التى تعترض أو تعرقل عمل القوات المهاجمة، وان الاقتصار على مهاجمة النقط الحصينة لخط بارليف يؤثر على خطة الاقتحام ويجعل أجناب القوات المهاجمة مكشوفا.

وشرحت للسادات أهمية إسقاط وحدات مظلات وصاعقة وقوات اقتحام جوى فوق المضايق للتمسك بها لحين وصول القوات المدرعة والمشاه المدعمة لها ، كما أن القوات التى ستحتل المضايق ستحول دون احتياطيات العدو الموجودة فى العمق والتدخل فى المعركة. وأن الوصول إلى خط المضايق ، سيحمى رءوس الكبارى ، ويساعد على نقل بطاريات صواريخ الدفاع الجوى إلى الشرق لحماية القوات البرية من أى هجمات جوية معادية بالإضافة إلى وحدات الدفاع الجوى ذاتية الحركة ، مع مراعاة أن جميع القوات ستكون تحت مظلة القوات الجوية. وللوصول إلى خط المضايق ، فإن مائة طائرة قاذفة مقاتلة تعد كافية لحماية القوات التى ستخصص للاستيلاء عليه.

وفى الاجتماع المحدود الذى دعا إليه السادات فى السادس من يونيه ١٩٧٢ باستراحة القناطر الخيرية ، عرض اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات تقريرا عن موقف القوات المسلحة ، وعندما طلب السادات الاستماع إلى تقديرى للموقف وقدرة القوات المسلحة على تنفيذ الخطة «**جرانيت ٢ المعدلة**» أوضحت وجهة نظرى وفى النهاية قلت لرئيس الجمهورية ، إنه صاحب القرار ، وإن القوات المسلحة ستنفذ كل الأوامر التى يصدرها.

وتحدث الفريق الشاذلى عن تفضيله لخطة «**المآذن العالية**» لأنها تتفق وامكانيات القوات المسلحة الحالية ، ويمكن البدء بتنفيذها دون انتظار وصول أسلحة أخرى.

وخلال الاجتماع تدارس المجتمعون تقريراً أعده اللواء أحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة، وأكد فيه أن القوات المسلحة ليست فى وضع يسمح لها بالقيام بعملية هجومية.

وعلى ضوء تقرير أحمد اسماعيل أثار السادات نقطة امتلاك مصر لطائرات تردع إسرائيل أى لقوة ردع تحول دون قيام إسرائيل بقصف العمق المصرى .

و أنتقل للحديث عن صفقة التسليح الضخمة التى عقدها مع السوفييت خلال زيارته لموسكو يومى الأول والثانى من فبراير ١٩٧٢، والتى وافق السوفييت فيها على إمداد مصر بـ ٢٠٠ دبابة ت ٦٢ ، ٢٠ قاذفة بعيدة المدى من طراز تيبيلوف ٢٢ ، ٢٥ طائرة ميج ١٧ كهدية فورية بالإضافة إلى تدعيم وزيادة وسائل الحرب الالكترونية.

وكان الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية قد سافر إلى موسكو على رأس لجنة عسكرية يوم ١٠ مارس ١٩٧٢ للتوقيع على هذه الصفقة إلا أنه عاد يوم ١٨ مارس

١٩٧٢ دون أن يوقع على البندين المتعلقين بالدبابات T-62 والقاذفات TU-22 لأن الروس طالبوا بدفع ثمنها بالكامل مع الذخيرة الخاصة بها بالعملة الصعبة.

وكان أسلوب التعامل السابق بين مصر والاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بصفقات السلاح دفع نصف الثمن وتنازل السوفييت عن النصف الثانى ، وأن تدفع مصر هذا النصف بالجنيه المصرى بجانب أن السوفييت كانوا يقرضون مصر قرضا يغطى هذا الثمن ومدة هذا القرض تتراوح بين ١٠ ـ ١٥ عاما وبفائدة ٢٪ وأن يبدأ السداد بعد فترة سماح طويلة. أما الثمن الذى طلبه السوفييت للطائرة TU-22 فكان ٦ , ٥ مليون دولار وللدبابة T-62 : ٢٥٠ ألف دولار.

كما أن الجانب المصرى اكتشف عدم صلاحية القاذفات تيبلوف ٢٢ (TU-22) وخلال زيارة جريتشكو لمصر فى منتصف مايو ١٩٧٢ صرفت مصر النظر عن الحصول على القاذفات من طراز TU-22 وتم توقيع صفقة الدبابات T-62 بعد أن تنازل السوفييت عن شروط البيع بالدولار.

وبعد انتهاء زيارة جريتشكو لمصر، استقبلت موسكو الرئيس الأمريكى نيكسون يوم ٢٠ مايو ١٩٧٢ وانتهت إلى ضرورة فرض الاسترخاء العسكرى على منطقة الشرق الأوسط. ولم يكن لذلك من معنى سوى تأخير برنامج التسليح المصرى .

وفى الثامن من يونيه توجهتُ إلى الاتحاد السوفيتى فى زيارة رسمية وأنا أحمل رسالة من السادات للرئيس السوفيتى بريجينيف. وبعد أن عدتُ للقاهرة دعوت إلى اجتماع عسكرى لقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة والجيشين الثانى والثالث يوم ٢٠ يونيه لأشرح لهم نتائج زيارتى للاتحاد السوفييتى وذكرت لهم أن رأى المارشال جريتشكو يتلخص فى :

- إعداد القوات المسلحة والدولة والشعب لمعركة طويلة الأمد.
- أن الموقف فى الشرق الأوسط بالغ التعقيد ، وإسرائيل تعرض حلولا لايمكن قبولها من مصر ولا من الاتحاد السوفيتى.
- أن السوفييت يؤمنون مثلنا بأن ما أُخذ بالقوة لايُسترد إلا بالقوة.
- يجب العمل معا فى المحافل الدولية اعتمادا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.
- أن الإبقاء على المستشارين السوفييت فى مصر هو ضرورة دولية.
- لن يقوم الاتحاد السوفييتى بعقد اتفاقية مع أمريكا على حساب مصر.

- أن تحرير الأرض يتطلب أولا بناء الجيش الدفاعى لمنع العدو من توسيع رقعة الأرض التى يحتلها ، وبعد ذلك يجرى بناء الجيش الهجومى الذى يقوم بتحرير الأرض.

ثم انتقلت لذكر انطباعاتى الشخصية عن الزيارة ولخصتها فى التالى :

* أن السوفييت مهتمون جدا بالجبهة الداخلية ، وقد وصل المدى بهم إلى حد طلب تنحية الأشخاص الذين تتعارض سياستهم مع الاتحاد السوفييتى.
* لاتغيير فى السياسة السوفييتية بعد القمة السوفييتية الأمريكية الأخيرة.
* أن السوفييت يريدون تهدئة الموقف فى المنطقة إلى أن ينجح نيكسون فى انتخابات نوفمبر ١٩٧٢ ، وبعد نجاحه من المتوقع أن يماطلوا فى إمداد مصر بالسلاح لتمييع القضية على أمل الوصول إلى حل سلمى.

وخلال هذه الفترة تحركت الأحداث بسرعة ، ومع بداية الأسبوع الثانى من شهر يوليو ١٩٧٢ وتحديدا فى الثامن من يوليو قرر الرئيس السادات طرد المستشارين والخبراء والقوات السوفيتية من مصر. وقبل نهاية يوليو ١٩٧٢ طلب الرئيس السادات تقريرا حول موقف القوات المسلحة بعد خروج السوفييت ومدى تأثير ذلك على خطط المعركة.

وعندما عرضت عليه التقرير توقف أمام الصفحات التى ذكرت فيها أوجه القصور فى خطة «**المآذن العالية**» ، وبدأ يناقشنى حولها. وفى هذه الصفحات أوضحت أن احتلال القوات المصرية رءوس كبارى شرق القناة بعمق محدود وترتكز على القناة ، لن يغير من الأوضاع الاستراتيجية فى سيناء ، فستظل إسرائيل تحتل ٩٠٪ من مساحة سيناء.

أما العامل الفعال هنا ، فهو النجاح فى اقتحام القناة وتدمير خط بارليف وإلحاق الهزيمة بقوات العدو وبشكل واضح ولأول مرة فى تاريخ الصراع العسكرى بين مصر وإسرائيل ، وكسر نظرية الأمن الإسرائيلية وتكبيد إسرائيل خسائر بشرية موجعة.

ومثل هذا الانتصار سيكون العامل المحرض للقيادة الإسرائيلية لشن هجمات مضادة قوية ومتواصلة لاختراق رءوس الكبارى التى احتلتها القوات المصرية أو دفعها إلى الخلف تمهيدا لإزاحتها وإعادتها إلى الضفة الغربية للقناة. كما أن عملية تطويق هذه القوات والالتفاف حولها من أحد الأجناب سيكون أمرا يسيرا على قوات العدو.

أما الأمر الأكثر احتمالا ، فيتمثل فى قيام قوات العدو باختراق الخط الدفاعى المصرى الهش شرق القناة من نقطة المفصل اى النقطة التى تفصل قوات الجيش الثانى عن قوات

الجيش الثالث وتحديدا عند منطقة الدفرسوار للوصول إلى منطقة غرب القناة ومحاولة تطويق الجيشين أو أحدهما.

وأوضحت للسادات أننا ونحن نعد خطتي الهجوم راعينا هذا الاحتمال وخططنا لمواجهته بواسطة قوات خصصتها لهذه المهمة وتم تدريبها عليها. كما أوضحت للسادات أن قوات العدو ستحاول الاختراق إما من منطقة البلاح أو من منطقة الدفرسوار، هذا إذا لم تواصل القوات المهاجمة تقدمها حتى خط المضايق.

وفى المذكرة كتبت للسادات أن القوات المسلحة إذا لجأت للدفاع قبل الوصول إلى خط المضايق فإنها تسلم عامل المباداه للعدو بإرادتها، لكى يخطط ويهاجم وفقا للظروف التى يراها ملائمة له.

وإذا كانت خطة «المآذن العالية» تفترض أنها ستقيم خطا دفاعيا، وأن قوات العدو ستظل تهاجم هذا الخط، أى ستواصل نطح الخط الدفاعى، وتخسر من الأفراد والمعدات الكثير، وبها يشكل استنزافا له، فإن هذا التصور يتسم بالسذاجة، فالعدو لن يواصل نطح هذا الخط الدفاعى، بل سيركز قواه لاختراقه، أو سيعمل على تطويقه طالما أن الجانبين مكشوفين.

وافتراض تسليم العدو بالوجود المصرى فى سيناء والتسليم بالهزيمة، افتراض ساذج فلا القيادة الإسرائيلية ستقبل بذلك، ولا الولايات المتحدة ستقبل بانتصار الأسلحة السوفييتيه على الأسلحة الأمريكية فى هذه المنطقة من العالم، خاصة وهى تملك القدرة على مواصلة القتال. وانتقلت للجانب السياسى والاقتصادى، حيث أوضحت أن قناة السويس ستظل مغلقة ولن تتمكن مصر من إعادة فتحها للملاحة لأنها ستظل فى مرمى النيران الإسرائيلية، فى حين أن الوصول لخط المضايق يتيح لمصر إعادة فتح القناة، واستثمار الموقف سياسيا. وبالمثل لن تتغير الأوضاع بالنسبة لمناطق آبار البترول شرق خليج السويس، لانها ستظل فى يد إسرائيل.

وبالرغم من قوة المنطق العسكرى واقتناع السادات به، إلا أننى كنت مدركا أن الرئيس يتحرك على ضوء أهداف وضعها ويمضى لتحقيقها خطوة إثر خطوة وإن لجأ للمناورة باستمرار لمحاولة التعمية عن هذه الأهداف.

وأيا كانت الخطة التى سيقع عليها الاختيار فإن خطة الخداع الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى تظل واحدة من أهم عناصر نجاح الهجوم المصرى وبجانب المفاجأة، فإن

الاحتفاظ بعنصر المبادأة يدعم هذا النجاح ويساعد على انتقال من نجاح مرحلة إلى نجاح المرحلة التالية.

وتحتاج الضربة الأولى إلى إعداد ضخم ومتقن وعادة تستخدم فيها القوات الجوية والصواريخ والأسلحة الذكية وكل ماتحت يدنا من وسائل وعلينا أن نفرق بين الطلعة وبين الضربة؛ لأن الضربة تحتم القيام بالطلعات عدة مرات فى اليوم الواحد كما فعلت إسرائيل يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ لأن الغرض منها هو خلخلة القدرة القتالية للعدو فى الأيام التالية من الحرب، ولا يمكن تنفيذ هذا الغرض الكبير بمجرد قيام القوات الجوية بالهجوم ثم العودة للاختباء فى الدشم وإلا تطورت العمليات فى مثل هذا الاستخدام الحذر لغير صالحنا فى الأيام التالية.

والمفاجأة مبدأ من مبادئ الحرب لابد من توافرها للقيام بالضربة الأولى ولكن علينا أن نتذكر أن عظمة المفاجأة ليست فى تحققها ولكن فى استغلالها وتكرار ذلك بصفة مستمرة بإرادة لا تعرف التردد. إذن فالغارات المتتالية هى السبيل الوحيد لتحقيق الضربة الأولى الناجحة.

وهناك مقومات خاصة لنجاح الضربة الأولى منها:

* توافر المعلومات الدقيقة عن الأهداف الحيوية التى تؤثر على المجهود الحربى للخصم وأهمها المطارات، مواقعها، منشآتها، نوع الممرات، تمركز الطائرات وانتشارها، الدشم والتحصينات الموجودة ونوعها واتجاه الفتحات، أماكن وجود الطيارين، الدفاعات البريه والجوية.
* كفاءة الأطقم الأرضية التى تقوم بتجهيزات الطائرات وإعادة ملئها فى أقل وقت ممكن حتى يتسنى القيام بأكبر عدد مستطاع من الطلعات بواسطة طائرة واحدة.
* كفاءة الأطقم الجوية فى إصابة الأهداف فى ضربات خاطفة بالانقضاض والتصويب سواء تجاه طائرات جاثمة على الأرض أو مستعدة للإقلاع أو أثناء نزولها على الممرات أو كان الهدف تدمير منشآت المطار أو ممرات النزول.
* قدرة الطائرات على المناورة لتفادى دفاعات العدو وبقائها فوق الهدف أقل وقت حتى لا تتعرض لنيران الدفاع الجوى.
* توافر العدد المناسب من المقاتلات والمقاتلات القاذفة.
* التركيز على ضرب الممرات لمنع مقاتلات العدو من استخدامها فى الهجوم المضاد.

وعلينا أثناء القيام بهذا الجهد المعقد التنسيق مع الوسائل الأخرى التى قد تستخدم فى الضربة الأولى مثل العمليات التى قد تشترك فيها القوات البحرية أو القوات المنقولة جوا، وفى نفس الوقت تحديد تأثير طلعاتنا أولا بأول بواسطة الصور الجوية أو استجواب الطيارين حتى نوجه طلعاتنا التالية إلى الأهداف التى لم يتم إصابتها فى الطلعات السابقة مع الحرص على التمسك بالمبادأة فى أيدينا وعدم انتقالها إلى يد العدو بأى حال من الأحوال.

ولابد أن تكون القوات البرية على كفاءة لاستغلال الضربة الأولى؛ فالضربة الأولى - التى تستخدم فيها القوات الجوية بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب استخدام المدفعية - تهيئ المسرح للتدخل بعد أن تكون قد أسكتت أغلب أسلحة العدو ومنعتها من التدخل ومهدت الجو النفسى ضد عدو مرتبك ، تقطعت خطوط مواصلاته وزادت مسئولياته تجاه الذين تأثروا من الصواريخ والقذائف فهذه القوات عليها استغلال الموقف قبل أن يلتقط العدو أنفاسه ولذلك على القيادة العامة تصور ما سوف تنتهى إليه الأمور بعد تنفيذ الضربة الأولى حتى تكمل القوات الأخرى فى عملياتها المشتركة المشوار فى إطار خطة تستغل الإمكانيات المتاحة تماما.

أهم ما نريد تحقيقه من توجيه الضربة الأولى هو القضاء على قدرة العدو على امتصاصها ثم القيام بضربة ثانية مؤثرة فإذا أغفلت الضربة الأولى ذلك يلتقط العدو أنفاسه ويمتص آثارها ويحشد قواته لتوجيه الضربة الثانية وهنا تنتقل المبادأة إليه ويتغير سير المعارك.

✲ ✲ ✲

وجهات نظر مختلفة

فى إحدى الليالى زارنى الرئيس أنور السادات بمكتبى بكوبرى القبة..

وبعد أن رحبتُ به الترحيب اللائق قال لى :

«يا محمد أنا عاوزك تعبر القناة.. وأنت دائما تقول إنك قادر على تحقيق ذلك. وما أطلبه هو أن تأخذ لى مترا واحدا من الضفة الشرقية، وبعد ذلك نطبل ونزمر ونسكت العيال...».

وبهذا المطلب، يكرر الرئيس ما سبق أن قاله خلال رئاسته لأول اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر١٩٧٠، أى بعد توليه مسئولياته كرئيس للجمهورية بثلاثة أيام، عندما طلب من المجتمعين تحرير ولو عشرة سنتيمترات شرق القناة.

فقلت له : يا ريس أنا لست مستعدا للمغامرة بسمعة القوات المسلحة أو أن أقودها إلى مغامرة فاشلة، نتيجة قرار خاطئ جدا من الناحية العسكرية.

وسألته : « من قال لك إن العدو سيتركنى أنعم بهذه المساحة. إن أحدا لا يستطيع أن يبدأ الحرب وينهيها بالدعاية ...» .

وأحضرتُ مجموعة من الخرائط التى تمثل سيناء وعليها مواقع العدو، وفرشتها على الأرض، وشرحت له الموقف وطبيعة مسرح العمليات، وما يفرضه من تخطيط، لضمان النجاح. ثم قلت له : إن العبور سيتم بإذن الله على أكمل وجه، بعد أن تم لنا التغلب على جميع الصعوبات التى كانت تواجه خطط اقتحام القناة. وبالنسبة لخط بارليف، فلن أهاجم إلا النقط الحصينة التى تؤثر على خطة الاقتحام، والتى تهدد أجناب القوات العابرة، بعدها تنطلق بعض الوحدات المدرعة والمشاة الميكانيكية إلى المضايق الثلاثة. ويسبقها فى ذلك إسقاط قوات المظلات والصاعقة وقوات الاقتحام الجوى فوق المضايق وعلى الطريق الساحلى لمنع احتياطيات العدو التعبوية الموجودة بالعمق من التدخل فى المعركة، والتمسك بالمضايق لحين وصول القوات المدرعة والمشاة التى تدعمها. وسيجرى إنشاء

رءوس كبارى ودعمها. وستسند رءوس الكبارى إلى القناة، وتحتمى خلف الخط الدفاعى الطبيعى والرئيسى عن مصر.

وأكدت للسادات إن ما أقوله عن أهمية المضايق وإنها الخط الدفاعى الذى يجب أن نحرره من أيدى القوات الإسرائيلية، لترتكز عليه كخط دفاعى، سبق أن قاله «الفيلد مارشال مونتجمرى» أثناء زيارته لمصر فى أبريل ١٩٦٧.

وسيجرى نقل بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات من غرب القناة إلى شرق القناة لحماية القوات الموجودة برءوس الكبارى والخط الدفاعى، ومنع العدو الجوى من محاولة التدخل ضد قواتنا حتى حوالى ٢٠ كيلو مترا شرق خط المضايق، بالإضافة طبعا إلى وحدات الدفاع الجوى ذاتية الحركة. والكل تحت مظلة القوات الجوية. وشرحت للرئيس طبيعة الأرض فى سيناء فى المنطقة شرق القناة، وقلت له، إن الوقوف قبل الوصول إلى المضايق لا يتيح للقوات المهاجمة إنشاء خط دفاع قوى، حيث أن المنطقة كلها مكشوفة إلا من بعض التلال والكثبان الرملية، وذلك يعطى العدو فرصة حشد قواته واختراق دفاعاتنا.

وبهذه الطريقة سنساعد العدو على تحقيق أهدافه العسكرية، لأننا الذين وضعنا أنفسنا فى هذا الموقف الصعب. فبدلا من خط دفاعى قوى يستند إلى مانع طبيعى جيد، سننشئ خطا دفاعيا فى العراء وسنترك أجنابه معرضة للتطويق هذا بالإضافة إلى اعتماد القوات الموجودة شرق القناة على الكبارى المقامة فوق القناة أى أن خطوط المواصلات ستكون معرضة لهجمات العدو الجوية المستمرة.

وأوضحت للرئيس السادات أن القوات المسلحة ستتحمل تضحيات كبيرة، وهذه التضحيات ستكون من أجل تحرير عدة كيلومترات شرق القناة وبناء رءوس كبارى وخط دفاعى هش سهل الاختراق. وهذه السهولة ستشجع العدو على عبور القناة باتجاه الغرب وتطويق قواتنا المهاجمة.

وذكرت له إنه فى مثل هذه الظروف — لا قدر الله — سيكون التطويق من اتجاه الجنوب، لأن منطقة شمال الاسماعيلية لا تصلح لعمليات التطويق. وبعد ذلك انتقلت لموقف الحماية الجوية، وشرحت له إن مائة طائرة مقاتلة قاذفة ذات مدى طويل، تكفى لحماية قواتنا حتى الوصول إلى خط المضايق. وقدمت له عرضا من بريطانيا ببيع ١٠٠ طائرة «جاجوار»، وهى مقاتلة قاذفة لا تقل كفاءتها عن الفانتوم، وتفيى جدا بالغرض.



الفريق أول صادق يستقبل الرئيس السادات علي باب وزارة الحربية
و بحضور الفريق الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري

بالإضافة إلى الطائرات السوفييتية الموجودة لدينا. ودهش الرئيس من العرض، و وافق عليه وهو سعيد.

وبعد أيام فوجئت باعتذار رئيس الوزراء عن إتمام الصفقة بسبب ضيق ذات اليد. وتفهمت أسباب رئيس الوزراء الذى لا يريد أن يغضب الأصدقاء السوفييت.

فطلبت الرئيس السادات وعرضت عليه اقتراحا بجمع المبلغ الخاص بالصفقة من القادة العرب الأثرياء. وقلت له أننى سأتحمل هذه المسئولية فيها لو قبل الاقتراح، لأجنبه

حساسيات الاتصال بالقادة العرب بشأن هذه الصفقة، فرفض الاقتراح قائلا «إن هذا شغله هو».

وخلال زيارة عمل للسعودية والكويت، وافقت الدولتان على تسليم مصر ٨٠ طائرة من طراز «لايتنج» القاذفة المقاتلة الإنجليزية الصنع. ووافقوا على إدخال التعديلات التى طلبتها لزيادة فعاليتها ومداها وقدرتها على حمل القنابل، وبما يكلف الدولتين مئات الملايين من الدولارات. واستكمالا للبرنامج أوفدت ٢٠٠ طيار وفنى للتدريب على هذه الطائرات. وفعلا أتموا التدريب يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢.

والسؤال الآن، لماذا لم تدخل هذه الطائرات المعركة؟

ولماذا نسى السادات أو تناسى وجودها؟

ولم لم يطلب إحضارها من الدولتين، وضمها للقوات الجوية؟

هذه الطائرات كانت كفيلة بتحقيق حماية أفضل لقواتنا شرق القناة.

لقد كان الحوار الذى تم بينى وبين السادات بمكتبى حول الحرب، قبل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ بمدة طويلة. وخرج السادات وهو مقتنع تماما بكل ما قلته له. وقبل أن ينتهى اجتماعنا أكدت له أننا سنكون قادرين على بدء المعركة أوائل عام ١٩٧٣، بشرط أن تستوفى القوات المسلحة مخزونها من الذخيرة، وبعد وصول الكبارى السريعة التى سبق أن تعاقدنا عليها.

ولأننى أعلم أن الرئيس لا يغير اقتناعه بسهولة، وبالرغم من اقتناعه الواضح بالخطة التى عرضتها عليه، وبأهمية مراعاة الخطة العسكرية الموضوعة و ضرورة الوصول إلى خط المضايق، فقد رأيت أن أعيد طرح وجهة النظر العسكرية التى أراها محققة لأهداف معركة مصر المقبلة، وقلت للرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة، إن أية دولة تستطيع أن تبدأ الحرب وتحدد موعد بدء إطلاق الحرب من عقالها، ولكنها لا تستطيع أن تحدد متى تنتهى، لذا فإن على الجانب الذى يستعد للمعركة أن يضع فى حساباته كل الاحتمالات.

فإذا ما بدأنا معركتنا بإذن الله فإن القوات المسلحة قادرة على اقتحام القناة وهزيمة احتياطيات العدو وقواته الموجودة بالمواقع الحصينة لخط بارليف، وقادرة على استثمار النجاح الذى ستحققه بالإضافة لعامل المفاجأة وذلك للوصول إلى خط المضايق لتتحصن من خلفه والوقوف عند خط المضايق الدفاعى واحتماء رءوس الكبارى خلفه سيتيح للقوات المسلحة مواصلة الحرب إلى أن يتحقق وقف إطلاق النار. وكل هجمات

العدو المضادة حتى لو استخدم كل احتياطياته ستتكسر على الخط الدفاعى الذى يستند إلى المضايق، وسيتكبد قدرا كبيرا من الخسائر لا يمكن أن يتحمله طويلا. وانتقال حائط الدفاع الجوى إلى الأمام شرق القناة، سيحرم قواته الجوية، أو ذراعه الطويلة من الاقتراب من رءوس الكبارى.

ومن خلف هذا الخط يمكن لمصر حشد قواها العسكرية والمدنية لتحمل الضغوط العسكرية المعادية، التى ستكون على شكل هجمات مضادة متواصلة للاختراق وتدمير رءوس الكبارى. وإذا ما فكر العدو فى مهاجمة أهداف مدنية للتأثير على القرارين السياسى والعسكرى، وهذا الاحتمال لا يمكن تجاهله، فإن مظلة الدفاع الجوى قادرة على التعامل معه إذا ما أجادت قيادة قوات الدفاع الجوى استثمار إمكانياتها. وأننى واثق أنها قادرة على ذلك. كما أن القوات الجوية ستقوم بدورها لحماية سماء مصر وحماية العمق المصرى.

وعدت مره أخرى لأذكر للرئيس القائد الأعلى أن عدم وصول القوات المهاجمة إلى خط المضايق سيجعل الدفاع عن رءوس الكبارى هشا وسيتيح للعدو فرصة اختراقها، وأنه أيا كانت الضمانات أو الاتفاقيات التى تترتب سرا فى الشارع الخلفى، أو التى تتقرر فى الدهاليز المظلمة للسياسة، فإنه لا يمكن تجاهل هذا الاحتمال.

وضربت مثلا للرئيس السادات، هجوم الحلفاء على نورماندى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، لدفع الألمان للتراجع وإلحاق الهزيمة بجيش الرايخ الثالث إلى أن يتحقق استسلام ألمانيا، وقلت له لو توقف الحلفاء بعد إقامة رءوس كبارى على الشاطئ الفرنسى، لتقدمت القوات الألمانية ودمرت هذه الجسور وقضت على قوات الحلفاء المهاجمة ، لذا كانت مهمة القوات المهاجمة الوصول إلى أول منطقة تصلح كخط دفاعى بعد النجاح فى إقامة رءوس الكبارى ، إلى أن يتم إعادة تجميع القوات المهاجمة لتعاود انطلاقها من جديد.

وكنت شديد الحرص على توضيح المعركة وخطتها وتفاصيلها واحتياجاتها وضروراتها ومستلزماتها و وضع كل المعلومات المتاحة أمامه وبالتفصيل لسببين :-

الأول : معلومات الرئيس العسكرية والقيادية، لم تكن تسمح له باتخاذ قرار عسكرى سليم، حيث أن مدة خدمته بالقوات المسلحة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وقد

أمضاها فى سلاح الإشارة ، وذلك منذ مدة طويلة جدا. وخلال هذه المدة تطورت العلوم العسكرية وتغيرت مفاهيم ، وأصبح اتخاذ القرار يحتاج إلى مئات بل آلاف المعلومات.

الثاني : كانت هناك بالقيادة العامة وجهة نظر يمثلها الوزير القائد العام، ترى ضرورة وأهمية الوصول إلى خط المضايق، و وجهة نظر أخرى يتبناها الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان تقتصر فيها مهمة القوات المهاجمة على تحرير ما يتراوح بين ١٠ ، ١٢ كيلومترا شرق القناة وبناء رءوس كبارى عليها والتحول إلى الدفاع.

وهذه الاستراتيجية هى التى عبر عنها الرئيس السادات فى أول اجتماع له بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة، وهى نفس الاستراتيجية التى طالبنى بتنفيذها بعد أن وصل إلى مكتبى فى هذه الزيارة الليلية.

وتوصلنا داخل القيادة العامة إلى حل وسط حتى يستمر التعاون بينى وبين رئيس الأركان، وحتى يتم التوفيق بين وجهتى النظر، إلى التخطيط لإنشاء رءوس كبارى شرق القناة بعمق يتراوح بين ١٠ ، ١٢ كيلومترا كمرحلة أولى وخطة أخرى ثانية للتقدم إلى المضايق لاحتلالها وإنشاء خط دفاعى يستند إليها كمرحلة ثانية.

وقد بدأ التفكير فى التخطيط لاقتحام القناة داخل القيادة العامة لأول مرة بعد يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠. أى بعد الاجتماع الأول للمجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة السادات بعد توليه سلطاته رسميا يوم ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٠.

قبل ذلك لم يكن لدى القيادة العامة سوى خطة دفاعية، هى الخطة ٢٠٠ . أما التخطيط لعمليات تعرضية وتنفيذ بعض الإغارات بقوات محدودة على مواقع العدو، فكان مستمرا. ولكن ما أعنيه هو هجوم بهدف تحرير الأرض شرق القناة وهزيمة التجمع الرئيسى لقوات العدو وإلحاق أكبر قدر من الخسائر به، فلم يكن هناك أى تفكير فى إعداد خطة لتحقيق مثل هذا الهدف.

وعند التفكير فى وضع خطة هجومية، كان للفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وجهة نظر أخرى . لقد كان أسيرا لفكرة العودة لمعارك الاستنزاف. ولم يكن تفكيره بعيدا عن مخططاته ومخططات مجموعة على صبرى حيث كانت العودة إلى معارك الاستنزاف، تحقق للفريق أول فوزى ومجموعته التالي:-

١ - توريط السادات فى هذه المعارك، بل وتوريط القوات المسلحة ومصر كلها، حتى يظل أسيرا لتطورات هذه المعارك بكل احتمالاتها، وبها يحول بينه وبين محاولة الإفلات

من قبضتهم. فقيادة فوزى لهذه المعارك بصفته وزير الحربية القائد العام، ستضمن له الاستقرار فى مكانه، وأى إقتراب منه أو من نفوذه وسلطانه، سيعد تأثيرا على سير المعارك وخفضا للروح المعنوية للقوات المسلحة، ومعاونة للعدو على تحقيق أهدافه، وكسرا لإرادة القتال. ومن خلال سير هذه المعارك وتطوراتها، يمكن لهذه المجموعة تنفيذ مخططاتهم، فالمبادرة ستكون دائما فى يدهم، وستظل فى قبضتهم طالما استمرت هذه المعارك.

٢ - استمرار الحاجة للاتحاد السوفييتى كمورد رئيسى للأسلحة والمعدات والذخائر، وتفسح هذه الحاجه الطريق أمام قادة الكرملين لزيادة وتكثيف ضغوطهم لمزيد من المكاسب والنفوذ داخل مصر. ويمكن للسوفييت ورجالهم الحصول على المزيد من القواعد البحرية والجوية والبرية وزيادة قواتهم ومضاعفة حجم الخبراء والمستشارين العسكريين باستمرار.

وهذه الخطوات ستعنى زيادة حدة الصراع الداخلى. ولكن هذا الصراع سيكون بالنسبة لهم طريقا للإسراع فى تحويل مصر إلى واحدة من الدول التى تنتمى وتدور فى الفلك الشيوعى وسواء رضى السادات أو لم يرض ، وسواء قبل أو لم يقبل، فقد أصبح أسيرا لهذه المعارك التى أطلقوها من عقالها، لحسابهم، لا لحساب مصر.

واستغل فوزى الاجتماعات التى تعقدها مجموعة على صبرى، وأيه اجتماعات على الساحة السياسية سواء كانت اللجنة التنفيذية أو أى مستوى أقل للتنديد بمحاولات الرئيس السادات للاتصال بالولايات المتحدة. وأكدوا أن مثل هذه الاتصالات التى يجريها السادات دون العرض على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى، ستمنع القوات المسلحة من بدء حرب استنزاف جديدة. وكانت هذه الاعتراضات وما يصاحبها من شوشرة على السادات، استمرار لاعتراضهم على مبادرة السادات السياسية التى أعلنها فى فبراير ١٩٧١.

وكرئيس لأركان حرب القوات المسلحة، أبديت اعتراضى على حكاية تجديد حرب الاستنزاف، وبينت للجميع خطورتها على الخطة الهجومية التى بدأنا فى إعدادها لشن حرب لتحرير الأرض المحتلة.

ولم تمض سوى فترة قصيرة، حتى رأيت الفريق أول فوزى يعرض على السادات أثناء خروجه من القيادة العامة للقوات المسلحة بعد أحد الاجتماعات، قرارا مكتوبا لتوقيعه،

وباللغة العسكرية للحصول على تصديق القائد الأعلى ، و رفض الرئيس السادات التوقيع على القرار وهو غاضب بل شديد الغضب من القرار ومكان عرضه عليه. وتأزم الموقف.

وبعد انصراف الرئيس، عرفت أن القرار أو الأمر كان يقضى ببدء معارك تراشق مدفعية مرة أخرى مع العدو. أى كسر وقف إطلاق النار الذى بدأ يوم ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ تنفيذا لمبادرة روجرز التى قبلها عبدالناصر، وتجديد معارك الاستنزاف.

فى تلك الليلة عرف السادات بنوايا محمد فوزى و وصلته معلومات عن وجود تعاون وثيق بين الفريق فوزى وسامى شرف. وتبينت مجموعة على صبرى، وبشكل مؤكد، أنها لن تتمكن من توريط السادات فى معارك استنزاف، وأدرك محمد فوزى لأول مرة أنه وضع نهاية لحياته العسكرية بمحاولته الحصول على تصديق السادات بذلك الأسلوب، هذا إذا استمر رئيسا للجمهورية.

ومنذ تلك الليلة تغيرت مواقف الطرفين السادات من جانب، ومجموعة على صبرى من جانب آخر. ومنذ تلك الليلة بدأ التفكير فى إزاحة السادات بأى شكل حتى لو تطلب الأمر الإقدام على انقلاب عسكرى.

وبعد انتهاء اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠ أصدرت تعليماتى لهيئة العمليات بالبدء فى وضع خطة شاملة لاقتحام القناة والوصول إلى خط المضايق.

وللبدء فى وضع خطة هجومية، فإن الأمر يتطلب دراسات تفصيلية حول إمكانيات القوات المصرية المسلحة الحالية واحتمالات تطورها على ضوء الحقائق لا الوعود أو حتى التعاقدات. فقد تعلمنا أن كثيرا من العقود التى يوقعها مسئولون سوفييت، لا يتم الالتزام بها أو بالمواعيد المحددة بها. ودراسات مماثلة لإمكانيات القوات المسلحة الإسرائيلية، واحتمالات تطورها، وحجم القوات الإسرائيلية فى سيناء وأوضاعها، وخططها، وأماكن انتشارها، وموقف الاحتياطات القريبة، والبعيدة، وقدرتها على التدخل.

وكان معروفا للقيادة العامة أن القوات الإسرائيلية تتفوق كما وكيفا، ولكن كانت القيادة العامة وكل القادة يدركون أن القوات المصرية المسلحة قادرة على تحقيق الانتصار

فى أى مواجهة مقبلة. وأكدت الدراسات التى أجرتها القيادة العامة أن مقارنة الإمكانيات لصالح القوات الإسرائيلية وأن ميزان القوى يميل لصالح إسرائيل.

وكانت الصورة تكشف امتلاك مصر لمنظومة دفاع جوى جيدة، خاصه بعد نجاح القيادة العامة فى دفع مواقع بطاريات صواريخ الدفاع الجوى من طراز سام - ٢ - دفينا ودسينا - إلى المناطق القريبة من حافة القناة الغربية قبل موعد وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس عام ١٩٧٠.

وهذه المنظومة الجيدة كان ينقصها امتلاك القوات المسلحة لبطاريات صواريخ ذاتية الحركة من طراز سام - ٦ - وكان من الضرورى السعى لدى الأصدقاء السوفييت للحصول على هذا الطراز.

وكان التخطيط لاقتحام القناة ومواجهة قوات العدو فى الأرض الصحراوية المكشوفة شرق القناة يتطلب وجود بطاريات صواريخ سام - ٦ - ذاتية الحركة لتتمكن من حماية القوات المهاجمة من قوات إسرائيل الجوية.

وكانت مظلة الدفاع الجوى غرب القناة لا توفر للقوات المهاجمة الحماية المطلوبة شرق القناة. ولم تكن القوات الجوية قادرة على توفير هذه الحماية، فإمكانياتها لا تسمح بذلك. كما أن استخدام القوات الجوية كمظلة حماية يمثل إهدارا لإمكانيات هذه القوات.

ورؤى أن يراعى التخطيط للهجوم، أن تظل القوات المهاجمة فى نطاق الحماية التى توفرها شبكة الدفاع الجوى غرب القناة، وأن يمتد نطاق نشاط القوات المهاجمة شرقا بقدر توفر الحماية لها سواء بوجود بطاريات صواريخ سام - ٦ - أو بتوفير الحماية المطلوبة لنقل بطاريات الصواريخ من طراز سام - ٢ - إلى شرق القناة.

ولأن إمكانيات طائرات سلاح الجو الإسرائيلى كانت أفضل خاصة من ناحية المدى فقد كان ذلك يعنى إمكانية وصول القوات الجوية المعادية إلى العمق المصرى، فى حين لا تتوافر لمصر مقاتلات قاذفة أو قاذفات مقاتلة قادرة على الوصول إلى عمق العدو. وكانت تغطية هذه الثغرة تتطلب توفير الحماية للعمق بواسطة صواريخ الدفاع الجوى وكان ذلك متاحا.

ومن خلال تجارب الصدام بين المقاتلات المصرية والمقاتلات الإسرائيلية خلال معارك الاستنزاف، تبينت القيادة العامة، تفوق المقاتلات الإسرائيلية. وكشفت الدراسة التى قامت بها القوات الجوية، أن هذا التفوق يرجع إلى المزايا التى تتوفر للمقاتلات

الإسرائيلية، وإلى حسن تخطيط قيادة القوات الجوية الإسرائيلية للعمليات التى تقرر الإقدام عليها. وفى البداية كانت تتمكن من إعداد كمائن لاصطياد المقاتلات المصرية، إلى أن وضحت الصورة، ونجحت قيادة القوات الجوية فى تجنب هذه الكمائن والتخطيط لاستدراج المقاتلات الإسرائيلية إلى كمائن معدة بذكاء.

وخوض مثل هذه المواجهات، كان يتطلب اختيار أفضل الطيارين، وأكثرهم خبرة وتجنب إشراك الطيارين الأقل خبرة، والذين لم يطيروا لساعات تكفى لاكتساب الخبرة المطلوبة، والسيطرة على الطائرة، ومواجهة المواقف، والقدرة على اتخاذ القرار المناسب تحت ضغوط الاشتباك. كما كشفت دراسة أسلوب العدو، عن ضرورة الاهتمام بالموجهين الجويين.

وكان مهما للقيادة العامة أن تحرص على تزويد القوات الجوية بمقاتلات ذات قدرة على التحليق لفترة أطول، ومقاتلات قاذفة وقاذفات مقاتلة، وقاذفات سريعة وبعيدة المدى، أى قادرة على الوصول إلى العمق الإسرائيلى. ولم يكن الوصول إلى العمق هو الهدف، بل كان المطلوب هو الردع بالدرجة الأولى. وإذا ما تطورت أعمال القتال، وهاجم العدو العمق المصرى ، فإن الرد على الهجوم، بالهجوم على العمق الإسرائيلى يصبح اختيارا أو أمرا ضروريا وكبديل للوصول إلى العمق، رأت القيادة العامة الحصول على صواريخ أرض - أرض متوسطة المدى، أى قادرة على ضرب وإصابة أهداف بالعمق الإسرائيلى.

وكان واضحا من تجاربنا مع السوفييت، أنهم لا يريدون لمصر الإقدام على اقتحام القناة والاشتباك مع قوات العدو فى إطار خطة هجوم شاملة. وكان هذا الحرص يعبر عن نفسه بأكثر من أسلوب، ومن ذلك :

١ - الاقتصار على تزويد مصر بأسلحة دفاعية والمماطلة أو التهرب من إمدادها بأسلحة هجومية. وكانت هذه النقطة، مجالا للاحتكاك المستمر بين الجانبين، المصرى والسوفييتى ، خاصة بعد وصول السادات إلى قمة السلطة فى مصر.

٢ - نشر الإحباط بين القادة، والتركيز على أن مواجهة مشكلة الساتر الترابى شرق القناة تتطلب قنبلة ذرية، وأن اقتحام القناة يحتاج إلى كل إمكانيات سلاح المهندسين الأمريكى والسوفييتى معا.

٣ - المماطلة فى إمداد مصر باحتياجاتها العسكرية للإمساك بزمام الموقف باستمرار. فقد كان مخزون الذخيرة لمعظم الأسلحة لا يكفى فى أى لحظة إلا لفترة قتال قد تتراوح بين يوم ونصف وثلاثة أيام.

وكانت هناك قطع غيار ضرورية، لا يمكن الاستغناء عنها للحفاظ على أسلحة كثيرة صالحة للعمل. هذه القطع تحديدا، كانوا يتحكمون فى إمداد مصر بها، لتظل الأسلحة تحت سيطرتهم، أى يضمنون ألا تخاطر القيادة العامة المصرية ببدء أية عملية تعرضية هجومية واسعة النطاق، طالما ظلت هذه الأسلحة فى حاجة إلى قطع غيار. ولم يكن أمام القيادة العامة للقوات المسلحة، سوى استمرار عرض مطالبها واحتياجاتها على المسئولين السوفييت.

وكانت قدرة القيادة العامة على استخدام قواتها البرية أو البحرية بكفاءة وجسارة تعتمد على توفر الحماية ضد القوات الجوية الإسرائيلية سواء باستخدام الصواريخ المضادة للطائرات أو القوات الجوية. وبالنسبة للقوات البحرية، وطبيعة مسرح العمليات البحرى، فإنها ستعمل خارج نطاق مظلة الدفاع الجوى، وبالتالى فإن حاجتها للمظلة الجوية تصبح ضرورة.

وعندما كانت القيادة العامة تناقش الموقف، كنا نتوصل إلى ضرورة استخدام ما نملكه من إمكانيات بشكل أفضل، و وضع الخطط التى تتناسب وهذه الإمكانيات وكنت أقول لهم دائما، إنه لم يحدث أن توفرت لأى قيادة عامة كل الإمكانيات التى تتطلع إليها أو تحتاجها، وكان التخطيط الجيد، والقدرة على استخدام الإمكانيات المتوفرة بأفضل أسلوب ممكن، وامتلاك ملكة الابتكار والتوصل إلى حلول جيدة وجديدة للعقبات التى تواجه المخططين من العوامل الرئيسية لتحقيق الانتصار.

ولم تكن الإمكانيات محدودة ، كانت مصر تملك قوات برية تتساوى مع قوات العدو، مع تفوق نسبى فى سلاح المدفعية. وهذا التفوق فى المدفعية ظل ميزة مصرية عبر التاريخ.

وكانت القوات البحرية بحجمها تتفوق على نظيرتها الإسرائيلية، وحتى فى ظل التفوق الجوى الإسرائيلى فإنها قادرة على تنفيذ عمليات بحرية مؤثرة، خاصة على المستوى الإستراتيجى، مثل قطع طرق المواصلات البحرية وفرض حصار بحرى واسع النطاق على إسرائيل.

وكانت مشكلة الساتر الترابى واقتحام القناة وتسليح المشاة لمواجهة العدو الجوى والمدرعات الإسرائيلية، موضع عناية المخططين.

وكان واضحا أمام جميع القادة، أن الهدف هو وضع خطة لعملية مشتركة واسعة النطاق بهدف اقتحام القناة وإنشاء رءوس كبارى قوية والتقدم بسرعة فى اتجاه المضايق لاحتلالها والاستعداد بعد ذلك لصد هجمات العدو المضادة.

ولم تكن إمكانيات القوات المسلحة فى تلك المرحلة تسمح بالتخطيط لمعركة هدفها تحرير كل سيناء أو ما هو أبعد من ذلك ولا كان المستقبل يحمل احتمالات توفير الإمكانيات الضرورية لمثل هذه الخطة. وكانت معرفتى ومعرفة القيادة العامة للقوات المسلحة بحقيقة إمكانياتنا قياسا بإمكانيات العدو قد أقنعتنا بألا نفكر أو نتطلع لتحرير كل أرضنا المحتلة بالحرب.

ومنذ البداية جعلنا هدفنا الوصول إلى خط المضايق. ومع هذا كان علينا أن نطلب من السوفييت توفير الإمكانيات المطلوبة لوضع هذه الخطة موضع التنفيذ.

وكان وضع الخطة مرحلة ضرورية، لبدء وضع الخطط الخاصة بالتدريب بكل الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة. و واصلت هيئة العمليات عملها بكل همة. ومع بدء هذه المرحلة، كنا ندرك أننا نضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيح. وهذا ما كنت أركز عليه فى أحاديثى مع القادة والضباط والجنود خلال تلك المرحلة.

و كما ذكرت من قبل تفصيلاً عن أحداث مايو ١٩٧١، حيث قرر الرئيس السادات تعيينى وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة، و اختار سعد الشاذلى رئيسا للأركان.

والفريق سعد الشاذلى صديق وضابط نشيط ومن الكفاءات الممتازة. تزاملنا بالكلية الحربية، وتخرجت أنا عام ١٩٣٩، وتخرج هو عام ١٩٤٠. ثم تزاملنا بالحرس الملكى، وقاتلنا معا فى معركة ١٩٤٨، وكان بين ضباط السرية الأولى، وكنت مساعدا لقائد السرية الثانية من سرايا الحرس الملكى التى توجهت إلى فلسطين للاشتراك فى القتال.

أما رحلة حياته بعد العودة من فلسطين، فقد بدأت بنقله إلى سلاح المشاة. وعندما تأسست مدرسة المظلات عام ١٩٥٣، أسرع بالانضمام إليها حيث لمع اسمه كقائد مظلى جرئ.

وبعد تعيين سعد الشاذلى رئيسا للأركان عملنا كفريق واحد منذ الأسبوع الثالث من شهر مايو، وظللنا نعمل بلا توقف، لأننا كنا نشعر أننا فى سباق مع الزمن. وكان كلانا يرى أن القيادة الميدانية، هى السبيل للحفاظ على إيقاع ونبض القوات المسلحة. وأعنى بالقيادة الميدانية الوجود بين الرجال وفى مواقعهم، وأثناء أدائهم لمهامهم سواء أكانت روتينية أو تدريبية أو خلال المشاريع والمناورات. ولم نكن على اقتناع بأسلوب القيادة من داخل المكاتب. وكان من الضرورى، بل فى مقدمة كل الضروريات علاج أخطاء رئيسية، عانت منها القيادة العسكرية والقوات المسلحة، بعد أن عاشتها وتعايشت معها.

وهذه الأخطاء كما كشفت عنها الدراسات التى تمت بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، كانت من الأسباب الرئيسية لهذه النكسة. وفى النهاية دفعت مصر كل الثمن ومن ضمن هذه الأخطاء تحويل القوات المسلحة من الاهتمام بقضية الدفاع عن التراب المصرى وحماية الأمن الوطنى إلى الاهتمام بتأمين نظام الحكم مما أدى إلى عمليات تصفية لقيادات عسكرية، كانت تمثل وعاء الخبرة الرئيسى للجيش. وكان ذنب هؤلاء القادة، أنهم أقدم فى الرتبة، أو ربما رفضوا التعاون مع مجموعة ٢٣ يوليو. وبعد فترة تمت تصفية قيادات عسكرية لأنها شاركت فى ٢٣ يوليو. وهذه التصفية كانت بتحويلهم للعمل فى مجالات مدنية. وخلال عدة أشهر فقدت القوات المسلحة معظم قادتها المتميزين.

والأخطر، أنه تم إسناد قمة القيادة العسكرية «للصاغ» الرائد عبد الحكيم عامر بعد ترقيته إلى رتبة لواء. واستمرت ترقيته حتى وصل إلى رتبة المشير. وعبد الحكيم كإنسان، رجل رائع شهم وطيب القلب والطباع، ورجل بمعنى الكلمة ولكن كقائد للقوات المصرية المسلحة، فذلك أمر مختلف. فنتيجة لرتبته وسنه، لم يكن قد امتلك الخبرات أو أتم الدراسات الضرورية لتحمل هذه المسئولية. وبعد سنوات، أصبح الملازم أول شمس بدران وزيرا للحربية. والرجل لم يحصل خلال حياته العسكرية قبل ٢٣ يوليو إلا على فرقة أسلحة خفيفة. وهذه الدورة التدريبية، لا يمكن بأى شكل أو بأى صورة أن تؤهله لتحمل مسئولية منصب وزير الحربية.

وهذا، لم يكن سوى مقدمة، لإغراق القوات المسلحة بقيادات مماثلة، وذلك كله فى إطار تأمين الثورة والنظام الحاكم. وكل هذا أثر سلبيا على كفاءة القوات المسلحة وقدرتها على الاستعداد للحرب بمعنى الاعتماد على أهل الثقة دون أهل الخبرة.

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس عشر

خطتان للحرب

فى أعقاب أيام يونيه الحزينة ومصر تحاول أن تلملم شتات نفسها والناس تبحث عن الأسباب التى أدت إلى هذه النكسة الغير مسبوقة فى تاريخ مصر العسكرى ، استقر تفكيرنا على التحرك وبسرعة للعمل ضد قوات العدو فى سيناء بشكل فعال حتى لا تستقر صورة القائد والضابط والجندى الإسرائيلى كأسطورة لا يمكن المساس بها أو النيل منها ، وكانت أحداث معركة يونيه ١٩٦٧ وبكل الهول الذى عاشته القوات المنسحبة تحت ضغط ومطاردة العدو تقود إلى هذه النتيجة.

وهذه القوات التى عاشت مأساة الانهيار والانسحاب وعانت الخوف والجوع والعطش والتمزق النفسى والمعنوى على امتداد ساعات وأيام متصلة ، لا علاقة لها بالصراع الدامى بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر طوال السنوات التى سبقت يونيه ١٩٦٧، ولا بالاعتماد على أهل الثقة وإبعاد أهل الخبرة ولا باندفاع عبدالناصر دون ترو نحو الكمين الذى أعد له بعناية بالرغم من علمه بأنه لا صحة لنبأ الحشود العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية ، وإقدامه على قرار إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية وهو يعلم أنه بذلك يغير أمر واقع بالقوة وبها يدفع إسرائيل للحرب للحيلولة دون ذلك.

ولاعلاقة لهذه القوات بتجاهل عبدالناصر والقيادة العسكرية لاختلال التوازن العسكرى المصرى نتيجة وجود مايقرب من ثلاث فرق عسكرية غارقة فى المستنقع اليمنى ، وبما يؤثر على قدرة مصر على خوض تجربة الحرب مع إسرائيل ، وبالتالى فليس أمام القوات المصرية المنسحبة من سيناء ، سوى أن تتصور أن النتيجة التى انتهت إليها المعركة ترجع لكفاءة القيادة والقوات الإسرائيلية.

والاقتناع بتفوق القائد والضابط والجندى الإسرائيلى لو ترك سيترسخ فى فكر ووجدان رجال القوات المصرية المسلحة، ولو حدث ذلك ، لأصبحت هذه القوات غير مؤهلة لقتال العدو ، فكيف لقوة عسكرية أيا كان حجمها أو كفاءتها القتالية أو تسليحها

أن تقاتل قوة معادية وهى مقتنعة أنها متفوقة ، بل ترى أنها قوة «سوبر» قوة أسطورية ، إن مثل هذه القوة ستخسر المعركة حتى قبل أن تبدأ.

وقد سبق للقائد الانجليزى «مونتجمرى» أن واجه مثل هذه الحالة وهذا الموقف عندما أسندت إليه القيادة البريطانية قيادة الجيش الثامن. فقد تبين أن أفراد هذا الجيش قد وقعوا فى أسر شخصية القائد الألمانى الشهير «روميل» وانبهروا بقيادته وأساليبه القتالية ومناوراته وتكتيكاته وشجاعته وجرأته وقدرته على الابتكار. ولكى يعد هذه القوات لمعركة مع القوات الألمانية ، خطط لتدمير أسطورة روميل ، ورأى أن هذا العمل له الأولوية. وكان ذلك هو المدخل الأساسى للانتصار على قوات المحور فى معارك شمال أفريقيا.

ويمكننى القول إن العمل العسكرى خلف خطوط العدو قد بدأ خلال الأيام الأخيرة لمعركة يونيه واستمر بشكل أو آخر فى أعقاب هذه المعركة ووقف إطلاق النار. وواصلت العمل كمدير للمخابرات الحربية لتجميع القوات التى لم تتمكن من إتمام انسحابها تمهيدا لنقلها إلى غرب القناة بعيدا عن أنظار العدو. وبفضل من الله تمكنت من إقناع الرئيس جمال عبدالناصر بالموافقة على العمل خلف خطوط العدو ، بعد أن أوضحت له ضرورة تحطيم صورة المقاتل الإسرائيلى الأسطورة قبل أن تترسخ فى الوجدان.

وبالرغم من أن الرئيس ناقش الكثير من المحاذير والمخاطر فى ظل قبول مصر لقرار وقف إطلاق النار ، وتعرض لتفاصيل كثيرة لما يمكن أن يترتب على مثل هذه العمليات التى تعد فى جانب منها خرقا لوقف إطلاق النار ، إلا أنه استراح كثيرا عندما أوضحت له أن سيناء الآن أرض محتلة ، وأن من حق سكانها أن يرفضوا هذا الاحتلال وأن يقاتلوا المحتل دفاعا عن سيادتهم على أرضهم ، وأكدت له أن كل العمليات ستنسب إلى أهالى سيناء.

وخلال الحوار مع الرئيس أبديت له أن مثل هذه العمليات لابد منها ، ولابد من التوسع فيها مستقبلا حتى لايتحول خط وقف إطلاق النار إلى حدود دائمة ، أى حتى لاتصبح قناة السويس هى حدود مصر الشرقية ، وحتى لاتطلع إسرائيل مستقبلا إلى اقتسام السيادة على قناة السويس مع مصر والمشاركة فى إدارتها ومواردها.

وكانت تلك نقطة البداية للتفكير فى الإعداد لمعركة مستقبلية لتحرير سيناء.



الرئيس عبد الناصر والفريق أول فوزي والفريق صادق أثناء حضور مناورة حربية.
(المناوره «القدس» فى ٥ مايو ١٩٧٠)



الرئيس السادات والفريق أول صادق و الفريق سعد الشاذلي والفريق عبد القادر حسن
و كبار القادة يتابعون أحد المشاريع الاستراتيجية



وبعد التغيير الذى شمل معظم القادة الذين شاركوا فى معركة يونيه ١٩٦٧، والتخلص من المشير عبدالحكيم عامر ، والقضاء على فكرة الإنقلاب العسكرى ، بدأت القيادة العامة تفكر فى التخطيط للهجوم على العدو وبدأ التساؤل عن موعد مثل هذا الهجوم، والإمكانيات المطلوبة لوضعه موضع التنفيذ. وظلت القيادة تفكر ولم يتحول التفكير إلى عمل ، فالكل مشغول بالانتهاء من إنشاء أول خط دفاعى غرب القناة وبالعمل على لم شمل القوات المسلحة وإعادة التماسك إليها وإعادة الضبط والربط إليها، وبدء تنفيذ خطة إعادة بناء القوات المسلحة.

واستقرت أوضاع القيادة العامة بعد تعيين الفريق أول فوزى وزيرا للحربية واستكمال بناء الخط الدفاعى الأول ووصول شحنات من الأسلحة والمعدات والذخائر من الاتحاد السوفييتى استعواضا للخسائر الكبيرة التى لحقت بمصر سواء نتيجة المعركة أو الانسحاب وترك الأسلحة والمعدات والذخائر فى سيناء.

ولأول مرة بدأ التفكير فى المعركة يأخذ شكلا عمليا ، وإن اقتصر على مشاريع استراتيجية يشارك فيها كبار القادة ، ولم تكن هذه المشاريع التى كانت تتم كل عام إلا

عملية تدريب للقيادة العامة وقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وكبار القادة. وكان يوضع فى الاعتبار عند تنفيذ المشروع الاستراتيجى أن القوات المسلحة لا تملك من الإمكانيات ما يسمح لها بالحرب نتيجة تفوق إسرائيل العسكرى، لذا كانت المشاريع تتم استنادا إلى تصور امتلاك إمكانيات تسمح بمثل هذا الهجوم. أى أن هذه المشاريع لم تكن تعكس الواقع، بقدر ما كانت تمثل تدريبات ذهنية للقيادة العامة والقادة.

وكان الكل يدرك أن الوقت مازال مبكرا لامتلاك الإمكانيات التى تسمح بخوض معركة هجومية ناجحة. ولكن فى ظل الإمكانيات المتوفرة تم إعداد الخطة ٢٠٠ أو الضربة ٢٠٠، كخطة دفاعية ضرورية لتقود أنشطة القوات المسلحة المختلفة، ولتعمل على ضوئها، وبالرغم من تطور الإمكانيات كما وكيفا، فقد ظلت القيادة متمسكة بالخطة الدفاعية ولم تسع لبدء التخطيط لمعركة هجومية.

وبعد أن حسم الرئيس السادات معركة الصراع على السلطة وتخلص من مجموعة الورثة التى اعتقدت أنها الأحق بوراثة سلطة عبدالناصر، ونازعت الرئيس السادات سلطاته، انفتح الطريق لبدء التخطيط والإعداد لمعركة هجومية لاقتحام القناة والسيطرة على خط بارليف وتدمير قوات العدو الموجودة بمواقعه ونقاطه الحصينة وقوات الاحتياطى القريب وإنشاء رؤوس كبارى شرق القناة والتمسك بها وصد هجمات العدو المضادة بهدف كسر نظرية الأمن الإسرائيلية وتكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر البشرية وتحرير مساحة من أرض سيناء المحتلة.

كان هذا الإطار الذى استقر عليه فكر القيادة العامة للقوات المسلحة بعد أن تحملت مسئوليتى كوزير للحربية و قائد عام القوات المسلحة.

وفى البداية تقرر إعادة دراسة وتحديد الإمكانيات الفعلية للقوات المسلحة والإمكانيات المستقبلية على ضوء صفقات التسليح الموقعة مع الاتحاد السوفييتى، وشحنات السلاح المتوقع وصولها، ومقارنتها بإمكانيات العدو الحالية والمستقبلية على ضوء صفقات السلاح التى وقعها مع أطراف خارجية خاصة مع الولايات المتحدة، وقدرات وإمكانيات صناعته الحربية، وبدون مثل هذه الدراسة والمقارنة لا يمكن لأى قيادة أن تضع خطة هجومية، فأى خطة يجب أن تتناسب والإمكانيات المتاحة فعلا مع مراعاة إمكانيات العدو ووضعها فى الاعتبار عند التخطيط.

وكان واضحا تفوق السلاح الجوى للعدو كما وكيفا، ولم يكن متوقعا تحقيق التفوق أو حتى التعادل مع قوات العدو فى هذا المجال حتى لو استجاب القادة السوفييت للمطالب المصرية نتيجة التقدم العلمى والتكنولوجى الأمريكى المصدر الرئيسى للسلاح الجوى الإسرائيلى.

وكان المتاح التفكير فى السيطرة الجوية على مسرح العمليات وحرمان العدو من الوصول إلى تحقيق مثل هذه السيطرة، مع الإعتماد بشكل أساسى على شبكة الدفاع الجوى القوية والمتكاملة نسبيا، ومن المؤكد أن الدفاع الجوى والسيطرة الجوية المحلية للقوات الجوية المصرية سيحرمان العدو من الوصول إلى تحقيق السيادة الجوية، التى سبق أن حققها خلال معركتى ١٩٥٦، ١٩٦٧.

وبما أن المقاتلة الاعتراضية من طراز ميج ٢١ تملك الإمكانيات والقدرة على المناورة، فقد كان من المتوقع أن يتفوق الطيارون المصريون فى حالة الاشتباك مع العدو الجوى. واستقر الأمر على استخدام القوات الجوية بما يتفق والمزايا التى تتمتع بها، وألا يزج بها فى مجالات يتفوق فيها العدو، وبما أن القوات الجوية لايمكنها توفير غطاء جويا للقوات البرية شرق القناة، فقد كان على المخططين مراعاة أن يظل مسرح عمل القوات البرية شرق القناة فى نطاق عمل شبكة الدفاع الجوى.

وبما أن القوات المسلحة لم تكن تملك خلال تلك الفترة إلا صواريخ الدفاع الجوى من طراز سام - ٢ الثقيلة الوزن والتى تفتقر إلى حرية الحركة، والتى تحتاج إلى قواعد حصينة لحمايتها، فقد كانت الظروف تقتضى الحرص على بقاء القوات البرية شرق القناة فى نطاق مظلة الدفاع الجوى.

وبما أننا كنا نفكر فى التخطيط لامتلاك زمام المبادأة ومفاجأة العدو على المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية، فقد كان من الضرورى التخطيط لضربة جوية مركزة تستهدف أهداف العدو الحيوية فى سيناء وبما يؤثر على قدرته على الاستمرار فى المعركة والأهم العمل على أن يفقد الاتزان خلال الساعات الأولى إلى أن تتمكن القوات المهاجمة من اقتحام القناة والسيطرة على خط بارليف الحصين وتدمير القوات الموجودة به وقوات الاحتياطى القريب. ومثل هذه الضربة الجوية المركزة ستسهم فى توفير عوامل نجاح للقوات المهاجمة، وستعد استخداما جيدا للإمكانيات المتاحة للقوات الجوية.

وعند مناقشة موقف القوات البرية ، تبينت القيادة العامة وجود تفوق نسبى للمدفعية المصرية وإن كان تأثير نيرانها على النقط الحصينة لخط بارليف سيكون محدودا لأن مواقعه أنشئت لتتحمل قذائف حتى زنة ألف رطل.

أما بالنسبة لباقى أسلحة القوات البرية فكان واضحا أن العقبة الرئيسية التى ستواجهها هى امتلاك القدرة على اقتحام القناة ومواجهة خط بارليف بمواقعه الحصينة والساتر الترابى الموجود على حافة القناة مباشرة. واقتضى الأمر التركيز وبذل الجهد للتوصل إلى خطة وأسلوب عمل يتيح للقوات المسلحة التغلب على هذه العقبات. وفتحت القيادة العامة الباب أمام جميع الاجتهادات وأتاحت الفرصة لتنفيذ كل الأفكار التى تطرح حلولا ووضعها موضع الاختبار. وكان ميزان القوى بالنسبة للقوات البرية أقرب للتوازن مع قوات العدو.

وبالنسبه لقوات الدفاع الجوى ، فقد كان الموقف فى منتصف عام ١٩٧١ بصفة عامة لا بأس به بعد أن اكتمل بناء حائط الصواريخ غرب القناة ، وكانت مظلة الدفاع الجوى قادرة على توفير الحماية للقوات المهاجمة شرق القناة مباشرة والدفاع عن منطقة الجبهة ومواجهة العدو الجوى بكفاءة.

وكانت نقطة الضعف تتمثل فى عدم توفر الصواريخ الخفيفة الحركة من طراز سام-٦ وهذا الطراز يمكنه المناورة وتقديم الغطاء المطلوب للقوات الموجودة شرق القناة ويتيح لها فرصة التقدم والوصول إلى خط المضايق الذى رأيت أنه الخط الدفاعى المناسب لوقوف القوات المهاجمة واتخاذ الأوضاع التى تسمح بالدفاع عن رؤوس الكبارى الموجودة شرق القناة. وكان يحدونا الأمل فى أن نتمكن من الحصول على هذا الطراز من الصواريخ المتحركة من الاتحاد السوفييتى فى المستقبل القريب. وكان للسوفييت فرقة دفاع جوى كاملة مسلحة بصواريخ سام - ٦ بالإضافة إلى ثلاثة ألوية جوية مسلحة بالمقاتلات الاعتراضية من طراز ميج ٢١ ، تشارك فى حماية العمق المصرى ، بدأت فى الوصول لمصر فى أعقاب الزيارة السرية التى قام بها الرئيس جمال عبدالناصر للاتحاد السوفييتى فى يناير ١٩٧٠.

وعند التخطيط للحرب لم أكن مستريحا للوجود العسكرى السوفييتى فى مصر لما يشكله من انتهاك لسيادة مصر هذا من جانب ، وللضغوط والممارسات والدور الذى يقوم به المستشارون والخبراء السوفييت داخل القوات المسلحة ، والأهم لما يمكن أن

يثيره هذا الوجود من مشاكل وعقبات لعرقلة إقدام مصر على خوض الحرب ضد إسرائيل.

فقد كان واضحا من السياسة السوفييتية أن القادة السوفييت لايحبذون فكرة الحرب ويفضلون بقاء الأوضاع كما هى إلى أن يتم التوصل إلى حل عن غير طريق الحرب. وكان استمرار الأوضاع كما هى مفيدا للسوفييت ومحققا لمصالحهم ، وعلى العكس كان استمرار حالة اللاسلم واللاحرب يساعد على زيادة الشروخ داخل مصر ويؤدى إلى تثبيت أوضاع الاحتلال الإسرائيلى لسيناء وقد يؤدى فى النهاية إلى تحويل خط وقف إطلاق النار إلى حدود دائمة لمصر. كما أن انطلاق الحرب من عقالها ، والقوات السوفييتية موجودة فى مصر سيكون له حساباته فى ميزان العلاقة بين القوتين العظميين ، وإذا ما تحقق النصر لمصر كما هو متوقع بإذن الله فمن المنطقى أن يستنتج الآخرون أن السوفييت هم أصحاب الفضل.

وأوضحت مقارنة موقف كل من القوات البحرية المصرية والإسرائيلية ، تفوق القوات البحرية المصرية ، ولكن هذا التفوق كان بدون تأثير نتيجة عدم قدرة القوات الجوية على توفير الحماية للقطع البحرية إذا ما ابتعدت كثيرا عن مظلة الدفاع الجوى المصرى ، فى حين امتلكت القوات البحرية الإسرائيلية القدرة على المغامرة وتهديد قطع الأسطول المصرى فيما لو خرجت إلى أعالى البحار.

ومع هذا كنت مقتنعا على ضوء الأداء الجيد للقوات البحرية طوال مرحلة حرب الاستنزاف أن قيادة القوات البحرية قادرة على تنفيذ مهام على المستوى الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى فيما لو وضع المخططون فى الاعتبار حقيقة موقف القوات البحرية، وعملوا على الاستفادة من المزايا المتوفرة وهى كثيرة ومنها وجود قطع للأسطول فى البحرين المتوسط والأحمر وانتشار قطع أسطول البحر الأحمر جنوبا بعيدا عن مدى نشاط القوات الجوية المعادية ، مما يمكنها من قطع طريق الإمدادات وإغلاق البحر الأحمر فى وجه الملاحة الإسرائيلية بالتعاون مع السلطات بدولة اليمن الجنوبية ، بالاستناد إلى القاعدة البحرية بميناء عدن والجزر الموجودة بالمنطقة. ومثل هذه الخطوة تقابلها خطوة أخرى ، هى قطع طرق الإمداد بالبحر المتوسط ، لكى يكتمل حصار إسرائيل بحريا. وكان امتلاك القوات البحرية لعدد لابأس به من الغواصات ، يجعل تنفيذ هذه المهمة ممكنا.

وكانت الصورة على ضوء موقف القوات المسلحة من ناحية الإمكانيات بالإضافة إلى عدم توفر القدر الكافى من الذخيرة وقطع الغيار تفرض على المخططين العسكريين عدم التطلع لمعركة هدفها تحرير كل سيناء والوصول إلى خط الحدود الدولية ، وكان المتاح التخطيط لعملية عسكرية محدودة لتحرير مساحة من الأرض المصرية المحتله، وهنا اختلفت الآراء وتبلورت حول موقفين ، الأول ويطالب به الرئيس السادات ويسانده الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان ، وربما يكون الشاذلى هو من أقنع السادات بأن الإمكانيات المتاحة لا تسمح بأكثر من ذلك ، وربما يكون السادات هو صاحب هذه الرؤية ، والتقى فى الرأى مع رئيس الأركان ، خاصة وهو الذى أعلن فى أول اجتماع يرأسه للمجلس الأعلى للقوات المسلحه يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠ ، أن المطلوب تحرير عدة سنتيمترات شرق القناة ، وذلك قبل أن يشغل الشاذلى منصب رئيس الأركان ، ويكتب له مذكرة بهذا المعنى. ويطالب أصحاب هذا الرأى بتحرير عدة كيلومترات شرق القناة وبناء رؤوس كبارى والتحول للدفاع.

والموقف الثانى يطالب باستمرار الهجوم حتى الوصول إلى خط المضايق ، أى أن تكون المهمة النهائية للقوات المهاجمة الوصول إلى خط المضايق ، واتخاذ الأوضاع الدفاعية المناسبة. وكنت مقتنعا أن الاستناد إلى المضايق الجبلية بسيناء ، والتى تعد الخط الدفاعى الرئيسى عن حدود مصر الشرقية سيوفر الحماية لا للقوات الموجودة شرق القناة ، بل لمصر أيضا ، وأن النجاح فى الوصول إلى هذا الخط يعنى تحقيق انتصار كامل وإن لم تصل القوات المهاجمة إلى خط الحدود الدولية مما يدعم الموقف السياسى والتفاوضى المصرى.

وكانت الإمكانيات المتاحة والمتوقع امتلاكها تساعد على تحقيق هذا الهدف ، فالقوات المهاجمة التى تتمكن من اقتحام القناة و السيطرة على خط بارليف وإلحاق الهزيمة بالقوات الإسرائيلية شرق القناة ، يمكنها استثمار النجاح والتقدم إلى خط المضايق. فى حين أن التوقف على مسافة تتراوح بين ١٠ ، ١٢ كيلو مترا شرق القناة سيجعل رؤوس الكبارى مكشوفة ومهددة ، وستتعرض طرق إمدادها عبر الكبارى المقامة على القناة للتهديد بواسطة المدفعية بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم ، كما أن أجناب هذه القوات ستكون معرضة للتطويق.

وكان للوصول إلى خط المضايق ميزة أخرى تتمثل فى إتاحه الفرصة لبناء قواعد دفاع جوى ونقل كتائب الصواريخ من طراز سام - ٢ إلى شرق القناة لتوسيع نطاق مظلة

الدفاع الجوى وتوفير الحماية لخط المضايق الدفاعى ضد العدو الجوى ، أما الاستناد إلى عمق محدود لايتجاوز ١٢ كيلو متر فلا يسمح بنقل هذه الصواريخ الثقيلة ، وبالتالى ستبقى مظلة الدفاع الجوى كما هى ، وستعتمد القوات الموجودة شرق القناة على كتائب الدفاع الجوى المتحركة من طراز سام - ٦ التى كانت القيادة العامة تتطلع للحصول عليها، وعلى استمرار وجودها داخل نطاق مظلة الدفاع الجوى لحائط الصواريخ الموجود غرب القناة.

وعلى ضوء الدروس المستفادة والمعلومات المتوفرة ، كان على المخططين العسكريين أن يركزوا على الاستفادة من نقاط الضعف الإسرائيلية ، وتحييد عوامل القوة ، والعمل على الحد من تأثيرها وحرمان العدو من الاستفادة منها. وكان معلوما أن إسرائيل المحدودة السكان لاتقبل التورط فى حرب طويلة ، وتخطط دائما لإنهاء الصراعات العسكرية التى تخوضها خلال أيام ، معتمدة فى ذلك على قواتها الجوية عالية الكفاءة وعلى قواتها المدرعة السريعة الحركة ، وكذلك تعتمد أساسا على قوات الاحتياط وسرعة استدعائها وبرامج التدريب المتواصلة للحفاظ على كفاءتها القتالية ، وقد أخذت الكثير من نظام التعبئة العسكرى السويسرى. أن هذه التعبئة تعنى سحب ٢٠٪ تقريبا من جملة سكان إسرائيل، وهى نسبة عالية جدا ، لذلك كانت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية دائما تحرص على حسم نتيجة معاركها بسرعة كى يتمكن المقاتلون الاحتياط من العودة إلى مواقع عملهم المدنية التى تصاب بالشلل بصورة أو بأخرى خلال فترة غيابهم. والنجاح فى إطالة أمد الحرب يعنى الضغط ومداومة الضغط على نقطة ضعف إسرائيلية أساسية ، وكلما طالت فترة القتال ، كلما تضاعفت الأعباء الاقتصادية وتعاظم حجم الشروخ داخل المجتمع الإسرائيلى. وكانت نقطة الضعف الرئيسية الثانية ، عدم قدرة إسرائيل على تحمل خسارة بشرية كبيرة. فهذه الخسائر فى مجتمع محدود السكان تصيب الجميع بالأوجاع.

وخلال أشهر مايو ويونيه ويوليو ١٩٧١ انشغلت أجهزة التخطيط بوضع أول خطة متكاملة لمعركة اقتحام مانع مائى والسيطرة على خط بارليف وتدمير قوات العدو شرق القناة والتحول لبناء خط دفاعى لصد هجمات العدو المضادة.

وعلى ضوء استمرار عدم اقتناعى برأى الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الخاص بالاكتفاء ببناء رؤوس كبارى شرق القناة بعمق يتراوح بين ١٠ - ١٢ كيلومترا ، واعتراضة على ما أوضحته حول أهمية الوصول إلى خط المضايق الجبلية بسيناء ، فقد

اتفقنا على إعداد خطتين الأولى للوصول إلى خط المضايق ، أما الثانية فهدفها الاستيلاء على خط بارليف ، ثم التحول للدفاع.

وحملت الخطة الأولى اسم «العملية ٤١» وفى هذه الخطة سمحت القيادة للمستشارين السوفييت بالاشتراك فيها ، لكى يكونوا على بينة من حقيقة الاحتياجات العسكرية المطلوبة لوضع هذه الخطة موضع التنفيذ ، ونقل هذه المعلومات للقيادة السوفييتية.

أما الخطة الثانية التى تحقق للفريق الشاذلى ما يتطلع إليه فقد أطلقنا عليها الاسم الكودى «المآذن العاليه» ولم تسمح القيادة لغير المشاركين فى وضعها بمعرفة أى شئ عنها. لقد فرضت القيادة السرية التامة على كل مايتعلق بهذه الخطة ، ولكى يتحقق ذلك لم يشترك فى وضعها إلا عدد محدود من القادة.

وفى بدايه شهر أغسطس ١٩٧١ انتهت القيادة من وضع الخطتين الهجوميتين. وهاتان الخطتان، كانتا خطتان مصريتان لحما ودما ، ومن نتاج المدرسة العسكرية المصرية، وبالرغم من القواعد الصارمة التى تحكم التخطيط لعمليات حربية ، إلا أن المخططين المصريين أضفوا الكثير من عبقريتهم على هاتين الخطتين ، وكان بهما من التجديد الكثير.

فقد وضعت القيادة العامة فى تخطيطها أن يكون الهجوم بخمس فرق مشاه على امتداد خط المواجهة، أى من بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا، وأن ينطلق الهجوم من مواقع دفاعية، وكان ذلك يعنى الهجوم على خط يمتد حوالى ١٦٠ كيلومترا. وبهذا التفكير أبعدت القيادة العامة التفكير التقليدى المتمثل فى الاتجاه الرئيسى للهجوم والاتجاهات الثانوية ، كانت الاتجاهات للفرق المشاه الخمس اتجاهات رئيسية.

ومثل هذا التفكير يحرم العدو من توجيه ضرباته إلى الاتجاه الرئيسى للهجوم ، ويفرض عليه إما توزيع قواته لمواجهة القوات المصرية المهاجمة ، وبالتالى يفقده قدرته على توجيه ضربه قوية باتجاه واحد ، أو توجيه ضربة باتجاه واحد قد يحقق خلالها نجاحا فى حين تواصل القوات المهاجمة فى باقى الاتجاهات هجومها وتقدمها دون مواجهه حقيقية.

وهذا الأسلوب الجديد سيساعد على تشتيت ذهن القيادة الإسرائيلية خلال اللحظات المطلوب فيها سرعة اتخاذ القرار ، وإلى أن تفهم وتستجمع شتات فكرها ، سيكون وقت ثمين قد ضاع، تتمكن خلاله القوات المهاجمة من تثبيت أقدامها ودعم نجاحها. وسترغم هذه الخطة العدو الجوى على توزيع هجماته الجوية ، بما يؤثر على كفاءة هجماته المضادة ، ويوفر فرص أفضل للقوات المهاجمة لاقتحام القناة وبناء الكبارى وفتح الثغرات فى الساتر الترابى والاستيلاء على النقاط والمواقع الحصينة لخط بارليف.

ونظرا لاتساع مدى المواجهة حتى بعد أن يكتشف العدو حقيقة وقوة اتجاهات الهجوم فلن تتاح لقيادته فرصة تجميع قواته للقيام بهجوم مضاد قوى ، وسيرغم على تشتيت مجهوداته وبعثرة قواته خاصة المدرعة وتنفيذ هجمات مضادة تكتيكية ضعيفة خاصة خلال الساعات والأيام الأولى للمعركة.

ومثل هذه الهجمات المضادة التكتيكية الضعيفة ، ستمكن القوات الموجودة شرق القناة من مواجهتها بكفاءة واقتدار وتكبيد العدو قدرا لا بأس به من الخسائر البشرية بالإضافة إلى خسائره من الأسلحة والمعدات. وإذا كان العدو يملك ترسانة عسكرية كبيرة ، ويمتلك القدرة على استعواض خسائره فى المعدات والأسلحة والذخائر ، فإنه لا يمتلك نفس القدرة فى مجال الخسارة البشرية. أى أن أسلوب الهجوم المصرى الجديد سيدفع العدو للقتال وفقا للأسلوب الذى فرضته عليه القيادة العامة المصرية.

واحتاجت خطة اقتحام قناة السويس إلى حسابات شديدة التعقيد لطبيعة القناة كمانع مائى يبلغ إجمالى طوله حوالى ١٧٣,٥ كيلومترا ، ويدخل ضمن هذا الطول ٤٠ كيلومترا طول المسطحات المائية لبحيرة التمساح والبحيرات المرة الكبرى والصغرى ، ويتراوح عرض القناة بين ١٨٠، ٢٢٠ مترا ، ويتراوح العمق بين ١٤ ، ١٧ مترا وتبلغ سرعة التيار فى المتوسط ٤٠ سنتيمترا فى الثانية بينما تصل فى القطاع الشمالى حوالى ١٨ مترا فى الدقيقة وإلى حوالى ٩٠ مترا فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى بالقرب من مدينة السويس. ويتغير اتجاه التيار ٤ مرات يوميا ، وتتأثر القناة بحركة المد والجذر حيث تبلغ أقصاها فى الجنوب عندما يصل ارتفاع الماء إلى أكثر من ١,٥ متر فى حين يبلغ فى القطاع الشمالى ٦ سنتيمترات. كل هذه الأرقام تؤكد عدة حقائق منها أن حركة المد والجزر تؤثر على عملية إقامة الكبارى والمعديات ، وكان لابد أن يراعى التخطيط العسكرى للهجوم ذلك بإجراء الدراسات لاختيار أنسب أوقات السنة وأيامها والساعة التى تحقق أفضل توقيت للعبور حتى لايأتى المد فيدمر الكبارى ويعطل حركة المعديات وحتى لا تتوقف حركة تدفق الدبابات والأسلحة الثقيلة عندما يهبط منسوب الماء نتيجة الجزر ويتعذر على المركبات الوصول إلى بداية الكبارى أو المعديات.

وتعد عملية اقتحام مانع مائى مثل قناة السويس ضد عدو يتمركز فى نقط قوية محصنة تحصينا جيدا على الجانب الآخر من أصعب العمليات الحربية وأكثرها تعقيدا ، خاصة إذا كان الاقتحام سيتم بواسطة خمس فرق مشاه وعلى امتداد خط المواجهة ، وتم وضع

التخطيط على أساس أن المرحلة الأولى من القوات المهاجمة تتكون من الأنساق الأولى لكتائب النسق الأول على طول القناة ، وهذه الموجة ستعبر القناة فى قوارب مطاطية وخشبية تحت ساتر غلالة من نيران المدفعية موجهة ضد نقط بعيدة عن التحصينات الموجودة بخط بارليف والمطلة مباشرة على القناة ، وبوصول هذه الموجه تتسلق الساتر الترابى ، وتتوالى الموجات. ومهمة قوات هذه الموجة التحرك والاندفاع بسرعة باتجاه النسق الثانى للدفاعات الإسرائيلية ، ويصاحب هذه الموجة عناصر مسلحة بأسلحة مضادة للدبابات وأخرى مضادة للطائرات. وبالتعاون مع المدفعية تحاصر قوات هذه الموجة من اتجاهى اليمين واليسار مواقع العدو لاقتحامها. وتتوالى الموجات ، كل موجة لها مهمة محددة سلفا تم تدريبها عليها.

وللتغلب على الصعوبات التى تكتنف هذا النوع من الخطط الهجومية تم إنشاء مناطق للتدريب تشمل مانعا مائيا وساترا ترابيا ونقطا حصينة ، أى تم انشاء المكونات الرئيسية لخط بارليف بالحجم الطبيعى لإجراء التجارب ، وتدريب جميع الوحدات من جميع الأسلحة على اختراقه. وخلال مناورات التدريب المستمرة تم إجراء الكثير من التجارب خلال السنوات التى سبقت المعركة لضمان تنفيذ خطة الهجوم واقتحام القناة بقدر عال من الكفاءة والتأكد من القدرة على ضمان تدفق القوات ومعدات القتال وفق التوقيتات المحددة فى الخطة الهجومية.

وكانت الخطة تقضى بأن يهاجم المشاه خط بارليف ، وتأمين رؤوس الجسور حتى يتمكن المهندسون من إقامة الكبارى والمعديات لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ، ومن فتح الثغرات فى الساتر الترابى. ولما كان من الصعب قصف النقط القوية لخط بارليف بالطيران لوجودها على مسافة لا تتجاوز ٣٠٠ متر من القوات المصرية المهاجمة، تقرر أن تتحمل المدفعية هذه المسئولية. وكان الهدف من قصف مواقع خط بارليف وأبراج المراقبة ، إرغام العدو على الاختفاء. ولقطع الطريق على احتياطيات العدو التى ستتقدم من العمق للتدخل وعرقلة عمل القوات المهاجمه ، وتقرر إعداد كمائن من قوات الصاعقة والمظلات والاقتحام الجوى على طرق تقدم هذه القوات فى العمق لعرقلة تقدمها لأطول فترة ممكنة إلى أن تتمكن القوات المصرية من إنشاء رؤوس الكبارى ووصول الدبابات وباقى الأسلحة الثقيلة لدعم هذه القوات، ودعم قدرتها على صد هجمات العدو المضادة.

وقد أوضحت الدراسات أن العدو سيقوم بهجومه المضاد التعبوى بقواته المدرعة والميكانيكية ضد رؤوس الكبارى خلال فترة تتراوح بين ٣٦ ، ٤٨ ساعة من بدء الهجوم. ولم أقتنع بهذه التقديرات المتفائلة ، وطلبت من هيئة العمليات أن تضع فى اعتبارها أن العدو سيقوم بهجماته المضاده التعبويه خلال ٢٤ ساعة من بدء الهجوم ، استنادا إلى قدرة القيادة الإسرائيلية على اكتشاف النوايا الهجومية المصرية مبكرا عن التقديرات المصرية ، وذلك بالرغم من خطة الخداع ، وبالتالى اتخاذ الاحتياطات والإجراءات التى تكفل له التعامل بكفاءة مع احتمالات الهجوم المصرى المرتقب.

واتخذ مدير المخابرات الحربية موقفا أكثر حذرا ، إذ توقع الهجوم المضاد المعادى خلال مايتراوح بين ٦ ، ٨ ساعات من بدء الهجوم المصرى . ومن المنطقى أن القيادة العامة توقعت هجمات مضادة سريعة بواسطة قوات الاحتياطى القريب والقوات الموجودة بالنسق الدفاعى الثانى ولكن مثل هذه الهجمات يمكن للقوات المهاجمة المدعومة بوحدات وجماعات مسلحة بصواريخ خفيفة مضادة للدبابات والطائرات من صدها بسهولة وإلحاق قدر كبير من الخسائر بها.

وعلى ضوء تقدير مدير المخابرات الحربية ، أعاد المخططون حساباتهم ، وكان الحل زيادة قدرة القوات المهاجمة على مواجهة الهجوم المضاد التعبوى المتوقع ، وتحقق ذلك بزيادة عدد الصواريخ المضادة للدبابات التى يحملها المشاه معهم وذلك خصما من قدرات وإمكانيات القوات التى لن تشترك اشتراكا مباشرا فى عملية الاقتحام. وتقرر أيضا زيادة عدد القوات المكلفة بالعمل فى عمق العدو ، لزيادة قدرتها على عرقلة تقدم قوات العدو الاحتياطية المكلفة بالهجوم المضاد لفترات أطول .

وتمثل الإجراء الثالث فى وقف تقدم القوات المهاجمة شرق القناة عند خط لا يبعد أكثر من خمسة كيلومترات من القناة ، لتظل فى مدى نيران المدفعية الموجودة غرب القناة، كما أن صغر حجم رؤوس الكبارى سيجعلها أكثر قوة وتماسكا والأهم أنها ستكون فى نطاق مظلة الدفاع الجوى.

ومن جانب آخر توصلت القيادة العامة إلى أسلوب جديد لدعم قدرة القوات الموجودة داخل رؤوس الكبارى على مواجهة العدو الجوى ، وذلك بتسليح قوات المشاه بصواريخ خفيفة مضادة للطائرات من طراز سام - ٧ «ستريللا». وكانت تلك الفكرة مكملة لفكرة دعم قوات المشاة بصواريخ مضادة للدبابات لمواجهة هجمات العدو المدرعة.

وانغمست أجهزة القيادة فى العمل ، ولم تتوقف الاتصالات السياسية والعسكرية مع القادة السوفييت للحصول على مزيد من الاحتياجات العسكرية. وفى نفس الوقت تم التوسع فى حجم القوات المسلحة بزيادة عدد الضباط العاملين والاحتياط والجنود لمواجهة متطلبات وضع خطة الهجوم موضع التنفيذ.

ولم تتوقف هيئة العمليات عن إضافة تعديلات على الخطتين العسكريتين «العملية ٤١» «والمآذن العالية» على ضوء توفر المزيد من الإمكانيات البشرية والتسليحية ، وأيضا على ضوء المعلومات المتوفرة عن قوة العدو وإمكانياته التى تتغير باستمرار للأفضل.

وخلال عام ١٩٧٢ ، كانت عملية الإضافة والتعديل مستمرة. وفى نفس العام أخذت «العملية ٤١» اسما جديدا هو «جرانيت ٢» ثم «جرانيت ٢ المعدلة» ، وظلت «المآذن العالية» محتفظة باسمها.

وعندما تولى الفريق أحمد إسماعيل منصب وزير الحربية فى أكتوبر ١٩٧٢ بعد إقالتى، قرر الأخذ بخطة المآذن العالية وأسقط من اعتباره «الخطة «جرانيت ٢ المعدلة» و بهذا حسمت القيادة الجديدة الموقف من الخطتين ، وسواء أكان ذلك هو اقتناع أحمد اسماعيل أو تفضيله الأخذ بوجهة نظر كل من السادات وسعد الشاذلى ، فقد انحصرت أهداف المعركة فى تحرير مساحة من الأرض شرق القناة وإنشاء رؤوس كبارى والتحول للدفاع. وهذا الهدف هو نفس الهدف الذى أعلنه الرئيس السادات خلال اجتماعه بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة لأول مرة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٠.

وهذه الخطة التى أخذت اسم « بدر» فيما بعد هى نفس الخطة التى تم وضعها خلال فترة تحملى لمسئولياتى كوزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة ، ولم يضف إليها الوزير الجديد شيئا يذكر ، فيما خلا لمسة هنا ولمسة هناك ، ولكن ظلت الخطة هى نفس الخطة التى تم تدريب القوات المسلحة ككل على تنفيذها وبكفاءة.

و بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وعزيمة وإصرار رجال قواتنا المسلحة الأبطال تم الاقتحام العظيم للقناة ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، وفقا لخطة « المآذن العالية» والتى تحول اسمها فيما بعد إلى «بدر» .

وذكر الفريق سعد الشاذلى بالصفحة ٢٨ من مذكراته عن «حرب أكتوبر» أنه عرض على الفريق أحمد اسماعيل - بعد تعيينه وزيرا للحربية - الخطة جرانيت ٢ وخطة المآذن العالية ، وقد اقتنع بعدم قدرتنا على تنفيذ الخطة جرانيت ٢ ، وأنه يجب علينا أن نركز على

خطة المآذن العالية ، وتحدد ربيع عام ١٩٧٣ كميعاد محتمل للهجوم. وليس لذلك من معنى سوى أن احمد اسماعيل أقر خطة من الخطتين الموضوعتين ، ولم يضع خطة جديدة للحرب ، وحتى لو أراد وضع مثل هذه الخطة وتدريب القوات عليها فقد كان عليه أن ينتظر طويلا إلى أن يتحقق له ذلك.

وعندما يعترف الشاذلى بأنه تم تحديد ربيع عام ١٩٧٣ كميعاد محتمل لبداية الهجوم (أى بعد إقالتى بحوالى ٥ أشهر) و أنه تم الاتفاق عليه خلال اجتماعه مع الفريق أحمد اسماعيل ، فليس لذلك من دلالة سوى الإقرار بأن خطة الحرب التى وضعناها كانت كاملة ومعدة للتنفيذ ، وأن القوات المسلحة استوعبتها بعد أن تدربت عليها لفترة كافية.

وهذا يناقض تماماً ماقاله الرئيس السادات بالصفحة ٣٢١ من كتابه «البحث عن الذات» من أنه «فى اوائل عام ١٩٧٣ كان الجنرال أحمد اسماعيل قد وضع الهيكل الأساسى للخطة». وأعتقد أن السادات عندما كتب أو أملى هذه السطور على كاتب الكتاب ، كان قد نسى الكثير مما تعلمه خلال حياته العسكرية ، لأنه لو كان على معرفة ولو محدودة ، لأدرك أن وضع خطة للحرب وتدريب القوات المسلحة عليها ، لتكون قادرة على وضعها موضع التنفيذ لا يمكن أن يتم خلال شهرين !!!.

فالفريق أحمد اسماعيل الذى شغل منصب وزير الحربية فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٢، لم يكن فى إمكانه إنجاز خطة للحرب خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩٧٢ . وكان كل المتاح أمامه هو إضافة بعض اللمسات على الخطة الموجودة فعلا على ضوء زيادة إمكانيات القوات المسلحة ، ومثل هذه اللمسات ، كانت تتم باستمرار وفقا لتطور الإمكانيات على الجانبين المصرى والإسرائيلى.

وهذا ما أوضحه سعد الشاذلى فى مذكراته ، وما تؤكده وثائق القوات المسلحة المصرية.

❁ ❁ ❁

الفصل السادس عشر

إعداد مسرح العمليات

فرضت نتيجة معركة يونيه ١٩٦٧ و وصول القوات الإسرائيلية إلى حافة القناة الشرقية على مصر اتخاذ منطقة غرب القناة كمنطقة مواجهة. وبدراسة الموقف المترتب على الهزيمة انتهت القيادة العامة إلى ضرورة العمل على عدة محاور فى نفس الوقت منها :

إعادة بناء القوات المسلحة.

بناء خط دفاعى غرب القناة وعلى امتداد منطقة المواجهة.

تجهيز وإعداد مسرح العمليات.

إنشاء قواعد جوية جديدة فى الدلتا والصعيد وفى الوادى والصحراء لمواجهة متطلبات خطة عمل القوات الجوية وإنشاء تحصينات لحماية الطائرات بكل القواعد الجوية أى دشم خرسانية لحماية الطائرات ، تلك الدشم التى كان يجب البدء فى إنشائها عقب عدوان ١٩٥٦.

بناء شبكة دفاع جوى عن القوات الموجودة بالجبهة أولا ثم تطوير هذه الشبكة للدفاع عن باقى الأهداف الحيوية.

إعادة النظر فى خطة التجنيد ، وضروره الاعتماد على العناصر المؤهلة ، وفى برامج وخطط التدريب ، وإعداد خطة تعبئة عصرية ومتطورة.

نبذ خطة رفع الروح المعنوية التى كانت مطبقة حتى يونيه ١٩٦٧ والتى تستند إلى الفكر الاشتراكى والدفاع عن المكتسبات الاشتراكية ، والبحث عن خطة جديدة تستمد عناصرها من الدين والوطن.

إعداد خطة دفاعية يمكن تنفيذها إذا ما حاول العدو الوصول إلى غرب القناة ، وكان مثل هـذا الاحتمال أحد الهواجس التى سيطرت على الرئيس جمال عبدالناصر بعد يونيه ١٩٦٧.

إعادة النظر فى خطط وبرامج التسليح والسعى للحصول على أسلحة ومعدات متطورة بما فى ذلك أسلحة ومعدات الحرب الإلكترونية.

إعادة النظر فى خطط وأساليب القيادة والسيطرة وتبنى أساليب عصرية ومتطورة والاستفادة من معظم وسائل الاتصال الحديثة ونظم وأساليب القيادة المتطورة.

التخلى عن الاعتماد على أهل الثقة على حساب أهل الخبرة ، بعد أن تأكد أن القادة من أهل الثقه لايصلحون للقيادة أبدا أو للاشتراك فى عمليات قتالية من أى نوع وعلى أى مستوى ، وكان ذلك يعنى أن تترك القيادة للعسكريين المحترفين.

أن تتحول مهمة القوات المسلحة من حماية النظام السياسى للدولة إلى حماية الوطن، وأن يعاد النظر فى القوانين والقرارات والأوامر التى تحكم عمل أجهزة القيادة العامة وباقى القوات المسلحة.

التوسع فى إعداد الطيارين لسد النقص فى صفوفهم والوصول إلى نسبة معقولة فى إعداد الطيارين بالنسبة للطائرات المتوفرة والتى ستتوفر مستقبلا ، وزيادة عدد ساعات التدريب ورفع مستواهم.

سد النقص فى أعداد الضباط وكان المطلوب هنا تخريج عشرات الآلاف من الضباط لتوفير احتياجات القوات المسلحة.

زيادة حجم القوات المسلحة بشكل يتناسب واحتياجات الخطط الدفاعية والهجومية.

دعم قدرات وإمكانيات المخابرات الحربية والاستطلاع لتوفير أكبر قدر من المعلومات عن العدو ومتابعة التطور العلمى فى المجال العسكرى والمساهمة فى تحديث ما يمكن تحديثه من أسلحة ومعدات و كذلك تحديث وتطوير البحوث العلمية العسكرية.

تحديث وتطوير الصناعة الحربية ، وتحقيق أقصى قدر من الاستفادة من الإمكانيات المتاحة لهذه الصناعة لتوفير نسبة من احتياجات القوات المسلحة من الأسلحة والمعدات والذخائر.

تحديث وتطوير الإدارات الفنية خاصة فيما يتعلق بالصيانة.

وكل هذه الأهداف وغيرها ، كان يجب أن تتم قبل نكسة يونيه ، ولكن انشغال النظام بالأمن السياسى واحتدام الصراع على السلطة بين كل من ناصر وعامر حال دون ذلك.

وعلى ضوء الهزيمة التى لحقت بمصر ، لم يعد ممكنا تجاهل تصحيح الأوضاع بشكل جذرى داخل القوات المسلحة ، ولكن وفى ظل هذه الظروف سنبدأ ونجرى عملية التطوير والتحديث تحت ضغط العدو وضغط العامل الزمنى. فالعدو ما أن انتهت الحرب وبدأ سريان وقف اطلاق النار ، حتى تحركت قواته شرق القناة من القنطرة باتجاه

الشمال لاحتلال مدينة بورفؤاد والمنطقة المؤدية إليها والمحيطة بها لكى يستكمل سيطرته على كل سيناء. ولم يكن هناك مناصا من التصدى لهذه المحاولة بقوة فيما عرف بمعركة «رأس العش» التى انتهت بتراجع العدو و توقف المحاولة وعدم تكرارها مجددا.

ولم تكن تلك المعركة أكثر من صراع إرادات واختبار قوة مبكر بين الطرفين ، المنتصر والمهزوم.

وكان واضحا للقيادات العسكرية ، أنه لابد من معركة أخرى مع العدو أيا كان الوقت المطلوب للإعداد لها ، وأيا كان الثمن المطلوب فحجم الهزيمة وضغط الكبرياء المراق والكرامة الجريحة لا يمكن لمصر أن تعيش تحت وطأتهم طويلا، وقد بدأ العمل فى خطط التطوير التى تم إقرارها عبر اجتماعات متعددة ودراسات ومناقشات طويلة وعميقة وشاملة ، حيث بدأ الفريق أول فوزى يلملم شمل القوات المسلحة ،حتى تعمل كل الأجهزة بهمة من أجل تصحيح الأوضاع.

ولأن قضية بناء أول خط دفاعى ، كانت موضع اهتمام رئيسى لارتباطها بأمن مصر وأمن القوات المسلحة، فقد كان من الضرورى إعداد وتجهيز مسرح العمليات بالجبهة على امتداد قناة السويس أى من بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا وعلى امتداد العمق الخلفى لهذه المنطقة التى تحولت إلى منطقة مواجهة.

وبما أن القوات المسلحة ستقيم مواقعها وتنشر أسلحتها ومخازنها فى هذه المنطقة ، وبما أنها ستكون عرضة لنيران العدو ، فقد كان لابد من إقامة تحصينات للأفراد وللأسلحة والمعدات لتوفير أكبر قدر من الحماية لهم ، وبما أن القوات تتحرك على الطرق من وإلى هذه المنطقة ، فشبكة الطرق الموجودة سواء من ناحية الأطوال أو الاتجاهات أو حتى حالتها لايمكنها أن تستوعب مثل هذه التحركات ، فقد كان من الضرورى إنشاء شبكة طرق رئيسية وأخرى تبادلية تسمح بالتحركات والمناورة عليها.

واستعانت القوات المسلحة بالإمكانيات المتوفرة لديها و بجهود وطاقات وإمكانيات شركات المقاولات المدنية. وتم بالفعل تنفيذ أعمال ضخمة جدا بكل المقاييس. ولم يقتصر الأمر على منطقة المواجهة، بل امتدت خطة الإنشاءات لتشمل مصر كلها. وتحملت مصر مئات الملايين من الجنيهات لإنجاز هذا الهدف ، بالإضافة إلى مئات الشهداء من المدنيين والعسكريين.

وتضمن سجل الإنشاءات قواعد جوية جديدة ودشم خرسانية لحماية الطائرات ، وقواعد محصنة لبطاريات صواريخ الدفاع الجوى والمدفعية وباقى الأجهزة والأسلحة والمعدات بالإضافة إلى ساتر ترابى بارتفاع أكثر من ٢٠ مترا على حافة القناة ، مع مراعاة أن يكون أكثر ارتفاعا من الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل على الحافة الشرقية للقناة، لإتاحة الفرصة للقوات المصرية لمتابعة تحركات العدو شرقا ولتظل المواقع والأهداف الإسرائيلية مكشوفة أمامها، وتم تجهيز هذه السواتر بمصاطب للدبابات ومرابض للمدفعية والأسلحة المضادة للدبابات.

وتم إنشاء مراكز للقيادة والسيطرة رئيسية وتبادلية ومؤقتة وهيكلية على جميع المستويات، ولأن الأعمال كثيرة وتشمل عددا كبيرا من الميادين وتتطلب مبالغ مالية كبيرة، لذا كان من الضرورى وضع أولويات للمشاريع المطلوبة وفى حدود المبالغ المرصودة.

وبالنسبة للطرق تم دراسة احتياجات التحركات الطولية والعرضية والمناورة بالقوات وسهولة التحرك من المواقع المنتشرة خاصة الخلفية باتجاه الشاطئ الغربى للقناة ومتطلبات إمداد القوات الموجودة بالجبهة بطريقة انسيابية ومرنة ، مع مراعاة ربط هذه الطرق بالطرق الرئيسية بالوجه البحرى ككل خاصة بطرق المحافظات المجاورة لمنطقة القناة ، وعلى ضوء هذه الدراسة تم وضع خطة إنشاء الطرق الخاصة بخط المواجهة ومنطقة الجبهة ككل، وبلغ طول هذه الطرق أكثر من ألفى كيلومتر.

وامتدت الخطة لتشمل كل مصر ، فقد كان المتوقع أن يمتد النشاط العسكرى المصرى والإسرائيلى إلى عمق مصر وأن تتحول منطقة البحر الأحمر إلى منطقة مواجهة ، كما أن خطة إنشاء قواعد جوية ومطارات وقواعد للدفاع الجوى كانت تقتضى إنشاء شبكة جيدة من الطرق وربط هذه المناطق بالطرق الرئيسية بالقطر، لذا بدأ العمل فى إنشاء طرق بالوادى والبحر الأحمر ومراعاة توفير طرق عرضية تربط وادى النيل بالبحر الأحمر.

وتحمل المهندسون العسكريون وشركات المقاولات المدنية عبء إنشاء هذه الشبكة الكبيرة من الطرق ، وكان الجميع يدركون أنهم فى سباق مع الزمن ، واعتقد أن مصر لم تشهد سرعة فى معدلات الإنجاز مثلما شهدتها خلال تلك الفترة.

أما بالنسبة للقواعد الجوية والمطارات ، فقد بدا واضحا أن مصر فى حاجة إلى ٣٠ قاعدة جوية ومطارا على أن يكون بكل مطار وقاعدة جوية ممرين جويين على الأقل، وألا يقل طول كل ممر عن ٣,٥ كيلومتر ، وألا يقل العرض عن ١٥ مترا.



الفريق أول صادق يتوسط الرئيس السادات واللواء طيار حسني مبارك قائد القوات الجوية

وأسندت إلى قيادة القوات الجوية عملية اختيار مواقع هذه القواعد والمطارات. وكان هذا الرقم يتيح للقيادة الجوية المناورة والانتشار وحرية الحركة والقدرة على عدم تركيز الطائرات فى منطقة واحدة ، وعلاج القصور فيما يتعلق بقصر فترة بقاء المقاتلات من طراز ميج فى الجو.

وكان قرار توفير ٣٠ قاعدة جوية ومطارا يعنى إنشاء ٢٠ قاعدة جوية ومطارا جديدا ، حيث كان المتوفر حتى عام ١٩٦٧ : ١٠ قواعد جوية ومطارات ، وهكذا أصبح المطلوب إنشاؤه مثلىّ العدد الموجود ، بالإضافة إلى تطوير وتوسيع القواعد والمطارات الموجودة فعلا ، هذا بالنسبة لعدد القواعد الجوية ، أما المشكلة الثانية فكانت بناء ملاجئ و دشم خرسانية لحماية الطائرات ، وأوضحت الدراسة التى أعدتها القوات الجوية بالتعاون مع

المهندسين العسكريين ومن بينهم مهندسى القوات الجوية أن كل قاعدة تحتاج ٣٠ دشمة فى حين يحتاج المطار إلى ١٥ دشمة فقط.

وقد تمكن المهندسون العسكريون وبالاستفادة من المهندسين الذين درسوا بالخارج وتخصصوا فى هذا النوع من الإنشاءات من تصميم نموذج جيد للدشمة والملجأ ، قادر على مقاومة القنابل زنة ألف رطل والصواريخ حتى عيار ١٦٠ مم.

وكان من الضرورى حماية وتحصين كل منشآت هذه القواعد والمطارات ، فالقاعدة الجوية ليست ممرا فقط أو عدة دشم خرسانية فهناك ملاجئ الأفراد والمخازن ومراكز العمليات ومستودعات للوقود ومحطات توليد الكهرباء وأجهزة الرادار والورش ومراكز الصيانة وغيرها.

وفى المراحل الأولى تقرر استخدام عدة طرق رئيسية كممرات جوية ، ومنها طريق القاهره الأسكندرية الزراعى والصحراوى ، وذلك لمواجهة حالات الطوارئ والهبوط الاضطرارى. وكانت كل هذه الإنشاءات بالإضافة إلى مراكز القيادة وغرف العمليات الرئيسية والتبادلية ، لتفادى تكرار ضربات جوية معادية مماثلة لتلك التى تعرضت لها مصر خلال معركتى ١٩٥٦، ١٩٦٧.

أما بالنسبة للدفاع الجوى فالأمر كان مختلفا.

وفى البداية يمكن القول أن تجربة يونيه ١٩٦٧ بكل دروسها المستفادة كانت وراء تطوير الدفاع الجوى المصرى. وكان واضحا أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تعتمد اعتمادا رئيسيا على القوات الجوية ، وقد تمكنت باللجوء إلى الضربات الجوية المفاجئة خلال معركتى ١٩٥٦، ١٩٦٧ خاصة الأخيرة من إخراج القوات الجوية المصرية من المعركة خلال الساعات الأولى، ثم تفرغت لتقديم الدعم والعون للقوات البرية المتقدمة فى سيناء ، وتهديد القوات المصرية بقوة.

وعند إعادة بناء القوات المسلحة ، بدا واضحا للجميع ضرورة وجود قوات دفاع جوى يمكنها مواجهة هذه الاستراتيجية ، وأن تتوفر لها الإمكانيات التى تؤهلها لأداء واجبها أى بناء نظام دفاعى متكامل العناصر أى الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات والقدرة على التعاون مع عناصر القوات الجوية المشاركة فى خطة الدفاع الجوى وأجهزة الرادار و وسائل الحرب الالكترونية.

أما الواجبات فمنها :

- القدرة على مواجهة الهجمات الجوية المتعددة الاتجاهات.
- التعامل بكفاءة مع الهجمات الجوية التى تنفذ على ارتفاعات منخفضة.
- تغطية المجال الجوى المصرى خاصة فى منطقة المواجهة وسد كل الثغرات فى خطة الدفاع الجوى.
- تأمين النشاط الجوى للمقاتلات المصرية.
- الدفاع عن الأهداف الحيوية طبقا لأهميتها.
- توفير الإنذار المبكر للقوات المسلحة.

وكانت البداية فصل الدفاع الجوى عن القوات الجوية ، وقد صدر قرار بذلك فى فبراير ١٩٦٨ و بصدور هذا القرار أصبح الدفاع الجوى قوة مستقلة قائمة بذاتها، وأضيفت قوة رابعه للأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وهى القوات البرية والبحرية والجوية.

وانفتح الطريق بذلك لوضع كل عناصر الدفاع الجوى تحت قيادة واحدة وتقرر إسناد مسئولية قيادة قوات الدفاع الجوى للواء محمد على فهمى ، وظل قائدا لها حتى معركة أكتوبر ١٩٧٣.

ومنذ الأيام الأولى واجهت القيادة الجديدة التحدى الإسرائيلى ، وكان الصراع مرهقا وعنيفا ، وإن كان مفيدا وحافزا للإسراع فى عملية البناء وتطوير وزيادة الكفاءة القتالية وتنمية الخبرات. وتصاعدت العمليات العسكرية خلال معارك الاستنزاف ، وتحمل الدفاع الجوى مسئولية التصدى لذراع القوات الإسرائيلية الطويلة ، القوات الجوية.

ومن قراءة العمليات العسكرية الإسرائيلية ، بدا واضحا الاتجاه لتدمير وسائل وعناصر الدفاع الجوى على امتداد خط المواجهة بهدف امتلاك السيطرة الجوية على مسرح العمليات والحيلولة دون أية استعدادات هجومية مصرية ، وإعاقة خطط بناء وتطوير القوات المسلحة ، خاصة القوات المنتشرة بجبهة القناة.

وأمام هذا المخطط قررت القيادة بناء حائط صواريخ ، لا مجرد إنشاء تحصينات لكتائب الصواريخ وباقى عناصر الدفاع الجوى ، للحيلولة دون العدو وتحقيق أهدافه، والأهم امتلاك حرية الحركة والقدرة لإنجاز الخطط الموضوعة لإعادة بناء القوات المسلحة ، وإعدادها للحرب.

وتبلور الفكر فى قيادة الدفاع الجوى فى وجهتى نظر ، الأولى ترى القفز بحائط الصواريخ المضادة للطائرات دفعة واحدة للأمام ، واحتلال مواقع ميدانية متقدمة دون تحصينات وقبول الخسائر المتوقعة لحين إتمام التحصينات تحت حماية هذه القواعد والثانية ترى الوصول بحائط الصواريخ إلى منطقة القناة على وثبات أى بأسلوب الزحف البطئ، وذلك بأن يتم إنشاء تحصينات كل نطاق واحتلاله تحت حماية النطاق الخلفى له وهكذا. وكان لكل وجهة نظر منطقها واعتباراتها ومزاياها وعيوبها.

واستقر الأمر على الأخذ بخطة الزحف البطئ ، وفعلا تم إنشاء مواقع النطاق الأول شرق القاهرة ، وتم احتلالها دون تدخل من جانب العدو ، بعدها تم إنشاء ثلاثة نطاقات، تمتد إلى المسافة بين القاهرة ومنطقة القناة ، واقتضى الأمر وضع مجموعة من الخطط الدقيقة وتنفيذ مجموعة من العمليات الضرورية قبل احتلال هذه النطاقات.

وبالرغم من الخسائر التى واجهت خطة انشاء حائط الصواريخ ، وشراسة العدو فى الهجوم لمنع وضع هذه الخطة موضع التنفيذ إلا أن العمل استمر على مدار الساعة وشارك الجميع بالجهد الوافر ، وقبلوا بالتضحيات التى اعتبرت ثمنا مقبولا وضروريا للنجاح وساعد على النجاح خطط خداع تمثلت فى بناء مواقع هيكلية لامتصاص نسبة من هجمات العدو الجوية. وصاحب ذلك إعداد مجموعة كمائن دفاع جوى للإيقاع بطائرات العدو ، وقد حققت هذه الكمائن أهدافها.

ولتوضيح حجم العمل ، نقول إن النطاق الواحد يتطلب إنشاء ٨ قواعد صواريخ مضادة للطائرات. والقاعدة ليست مجرد بناء محصن يحمى عدة صواريخ ، بل تشمل بناء تحصينات ودشم خرسانية لحماية الصواريخ وأجهزة الرادار ومراكز العمليات وملاجئ للأجهزة الإدارية والتوجيه وملاجئ للأفراد والمخازن ومحطات توليد الطاقة، بالإضافة إلى أماكن محصنة وآمنة لتخزين الصواريخ.

ولكل قاعدة مواقع تبادلية ، وأخرى احتياطية ، وبالإضافة إلى هذه المنشآت ، فإن لكل لواء صواريخ مركز عمليات ، ومركز آخر لقيادة الفرقة.

ولأن قطع وتخريب شبكة الاتصالات خلال معركة يونيه ١٩٦٧ كان يسيرا على العدو ، مما أدى إلى انقطاع الصلة بين القيادة والقوات المنتشرة فى سيناء ، فقد أعيد النظر فى الأمر من أجل إنشاء شبكة مواصلات فعالة ومتعددة النظم وآمنة بقدر الإمكان. وكان الهدف التوصل إلى فعالية نظم القيادة والسيطرة وسهولة انسياب الأوامر

والمعلومات وخلال زمن يقاس بالثوانى بين المستويات القيادية المختلفة رأسيا وأفقيا.
وكان من الضرورى الاعتماد فى بناء هذه الشبكة الجديدة على نظم وأجهزة ومعدات غربية بالإضافة إلى الحصول على الجديد المتطور من الاتحاد السوفييتى.

وفى نفس الوقت تم تطوير شبكة الاتصالات التليفونية المصرية وتم تنفيذ خطوط اتصال محورية بين مختلف أنحاء القطر لتوفير اتصال خطى مباشر. كما بدأ المسئولون عن شبكة الاتصالات الداخلية يتجهون لتغيير الخطوط السلكية الهوائية السريعة التلف إلى خطوط أرضية، مع استخدام الألياف الجديدة بدلا من الأسلاك والتى تتيح استخداما متعدد القنوات وسرعة التوصيل. وقد ساهم ذلك فى زيادة فعالية شبكة الاتصالات العسكرية.

وتعددت الإنجازات فى مجال إعداد الدولة للحرب، وإعداد مسرح العمليات على اتساع مصر لا الجبهة فقط. ولم تتوقف الإنجازات على امتداد الفترة من ١٩٦٧ وحتى بدء معركة اكتوبر ١٩٧٣.

ولم تنس القيادة تطوير القواعد البحرية والموانئ بما فى ذلك قاعدتى رأس بناس فى أقصى الجنوب التى أصبحت القاعدة الرئيسية للقطع البحرية الموجودة بالبحر الأحمر نتيجة وجود كل من السويس والأدبية فى نطاق مرمى أسلحة العدو، ومرسى مطروح شمالا، بالإضافة إلى القواعد الموجودة بالأسكندرية وأبوقير وبورسعيد.

ونشطت قيادة القوات البحرية فى إعداد وتجهيز مجموعة من المراسى بالبحرين المتوسط والأحمر، وأقامت الحواجز الخرسانية لمواجهة الأمواج بكل القواعد والموانئ والمراسى، بالإضافة إلى إنشاء مراكز قيادة متطورة ومحصنة للمدفعية الساحلية إلى جانب مراكز عمليات للقوات البحرية.

ولم تنس هيئة العمليات وإدارة المساحة العسكرية تطوير الخرائط المتوفرة وتحديثها، وتم بالفعل طبع مجموعات كبيرة من الخرائط الجديدة التى تضمنت كل المتغيرات التى أضافها العدو بسيناء، مثل الطرق والمدقات والمواقع والتحصينات. وأدت هذه الخرائط دورا رئيسيا فى مساعدة القادة والضباط على تنفيذ المهام التى كلفوا بها خلال معركة أكتوبر.



الرئيس السادات بصحبة الفريق صادق واللواء محمود فهمي قائد القوات البحرية
أثناء حضور مناورة بحرية بالإسكندرية

وفى نفس الوقت الذى كانت القيادة المصرية مشغولة بإعداد مسرح العمليات، كان العدو يقوم من جانبه بإعداد مسرح العمليات فى سيناء. وتضمنت هذه الأعمال إنشاء شبكة جديدة من الطرق الطولية والعرضية التى تربط كل سيناء والاستفادة من ناتج حفر القناة فى إنشاء ساتر ترابى وإزاحته إلى الحافة الشرقية للقناة مباشرة، وتم إنشاء مصاطب للدبابات على أبعاد تتراوح بين ١٠٠ – ٤٠٠ متر.

وفى مرحلة تالية بدأوا فى إنشاء خط دفاعى أطلق عليه اسم بارليف نسبة إلى رئيس الأركان صاحب فكرة هذا المشروع الدفاعى، وعندما اكتمل بناء هذا الخط اعتبره المراقبون والخبراء العسكريون الأقوى والأفضل فى التاريخ العسكرى، حيث حاول من أنشأوه الاستفادة من خبرة كل الخطوط الدفاعية العسكرية التى عرفها العالم، وعملوا على سد كل الثغرات التى ساعدت على فشل هذه الخطوط فى مواجهة إصرار المهاجمين على مواصلة التقدم.

وبلغ إجمالي المواقع الحصينة به ٢٢ موقعا ضمت ٣٥ نقطة دفاعية، مساحة كل منها حوالي ٤٠٠٠ متر مربع. وتتكون كل نقطة حصينة من عدة طوابق، وكل طابق يضم

عدة دشم محصنة تحصينا جيدا وبلغ سُمك الطبقة الفاصلة بين كل طابق والذى يليه مترين تقريبا وتكونت من الخرسانة المسلحة والقضبان الحديدية والرمال والحجارة ، بالإضافة إلى هذا التحصين الجيد أضيفت إلى طبقة السطح كتل من الحجارة والصخور معبأة فى شبكة من الأسلاك للوقاية من أسلحة الضرب المباشر.

وكانت أسطح النقط قد أنشئت وفقا لحسابات لمقاومة القنابل زنة ألف رطل وامتصاص كل رشقات النيران سواء أكانت بالصواريخ أرض - أرض ، أو جو - أرض أو بالمدفعية الثقيلة. وتتكون كل نقطة من عدة ملاجئ للأفراد ومخازن للذخيرة والوقود ودشم ومرابض هاونات وصواريخ أرض - أرض وخنادق مواصلات. ولكل ملجأ من ملاجئ الأفراد عدة مداخل ، ويتوفر به سبل الراحة و وسائل التهوية والإضاءة والتدفئة والاتصال.

وأحيطت كل نقطة حصينة بأسوار من السلك الشائك وفيما بينها زرعت الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، وفى مواجهة النقطة مانع من الأسلاك الكثيفة غير المنتظمة يصعب فتح ثغرة فيه أو اجتيازه.

واعتمدت القيادة الإسرائيلية على هذا الخط الحصين للتخفيف من حجم قواتها المنتشرة فى سيناء ، ولزيادة القدرة على مواجهة أى هجوم مصرى محتمل ، وللحد من العمليات التى تنفذ خلف خطوطها ، كما كانت تتوقع أن مثل هذا الخط مع عمليات زيادة تحصينه ودعمه باستمرار ، سيحبط اى تخطيط لاقتحامه ، أو التفكير فى ذلك .

وفى المسافة التى تفصل الخط الدفاعى الحصين وخط المضايق الجبلية الموجوده شرق القناة ، أقامت إسرائيل خطين دفاعيين مكملين لخط بارليف، وكانت المسافة التى تفصل الخط الأول عن الخط الثانى تتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ متر ، وقد اختيرت مواقعه فى الاتجاهات الصالحة للعبور والتقدم شرقا وتم إعداد الخط ككل لاحتلاله بالعناصر المدرعة المتمركزة بالخلف، أما الخط الثالث فأنشئ على مسافة تتراوح بين ٣ - ٥ كيلومترات من الخط الأول ، وأقيمت مواقعه بالاتجاهات الهامة والرئيسية على أجناب الطرق المؤدية إلى خط المضايق.

كما أقامت إسرائيل مجموعة من التلال والسواتر الصناعية على أعماق مختلفة على امتداد المسافة الفاصلة بين شرق القناة وخط المضايق الجبلية لزيادة قدرة القوات الإسرائيلية

على صد أى قوات متقدمة ، ولتوفير إمكانية فتح هذه القوات لشن هجمات أو هجمات مضادة.

و واصلت إسرائيل إنشاء مراكز القيادة والعمليات والشوشرة والإعاقة الإلكترونية والقواعد الجوية والمطارات وقواعد صواريخ الدفاع الجوى ومرابض المدفعية والمدفعية بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم والمرابض التبادلية.

وفى نفس الوقت الذى كان العدو يعد مسرح العمليات بسيناء ويعمل على مواجهة كل الاحتمالات المتوقعة بكل همة بالرغم من الاقتناع بأن القوات المسلحة المصرية عاجزة ولاتملك القدرة على التخطيط لمعركة مشتركة ، كما أن الإمكانيات المتوفرة لديها لاتسمح إطلاقا بالتفكير أو التخطيط لمثل هذه المعركة.

وكان ميزان القوى باستمرار لصالح إسرائيل كما وكيفا بفضل الدعم العسكرى الأمريكى وإمكانيات الصناعة الحربية الإسرائيلية ، وكانت هذه الحقائق تدفع القيادة المصرية السياسية والعسكرية لمحاولة تصحيح هذا الاختلال ، والإلحاح على الجانب السوفيتى لتزويد مصر باحتياجاتها وتنفيذ الصفقات الموقعة.

وكان واضحا أن القيادة السوفييتية لا يعنيها تصحيح الاختلال فى ميزان القوى العسكرية بين مصر وإسرائيل ، بل تجد فى هذا الاختلال طريقا لتحقيق أهدافها الاستراتيجية ومصالحها على الآماد المتوسطة والبعيدة.

وبالرغم من هذه الحقائق ، فإن القيادة العسكرية المصرية لم تتوقف عن التفكير للتغلب على هذا الواقع و العمل على وضع عدد من خطط لاقتحام القناة وإلحاق الهزيمة بالقوات الإسرائيلية.

❁ ❁ ❁

طلمبات لفتح ثغرات فى الساتر الترابى

لم يكن ممكنا أن تنجح عمليه اقتحام قناة السويس كمانع مائى والسيطرة على خط بارليف دون التوصل إلى حل لمشكله الساتر الترابى. وكان عامل الزمن واحدا من أهم العوامل التى يجب وضعها فى الاعتبار.

والقناة كمانع مائى لها أجناب حادة الميل ومكسوة بالدبش والحجارة لمنع انهيار الأتربة والرمال وبما يؤثر على عمق المجرى الملاحى واتساع القناة ، وعندما خطط العدو لإنشاء خط بارليف أقام ساترا ترابيا يمتد من جنوب بور سعيد شمالا حتى السويس جنوبا بامتداد القناة مستخدما ناتج عمليات حفر القناة ورمال سيناء ، وبمرور الوقت كان الساتر يزداد ارتفاعا ، وبعد وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ نشط العدو لزيادة ارتفاع الساتر حتى وصل فى بعض المناطق إلى ٢٦ مترا.

وحرص المهندسون الإسرائيليون على إزاحة الساتر إلى الأمام حتى أصبح ملامسا للحافة العليا لشاطئ القناة ، وأصبح ميل الساتر الترابى هو نفس ميل شاطئ القناة ، أى لم تكن هناك أية أكتاف أو مصاطب تفصل بين الساتر الترابى وشاطئ القناة ، وبلغت درجة الميل ما يتراوح بين ٤٥ ، ٦٥ درجة طبقا لطبيعة التربة فى قطاعات القناة المختلفة.

وعلى امتداد هذا الساتر الترابى أقام الإسرائيليون خطا دفاعيا حصينا (خط بارليف) ، يتكون من ٣٥ نقطة حصينة تتراوح المسافات فيما بينها بين كيلو متر واحد فى الاتجاهات الهامة ، وخمسة كيلو مترات فى باقى الاتجاهات ، و وصلت هذه المسافة فى منطقه البحيرات إلى ما يتراوح بين عشرة وخمس عشرة كيلو مترا ، والساتر الترابى بهذه الصورة جعل اقتحام قناة السويس عملية بالغة التعقيد فى نظر المتفائلين ومستحيلة فى نظر المتشائمين.

أما الأصدقاء السوفييت فكانت وجهة نظرهم أن الأمر يتطلب استخدام القنابل الذرية التكتيكية. وكنت على اقتناع أنهم يقولون ذلك لإحباط همة القيادة العامة ومنعها

من التفكير فى الهجوم ، لتظل الأوضاع كما هى ، هذه الأوضاع التى تتيح لهم الضغط القوى المتواصل لمزيد من النفوذ إلى أن تسقط مصر فى قبضة الاتحاد السوفييتى.

وطلبت من سلاح المهندسين مواصلة العمل للبحث عن حل. وكنت دائم المتابعة لكل الاقتراحات والحلول المطروحة. ولم يكن أمامنا سوى أن نعمل ونجتهد تاركين التوصل إلى النجاح والتوفيق فى العثور على حل لهذه المشكلة لإرادة الله.

وكان من الضرورى فتح ثغرات فى الساتر الترابى حتى تتمكن الدبابات والأسلحة الثقيلة من الوصول إلى شرق هذا الساتر لدعم رؤوس الكبارى. وكانت الخطط التى ساهمت فى وضعها والتى استقر عليها الرأى أن تهاجم المشاة بأن تعبر القناة بالقوارب وتتسلق الساتر الترابى وتهاجم مواقع خط بارليف وتستولى عليها أو تحاصرها وتواصل تقدمها لتنشئ خمسة رؤوس كبارى . وفى نفس الوقت يبدأ المهندسون عملهم وبعد أن تتوفر لهم الحماية بعبور المشاة ، لإنشاء كبارى الاقتحام والمعديات ، وبعد فتح ممرات أو ثغرات فى الساتر الترابى تعبر الدبابات وباقى الأسلحة الثقيلة لتدعم رؤوس الكبارى وتصد هجمات العدو المضادة التى لن تتأخر طويلا، وكان المتوقع أن يشن العدو أول هجماته خلال ما يتراوح بين ١٥ - ٣٠ دقيقة أما الهجوم بالاحتياطى المدرع فسيبدأ خلال ساعتين ، وقبل أن يبدأ هذا الهجوم كان من الضرورى وصول الدبابات إلى شرق القناة. وكان صمود رؤوس الكبارى يتوقف على وصول الدبابات ، وهذا كله يتوقف على النجاح فى التوصل إلى حل لمشكلة الساتر الترابى.

وتضمنت تجارب فتح ثغرات فى الساتر الترابى استخدام التفجير وأدوات الحفر الميكانيكية ، ولم تنجح هذه المحاولات لطبيعة الساتر الترابى المتهايلة ، فقد كانت الأتربة والرمال تتهايل داخل الحفر التى تنتج عن التفجير أو الحفر. وبدا واضحا أن أى من الوسيلتين مكلفة ، كما أن التفجير سيؤدى بالضرورة إلى خسائر فى صفوف أفراد المهندسين القائمين على العمل ، والأهم صعوبة التنسيق بين المشاة الذين يواصلون التدفق إلى شرق القناة وعمليات التفجير التى يقوم بها المهندسون. وثبت لنا أن فتح الثغرات سواء بالتفجير أو بالوسائل الميكانيكية يتطلب أعدادا كبيرة من المهندسين. وإذا وضعنا فى الاعتبار أن هذا العمل سيتم تحت ضغط العدو ، لتأكدنا من محدودية النجاح الذى يمكن أن يتحقق.

وكنت قد طلبت من المسئولين عن الصناعة الحربية البحث عن وسيلة أو ابتكار وسيلة للتغلب على هذه المشكلة وتوالت الاجتماعات والبحوث والتجارب خاصة حول صاروخ جديد ولكن كان النجاح محدودا.

واقترح أحد المهندسين من واقع خبرته فى العمل بالسد العالى استخدام طلمبات المياه فى فتح ثغرات ، وبدأت أولى التجارب فى سبتمبر ١٩٦٩ ، وخلال عامى ١٩٧٠، ١٩٧١ أي بعد أن بدأ العمل الجدى لمعركة هجومية، تم اتقان أسلوب استخدام طلمبات المياه ، ونجحت قيادة سلاح المهندسين فى تدريب الوحدات عليه ، وخلال التدريب تم اختصار الوقت المطلوب لفتح ثغرة إلى ما يتراوح بين ٣-٥ ساعات وفقا لارتفاع وسمك الساتر الترابى فى المنطقة و وفقا للحسابات التى تمت تبين لنا أن فتح ثغرة واحدة يحتاج إلى خمس طلمبات ، وكان تصورنا أن الخطة تقتضى فتح ٨٠ ثغرة ، لذا كان المطلوب توفير ٤٠٠ طلمبة بالإضافة إلى ٥٠ طلمبة احتياطية.

وكلفت سلاح المهندسين بدراسة الأسواق العالمية لمعرفة أفضل شركة منتجة للطلمبات ، وذلك قبل بدء عملية التعاقد. و وقع الاختيار على طراز إنجليزى الصنع ، وتم التعاقد.

وفى أوائل فبراير ١٩٧٢ دعوت لاجتماع محدود بمكتبى فى السابعة مساء حضره اللواء مهندس جمال محمد على مدير سلاح المهندسين وعدد من كبار القادة بالسلاح لمراجعة موقف مهمات ومعدات اقتحام القناة ، وكيفية استكمال النقص ، ولما كانت إحدى الدول العربية قد أبدت استعدادها للتعاقد على شراء نوعية حديثة من كبارى الاقتحام الثقيلة التى تصنع فى ألمانيا والتى تختلف عن الكبارى التى حصلنا عليها من الاتحاد السوفييتى خلال زيارتى لها ، فقد عرضت الأمر على اللواء جمال محمد على فأبدى ترحيبه وقال إنه كان يتمنى لو امتلك سلاح المهندسين ولو عدد محدود من هذه الكبارى التى قرأ عنها وقد اقترح معاينة هذه الكبارى أولا قبل التعاقد ، و وافقت على طلبه السفر لألمانيا لإجراء هذه المعاينة وعندما اقترح أن يسافر معه عدد من المهندسين وافقته على الفور. وكان من المقرر خلال وجود وفد المهندسين العسكريين فى أوروبا أن يغتنموا الفرصة لتوقيع عده عقود سبق الاتفاق عليها للحصول على مهمات وقطع غيار لتصنيع عدد من الكبارى محليا. وقد وافقت على مد فترة زيارة الوفد لمدة أسبوع حتى يتمكن من تنفيذ المهام التى سافر من أجلها سواء فى ألمانيا أو فرنسا أو إنجلترا. بعدها تبينت تعذر سفر اللواء جمال محمد على لاعتبارات تتعلق بالأمن.

وفى نفس الوقت كان هناك وفد آخر برئاسة اللواء مهندس جمال صدقى وعضوية كل من المهندس عادل جزارين وعثمان الحضرى سيزور أوروبا لتنفيذ تكليفات أخرى بعضها لدى نفس الشركة التى تقوم بتصنيع الكبارى ، لذا اقترحت أن ينضم وفد ضباط سلاح المهندسين (وكان من بين أعضائه اللواء مهندس الحسينى عبدالسلام) إلى تلك اللجنة.

وخلال الأسبوع الأخير من شهر مارس سافر الوفد ، على أن يقوم اللواء مهندس الحسينى عبدالسلام بمعاينة الكوبرى المطلوب شراؤه ، ودراسة كل ما يتعلق به من معلومات وتفصيلات فنية وذلك خلال أسبوع ، وخلال زيارته للشركة المنتجة واصل أداء المهمة المكلف بها وفقا لما هو مخطط. واغتنم رئيس الشركة الألمانية فرصة وجود الوفد فاقترح عليهم زيارة معرض منتجات الشركة من المعدات والعربات المختلفة ، ولم يمانع الوفد فى تلبية الدعوة.

كانت الأقدار أو كانت إرادة الله تدفع الأمور فى اتجاه يخدم هدفنا.

فخلال تفقد اللواء الحسينى عبدالسلام لمعرض المنتجات لمح فى نهاية أرض المعرض عربة لإطفاء الحرائق مزودة بطلمبة شكلها غير مألوف مقارنة بالموديلات الأخرى. وهذا الشكل غير المألوف هو الذى دفعه للسؤال عن هذه الطلمبة والاستئذان فى معاينتها مبررا ذلك للمسئولين بالشركة بدور المهندسين العسكريين فى إطفاء الحرائق التى تنشب فى القواعد الجوية والمطارات حتى لايلفت هذا الاهتمام نظر أى منهم.

وأوضح المسئولون بالشركة أن هذه الطلمبة من النوع التوربينى وتعمل بمحرك نفاث وأنها من الإنتاج الحديث الذى لم يتم تسويقه تجاريا على نطاق واسع. كان الوفد يتابع الشرح ، ويتبادلون النظرات ، لقد كانوا أمام الطلمبة الحلم ، أو أمام معجزة حقيقية، ولم يكونوا يدرون إنها «إرادة الله» التى رتبت الأمور لتمضى إلى هذه النتيجة.

وكان كل من جمال صدقى والحسينى عبدالسلام يعلم أننا استكملنا شراء الطلمبات الإنجليزية وأنها كلها موجودة بالمخازن ، ولكن القوات المسلحة فى حاجة إلى هذه الطلمبات التوربينية التى تنتج الواحده منها ٢٤٠ مترا مكعبا فى الساعة فى حين أن الطلمبة الإنجليزية كانت تنتج ٧٨ مترا مكعبا خلال نفس الفترة ، أى أن المضخة الألمانية التوربينية تنتج أكثر من ثلاثة أمثال ما تنتجه المضخة الإنجليزية خلال نفس الفترة.

ومن خلال التجارب التى سبق أن أجريناها على المضخة الإنجليزية تبين لنا أن كل متر مكعب من المياه يزيح مترا مكعبا من الأتربة والرمال ، وبالتالى فإن استخدام الطلمبات الجديدة سيوفر ثلثى الوقت الذى سبق تقديره كما أنه يمكن استخدام طلمبتين لفتح الثغرة بدلا من خمس طلمبات.

وكتب المهندس الحسيني عبدالسلام تقريرا عن هذه الطلمبة وأرسله لمدير سلاح المهندسين مع اللواء مهندس جمال صدقى الذى كان من المقرر أن يسبقه فى العودة إلى القاهرة ، وفى هذا التقرير أوضح كل المعلومات والفائدة المحققة التى ستعود على خطط وأساليب فتح الثغرات فى الساتر الترابى ، وأن استخدام المهندسين للطلمبات الألمانية سيفتح الباب لإعادة الحسابات فيما يتعلق بخطط عمل سلاح المهندسين لا بفتح الثغرات فقط بل وفيما سيتعلق بكل الخطط المرتبطة بخطة اقتحام قناة السويس.

ولم يكتف بذلك بل أشار إلى تفضيل استخدام هذا النوع من الطلمبات فى الثغرات المخصصة للمعابر الرئيسية فى قطاعات فرق النسق الأول ، وأنه يمكن تخصيص الطلمبات الإنجليزية فى ثغرات الاتجاهات الثانوية والمعابر الخداعية.

وعندما قرأ اللواء مهندس جمال صدقى التقرير شعر بأهميته ، لذا بدلا من أن يسلمه للواء مهندس جمال محمد على مدير سلاح المهندسين قرر أن يسلمه لى شخصيا كسبا للوقت واختصارا للدورة التى يمكن أن يستغرقها هذا التقرير الهام للغاية حتى يصل إلى الوزير. وشكرت اللواء مهندس جمال صدقى ما فعل بعد أن قرأت التقرير واستوعبت ما فيه وشعرت بالتقدير للواء مهندس الحسينى عبدالسلام وتوجهت للمولى العلى القدير بكل الشكر والحمد.

وفى نفس اليوم كنت أطلب مندوبا من شركة «دويتس» الألمانية بالقاهرة لمخاطبة الشركة بألمانيا لشحن طلمبتين على أول طائرة متجه إلى القاهرة ، وكانت علاقاتى مع الألمان قوية ووثيقة حيث سبق لى العمل هناك كملحق حربى ، ورأيت أن استثمرها للحصول بأسرع وقت على هاتين الطلمبتين لتجربتهما قبل التعاقد على احتياجاتنا منها. وعندما عاد اللواء مهندس الحسينى عبدالسلام من مهمته بالخارج وجد الطلمبتين فى انتظاره ليبدأ تجربتهما على الفور.

وبالطبع كان متوقعا منه ألا يصدق ما يراه ، وتمت التجارب بنجاح ، وأعقب ذلك إجراء تجربة على ساتر ترابى مماثل بالضبط للساتر الاسرائيلى فى العمق والارتفاع تم

إنشاؤه على ترعه الخطاطبة بحضورى وحضور كل من اللواء مهندس جمال محمد على مدير المهندسين واللواء مهندس عبدالستار مجاهد نائب المدير.

ونجحت التجربة نجاحا فاق كل توقع ، وقد رأيت الاحتفاظ بالأمر سرا حتى لا يتسرب إلى العدو ، وبالتالى أحطته بأسوار عالية وحرصت مع القيادة العامة للقوات المسلحة على كتمانه.

وإمعانا فى السرية أمرت أن يظل السر محصورا فى عدد محدود من الأفراد و وضعت من القواعد ما يمنع وصوله إلى غير المشتركين فى العمل من أفراد القوات المسلحة ، ولم يعلم به المستشارون والخبراء السوفييت الذين كانوا موجودين آنذاك فى القوات المسلحة.

وجرت بعد ذلك عدة خطوات أحيطت بنفس القدر من السرية، فعندما قررنا الحصول على هذه الطلمبات ذات المحرك النفاث وقع الاختيار على شركة (دويتس) الألمانية التى وافقت على إمداد شركات مقاولات مدنية تعمل فى دولة عربية بالطلمبات بالمواصفات المطلوبة. ولم نحصل على هذه الطلمبات من ألمانيا مباشرة بل عن طريق دولة أوروبية أخرى وتحت ستار حاجة إحدى الدول العربية لمثل هذه الطلمبات لحفر أنفاق فى إطار خطة عمرانية شاملة.

وقد تقرر شراء هذه الطلمبات بأعداد قليلة وعلى دفعات حتى لا نلفت النظر إلى هذه الصفقة ، وجرى إنشاء مجموعات خاصة مدربة بسلاح المهندسين لإدارة هذه الطلمبات واستخدامها والتدريب عليها وعلى نماذج مماثلة للساتر الترابى الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة وتحت ظروف المعركة.

وقد أقيمت هذه النماذج وجرى هذا التدريب فى عمق مصر وبعيدا عن متناول العدو وعن كل من ليس له علاقة بالأمر. ولم تعلم القوات المسلحة بهذا السر أو بوجود هذا الحل الذى توصلنا إليه لمشكلة الساتر الترابى. وظلت هناك محاولات مستمرة للبحث عن حل لإيهام الجميع أننا مازلنا بعيدين عن حل هذه المشكلة.

ولم يكن ذلك هو السر الوحيد الذى خططنا للاحتفاظ به بعيدا عن متناول العدو لمفاجأته به فى يوم الاقتحام ، بل كانت هناك أسرار أخرى كثيرة.

وليس لدى الآن وأنا أتذكر هذه المرحلة سوى الشعور بالعرفان والتقدير لكل القادة والضباط والرجال الذين حافظوا على هذا السر طوال هذه الفترة ، والذين شاركوا بهذا

الكتمان فى تحقيق عامل المفاجأة التى كانت أحد أهم أسباب نجاح المشهد الافتتاحى الرائع لمعركة ٦ أكتوبر.

وبما أننى تابعت كل أو معظم ما كتب عن النجاح فى التغلب على مشكلة الساتر الترابى سواء على شكل مقالات أو صفحات من مذكرات أو كتب، ودهشت من محاولة القادة الكبار نسبة النجاح إلى أنفسهم، فقد اغتنمت فرصة كتابة السيد محمود رياض (وزير الخارجية السابق) لمذكراته والتى نشر فصولا منها بجريدة الجمهورية لأوضح الحقيقة حول أسرار هذه العملية.

فقد أشار السيد محمود رياض فى مذكراته المنشورة يوم ١٢ نوفمبر ١٩٨١ إلى زيارته للجبهة عام ١٩٧١، وحديثه معى حول الساتر الترابى فما كان منى إلا أن أرسلت رسالة لنفس الجريدة نشرتها صباح يوم ٣ ديسمبر ١٩٨٢ أزحت فيها الستار عن حقيقة ما تم من محاولات وجهود للتغلب على هذه المشكلة ودور كل من شارك بجهد للوصول إلى حل لها.

* من مقالة السيد / محمود رياض المنشورة بجريدة الجمهورية:

« وتذكرت آخر مرة قمت بها بزيارة مواقعنا الأمامية على جبهة قناة السويس، وكان ذلك عام ١٩٧١ عندما وقفت فى موقع مصرى على حافة القناة لأشاهد أمامى المواقع الإسرائيلية فى الضفة الشرقية والساتر الرملى الذى أقامته إسرائيل واستمرت فى الارتفاع به حتى وصل الى ٢٠مترا.

وكان هذا الساتر الرملى لحماية القوات الإسرائيلية أثناء تحركاتها خلفه من نيران القوات المصرية كما كان يشكل عائقا قويا أمام مدرعاتنا وعرباتنا فى أى محاولة للعبور الى الضفة الشرقية.

كما شاهدت الأنابيب التى تتخلل الساتر الرملى والتى كانت تستطيع أن تصب كميات هائلة من النابالم فى القناة لتحويلها الى سد من النيران.

وكان من تقدير القيادة لخسائر الجيش المصرى أثناء عملية العبور تصل الى ما يقرب من عشرين ألف جندى قبل إقامة إسرائيل للساتر الرملى.

وكان لابد بعد أن أقامت إسرائيل هذه العوائق الجديدة أن تتجاوز خسائرنا هذا الرقم بكثير.

وبعد تلك الزيارة الميدانية ناقشت الفريق محمد صادق، الذى كان قد عين وزيرا للحربية بدلا من الفريق محمد فوزى، فى كيفية معالجة هذا الساتر الرملى المرتفع فذكر أنهم جربوا إحداث فتحات فيه، عن طريق النسف باستخدام صواريخ خاصة، إلا أن هذا الأسلوب لم ينجح. كما أنهم قاموا بتجارب لعبور قوات خاصة للقيام بعمليات نسف الساتر، على أن تكون تلك القوات مصحوبة بعدد من البولدوزرات لإزالة الرمال ولم تثبت التجارب التى قاموا بها إنها عملية ممكنة الأداء إلا أنها شاقة للغاية وخسائرها كبيرة.

وقد علمت فيما بعد أن أحد المهندسين المصريين الشبان قد أقترح استخدام مضخات قوية لسحب المياه من القناة وتدفعها بقوة مركزة شديدة الى الساتر الرملى فتؤدى الى فتح الثغرات المطلوبة، حيث كان قد سبق استخدام هذا الاسلوب بنجاح عند تمهيد بعض المواقع لبناء السد العالى فى أسوان.

وفعلا تم شراء مضخات قوية لهذا الغرض من إنجلترا وألمانيا وأُجريت لها العديد من التجارب الناجحة فساعدت تلك الفكرة الرائعة فى بساطتها على تحقيق السرعة والمفاجأة المطلوبة فى العبور وقللت من قيمة الساتر الرملى كمانع قوى أمام قواتنا المسلحة.

أما بالنسبة لحاجز النيران فقد دربت قوات مصرية خاصة، نجحت فى سد فوهات المواسير بالأسمنت قبل الهجوم المصرى.

* الرد الذى نشرته بنفس الجريدة :

رسالة لجريدة الجمهورية من الفريق أول محمد صادق :

«هذه هى أسرار خطة نسف الساتر الترابى»

« بعد أن اطلعت على (فصول جديدة) من مذكرات الأخ والصديق الزميل محمود رياض المنشورة بجريدتكم يوم الخميس ١٢ نوفمبر لفت نظرى ما ذكره سيادته عن الساتر الترابى للعدو والحوار الذى ذكر انه دار بيننا بهذا الشأن فى العمود الأول بالصفحة الحادية عشره.

وقد أردت أن أضيف سطورا تصحيحا للواقع والتاريخ :-

ففى الوقت الذى تحدثت فيه مع الصديق والزميل محمود رياض، كانت القوات المسلحة قد توصلت للحل فعلا وبدأت فى التدريب عليه بأطقم خاصة.

وكما ذكر سيادته كان الحل استخدام مضخات قوية جدا (جت) وكانت فكرة عدد من الزملاء المهندسين الذين سبق لهم العمل بالسد العالى سبق لهم استخدام نفس الطريقة فى إنشاء الانفاق.

وأعقب ذلك إجراء تجربة على ساتر ترابى مماثل بالضبط للساتر الاسرائيلى فى العمق والارتفاع تم إنشاؤه على ترعة الخطاطبة بحضورى وحضور كل من اللواء مهندس جمال على مدير المهندسين واللواء مهندس عبدالستار مجاهد ونجحت التجربة نجاحا فاق كل توقع ، وقد رأيت الاحتفاظ بالأمر سراً حتى لا يتسرب إلى العدو ، وبالتالى أحطته بأسوار عالية وحرصت القيادة العامة للقوات المسلحة على كتمانه.

وإمعانا فى السرية أمرت أن يظل السر محصورا فى عدد محدود من الأفراد ووضعت من القواعد ما يمنع وصوله إلى غير المشتركين فى العمل من أفراد القوات المسلحة ولم يعلم به المستشارون والخبراء السوفييت الذين كانوا موجودين آنذاك فى القوات المسلحة.

وجرت بعد ذلك عدة خطوات أحيطت بنفس القدر من السرية ، فعندما قررنا الحصول على هذه الطلمبات ذات المحرك النفاث وقع الاختيار على شركة (دويتس) الالمانية التى وافقت على إمداد شركات مقاولات مدنية تعمل فى دول عربية بالطلمبات بالمواصفات المطلوبة.

ولم نحصل على هذه الطلمبات من ألمانيا مباشرة بل عن طريق دولة أوربية أخرى وتحت ستار حاجة إحدى الدول العربية لمثل هذه الطلمبات لحفر أنفاق لديها. وقد تقرر شراء هذه الطلمبات بأعداد قليلة وعلى دفعات حتى لا نلفت النظر إلى هذه الصفقة.

وجرى إنشاء مجموعات خاصة مدربة بسلاح المهندسين لإدارة هذه الطلمبات واستخدامها والتدريب عليها وعلى نماذج مماثلة للساتر الترابى الاسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة وتحت ظروف المعركة. وقد أقيمت هذه النماذج وجرى هذا التدريب فى عمق مصر وبعيدا عن متناول العدو وعن كل من ليس له علاقة بالأمر.

ولم تعلم القوات المسلحة بهذا السر أو بوجود هذا الحل الذى توصلنا إليه لمشكلة الساتر الترابى. وظلت هناك محاولات مستمرة للبحث عن حل لإيهام الجميع أننا مازلنا بعيدين عن حل هذه المشكلة.

ولم يكن ذلك هو السر الوحيد الذى خططنا للاحتفاظ به بعيدا عن متناول العدو لمفاجأته به فى يوم الاقتحام .. بل كانت هناك أسرار أخرى كثيرة.

وليس لديَّ الآن وأنا أتذكر هذه المرحلة سوى الشعور بالعرفان والتقدير لكل القادة والضباط والرجال الذين حافظوا على هذا السر طوال هذه الفترة ، والذين شاركوا بهذا الكتمان فى تحقيق عامل المفاجأة التى كانت أحد أهم أسباب نجاح المشهد الافتتاحى الرائع لمعركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

مع دعواتى لكم بدوام التوفيق.

فريق أول

محمد أحمد صادق

وزير الحربية

والقائد العام للقوات المسلحة سابقا

وحمدا لله على هذه الفرصة التى أُتيحت لى لنشر الحقيقة فى مواجهة الجميع ، وكان الاختيار أمامهم لإنكار هذه الحقيقة وذكر ما يخالفها، وبما أنهم قد صمتوا ، فقد أقروا بصواب ما أعلنتُه من معلومات ، هى الحقيقة بعينها.

❁ ❁ ❁

الفصل الثامن عشر

العمليتان « طارق بن زياد » و « حيفا »

فى بداية عام ١٩٧٢ ، وبعد انتهاء هيئة العمليات من وضع خطط المعركة المقبلة وفقا لما تم الاتفاق عليه مع رئيس الأركان ، قدم لى العميد أ.ح محمود عادل مدير مكتبى لشئون العمليات والمخابرات مذكرة تتضمن اقتراحا بعملية عسكرية كبيرة تشترك فيها كل من القوات الجوية والبحرية و وحدات من الصاعقة والإبرار الجوى والمظلات ولواء إبرار بحرى هدفها استرداد منطقة جنوب سيناء بعد الاستيلاء على شرم الشيخ.

كانت الفكرة واضحة ومقنعة ، وإطارها العام جيد ولم يكن وضعها موضع التنفيذ مستحيلا.

ورأيت التخطيط لهذه العملية بعيدا عن هيئة العمليات فى المرحلة الأولى حرصا على عدم تشتيت فكرها وجهدها ولكى تواصل إدخال التعديلات والإضافات التى تراها ضرورية على ضوء تغير إمكانيات القوات المسلحة أو تغير إمكانيات العدو ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر حفاظا على سرية هذه العملية فى هذه المرحلة.

واستدعيت العميد محمود عادل وكلفته بدراسة الفكرة وبحث الإمكانيات المطلوب توافرها على ضوء التخطيط الذى سيتحمل مسئوليته بالاشتراك مع عناصر محدودة من الإدارات والأسلحة المختلفة وبشرط ألا تعلم هذه الجهات شيئا عن هذه العملية.

واستجابة لاقتراح محمود عادل بتعيين قائد لهذه المهمة قررت تعيين العقيد أ.ح حسن الزيات من هيئة العمليات قائدا لها باعتباره من أفضل القادة المؤهلين لتحمل المسئولية، ولسجله العسكرى المشرف ، كما أنه من ضباط المظلات ويملك خبرات واسعة فى هذا المجال ووقع اختيار محمود عادل على كل من العقيد أحمد رجائى عطية من رجال المجموعة ٣٩ قتال ومن ضباط المدفعية أصلا قبل انضمامه لوحدات الصاعقة والمقدم بحرى إسلام توفيق من المجموعة ٣٩ قتال وكل من رجائى وإسلام له تاريخ فى العمل خلف خطوط العدو فى سيناء والنقب والضفة الغربية لنهر الأردن.

وهذه النواة الرئيسية هى التى وقع عليها عبء الدراسة والتخطيط فى المرحلة الأولى ثم تقرر ضم مندوبين من قوات الاقتحام الجوى وهيئة الإمداد والتموين.

وكان الإطار العام للخطة ، اشتراك وحدات من الصاعقة والمظلات والإبرار الجوى بالإضافة إلى لواء برمائى فى الهجوم على مناطق ومواقع محددة للسيطرة على منطقة جنوب سيناء بما فى ذلك قاعدة شرم الشيخ البحرية والجوية وقاعدة الطور الجوية على أن تعمل على تطهير المنطقة من الوجود المعادى ، وخلال ذلك يجرى دعم هذه القوات بأسلحة دفاع جوى وأسلحة مضادة للدبابات ، وتوفير ما تحتاجه من دعم جوى من قاعدة الغردقة الجوية.

ولطبيعة منطقة جنوب سيناء الشديدة الوعورة لانتشار سلسلة من الجبال والمرتفعات بها وعدم وجود طرق تسمح بالمناورة أو بسرعة التحرك البرى ، لن يتمكن العدو من دفع قوات برية كافية لاستعادة هذه المنطقة ، كما أن قواته البحرية ستواجه صعوبات فى العمل من خليج العقبة أو من خليج السويس إذا ما تمكنت القوات المهاجمة من تثبيت أوضاعها وإنشاء خطوطها ومواقعها الدفاعية ولا يتبقى للعدو إلا سلاحه الجوى المتفوق ، وهذا السلاح يمكن تحييده إذا ما تمكنت قوات الدفاع الجوى من دعم القوات المهاجمة مبكرا وتوفير الحماية لها.

وكان المخطط توفير الحماية فى المرحلة الأولى بواسطة الصواريخ المحمولة من طراز سام - ٧ « ستريلا» إلى أن يتم تحريك كتائب صواريخ من طراز سام - ٦ أو نقل بطاريات صواريخ من طراز سام - ٢ الثقيلة. وكان أمل المخططين توفير دفاع جوى بواسطة صواريخ سام - ٦ الأكثر قدرة على المناورة.

ومثل هذه الخطة التى أطلقنا عليها اسم «طارق بن زياد» يمكن وضعها موضع التنفيذ لمواكبة اقتحام القناة والتقدم لإنشاء رؤوس كبارى شرق القناة ، وبها يكفل تشتيت انتباه العدو ، وبعثرة قواه بشكل يضعف قدراته على شن هجوم مضاد قوى ومؤثر فى أى اتجاه.

والنجاح فى السيطرة على جنوب سيناء سيوفر الحماية للجانب الأيمن للقوات المصرية الموجودة شرق القناة وبالتالى لاتتوفر للعدو إمكانية تطويق هذه القوات من الجنوب ، وفى نفس الوقت كان البحر المتوسط يوفر الحماية للقوات المصرية من اتجاه الشمال ، ولا يبقى للعدو سوى أن يشن هجماته المضادة بالمواجهة ، وذلك يعد من

أصعب العمليات الهجومية، كما أن نجاح هذه العملية سيهدد الجانب الأيسر لقوات العدو فى سيناء ويفتح المجال أمام عمليات مضادة خلف خطوط العدو بشكل أفضل وسيسمح للقوات البحرية بالانتقال للعمل من قاعدة شرم الشيخ البحرية وباقى قواعد جنوب سيناء وسيغلق الطريق أمام الملاحة الإسرائيلية وفى نفس الوقت يمكن وضع هذه العملية موضع التنفيذ إذا ما رأت القيادة السياسية تأجيل خوض تجربة الحرب لأية أسباب تراها.

وعندما تبين لفريق التخطيط ان القوات البحرية التى ستتحمل مسئولية الابرار المائى تعانى من نقص فى قوارب الإنزال وعدد من الأجهزة والمعدات الأخرى ، تقرر تكليف المقدم بحرى إسلام توفيق بالسفر إلى فرنسا للعمل على سد هذا النقص من خلال قنوات فرنسية رحبت بالتعاون مع مصر ، وسبق أن استجابت لطلبات مصرية.

وواكبت عمليات الدراسة والتخطيط ، عملية تحديد الإمكانيات المطلوبة خلال مراحل العملية المختلفة ، وتحديد القوات التى ستتولى تنفيذ هذه المهمة تمهيدا لتدريبها لتأهيلها ورفع كفاءتها القتالية. وكانت التوجيهات أن يتم ذلك دون أن يؤثر على خطة الهجوم الرئيسية وما تتطلبه من إمكانيات وقوات.

وبعد أن نضجت الخطة ، حملت كل وثائقها وعرضتها على الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وأوضحت له الأهداف المتوخاة ، وإمكانية تنفيذها إما بشكل يواكب المعركة المرتقبة أو كعملية مستقلة. واستمع السادات باهتمام ، وناقش حتى أدق التفاصيل ، وطلب الاستمرار فى الإعداد والتخطيط.

وعندما أوضحت له أن العملية يتم الإعداد لها سرا وبشكل لايؤثر على الإعداد للمعركة ، أقر ذلك ورأى أن سرية هذه العملية أمر يخدم سرية التخطيط للمعركة وفى نفس الوقت لايعمل على تشتيت أذهان أو أفكار المخططين.

وبعد إقالتى فى أكتوبر ١٩٧٢، تم صرف النظر عن هذه العملية لأسباب منها ، أنها مكلفة وستؤثر بشكل سلبى على خطط اقتحام قناة السويس كما أنها تتطلب إمكانيات لايمكن توفيرها فى ظل الاستعداد للمعركة وبكل مايتطلبه ذلك من دعم إمكانيات وقدرات المهاجمين.

العملية «حيفا»

كانت حيفا تمثل هدفا حيويا باعتبارها الميناء الاسرائيلى الرئيسى على البحر المتوسط والقاعدة البحرية الكبرى ومنطقة تكرير البترول الرئيسية . وكان الهجوم عليها من بين الخطط المكملة لخطة العمليات .

وقد شاركت المجموعة ٣٩ قتال فى وضع خطة الهجوم بالتعاون مع هيئة العمليات بصفتها القوة التى سوف تنفذ العمل . وبعد استكمال التخطيط ، وحساب الاحتياجات، بدأت مرحلة التدريب على وضع الخطة موضع التنفيذ .

۞ ۞ ۞

وكان من بين الاهداف التى راعتها الخطة عدم تحميل أعباء على القوات البحرية. ومبكرا بدأت عملية تشوين الذخائر والآسلحة والمعدات فى احدى المناطق المجاورةللهدف وبصورة سرية للغاية ، مع فرض نطاق تأمينى عليها . وفى اطار الاستعداد قامت قيادة المجموعة ٣٩ قتال باستطلاع منطقة العمليات ومنطقة التشوين القريبة من الحدود الاسرائيلية . ولم يكن وضع الخطة موضع التنفيذ يتطلب أكثر من سفر مجموعة التنفيذ جوا والانتقال إلى منطقة تشوين الأسلحة والذخائر والمعدات . وطوال فترة الاستعداد تواصلت عمليات جمع المعلومات ورصد تحركات العدو وخطط الحراسة.

وقد تم صرف النظر أيضا عن هذه العملية لنفس أسباب صرف النظر عن عملية طارق بن زياد .

۞ ۞ ۞

الحرب المحدودة

فى العدد رقم ٤١٩ من «مجلة أكتوبر» الصادرة فى الرابع من نوفمبر عام ١٩٨٤ ، أوضحت وجهة نظرى حول خطة الوصول إلى مضايق سيناء التى شكلت نقطة الخلاف الرئيسية بينى وبين السادات أثناء التخطيط لمعركة أكتوبر ١٩٧٣ ، بمعنى آخر التخطيط لمعركة اقتحام المانع المائى ومواجهة العدو و تدمير التجمع الرئيسى لقواته فى سيناء وكسر نظرية الأمن الإسرائيلية وإنشاء رؤوس كبارى شرق القناة.

وبقدر ما تسمح به مساحة مقال ، حاولت إلقاء الضوء على الأسباب التى كانت وراء تبنى هذه الخطة ، والمخاوف التى أدت إلى اعتراضي على خطة ومنطق إنشاء رؤوس كبارى شرق القناة مباشرة دون الوصول إلى خط المضايق.

وبما أن المعركة قد تمت بنجاح عظيم ، وحققت العسكرية المصرية واحدا من أروع انتصاراتها فى مواجهة عدو متفوق كما وكيفا وفى سجله ثلاثة انتصارات عسكرية فى ثلاث معارك متتالية دارت خلال أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، فقد كان ممكنا النظر فى النتائج ومعرفة الأسباب التى أدت اليها.

وكان عنوان المقال الرد :

الحرب المحدودة هل هى ممكنة ؟

قرأت بالعدد ٤١٥ من مجلتكم مقالا بعنوان «السادات المفترى عليه فى حرب أكتوبر» للأستاذ الدكتور عبدالعظيم رمضان أستاذ التاريخ بجامعة المنوفية.

وللأستاذ الدكتور رمضان الحق فى الدفاع عن السادات كيفما شاء وبكل الوسائل التى منحها الله له ، ولكن ليس من حقه الافتراء على الآخرين من أجل تحقيق أهدافه.

ولقد سبق أن قرأت للأستاذ رمضان مقالات عن الحرب وحرب الاستنزاف ، تضمنت كثيرا من الأخطاء الجسيمة التى لا يقع فيها مؤرخ ، وانتظرت أن تتولى وزارة الدفاع تصحيح هذه الأخطاء ، فتلك مسئوليتها ، وبالتالي لم أحاول أن أرد على الكاتب أو على غيره ممن عالجوا هذه القضايا ، وامتد التزامى بعدم الرد إلى مذكراتى ، ومازلت

واحدا من القلائل الذين أتاحت لهم الأقدار المشاركة فى حمل المسئولية خلال فترة من تاريخ مصر ، والذين لم ينشروا مذكراتهم بعد لا فى الداخل أو فى الخارج ، ومازلت أحتفظ بها ليوم يكون مناسبا ، أرجو أن يكون قريبا لأدلى بشهادتى أمام التاريخ ، وإن لم يأت هذا اليوم فى حياتى فتلك مسئولية أولادى من بعدى. وأقول للدكتور رمضان إن أية دولة يمكنها أن تبدأ الحرب ، ولكن أبدا لا تستطيع أن تقدر متى تنتهى. وإذا أراد دليلا ومثالا حيا فليتجه ببصره إلى الحرب العراقية الإيرانية.

وهذه السطور رد على مقولته الخاصة بنظرية الحرب المحدودة ، ولذا فعلى الجانب الذى يبدأ الحرب عليه أن يضع فى حسابه أن يستثمر النجاح الذى يحققه فى البداية للوصول إلى خط دفاعى يستند إلى مواقع طبيعية ليكون قادرا على مواصلة الحرب ، إلى أن يتحقق وقف إطلاق النيران ، ومن خلف هذا الخط يعد كل قواه العسكرية والمدنية لتحمل الضغوط العسكرية المتمثلة فى هجمات مضادة متواصلة للاختراق وتدمير رؤوس الكبارى ، التى يكون قد نجح فى إنشائها وفى ضربات قد توجه إلى أهدافه المدنية لتحقيق خسائر يمكنها أن تولد ضغوطا مؤثرة على القرارين السياسى والعسكرى. وهذا الاحتمال لا يمكن تجاهله أبدا أيا كانت الضمانات أو الاتفاقات التى يجرى ترتيبها سرا فى الشارع الخلفى أو التى تتقرر فى الدهاليز المظلمة للسياسة. وبالنسبة لمصر فإن إطلاق الحرب من عقالها وتنفيذ خطة الاقتحام المدبر للمانع المائى وخط بارليف الحصين ، كان يتطلب بعد إنشاء رؤوس الكبارى مواصلة التقدم السريع لبعض الوحدات المدرعة والمشاة ، لاحتلال منطقة المضايق الحاكمة فى سيناء.

فهذه المضايق هى الخط الدفاعى الأول والرئيسى عن منطقة القناة ، وكانت جميع خطط العمليات تتضمن الأسلوب الملائم لتحقيق هذا الهدف.

والدليل أنه تم فعلا خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ إسقاط المظلات وجنود الصاعقة فى المضايق وكانت هذه القوات علاوة على واجبها الرئيسى تمنع و تؤخر تدخل احتياطى العدو التعبوى الموجود فى العمق فى عمليات قواتنا حتى يتم العبور الكامل.

وقد ظل الإطار الإستراتيجي للفكر العسكرى المصرى محكوما بإمكانات القوات المسلحة فى ميدان التسليح ، أى أن التفكير فى حرب شاملة لتحرير كل الأراضى المحتلة فى سيناء لم يكن مطروحا مادام ميزان القوى لصالح إسرائيل ، وظلت قدرة مصر على الحصول على الاحتياجات المطلوبة لمثل هذه الحرب رهن سياسات الاتحاد السوفيتي.

وليس بخاف أن القادة السوفيت كانوا ضد فكرة نشوب حرب جديدة بين القوى العربية وإسرائيل ، وبالتالي فإن ما يطرحه الدكتور رمضان عن فكرة الحرب الشاملة وإننى كنت من أنصارها لا علاقة له بالواقع وغير صحيح برغم أن جميع خطط الهجوم كانت تشمل الوصول للحدود كمرحلة ثانية.

وأقول للدكتور رمضان الآتى :

أولا : كان يجب على السيد الدكتور المؤرخ إذا كان يسعى إلى الحقيقة أن يسألنى ويسأل باقى القادة الذين أبدوا وجهات نظرهم ، ولا أقول عارضوا. فالقاعدة أن الجنود والضباط والقادة لا يعارضون قياداتهم ، وواجب القادة أن يوضحوا ويشرحوا آراءهم و وجهات نظرهم التى هى حصاد سنوات طويلة من الدراسة والحرب والخبرة ولرئيس الدولة أن يتخذ بعد ذلك القرار وفق حساباته وعلى مسئوليته ، وأن يعلن القادة رأيهم ، فذلك لصالح مصر وهذه شجاعة أدبية تحسب لهم وليست موقفا للاستغلال أو للتشويه أيا كانت الأسباب.

ثانيا : إننى أحتفظ بنسخة من محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ ومستعد لنشره لو سمحت القيادة العسكرية الحالية بذلك ، وكنت قد حرصت بعد انتهاء الاجتماع على إصدار الأمر بتوزيع محضر هذا الاجتماع ، وفى نفس الليلة على قيادات القوات المسلحة ، ليكون الجميع على بينة من حقيقة الموقف ، ومن البديهى أن يدرك الدكتور المؤرخ أن ما نشر عن هذا الاجتماع ليس سوى صورة محرفة ومجافيه للحقيقة. وكان الهدف من نشرها تبرير وجهة نظر رئيس الجمهورية وتشويه صورة كل من أبدوا وجهات نظرهم فى مواجهته.

ثالثا : أما عن أصل الموضوع فقد حضر السيد رئيس الجمهورية قد حضر إلى مكتبى بكوبرى القبة فى إحدى الليالي ليقول لى: «يا محمد أنا عاوزك تعبر القناة وأنت دايما تقول إنك قادر على تحقيق ذلك وأن تأخذ لى مترا واحدا من الضفة الشرقية وبعد ذلك نطبل ونزمر ونسكت العيال».

فقلت له: «يا ريس أنا لست مستعدا للمغامرة بسمعة القوات المسلحة وقيادتها إلى مغامرة فاشلة نتيجة قرار خاطئ جدا من الناحية العسكرية».

وسألته : «من قال لك إن العدو سيتركنى أنعم بهذه المساحة ، إن أحدا لا يستطيع أن يبدأ الحرب وينهيها بالدعاية الجوفاء ، وكفانا ما حدث لنا من قبل».

وأحضرت مجموعة الخرائط التى تمثل سيناء وعليها مواقع العدو وفرشتها على الأرض وشرحت له الموقف وطبيعة مسرح العمليات وما يفرضه من تخطيط للنجاح ، ثم قلت له بالحرف الواحد : « العبور سيتم بإذن الله على أكمل وجه ، وجميع صعوبات العبور الحمد لله تغلبنا عليها ، أما خط بارليف فلن أهاجم إلا النقط الحصينة التى تؤثر على خطة الاقتحام وأجناب القوات العابرة ، ثم تنطلق بعض القوات المدرعة والمشاة الميكانيكية إلى المضايق الثلاثة ، وفى نفس الوقت سنسقط المظلات والصاعقة وقوات الاقتحام الجوى فوق المضايق لمنع احتياطى العدو التعبوى الموجود فى العمق من التدخل فى المعركة ، والتمسك بالمضايق لحين وصول القوات المدرعة والمشاة المدعمة لها.

وسيجرى إنشاء رؤوس الكبارى ودعمها وستستند إلى القناة وتحتمى خلف الخط الدفاعى المرتكز على المضايق ، وسيجرى نقل بطاريات صواريخ الدفاع الجوى إلى شرق القناة لحماية القوات البرية من أية هجمات جوية معادية بالإضافة طبعا إلى وحدات الدفاع الجوى الذاتية الحركة ، والكل تحت مظلة القوات الجوية» . وشرحت للرئيس طبيعة الأرض فى سيناء على الضفة الشرقية وقلت له: «إن الوقوف قبل المضايق لن يمكننا من إنشاء خط دفاع قوى ، ويمكن للعدو حشد قواته واختراق دفاعاتنا وعبور القناة للغرب وتطويق قواتنا المهاجمة» . وذكرت له أنه فى حالة ذلك - لا قدر الله - سيكون التطويق فى اتجاه الجنوب ، لأن شمال الإسماعيلية لا يصلح لعمليات التطويق. وبعد ذلك شرحت له موقف الحماية الجوية، وقلت له إن مائة طائرة مقاتلة قاذفة ذات مدى طويل تكفى لحماية قواتنا حتى الوصول للمضايق ، علاوة على ما لدينا من طائرات سوفيتية. وقدمت له عرضا من بريطانيا ببيع ١٠٠ طائرة جاجوار وهى مقاتلة لا تقل عن الفانتوم ، وتفى جدا بالغرض. ودهش الرئيس ووافق ثم اعتذر رئيس الوزراء بعدها بأيام بضيق ذات اليد ، فعرضت عليه اقتراحا أن أجمع المبلغ من القادة العرب الأثرياء ، فرفض قائلا إن هذا « شغله هو» .

وخلال زيارة عمل للسعودية والكويت وافقت الدولتان على تسليم مصر ٨٠ طائرة من طراز «لايتنج» القاذفة المقاتلة. ووافقوا على إدخال التعديلات التى طلبتها لزيادة فعاليتها ومداها وقدرتها على حمل القنابل ، مما كلف الدولتين مئات الملايين من الدولارات، واستكمالا للبرنامج أرسلت ٢٠٠ طيار وفنى للتدريب على هذه الطائرات، وفعلا أتموا التدريب يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢. والسؤال لماذا لم تدخل هذه الطائرات

المعركة؟ ولماذا نسى السادات أو تناسى وجودها ، ولم يطلب إحضارها وضمها للقوات الجوية؟ هذه الطائرات كانت كفيلة بتحقيق حماية أفضل لقواتنا شرق القناة حتى المضايق.

لقد كان الحوار الذى تم بينى وبين السادات حول الحرب قبل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ بمدة طويلة. وقد خرج السادات وهو مقتنع تماما بكل ما قلته له. وقد عبر عن اقتناعه وعبرت له أننا سنكون قادرين على بدء المعركة أوائل عام ١٩٧٣ بشرط أن نستوفى مرتباتنا من الذخيرة ، وبعد وصول الكبارى السريعة التى كنا تعاقدنا عليها.

رابعا : إننى أعترف أنى أبديت آراء تخالف رأى الرئيس السادات فى بعض المواقف، وكنت وأنا أبدى هذه الآراء أهتدى بدينى وصالح مصر مستفيدا وحذرا مما حدث لنا من أخطاء قبل ذلك ، وفى كل مرة كنت أضع استقالتى أمام الرئيس بكل الاحترام الواجب لأتيح له فرصة اختيار من يراه مناسبا ، وفى كل مرة كان يرفض قبولها !

وخلال اجتماع المجلس الأعلى لم أتقدم برأى ولم أتكلم ، وتركته ليستمع للقادة بدون تدخل منى ، ويعلم الله وحده أنى لم أفرض رأيى على أحد من القادة والحمد لله معظمهم أحياء ويعلمون الحقيقة فى هذا الموضوع الذى شوهه بعض الكتاب عن عمد.

وفى نهاية الاجتماع قلت للرئيس أمام الجميع « إنك ياسيادة الرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة ونحن جميعا ملتزمون بتنفيذ أى أمر سوف تصدره وكل ما قلناه من آراء و وجهات نظر .. لك أن ترى عكسه ، وعندما تصدر الأمر فإننا سننفذه كجنود ، وبعد الاجتماع دعانى إلى قدح من القهوة فى مكتبه ، وهنا عاتبته على انفعاله ضد القادة الذين تكلموا وقلت له لماذا عقدت المجلس إذا لم تكن تريد أن تسمع آراء ؟ فطلب منى إحالة بعض القادة الذين أبدوا رأيا مخالفا لما يعتقده إلى المعاش ..

فاعتذرت وقلت لسيادته «لا يمكننى أن أفعل عملا أنا غير مقتنع به ، وعرضت عليه استقالتى فرفض وقال لى : «أنا عاوزك تسافر سوريا غدا أو بعد غد وتحمل رسالة إلى الرئيس حافظ الأسد» ، فرجوته أن يعهد بها إلى شخص آخر لأن لديَّ عملا هاما يحتاج إلى وجودى فى القاهرة.

خامسا : أرجو أن يتسع صدر الدكتور المؤرخ للمثال التالى لتقريب الموقف إلى ذهنه لو أن الحلفاء قد توقفوا بعد نجاحهم فى إنشاء رأس كوبرى فى «نورماندى» وقاموا بالدعاية اللازمة لتقدم فون رونشتد القائد الألمانى وقذف بهم إلى البحر بسهولة.

ويقينا فإن اقتحام المانع المائى المدبر واكتساح خط بارليف يعد من أصعب مراحل الحرب ، وسيظل تعبيرا عن عظمة الجندية والجندى المصرى ، وصورة مشرفة لكفاءة التخطيط والتدريب ، الذى استمر وتواصل ليلا ونهارا لما يقرب من أربع سنوات.

وكان اكتمال العمل من وجهة نظرى يتطلب سرعة التقدم حتى المضايق والاستناد إلى هذه المواقع الطبيعية فى الموقع الدفاعى.

وللأسف فإن الرئيس السادات كان مقتنعا ويصر على التوقف بعد إقامة رؤوس الكبارى شرق القناة، وتحريك القضية سياسيا بعد ذلك، وأنا شخصيا لو كان لدى أى شك فى نجاح هذا الرأى لقمت بتنفيذه من عام ١٩٧١.

سادسا : هل يعلم الدكتور رمضان إن السادات بدأ الحرب وليس لدى القوات المسلحة من الذخيرة إلا ما يكفى ثلاثة أيام قتال جاد ، ولقد اعترف بذلك فى أحاديثه الصحفية والتليفزيونية.

وعندما أوضح له الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية خطورة بدء الحرب والقوات المسلحة ليس لديها سوى خط ونصف خط ذخيرة قال الرئيس السادات : «إنه سيعمل على توفير الذخيرة اللازمة بالطائرات بعد بدء القتال» ، فرد عليه الفريق عبدالقادر موضحا أن خط ذخيرة واحدا يحتاج نقله إلى حوالى ١٣ سفينة متوسطة الحمولة وإن نقله بالطائرات يعنى تفرغ أسطول جوى يضم مئات الطائرات.

وكنت شخصيا قد أوضحت للرئيس على انفراد أن دولة ما وجيشا ما ، لا يخاطر بدخول الحرب قبل أن يتوافر لديه من الذخيرة ما يكفى لقتال ١٥ يوماً على الأقل إذا لم تكن لديه مصانع ذخيرة للإمداد المستمر إلا أنه لم يقتنع.

وأضيفت نقطة جديدة إلى نقاط الخلاف مع السادات.

سابعا : ياسيادة المؤرخ لقد بدأت الحرب ضد الوجود الإسرائيلي فى سيناء من يونيه ١٩٦٧ وكمدير لإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع شكلت مجموعة خاصة تضم متطوعين من الضباط والجنود من مختلف الأسلحة. هذه المجموعة بدأت فى تنفيذ عمليات خاصة ضد العدو وخلف خطوطه فى سيناء وحتى قبل أن يتم الجيش استعداده للدفاع على الضفة الغربية ، وقد تجاوزت هذه العمليات المائة عملية، وهذه العمليات هى التى ساعدت على تدمير صورة الجيش الإسرائيلي التى رسخت فى أذهان الجنود بعد يونيه ١٩٦٧ وهى التى شجعت الآخرين على الاقتداء بها، كما كانت الأساس لإعداد

خطة اقتحام القناة التى بهرت العالم ، إن كل غارة زودتنا بمعلومات تفصيلية وقيمة عن كل موقع.

ولقد برز فى هذه العمليات المحارب والقائد الشجاع العميد أركان حرب ابراهيم الرفاعى ، هذا القائد الفذ الذى تجاهله الجميع بعد تركى للقوات المسلحة ، ثم استدعوه عندما حدثت الثغره، وأرسله أحمد إسماعيل فى مأمورية برأس كوبرى العدو فى الدفرسوار ولكن سعد الشاذلى رئيس الأركان لم يجد له مهمة قتالية سوى نصب كمين للدبابات الإسرائيلية غرب القناة ، معتمدا على تسليحه بسلاح فردى للدبابات ، وهى مهمة يمكن أن يقوم بها جندى عادى وليس قائد الفدائيين ، ودفع هذا القائد حياته ثمنا لخطأ رئيس الأركان ، وخسرت مصر واحدا من أبرز أبطالها وقادتها.

ثامنا : من تاريخنا المعاصر أحب أن أقول للمؤرخ د. رمضان إنه لو توافر القائد الذى يعلن وجهة نظره أمام رئيس الدولة ، ابتداء من يوليو ١٩٥٢ لكانت مصر قد تجنبت مآسى كثيره منها :

١ - لقد كانت ترقية المرحوم عبدالحكيم عامر من رتبة رائد أو مقدم إلى رتبة اللواء ومنصب القائد العام خطأ جسيما جدا ، فهو كقائد عام ظن أنه قادر على إعطاء القرار الصحيح فى فن الحرب وكان ذلك من الأسباب الرئيسية لنكبتنا فى ميادين القتال . وفى يونية ١٩٦٧ لو استمع المشير عامر إلى وجهة نظر رئيس هيئة العمليات ، لما أصدر أمر الانسحاب المشئوم الذى أدى إلى تدمير الجيش بهذه الصورة المزرية، وما نكبت مصر بأفدح هزيمة فى تاريخها العسكرى ، هذه الهزيمة التى تحملت القوات المسلحة وزرها صابرة وهى بريئة منها.

٢ - لو كان هناك قادة استطاعوا أن يوضحوا لعبدالناصر أن حشد القوات المسلحة ا فى سيناء فى مواجهة الإسرائيليين فى يونيه ١٩٦٧ وبعد خمس سنوات من الصراع من والذى قضى على زهرة شباب مصر وأفضل معدات وأسلحة القوات أ كل الخطأ لتجنبت مصر ويلات ١٩٦٧ وما بعدها.

إ... الحربية خلال هذه الفترة عارضت فى صحة المعلومات التى ... حشود للعدو الإسرائيلي أمام الحدود السورية وبناء على ... ئيس الأركان وبصحبته أحد كبار ضباط المخابرات لو أن... ، ولم يجدوا شيئا إلا أن القيادة العسكرية ممثلة فى بالدعاية ... ر أصرت على وجهة نظرها.

عندما أبلغنى الفريق فوزى أن مصر قررت سحب قوات الأمم المتحدة، قلت له إن ذلك معناه الحرب حتما.. وسألته هل نحن مستعدون لها ؟ ولم يجب الفريق فوزى وطلب منى التنفيذ وإرسال ضابط بهذه الرسالة طبقا لأوامر القيادة .. وهكذا سارت مصر إلى طريق الهاوية ، لأن القادة اختاروا أن يكتموا رأيهم خشية البطش أو الإقالة أو طمعا فى المناصب ، ولأن كلا من عبدالناصر وعامر لم يستمعا لمن أبدى وجهة نظره فقد حدث ما حدث.

٣ - ليت كان هناك بين القادة من امتلك شجاعة إبداء الرأى للرئيس عبدالناصر، وأوضح له أن إرسال القوات المسلحة إلى اليمن إنما هو خطوة لتدمير القوات المسلحة المصرية ، لفكر عبدالناصر وعامر مرتين قبل أن يرتكبا هذا الخطأ الجسيم.

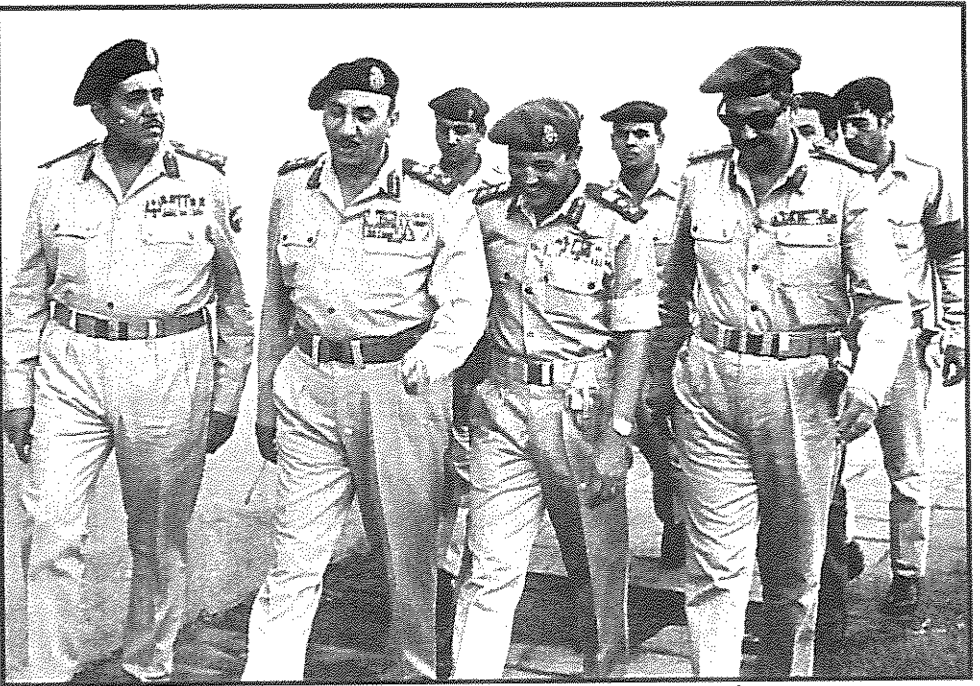
تاسعا : وأعود إلى معركة أكتوبر ٧٣ وأقول للدكتور رمضان هل تعلم ياسيدى أنه كنتيجة لعدم الاستماع لآراء القادة المختصين ، تمكن العدو بعد أن استوعب صدمة المفاجأة ونجاح العبور الكبير الذى حققته القوات المصرية من شن هجوم مضاد ناجح للأسف ، واختراق رؤوس الكبارى المصرية بين حدود الجيشين ووصل بذلك إلى الضفة الغربية للقناة؟.

وكانت القيادة العامة طوال عام ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ قد تصورت عند التخطيط بل حددت منطقة الدفرسوار كأنسب منطقة من وجهة نظر العدو للاختراق ، و وضعنا لها الحل اللازم ، وهو تدريب الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية لمدة أكثر من عام كامل على صد الاختراق وتدمير قوات العدو التى عبرت كما تصورناها والخطة ما زالت موجودة فى هيئة العمليات ، ولو نفذت لفشل العدو ودمرت قواته بالثغرة .

فهل أستأذنك كمؤرخ أن تبحث عن المسئول الذى دفع بهذه القوة إلى الأمام ، ثم أمر بدفع الاحتياطي العام إلى الشرق ، ولم يجهز احتياطيا بدلا منه كما تقضى أبسط قواعد الحرب.. إن الحجج التى قدمت لمساعدة سوريا لا محل لها فى فن الحرب وإدارة المعركة...

يا سيدى إذا أردنا أن نتعلم من دروس الماضى فيجب أن نواجهه ، ونذكر أخطائنا بشجاعة ورجولة.

إن الله وحده هو الذى أنقذنا دون أن ننسى أهمية إقدام السوفييت على حشد قواتهم المنقولة جوا فى منطقة القرم، وبصورة تسمح للآخرين بالتصوير والإدراك بأنهم جادون فى إرسال هذه القوات إلى منطقة القتال ، مع الإنذار الشديد اللهجة الذى قدم للأمريكان.



الفريق أول صادق يتوسط الفريق الشاذلي والفريق عبد القادر حسن

كم وددت ألا أتكلم وأن أحتفظ بأحزانى لولا ما كتبه الدكتور رمضان المؤرخ العسكرى الذى لم يكتف بالأحداث بل امتد قلمه لينال من عدد من أفضل القادة العسكريين فى مصر وهم الفريق عبدالقادر حسن ، واللواء على عبدالخبير، واللواء بحرى محمود فهمى عبدالرحمن ، ومن سجل أعمال هؤلاء القادة العظام سأختار صفحة تكشف عن حقيقة معدنهم وانهم من خير من أنجبتهم مصر من عسكريين.

فالفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية هو القائد المصرى الوحيد الذى توغل داخل أرض العدو بقواته لأكثر من ٥٠ كيلو مترا فى اتجاه ميناء إيلات فى يونيه ١٩٦٧، ساحقا كل القوات الإسرائيلية التى واجهته ، ولولا أمر الانسحاب الذى لم يكن له داع لدخل بقواته ميناء إيلات وحقق الأهداف المحددة له فى الخطة.

كما قام وهو قائد الجيش الثالث بعملية رائعة لموقع العدو الحصين فى منطقة لسان بورتوفيق وفى وضح النهار ، وتمكن من قتل جميع أفراد العدو فى المواقع الذين كانوا يدافعون عن اللسان ويشتركون فى قصف مواقعنا وأهدافنا المدنية ، ولقد عاد بقواته بدون خسائر وكان نجاحه فى المفاجأة إلهاما لنا بالتخطيط للهجوم نهارا.

أما اللواء على عبدالخبير فقد كان قائدا لإحدى الكتائب الموجودة فى منطقة أبوعجيلة عام ١٩٥٦، وقد تمكن بهذه الكتيبة من إيقاف تقدم قوات العدو المدرعة لمدة ثلاثة أيام ومنع تقدمها فى اتجاه القناة برغم تفوقها الكبير.

وعندما تحمل مسئولية القوات المصرية فى اليمن تمكن من تصحيح مسار الحرب وفقا لظروف المسرح وطبيعة الأرض، وكان الرئيس السادات مسئولا وقتذاك عن إدارة الحرب من الناحية السياسية.

أما اللواء بحرى محمود فهمى عبدالرحمن فهو مفخرة البحرية المصرية، فلو أننا دققنا فى عملية إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات لوجدنا أنه مفتاح هذه العملية الرائعة وهذا النصر . وهذا القائد هو الذى وضع خطة قيام الأسطول المصرى بقصف القوات الإسرائيلية بسواحل غرب سيناء عام ١٩٦٩ ، وكانت العملية مفاجأة كبيرة للعدو وأسفرت عن خسائر كبيرة له فى المعدات والأرواح ، وعادت كل القطع البحرية التى اشتركت فى الهجوم إلى قواعدها بالأسكندرية سالمة . ولن أحدثك عن إغراق القطع البحرية للعدو فى إيلات.

ياسيدى المؤرخ إن هؤلاء قادة أفذاذ تفخر بهم العسكرية المصرية ، ومن حقهم أن يشرحوا وجهات نظرهم أمام السيد رئيس الجمهورية ولا أعتقد أن هناك عاقلا يرى فى هذا عيبا ، أو خروجا على المألوف أو حدود اللياقة.

كلمة أخيرة للدكتور رمضان : إن ما تكتبه لا يقرأه المدنيون فقط بل يقرأه العسكريون أيضا ، سواء الذين أنهوا خدمتهم أو الذين مازالوا يؤدون واجبهم وكلهم يعرفون الحقيقة بكل تفاصيلها. فقد كنت حريصا على أن أحيط القادة والجنود كل وفق رتبته ومستواه القيادى ، علما بالحقائق لأرفع روحهم المعنوية وليشعروا إن مصر تخص كل فرد .

إن السيد الرئيس السابق انور السادات بين يدى الله أعدل الحاكمين..

وسأكون وسنكون جميعا بين يدى الله عندما يحين وقت الانتقال وفقا لمشيئته ..

فإذا لم نكن نخشى العباد .. أفلا نخشى الله ؟



الحرب المحدودة
.. هل هي ممكنة ؟!

قرأت بالعدد ٤١٥ من مجلتكم مقالا بعنوان « السادات المفترى عليه في حرب أكتوبر » للأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان أستاذ التاريخ بجامعة المنوفية .

وللأستاذ الدكتور رمضان الحق في الدفاع عن السادات كيفما شاء وبكل الوسائل التي منحها الله له ، ولكن ليس من حقه الافتراء على الآخرين من أجل تحقيق أهدافه .

ولقد سبق أن قرأت للأستاذ رمضان مقالات عن الحرب وحرب الاستنزاف ، تضمنت كثيرا من الأخطاء الجسيمة التي لا يقع فيها مؤرخ ، وانتظرت أن تتولى وزارة الدفاع تصحيح هذه الأخطاء ، فتلك مسئوليتها ، وبالتالي لم أحاول أن أرد على الكاتب أو على غيره ممن عالجوا هذه القضايا ، وأمسك التزامي بصمم الرد إلى مذكراتي ، ومازلت واحدا من القلائل الذين تتحدث لهم الأقدار المشاركة في حمل المسئولية خلال فترة من تاريخ مصر ، والذين لم ينشروا مذكراتهم بعد لا في الداخل أو في الخارج ، ومازلت أحتفظ بها ليوم يكون مناسبا . أرجو أن يكون قريبا لأدلي بشهادتي أمام التاريخ ، وإن لم يأت هذا اليوم في حياتي فتلك مسئولية أولادي من بعدي . وأقول للدكتور رمضان إن أية دولة يمكنها أن تبدأ الحرب ، ولكن أبدا لا تستطيع أن تقدر متى تنتهي ، ولذا أراد دليلا ومثالا حيا فليتجه ببصره إلى الحرب العراقية الإيرانية .

وهذه السطور رد على مقولته الخاصة بنظرية الحرب المحدودة ، ولذا فعلى الجانب الذي يبدأ الحرب أن يضع في حسبانه أن يستثمر النجاح الذي يحققه في البداية للوصول إلى خط دفاعي يستند إلى مواقع طبيعية ليتحرك من خلفه ليكون قادرا على مواصلة الحرب ، إلى أن يتحقق وقف إطلاق النيران ، ومن خلف هذا الخط يعد كل قواته العسكرية والمدنية لتحمل الضغوط العسكرية المستقلة في هجمات مضادة متواصلة للاختراق وتدمير رءوس الكباري ، التي [illegible] في إنشائها وفي ضربات قد توجه إلى أهدافه المدنية لتحقيق خسائر يمكنها أن تولد ضغوطا مؤثرة على القرارين السياسي والعسكري . وهذا الاحتمال لا يمكن تجاهله أبدا أيا كانت الضمانات أو الاتفاقات التي تترتب سرا في الشارع الخلفي أو التي تنفرد في الدهاليز المظلمة للسياسة . وبالنسبة لمصر فإن إطلاق الحرب من عقالها وتنفيذ خطة الاقتحام المدبر للمانع المائي وخط بارليف الحصين ، كان يتطلب بعد إنشاء رءوس الكباري مواصلة التقدم السريع لبعض الوحدات المدرعة والمشاة ، لاحتلال منطقة المضايق الحاكمة في سيناء .

فهذه المضايق هي الخط الدفاعي الأول والرئيسي عن منطقة القناة ، وكانت جميع خطوط العمليات تتضمن الأسلوب الملائم لتحقيق هذا الهدف .

والدليل أنه تم فعلا خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ إسقاط المظلات وجنود الصاعقة في المضايق ، وكانت هذه القوات علاوة على واجبها الرئيسي تمنع تدخل احتياطي العدو التعبوي الموجود في العمق في عمليات قواتنا حتى يتم العبور الكامل .

وقد ظل الإطار الاستراتيجي للفكر العسكري المصري محكوما بإمكانات القوات المسلحة في ميدان التسليح ، أي أن التفكير في حرب شاملة لتحرير كل الأراضي المحتلة في سيناء لم يكن مطروحا مادام ميزان القوى لصالح إسرائيل ، وكانت قدرة مصر على الحصول على الاحتياجات المطلوبة تخضع [illegible] ومن سياسات الاتحاد السوفيتي .

وليس بخاف أن القادة السوفييت كانوا ضد فكرة نشوب حرب جديدة بين القوى العربية وإسرائيل ، وبالتالي فإن ما يطرحه الدكتور رمضان عن فكرة الحرب الشاملة والتي كنت من أنصارها لا علاقة له بالواقع وغير صحيح برغم أن جميع خطط الهجوم كانت تشمل الوصول للمضايق كمرحلة ثانية

وأقول للدكتور رمضان الآتي :

أولا : نعم ياسيدي لقد أوضحت رأيي للسيد رئيس الجمهورية فيما يتعلق بالمعركة وضروراتها ومستلزماتها بمعلومات سيادته العسكرية أو القيادية لم تكن تسمح له باتخاذ قرار سليم . فمدة خدمته بالقوات المسلحة لا تتجاوز أصابع اليد الواحد ، وقد أمضاها في سلاح الإشارة من مدة طويلة .

ثانيا : كان يجب على السيد الدكتور المؤرخ إذا كان يسعى إلى الحقيقة أن يسألني ويسأل باقي القادة الذين أبدوا وجهات نظرهم ، ولا أقول عارضوا ، فالحقيقة أن الجنود والضباط والقادة لا يعارضون قياداتهم ، وواجب القادة أن يوضحوا ويشرحوا آراءهم ووجهات نظرهم التي هي حصاد سنوات طويلة من الدراسة والحرب والخبرة ولرئيس الدولة أن يتخذ بعد ذلك قرارا وفق حساباته وعلى مسئوليته .

وأن يعلن القادة رأيهم ، فذلك لصالح مصر وهذه شجاعة أدبية تحسب لهم وليست موقفا للاستغلال أو للتشويه أيا كانت الأسباب .

ثالثا : إنني أحتفظ بنسخة من محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ وسمحت لنشره لو سمحت القيادة العسكرية الحالية بذلك ، وكنت قد عزمت بعد انتهاء الاجتماع على إصدار الأمر بتوزيع محضر هذا الاجتماع ، وفي نفس الليلة على قيادات القوات المسلحة ، ليكون الجميع على بينة من حقيقة الموقف ، من البديهي أن يدرك الدكتور المؤرخ أن ما نشر عن هذا الاجتماع ليس سوى صورة محرفة وعدائية للحقيقة ، وكان الهدف من نشرها تبرير وجهة نظر رئيس الجمهورية وتشويه صورة كل من أبدوا وجهات نظرهم في مواجهته .

وقد كان الهدف من الاجتماع أن يستمع القائد الأعلى إلى حقيقة الموقف من القادة وإلى آرائهم وأفكارهم فالقادة العسكريون الذين أمضوا حياتهم بين الحرب والقتال ، ليسوا حفرا في ديكور [illegible] ، ليس لهم من دور سوى تنفيذ ما يقال على مصطبة [illegible] .

رابعا : أما عن أصل الموضوع فقد حضر السيد رئيس الجمهورية السابق إلى مكتبي بكوبري القبة في [illegible] ليقول لي : يا محمد أنا [illegible]

فريق أول
محمد أحمد صادق

العدد ٤١٩ - الأحد ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ - أكتوبر

صورة من أول صفحة لمقال الحرب المحدودة هل هي ممكنة؟
بمجلة أكتوبر العدد ٤١٩ في ٤ نوفمبر ١٩٨٤ رداً على الدكتور عبد العظيم رمضان

الباب السادس

أطمـــاع سوفيتيـــة



نكتة سوفيتية

روى لى الفريق سعد الشاذلى نكتة رواها له نائب رئيس الخبراء السوفييت ، النكتة الخارجة عن المألوف وعن مقتضيات الحياء مضمونها عن رجل تقدمت به السن ، لذا عجز عن ممارسة حقوقه الزوجية ، مع زوجته الحسناء صغيرة السن ، فطلب من صديقه القيام بهذا العمل نيابة عنه ....

كان رئيس الأركان سعيدا بالنكتة ولم ير فيها ما يعيب ، وكان تقديره أنها نكتة ظريفة، فسألته عن الحوار أو الموضوع الذى كان يناقشه مع الخبير السوفييتى حينما قص علية النكتة، فقال كنا نبحث معا طلبات مصر من السلاح ، وقلت لسعد إن هذا الخبير شبه مصر وجيشها بالرجل العجوز وزوجته الحسناء ، الذى يطلب من شخص آخر أن يقوم بأداء واجباته كزوج نيابة عنه.

وسألته ، ألم تفهم الإهانة يا سعد ... ؟

وفى الحال استدعيت كبير الخبراء وطلبت منه إنهاء خدمة هذا الجنرال فورا ، على أن يغادر مصر خلال أسبوع. وحاول كبير الخبراء الاعتذار كثيرا ، وتدخلت السفارة في الأمر لدى رئيس الجمهورية ، وحاول الروس بكل الطرق تأجيل سفر هذا الخبير ، ولكن بدون فائدة وقلت بإصرار وحسم سيسافر هذا الرجل في الموعد المحدد ، ورفضت في نفس الوقت مقابلته قبل سفره عندما طلب منى كبير الخبراء ذلك.

كان هذا هو موقف الشاذلى من تلك النكتة حيث لم ير فيها ما يعيب حتى بعد أن أوضحت له مايقصده نائب رئيس الخبراء.

وتستعيد الذاكرة موقفين مختلفين للواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية.

الأول : كان السوفييت قد حصلوا على اتفاقية تسمح للقطع البحرية السوفييتية بالدخول إلى الموانئ المصرية ولكن بعد الحصول على إذن بالدخول ، وبعد أن مارسوا هذا الامتياز أرادوا ابتداء من عام ١٩٧١ الدخول إلى الموانئ المصرية بدون الحصول على هذا الإذن.



وخاضوا التجربة بأن أرسلوا مدمرة لدخول ميناء بورسعيد دون إذن مسبق من قيادة القوات البحرية ، فاتصل قائد قاعدة بورسعيد البحرية بقائد القوات البحرية وأبلغه بوجود سفينة روسية تتقدم باتجاه ميناء بورسعيد دون أن تصلنا أى إشارة من قيادة القوات البحرية تخطرنا بالسماح لها بالدخول ، ثم واصل حديثه مع القائد قائلا ، إنه رفع استعداد القاعدة للدرجة القصوى ، وسأل هل يسمح لها بالدخول ؟ فطلب منه اللواء بحرى محمود فهمى أن يسمح لها بالدخول بشرط أن تكون المرة الأخيرة. بعدها استدعى كبير المستشارين السوفييت وأخبره بما حدث وأنذره أنه سيتصرف بطريقة أخرى لو تكررت المحاولة.

وبعد مرور ثلاثة أشهر ، تلقى اتصالا من قائد قاعدة بورسعيد البحرية ليخبره أن هناك مدمرة سوفييتية تقترب من الميناء دون إذن مسبق ، فأمره أن يطلق طلقة مدفعية للتحذير فإن لم تستجب فليطلق عليها النار.

ويبدو أن المدمرة لم تنتبه للطلقة الأولى ، فطلب قائد قاعدة بورسعيد أن يطلق طلقة ثانية للإنذار ، فوافقه القائد ، وسقطت القذيفة الثانية على مسافة قريبة من المدمرة ، فتوقفت فأعاد قائد القاعدة السؤال عن كيفية التصرف ، فطلب منه أن يتركها متوقفة إلى

أن يتبع السوفييت الطريق الصحيح للحصول على إذن بدخولها. ورفض القائد مقابلة كبير المستشارين السوفييت إلا بعد الالتزام بالقواعد ، واضطر السوفييت للرضوخ. لقد أرادها السوفييت سابقة لكسر الالتزام بالقواعد ، إلا أن موقف اللواء محمود فهمى الحازم ألزمهم اتباع القواعد المتفق عليها.

الثانى : فى أوائل عام ١٩٧٢ اصطدمت سفينة تجارية سوفييتية وهى تستعد لمغادرة ميناء الأسكندرية بغواصة مصرية كانت راسية على أحد الأرصفة ، وترتب على ذلك حدوث تلفيات بالغواصة ، فاتصل مدير القضاء العسكرى بالقوات البحرية بسلطات الميناء لمنع السفينة من السفر إلى أن يتم الانتهاء من التحقيقات وتحديد المسئولية وحجم التعويض وتحديد طريقة الدفع سواء بخطاب ضمان أو شيك.

وسرعان ما اتصل مسئول سوفييتى من القنصلية السوفييتية بالأسكندرية بمدير عام ميناء الأسكندرية طالبا إخلاء سبيل السفينة فورا .. وإلا .. وتوالت الاتصالات بين الجانب السوفييتى والمسئولين بالميناء والقوات البحرية. وفى النهاية كان من الضرورى أخذ رأى قائد القوات البحرية ، وما أن سمع تفاصيل ماحدث حتى أصدر أوامرة بمنع السفينة من الإبحار حتى تحصل القوات البحرية على حقوقها بالكامل ، وأكد لمدير القضاء العسكرى البحرى ومدير عام هيئة الميناء أن يخطروا المسئولين السوفييت أن عصر الامتيازات الأجنبية انتهى منذ زمن ولن يعود مرة أخرى. ولم يجد الروس مفرا من احترام القوانين والقواعد المصرية ، وقدموا الضمانات المطلوبة وهم صاغرين.

وكانت مواقف اللواء محمود فهمى وأمثاله من القادة نابعة من إيمان قوى بالله وحب عميق لمصر ، ومع أن هناك من أضير بسبب هذه المواقف ، إلا أن مواقفهم ظلت تضئ طريق الصلابة والوطنية والشجاعة الأدبية أمام الجميع.

والأغبياء هم الذين صدقوا أو يصدقون أن مواقف الاتحاد السوفييتى الإيجابية تجاه مصر منذ صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية مرورا بالموقف القوى خلال معركة ١٩٥٦ ، وإعادة تسليح الجيش المصرى مرة أخرى عقب هذه المعركة وتحمل مسئولية رئيسية فى تمويل وإنشاء السد العالى ، كانت خالصة لوجه الله .

والذين صدقوا ، بدأوا يتبينون الحقيقة اعتبارا من عام ١٩٦٤ تقريبا ، عندما بدأ كبار الخبراء والمستشارين السوفييت يطرحون علنا فى مناقشاتهم مع كبار القادة العسكريين أولا ثم قمة القيادة السياسية مطالبهم للحصول على قواعد بحرية وجوية.

وأوضح السوفييت أن القواعد البحرية المطلوبة للأسطول السوفييتى ، ستدعم قوة هذا الأسطول فى البحر المتوسط ، التى هى قوة مساندة لمصر والحق العربى ، وسترفع من مستوى كفاءة القوات البحرية المصرية التى ستلقى اهتماما خاصا بتسليحها وتدريبها ، إذا ما وافقت مصر على منح هذه القواعد ، أما القواعد الجوية فستخصص للاستطلاع ومتابعة تحركات ومناورات الأسطول الأمريكى السادس فى البحر المتوسط التى تهدد أمن واستقرار مصر والدول العربية الثورية.

وعندما سمع قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة من الخبراء السوفييت هذه الاقتراحات لأول مرة ، وما صاحبها من عروض لفتح مخازن السلاح السوفييتية لتحصل مصر على احتياجاتها وبأسعار معقولة ، تختلف عن أسعار البيع السابقة ، بل قد تفكر القيادة السوفييتية فى منح صفقات مجانية أو بتسهيلات كبيرة فى الدفع إذا ما وافقت مصر على اشتراك قواتها البحرية والجوية فى أنشطة القوات البحرية والجوية السوفييتية فى البحر المتوسط ، لم يتمكنوا من الرد عليها ، أو لم يعرفوا ماذا يقولون ، قبل أن يعرضوا الأمر على المشير عبدالحكيم عامر.

وعندما أطلعوا المشير على هذه الحوارات طلب استدعاء الخبراء السوفييت ليسمع منهم بنفسه، وقرر السوفييت إرسال الأدميرال جورشيكوف قائد القوات البحرية ليعرض الأمر بنفسه على المشير عامر ، وتأكد المشير من حقيقة الاتجاه الجديد للاتحاد السوفييتى فى مصر، بعد أن قرر أن يظهر بوجهه سافرا بدون شعارات أو مبادئ أو أية ادعاءات.

فبعد أن أصبحت القوات المسلحة تعتمد فى تسليحها على الترسانة السوفييتية ، وبعد أن تورطت فى العداء مع الولايات المتحدة ، وبعد أن اعتمدت على السوفييت فى تمويل وبناء السد العالى ، بعد هذا كله ، وبعد أن أصبح التراجع متعذرا أو صعبا أو عسيرا ، اختار السوفييت أن يعلنوا ويكشفوا عن حقيقة نواياهم ومصالحهم .

وبدأت العيون ترى ما يجب أن تراه ، وماتغافلت عنه طوال السنوات السابقة ، فها هم السوفييت يضعون احتياجات مصر فى كفة ، والاستجابة لمطالبهم فى الحصول على قواعد بحرية وجوية فى كفة أخرى.

وكان على الجميع أن يستنتجوا أن المطالبة بقواعد برية هى الخطوة التالية لحماية القواعد البحرية والجوية ، أى احتلال سوفييتى لمصر، مصر التى قاتلت لإخراج الاستعمار الانجليزى ،عليها أن تقبل راضية تسليم مصر للسوفييت.

وكان منطقيا أن يعرض المشير عامر الأمر على الرئيس عبدالناصر ، الذى رفض الاقتراح شكلا ومضمونا ، ومع هذا فقد حمل القائد السوفييتى وعدا من الرئيس عبدالناصر بالاستجابة لبعض مطالبهم بدون توقيع أية وثائق. وقد حصل جورشيكوف على هذا الوعد خلال اجتماعه بالرئيس عبدالناصر. واقتنع القائد الروسى، أن عبدالناصر لن يوقع لا اتفاقية علنية ، أو حتى سرية ، ولكن الروس الذين يبحثون عن الوثائق ويرون أنها العنصر الأهم فى العلاقات لا الوعود حتى ولو كانت من رئيس دولة بحجم عبدالناصر ، لم ييأسوا ، وحاول الأدميرال جورشيكوف طويلا إقناع عبدالناصر بتوقيع تلك الاتفاقية. وبالرغم من أن الروس لم يحصلوا على وثيقة مكتوبة ومن أن الاتفاق تم على أن تظل التسهيلات الممنوحة لهم من عبدالناصر أمرا بالغ السرية ، إلا أنهم عمدوا إلى تسريب هذه المعلومات إلى الأمريكيين.

ومن جديد يسعى الروس للحصول على وثيقة مكتوبة عن التسهيلات التى وعدهم بها عبدالناصر ، فحاولوا مع الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية لتوقيع بروتوكول تعاون ، فأبلغ الأمر لعبدالناصر ، الذى أعاد تأكيد موقفه الرافض لمنح أى وثيقة مكتوبة للروس.

ولم ييأس السوفييت ، فافتعلوا مشكلة حول الوقود الذى تتزود به القطع البحرية الروسية خلال وجودها بالموانئ المصرية ، وقالوا إنه يسبب أضرارا بالغة للقطع البحرية لزيادة نسبة الكبريت به ، وطالبوا بتخزين الوقود الذى تحتاجه الأساطيل السوفييتية بالقواعد البحرية المصرية. بعد ذلك طلبوا تخزين الكميات الضرورية من الزيوت وقطع الغيار، ثم طلبوا السماح بإصلاح قطعهم البحرية بالموانئ المصرية ، واستأذنوا فى وجود أعداد من الفنيين والمهندسين والموظفين الإداريين بالقواعد البحرية للإشراف على عمليات التخزين وإجراء عمليات الصيانة والعمرات المطلوبة ، وباختصار بدأوا فى التسلل واكتساب حق الوجود.

وبدأت قطع الأسطول الروسى تظهر فى الموانئ والقواعد البحرية المصرية وبالتالى فى مياه البحر المتوسط ، وبدأت أيضا فى البقاء لفترات طويلة على أرصفة هذه الموانئ.

وأخيرا شكلت القوات البحرية السوفييتية الأسطول الخامس المخصص للعمل فى مياه البحر المتوسط.

وتدور الدائرة على القوات المصرية المسلحة فى يونيه ١٩٦٧ بسبب سلسلة متصلة من الأخطاء سيأتى ذكرها فى مكانها من هذه المذكرات ، ومن قلب هذه المحنة ، لم يتورع المسئولون السوفييت عن استغلال الموقف للحصول على توقيع مصرى على اتفاقية القواعد البحرية والتسهيلات الجوية.

وقصة هذا الموقف المشين بدأت عندما استدعى المشير عبدالحكيم عامر السفير السوفييتى فى مصر للقاء عاجل فى أعقاب ماحق بالقوات المصرية المسلحة ومصر يوم الخامس من يونيه ١٩٦٧، وحضر السفير حوالى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ٦ يونيه ١٩٦٧، وبدأ المشير حديثه مع السفير طالبا منه أن يرسل رسالة عاجلة للقادة السوفييت لإرسال طائرات وبصورة عاجلة لاستعواض ماخسرته القوات الجوية فى اليوم السابق نتيجة للعمليات الحربية الإسرائيلية، حتى يتمكن الطيارون المصريون من الإشتراك فى قتال العدو ، وبعد أن استمع السفير السوفييتى للمشير عامر وعرف منه النتائج والخسائر التى ألحقها العدو بمصر وقواتها المسلحة فى اليوم السابق ، وبعد أن استمع للطلب الخاص بالطائرات - قال للمشير عامر إنهم كأصدقاء يسعدهم تلبية الطلب المصرى فى إطار التعاون بين البلدين والشعبين ، وإنه يسعدهم أن يواصلوا دعمهم لمصر والجيش المصرى. وفى إطار هذه الصداقة نفسها فإنه يطلب من المشير عامر أن توقع مصر على اتفاقية القواعد البحرية والتسهيلات الجوية ، والتى ظل المسئولون السوفييت يكررون طلب التوقيع عليها منذ عام ١٩٦٥.

فما كان من المشير الذى يعانى من جرح الهزيمة وهاهو يتعرض لجرح آخر فى كبريائه الوطنى إلا أن طرد السفير السوفييتى ، وهو يطلب منه أن ينقل رسالته إلى القادة السوفييت كما أبلغه بها. وعندما وصلت الرسالة ، لم تتلق مصر أى إجابة ، فقد كان القادة السوفييت يدركون أنه قد آن أوان قطف الثمار.

فقد أصبح واضحا منذ الخامس من يونيه وحتى الثامن من يونيه أن مصر فقدت كل خطوطها الدفاعية ، وأن ما تملكه من أسلحة ومعدات وذخائر لا يكفى لإعادة بناء خط دفاعى متماسك. وهذا الخط لايمكن أن يتحول إلى واقع إلا بأسلحة ومعدات وذخائر سوفييتية ، وسيواكب بناء هذ الخط إعادة بناء للقوات المسلحة. وأمام ضغوط الانتصار

والتحدى الاسرائيلى والمطالبة بالاستسلام ، لن يكون أمام مصر إلا اللجوء للاتحاد السوفييتى. وأمام تحطم كل الجسور مع الولايات المتحدة الأمريكية وباقى دول أوروبا الغربية ، فستجد مصر كل الطرق تقودها إلى موسكو. هكذا قدرت القيادة السوفييتية الموقف ، لذا رفضت الرد على رسالة المشير عامر و وقفت تنتظر.

كان الإسرائيليون كما قال ديان فى انتظار تليفون من مصر ، وكان الأمريكيون يتطلعون لاستسلام مصرى ، وتراجع عن كل سياساتها ومواقفها ، وأيضا كان السوفييت ينتظرون رضوخ مصر لمطالبهم ومزيدا من الارتباط والدوران فى الفلك السوفييتى.

ولم تمض أيام حتى وصلت لجنة عسكرية سوفييتية ، وبدأت الإمدادات العسكرية تصل إلى مصر ، ثم وصل **المارشال زخاروف** رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفييتية. وما أن التقى **زخاروف** بالرئيس عبدالناصر واستمع إلى مطالبه ، حتى رد عليه قائلا إن الاتحاد السوفييتى ليس على استعداد لإرسال السلاح إلى مصر «**ترانزيت**».

واستمع عبدالناصر للإهانة دون أن يرد عليها ، ولنقل أنه ابتلعها لأنه لم يكن أمامه اختيار آخر. كانت الاختيارات الأخرى محصورة فى التالى :

أولا : الاستسلام لإسرائيل والقبول بمطالبها بكل ما يعنيه ذلك بالنسبة لمصر وللعالم العربى ولم يكن عبدالناصر فى تصورى مؤهلا لتحمل مسئوليات مثل هذا الاختيار، بل لم يكن محل تفكيره.

الثانى : دخول الحظيرة الأمريكية ، وسينتهى الأمر للتسليم بمطالب إسرائيل. ولم تكن نتائج هذا الاختيار لتختلف عن نتائج الاختيار الأول كثيرا.

الثالث : الاستقالة وترك الحكم أيا كان من يحل محله .

وكانت الإهانة السوفييتية جزءا من مخطط تطويع عبدالناصر لكى يقبل كل ما يطلب منه. وكان ابتلاع عبدالناصر لهذه الإهانة نقطة البداية ، ومنها بدأ السوفييت فى إملاء شروطهم ومطالبهم. وقبل عبدالناصر بوجود مستشارين عسكريين سوفييت بكل مستويات القوات المسلحة حتى مستوى كتيبة. وانضم المستشارون لطابور الخبراء الذى كان موجودا من قبل ، وبذلك تضخم الوجود العسكرى السوفييتى بمصر.

وكانت الأوامر والتعليمات واضحة ، عدم الاختلاف مع المستشارين السوفييت ، والاستجابة لطلباتهم ، وتنفيذا لهذه التعليمات خسر عدد كبير من القادة مواقعهم فى صفوف القوات المسلحة ، وفى مقدمتهم الفريق مدكور أبوالعز أول قائد للقوات الجوية بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ بعد أن تشاجر مع المارشال زخاروف.

و يوافق الرئيس على أن توقع مصر اتفاقية خاصة بالمستشارين العسكريين السوفييت، وكانت البداية ١٠٠٠ مستشار وقبل أن يقرر السادات تطهير مصر من الوجود السوفييتى عام ١٩٧٢ ، **كان الرقم قد وصل إلى ما يقرب من ٢٤ ألف خبير ومستشار وقائد وضابط وصف ضابط وجندى سوفييتى.**

و واصل السوفييت فرض إرادتهم ومواصلة الضغوط التى أصبحت سافرة وفاجرة، ولم تعد تتخفى وراء شعارات الصداقة والعداء المشترك للإمبريالية الأمريكية والصهيونية والتحرر الوطنى وصداقة الشعبين المصرى والسوفييتى ، لتحقيق أهدافهم التى لم تعد خافية. وفى هذه الفترة أصبح السفير السوفييتى قوى النفوذ وصاحب سطوة، ولم لا وقد أصبح ممثلا لقوة الاحتلال الجديدة. وكأن مصر تخلصت من الاحتلال الإنجليزى لتستبدله بالاحتلال السوفييتى وتعيش فى نفس الوقت قسوة الاحتلال الإسرائيلى لسيناء.

وتطور الأمر عندما سافر عبدالناصر فى زيارة سرية لموسكو فى يناير ١٩٧٠ بحثا عن حل لمواجهة العمليات الحربية الإسرائيلية فى العمق المصرى المكشوف ، وقد رأى أن وصول وحدات دفاع جوى سوفيتية للدفاع عن العمق المصرى هو الحل. ووصلت هذه الوحدات فعلا وانتشرت بأرض مصر من الأسكندرية حتى أسوان مرورا بالقاهرة وعندما استجابت القيادة السوفييتية لطلب الرئيس المصرى ، كانت تستجيب لتقترب من تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا لمجرد حماية العمق المصرى ، وأعتقد أن هذا البعد لم يكن غائبا عن ذهن الرئيس عبدالناصر، ومع هذا واصل سيره على هذا الطريق مرغما .

وبعد وفاة الرئيس عبدالناصر واستلام الرئيس السادات مقاليد الحكم ، وعندما كنا نتدارس الموقف بيننا كان يرد بشكل قاطع : «إننى لا أستطيع أن أقطع مع الروس، فعلى من اعتمد للحصول على احتياجاتى من الأسلحة والمعدات والذخائر؟»

وظل السادات حريصا على علاقاته بالسوفييت ، وحتى بعد أن اكتشف أنهم كانوا يتآمرون عليه مع مجموعة على صبرى ومحمد فوزى وسامى شرف وشعراوى جمعه ، لم يغير موقفه بل وزاد من جرعة ودهم.

وفى نهاية عام الحسم ، أى عام ١٩٧١ كما أسماه السادات ، اندلعت الحرب الهندية الباكستانية التى أدت إلى تقسيم باكستان إلى دولتين باكستان وبنجلاديش. ولقد كان واضحا أن الاتحاد السوفييتى قرر الوقوف بجانب الهند بكل قوة فى صراعها العسكرى مع باكستان ، وأن الهدف كان واضحا ، فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية .

وقيام دولة بنجلاديش فى باكستان الشرقية بهدف إضعاف باكستان مرتين مرة بالهزيمة ومرة أخرى بفصل الإقليم الشرقى.

ولما كان السادات قد ظل يردد أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، فقد انتهى العام دون حسم ، وكان عليه أن يبحث عن مخرج يواجه به الرأى العام.

وخلال اجتماع دعا له عدد من الوزراء لمناقشة الأمر استغل الدكتور مراد غالب وزير الدولة للشئون الخارجية الفرصة للقول إن الروس ساعدوا الهند ، لوضوح علاقة الهند بهم كدولة ومسئولين، النظام هناك وثق علاقاته بالاتحاد السوفييتى سياسيا واقتصاديا، أما فى مصر فالوزارة تضم عددا من الذين يكرهون الاتحاد السوفييتى بشكل سافر وواضح ... وبما يعطى الانطباع أن النظام به توجهات أخرى ، ووافق عزيز صدقى على ما قاله مراد غالب.

والأهم إعداد المسرح لمثل هذه الخطوة أو هذا القرار.

وأيا كان الموقف من السوفييت فى مخططات السادات ، فإن موقفه منى كان منتهيا ومحسوما، وكان كل ما يحتاجه هو الوقت ، ولم يكن أمامه سوى الانتظار، ولكنه لم يكن انتظارا سلبيا ، بل انتظارا إيجابيا ملأه بالمناورة والحركة فى كل الاتجاهات للسيطرة على الخطوات والأفعال والحيلولة دون ردود أفعال تحبط مخططه.

❁ ❁ ❁

الفصل الحادى والعشرون

صفقة أسلحة بالعملة الصعبة

دعوت المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع يوم ١٨ مارس ١٩٧٢ حيث أبلغتهم أن الفريق عبدالقادر حسن عاد اليوم بعد زيارة لموسكو دون أن يوقع على اتفاقيه صفقة السلاح الجديدة ، لأن الجانب الروسى طلب دفع ثمن الطائرات تيبيلوف TU- 22 و الدبابات T- 62 والذخيرة بالعملة الصعبة والثمن كاملا، حيث كان سعر الطائرة يبلغ ٥,٦ مليون روبل وسعر الدبابة ٢٥٠ ألف روبل. ولم يوافق الجانب المصرى على هذه الأسعار أو على الدفع بالعملة الصعبة أو على دفع الثمن بالكامل.

وصباح يوم ١٩ مارس وخلال الاجتماع مع الجنرال أوكينيف كبير المستشارين الروس وبحضور رئيس الأركان الفريق الشاذلى والفريق عبدالقادر حسن نائب الوزير حيث عرض علينا صورا التقطتها الأقمار الصناعية السوفييتية كان قد أحضرها مندوب خاص من الاتحاد السوفييتى ، و أخبرنا كذلك الجنرال أوكينيف أنه ألتقى أمس والسفير السوفييتى بالرئيس السادات لعرض هذه الصور ، قال لنا إنه (السادات) هو الذى طلب من الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء أن يكون دفع ثمن صفقة السلاح الجديدة بالعملة الصعبة.

وقال إن الرئيس أبلغهم استعداد مصر لدفع الثمن بالكامل وبالعملة الصعبة بالنسبة للطائرات ميج - ٢١ و ميج - ٢٥ أما بالنسبة للطائرة التيبيلوف القاذفة التى تحتاج إلى حماية فسنستغنى عنها بسربي قاذفات من طراز «**لايتننج**» من السعودية ، وسرب ثالث من الكويت وإن الطيارين المصريين سيسافرون إلى كل من السعودية والكويت للتدريب عليها الأسبوع القادم.

وبالنسبة للدبابات T - 62 فإنها غالية جدا وبالرغم من حاجتنا لها فإننا لن نشتريها بسبب وجود مشكلات مع ليبيا حول دفع ثمن هذه الصفقة. وقد وافق الرئيس السادات

على دفع ثمن الذخيرة بالعملة الصعبة، و وافق أيضا على استلام ١٢ كتيبة صواريخ بدلا من ١٨ كتيبة كما ورد فى خطاب وزير الحربية المصرى إلى وزير الدفاع السوفييتى.

وبعد أن استمعت لما قاله أوكينيف قلت له، إنني لا أعلم شيئا عما قلته، وسأقوم بالاتصال بالرئيس السادات.

و بالفعل اتصلت بالرئيس تليفونيا وأخبرته بما قاله الرجل فأقر بصحة ما جاء على لسان أوكينيف إلا فيما يتعلق بثمن الذخيرة ، حيث أوضح أن ما كان يقصده هو دفع ثمن توسيع خط إنتاج الذخيرة المصرى لا ثمن الذخيرة نفسها.

وكان من المقرر أن أسافر مساء نفس اليوم إلى السعودية وبعد أن سافرت اجتمع الرئيس السادات بكل من الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان والفريق عبدالقادر حسن نائب الوزير بمنزله بعد منتصف الليل وبحضور السيد/ حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى. وكان الهدف من الاجتماع أن يتحقق من صحة المعلومات التى ذكرتها أثناء اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة أمس والخاصة بصفقة الأسلحة التى لم يوقعها الفريق عبدالقادر حسن خلال زيارته لموسكو.

وبعد أكثر من شهر على عودة الفريق عبدالقادر حسن من موسكو وتحديدا يوم ٢٧ أبريل ١٩٧٢، سافر الرئيس السادات إلى موسكو للمرة الرابعة منذ تسلم مسئولياته كرئيس للجمهورية، كانت المرة الأولى فى مارس ١٩٧١ والثانية يوم ١١ أكتوبر ١٩٧١ والثالثة يوم ٢ فبراير ١٩٧٢ والرابعة تلك التى بدأها يوم ٢٧ أبريل. ولم يكن يفصل بين هذه الزيارة والزيارة السابقة سوى ٨٤ يوما، وقد طالت فتره الزيارة إلى العاشر من مايو، أى استمرت لمدة أسبوعين.

وكان القادة السوفييت قد أرسلوا للرئيس رسالة عاجلة قبل بدء الزيارة بأيام يطلبون منه أن يزورهم قبل نهاية شهر ابريل. وكان من المقرر أن يبدأ الرئيس الأمريكى نيكسون زيارته للاتحاد السوفييتى يوم ٢٠ مايو ١٩٧٢، وقد أراد السوفييت التأكيد على مدى وحقيقة نفوذهم فى مصر وأنها جزء من الدومين السوفييتى وأن أقدامهم ثابتة بها.

وبعد عودته أخبرنا الرئيس أنه اتفق مع القادة السوفييت على البدء فورا فى تنفيذ الصفقات المتعاقد عليها بعد انتهاء زيارة نيكسون.

وبعد عودة الرئيس بأربعة أيام فقط وصل المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفييتى فى زيارة لمصر، واستقبله الرئيس بمنزله فى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم وبصحبته

السفير السوفييتى وامتدت هذه المقابلة حتى الساعة الحادية عشرة مساء أى أنها استغرقت أربع ساعات.

وصباح اليوم التالى كان الوفدان المصرى برئاسة الفريق عبدالقادر حسن والسوفييتى، يعقدان جلسة مباحثات حول صفقة الأسلحة التى تأخر توقيعها.

كان الجانب الروسى يعرض على مصر الحصول على أكثر من سرب من طائرات من طراز سوخوى - ١٧ و ٨ كتائب صواريخ مضادة للطائرات من طراز سام - ٣ (بتشورا) وفوج سام - ٦ (كوادرات) و ٢٠٠ دبابة من طراز ت - ٦٢ ، بالإضافة إلى قطع غيار.

وكان الجانبان ما زالا يناقشان مواعيد التسليم والأسعار، واتصلت بالرئيس السادات لمعرفة وجهة نظره فيما يتعلق بنقاط الاختلاف حول الأسعار وتوقيتات التسليم فطلب منى ألا أناقش الأسعار أو التوقيتات مع السوفييت.

وأبلغتُ هذه التعليمات إلى الفريق عبدالقادر حسن وخلال هذا الوقت كان الوفدان المصرى والسوفييتى قد اتفقا على شروط الصفقة التى بلغت ٢٠٢ مليون روبل وتفاصيلها كالتالى :

- سرب كامل بمعداته من القاذفات المقاتلة طراز سوخوى-١٧، تسلم فى شهر يونيه ١٩٧٢.
- مجموعة «كوادرات» سام-٦ تشكل فوجا من ٢٠ قاذفا، تسلم خلال عام ١٩٧٢.
- ٨ كتائب «بتشورا» سام-٣ تسلم خلال عام ١٩٧٣.
- قطع غيار بـ ١٩ مليون روبل .

وقيمة هذا الجزء (ما سبق) من الاتفاقية ١٣٨ مليون روبل، تقسط على ١٠ سنوات تبدأ اعتبارا من عام ١٩٧٥ وتنتهى عام ١٩٨٤.

- عدد ٢٠٠ دبابة ت-٦٢ مضافا إليها ٤ وحدات نارية، وتسلم عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ بسعر ٦٢ مليون روبل. تقسط على ٥ سنوات ويبدأ السداد عام ١٩٧٣.
- المركبات المطلوبة لكتائب «البتشورا» وتسلم عام ١٩٧٣ بسعر ٢ مليون روبل وتقسط على ٥ سنوات تبدأ من عام ١٩٧٣.

وقد كشف إصرار السادات على توقيع الصفقة بالشروط السوفييتية فيما يتعلق بالأسعار و مواعيد التسليم مجموعة من الحقائق من أهمها :

١ - أنه تم الاتفاق على ذلك بشكل كامل خلال زيارة الرئيس الطويلة لموسكو.

٢ - أن الرئيس حاول كسب السوفييت إلى جانبه باعتباره صديقا لهم يوافق على مطالبهم ، فى حين أننى الذى أمثل عقبة فى طريق هذه الصداقة ، كما أننى الذى أضع العراقيل وأحاول عرقلة المضى قدما لتطوير علاقات البلدين.

٣ - أنهم أى السوفييت قد طلبوا منه إبعادى عن مناقشة هذه الصفقة ، وأن يكون دورى هامشيا بقدر الإمكان .

٤ - حقق السادات كل مطالب السوفييت لكى يثبتوا للرئيس نيكسون أن أقدامهم ومواقعهم ثابتة فى مصر.

٥ - إثبات أنه الطرف القوى فى مصر، وإنه يستطيع اتخاذ القرارات فى الوقت المناسب.

وأخيرا تم توقيع الصفقة كما أراد السادات وكانت أول صفقة تسليح مع السوفييت يجرى الاتفاق على دفع ثمنها بالعملة الصعبة.

وكانت صفقات السلاح السابقة تتم على أساس دفع نصف الثمن بالجنيه المصرى وبعد فترة سماح طويلة وعلى أقساط طويلة وبنسبه فائدة ٢٪ ، أما النصف الثانى فيجرى التنازل عنه.

وهذه الأسلحة التى وقعت مصر أتفاقا للحصول عليها ، سبق أن باعها السوفييت للسوريين بنفس الشروط التى كانت مصر تحصل بها على الأسلحة من قبل. وبجانب كل ذلك ، فالأسعار التى حددها السوفييت بالعملة الصعبة مبالغ فيها جدا ، ولكن كل ذلك لم يكن موضع اعتبار عند الرئيس المصرى.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني والعشرون

تهريب الذهب ...

وأسرار مباراة الملاكمة بين جريتشكو و صادق

سأل ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى الرئيس أنور السادات على مرأى ومسمع من الوفدين المصرى والسوفيتى ، وبصوت قوي و واضح ويحمل نبرة تهكم متعمدة:

«من الذى يحكم مصر يا فخامة الرئيس؟ أهو انت ، أم الجنرال صادق؟»

و واصل قائلا : **«أنا عايز أعرف يا فخامة رئيس مصر من هو الرئيس ؟»**

وبذلك وصل بريجنيف إلى قمة تحريض رئيس جمهورية مصر على وزير حربية مصر. وكان التحريض سافرا وعصبيا وعلنياً ومخططاً أن يتم بهذه الصورة.

وكان السادات موجوداً بموسكو فى زيارة من زياراته المتكررة سعياً وراء إقناع السوفييت بإمداد مصر بالأسلحة التى تحتاجها وهى تستعد لمعركة تراها ضرورية بل وحتمية مع العدو الإسرائيلى.

ولم أكن موجوداً بالوفد، حيث سافر مع الرئيس الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية كرئيس للفريق العسكرى بالوفد المصاحب له. وكان الفريق عبدالقادر حسن يحمل معه الوثائق الخاصة بالصفقات التى تم توقيعها، وما تم تنفيذه منها وما لم يتم، والاحتياجات المطلوبة.

وهذه الاحتياجات والأسلحة التى تم التعاقد عليها لم يتم تحديدها وفقا لاجتهادات مصرية، بل هى نتائج عمل شاق ومتواصل شارك فيه الخبراء السوفييت.

والبداية دائما وضع خطة عمليات، ومناقشة هذه الخطة مع الخبراء والمستشارين الروس. ويؤدى النقاش إلى تعديل الخطة، أو إضافة تعديلات إليها وإعادة مناقشتها مرة أخرى مع الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، أى قيادات القوات البحرية والجوية والدفاع الجوى وقادة الجيوش الميدانية بالاشتراك مع هيئة العمليات وإدارات الأسلحة،

ووضع الخطة عمل أساسى، لأن تدريب القوات المسلحة، لا يتم إلا استنادا إلى خطة التدريب.

وبعد إقرار الخطة على المستويات المختلفة واعتمادها من القائد الأعلى للقوات المسلحة، يجرى تحديد الأسلحة والمعدات والأجهزة والذخائر المطلوبة لوضعها موضع التنفيذ. ووضع خطط الهجوم لاقتحام القناة وقتال العدو بالمواقع الحصينة خلال وبعد الاقتحام للمانع المائى، ومواجهة الاحتياطات الإسرائيلية، والتجمع الرئيسى لهذه القوات فى عملية عسكرية ، فهو عمل ضخم تشترك فيه كل الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة.

وقد بدأ فعلا العمل من أجل الإعداد لمعركة هجومية شاملة اعتبارا من يوم ١٩أكتوبر١٩٧٠، أي بعد أيام من تولى السادات لمسئولياته كرئيس للجمهورية.

فى هذا اليوم تم عقد اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة لأول مرة برئاسة السادات لمناقشة الموقف العسكرى وخطة العمل أو خطط العمليات. وفى هذا الوقت لم يكن هناك سوى خطة دفاعية اسمها «**الخطة ٢٠٠**» أو «**الضربة ٢٠٠**» وتقوم على افتراض وصول العدو إلى غرب القناة وهنا يبدأ تنفيذ هذه الخطة.

وبعد أن استمع السادات لتقارير القادة عن الموقف العسكرى المصرى وموقف العدو، قال بوضوح وحسم إن مصر ستدخل مواجهة حاسمة مع العدو، وإن على الجميع أن يضعوا ذلك فى اعتبارهم وأن يضعوا الخطط اللازمة لذلك، وأكد للجميع أننا سنقاتل بما فى أيدينا من أسلحة عندما يحين موعد بدء العمليات، وأن الخطط التى ستوضع عليها أن تعتمد أساسا على ما هو متوافر من أسلحة ومعدات وذخائر.

وخاطب القادة قائلا: «المطلوب منكم اقتحام القناة والاستيلاء ولو على ١٠ سنتيمترات شرق القناة وإقامة رؤوس كبارى عليها، وسيأتى دور السياسة بعد ذلك»

وخرج القادة من هذا الاجتماع الحاسم ليبدأوا العمل الجاد لأول مرة لوضع أول خطة هجومية مصرية. أى بدء الإعداد الحقيقى لمعركة هجومية وشاملة ضد العدو الإسرائيلى. وبدأت العجلة تدور فى اتجاه الإعداد للمعركة.

وكلما تم وضع خطة، يجتمع الجانبان المصرى والسوفيتى لتحديد الأسلحة المطلوبة لوضعها موضع التنفيذ. وبعد إقرار ما هو مطلوب ترسل نسخة للقيادة السوفيتية العسكرية والسياسية، ويبدأ العمل فى دراسة هذه الاحتياجات، وتسافر الوفود لتناقش القادة السوفييت.

وكثيرا ما سافر السادات كرئيس للوفد المصرى للتفاوض مع السوفييت. والمفاوضات مع السوفييت دائما شاقة وبالغة الصعوبة. وتعقد الاجتماعات وتنفض، ويعود الطرفان للاجتماع، ويناقشان من جديد، ويطرح كل طرف وجهة نظره ويستمر الحوار والمماطلة والتسويف.

وإذا ما تم عقد صفقة تسليح بعد هذه المعاناة يعود السوفييت إلى مناوراتهم المفضلة: التسويف والمماطلة.

وخلال فترة عملى كرئيس أركان ووزير حربية، تم وضع عدة خطط هجومية. وكل خطة تم وضعها تقاعس السوفييت عن تزويد مصر باحتياجاتها العسكرية لتنفيذها ويعاد النظر فى الأمر وتوضع خطة جديدة حتى يمكن للسوفييت أن يوفروا لمصر ما تحتاجه وهكذا.

وكان السادات قد رأس وفد مصرى فى ٢٧ أبريل ١٩٧٢ سعيا وراء الحصول على السلاح ، وبدلا من مناقشة احتياجات مصر وموقف السوفييت من هذه الاحتياجات، فوجئ الرئيس السادات بسؤال بريجينيف. كان السادات يتوقع أى شئ إلا أن يضغط الروس على هذه النقطة. وكان الروس على علم بمشاعر الرئيس السادات السلبية تجاه وزير الحربية وقام السفير السوفيتى والخبراء والمستشارون بمصر فى رصد غضب السادات وعدم ارتياحه لبعض تصريحات وتصرفات وزير الحربية.

وبدت ملامح الدهشة على وجوه كل الحاضرين وامتنع السادات عن التعليق، وما هى إلا وهلة حتى بدأ المارشال جريتشكو يشارك فى هذا الحديث فقال:

«إننى سأحضر إلى مصر خصيصا لكى أحطم أسنان الفريق صادق الذى يسبب لنا المتاعب، ولابد أن أضع حدا لهذه المشاكل الكثيرة التى يخلقها الفريق صادق».

وهنا وجد الدكتور مراد غالب أن الظروف سنحت ليقترح إقامة مباراة ملاكمة بين المارشال جريتشكو والجنرال صادق، وبشرط أن يكون الرئيس السادات هو الحكم... وانفجر الجميع ضاحكين، ومن بينهم الرئيس السادات، الذى انفرجت أساريره وغمرته سعادة عارمة.

فقد وضح له أن القادة السوفييت يساندونه فى صراعه مع وزير حربيته الجنرال صادق، والأهم أنهم يعتمدون عليه لحصار نفوذ الفريق صادق القوي داخل القوات المسلحة، وهذه الإشارات الواضحة التى شارك فيها سفير مصر بموسكو إنما هى تحفيز

للإمساك بزمام المبادرة فى هذا الصراع، وفى النهاية ستكون الجائزة لا مجرد الرضاء عنه، واستقراره فى السلطة فحسب ، بل يمكن أن تكون الجائزة منح مصر احتياجاتها من الأسلحة والمعدات وتنفيذ الصفقات الموقعة والتى ماطلوا كثيرا فى تنفيذها.

ولم يكن خافيا عليهم أنهم يحرضونه على التخلص من وزير حربيته.

وكما هى العادة: كان الروس يقدمون له عشرات الكئوس من الفودكا، ويقترحون الأنخاب فى صحته وصحة مصر وصحة الصداقة المصرية السوفيتية، ويرد هو بالتالى على الأنخاب بمثلها فى صحة الصديق بريجينيف والصديق كاسيجين، والصديق المارشال جريتشكو، وصحة العلاقات الوطيدة بين البلدين...

وبمرح شديد بعد أن استخفه الإحساس بأثر الشراب، اقترح نخبا للمباراة المتوقعة بين المارشال جريتشكو والجنرال صادق .. وضحك الحاضرون..!!

ولم يضحك الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية ولا الوفد العسكرى، كانوا يشعرون بالحرج من الحال التى وصل إليها رئيس الجمهورية ، ولم يكن أى منهم يستطيع أن يقترح عليه التوقف عن الشراب.

وطوال هذا اللقاء ألتزم الفريق عبدالقادر حسن الصمت، ولم يتحدث لا هو ولا أحد من العسكريين بما فى ذلك الملحق الحربى ورئيس مكتب المشتروات، فقد كان دورهم عرض احتياجات القوات المسلحة من الأسلحة والمعدات والذخائر، وبما أن هذا الموضوع لم يطرح، فليس من واجبهم التدخل فى الحديث، وحسنا فعلوا.

وقال جريتشكو موجها حديثه للسادات أنا ذاهب إلى سوريا فى زيارة، بعدها سأتوجه إلى القاهرة لالتقى بالجنرال صادق ...

وصمت قليلا، قبل أن يواصل قائلا .. لأتفاهم معه...

وبمكر وخبث استغل اللحظة ليخبر السادات أن قطعا ذرية من الأسطول السوفيتى تضم مدمرة وغواصة ستصل إلى ميناء الإسكندرية خلال زيارته لمصر، وأنه يرجو الرئيس السادات أن يقوم بزيارة هذه القطع البحرية بما فى ذلك قطعة القيادة ، ليشاهدها ويتعرف على قطع قوية من أسطولنا القوى.

ولم يتنبه السادات للكمين الذى نصبه له السوفييت. فالقطع البحرية التى ستزور الإسكندرية من الأسطول الخامس السوفيتى الموجود بالبحر المتوسط لموازنة وجود الأسطول الامريكى الموجود بنفس البحر. وزيارات قطع هذا الأسطول تتم فى إطار

اتفاقية أو اتفاقيات موقعة بين البلدين، بدأت مع بداية العلاقات المصرية - السوفيتية وتطورت عقب زيارة خروشوف لمصر عام ١٩٦٤.

ومن المعروف أن القطع البحرية هى امتداد لأرض الدولة صاحبة الأسطول وزيارتها يجب أن تخضع للمراسم والبروتوكول الخاص بزيارة دولة، وهكذا فإن زيارة الرئيس لقطع بحرية سوفيتية بما فى ذلك قطعة القيادة لا يمكن أن تتم إلا إذا كان رئيس الدولة السوفيتية موجودا على قطعة القيادة، وأن يتنازل السادات ويزور قطع الأسطول السوفيتى بالبحر المتوسط أثناء زيارتها للإسكندرية، وأن يكون فى استقباله أو بصحبته وزير الدفاع المارشال جريتشكو، فذلك تسليم من السادات بأن مصر قد أصبحت دولة تدور فى الفلك السوفيتى .

والأدهى من ذلك أن السوفييت خططوا لتنفيذ مناورة بحرية قبيل وصول جريتشكو إلى مصر، وأعلنوا عن منطقة المناورة ومدتها دون أن يستشيروا الجانب المصرى أو حتى يهتموا بإخطاره، وطلبوا من كل السفن تجنب الملاحة بهذه المنطقة التى تمتد بطول الساحل المصرى من مرسى مطروح وغرب الأسكندرية وحتى منطقة دمياط تقريبا، باستثناء ممرين لاستخدامهما كمدخل لميناء الأسكندرية من اتجاهى الشرق والغرب.

وكان الهدف من وراء هذا الإعلان أن يعرف العالم أن المياه الإقليمية المصرية بالنسبة للأسطول السوفيتى امتداد لمناطق المياه الإقليمية الروسية بما يؤكد وجود قواعد بحرية له بمصر.

وأثار هذا الإعلان أزمة بينى وبين السوفييت شارك فيها اللواء بحرى محمود عبدالرحمن فهمى قائد القوات البحرية، الذى أصر على إلغاء هذا البيان حماية للسيادة المصرية من الانتهاك . وتحت الاعتراض الشديد الذى فوجئت به القيادة السوفيتية من جانب العسكريين المصريين ألغت البيان.

أما القيادة السياسية فكانت ترى ترك الموضوع يمر بلا أزمات. وقد بذل رئيس وزراء مصر جهدا ظاهرا لإرضاء السوفييت بعد أن حللنا بين السوفييت وإجراء هذه المناورة البحرية. وتم الاكتفاء بدخول بعض القطع البحرية ومنها قطعتين قمت بزيارتهما.

وفشل السوفييت فى استدراج القوات البحرية المصرية للاشتراك فى هذه المناورة التى أعلنوا عنها وعن منطقة إجرائها، كما كان مخططا ولم يحققوا هدفهم فى إعطاء الانطباع بأنهم هم أصحاب الكلمة فى المياه الإقليمية المصرية.

وبعد عودة الرئيس السادات من زيارته للاتحاد السوفييتى حدثت أزمة بينى وبينه عندما أصر على زيارة القطعتين البحريتين الروسيتين أثناء وجودهما بالأسكندرية كما اتفق مع الروس ..

وقلت له ونحن نتحدث حول هذه الزيارة: أننى أعلن رفضى احتراما لمكانة مصر وكذلك احتراما لشخص رئيس الجمهورية .

فكيف يقبل أن يستقبله وزير حربية لا رئيس دولة ؟!!

وأوضحت له أن زيارته ستعطى للوجود السوفييتى العسكرى بالميناء صفة رسمية، وأننى على يقين أنه يرفض هذه النتيجة تماما. وأصر كل منا على رأيه وعندما سأل اللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية أجابه إنه من رأى وزير الحربية. وعلمت أن الرئيس استدعى الاستاذ محمد حسنين هيكل والمهندس سيد مرعى وشرح لهما الموضوع فأيد هيكل موقفى وطلب من الرئيس عدم الذهاب والاكتفاء بوجود وزير الحربية المصرى مع نظيره السوفييتى فوق ظهر القطعة البحرية.

❁ ❁ ❁

أما مباراة الملاكمة التى اقترحها الدكتور مراد غالب وإعلان جريتشكو أنه سيحضر إلى مصر لتحطيم أسنانى ، فقد تمت مواجهتها بأسلوب آخر. فقبل وصول المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفييتى إلى مصر توجهت مجموعة من المستشارين والخبراء والقادة والضباط والجنود إلى المطار لتنقلهم طائرة سوفييتية إلى بلدهم فى إجازة، وما أن أصبحوا داخل الدائرة الجمركية حتى بدأت إجراءات تفتيش لم يسبق أن تعرضوا لها بهذه الدقة والحسم واكتشف رجال الجمارك وجود سبائك ذهبية وكميات كبيرة من المشغولات الذهبية بجميع الحقائب وتم التحفظ عليها وتقرر منع الطائرة من الإقلاع لحين التصرف فى هذه القضية.

وكانت كمية الذهب المهربة بشكل جماعى، تفوق قدرة الأفراد القائمين بها، وتعطى مؤشرا على أن هناك مصدر رئيسى لتمويل تهريب الذهب من مصر بشكل منظم ومكثف.

وكان هناك أكثر من سؤال: من أين حصلت القوات الروسية بمصر على كل هذه الجنيهات المصرية؟ ولماذا تم اختيار الذهب؟ وكانت السلطات المصرية قد رصدت عمليات تهريب لمجموعات من السلع المختلفة التى كان السوق المصرى يعانى من نقص بها، بواسطة أعضاء السفارة السوفييتية بالقاهرة.

وكانت الصناديق الضخمة تصل إلى مصر على أنها من مكونات الحقائب الدبلوماسية ومن المبانى المنتشرة التابعة للسفارة بالقاهرة يتم نقلها وتسليمها للمتعاملين والتجار. أما مخابرات القوات الجوية، فقد رصدت خروج صناديق محملة بالأسلحة الخفيفة من قاعدة غرب القاهرة الجوية. ولم يكن متاحا اتخاذ إجراء لوقف هذه العملية، وتشاء إرادة الله، أن تصطدم سيارة نقل تابعة للقاعدة أثناء خروجها فى الطريق إلى القاهرة بسيارة أخرى فتنقلب وتنكسر بعض الصناديق وتبعثر عشرات البنادق الآلية - الكلاشينكوف- وتبعثر على الأرض وسرعان ما أحاطت القوات السوفييتية بالمنطقة ومنعت الاقتراب. وقد قال بعض الخبثاء أن هناك تدبيرا ما وراء هذا الحادث لإحراج السوفييت .

وتبين للجميع أن بعض السوفييت ليسوا أكثر من مجموعة من المهربين تستنزف ثروات مصر. فمع كل فوج عائد يتم تهريب كميات كبيرة من الذهب. هؤلاء الذين أتوا تحت ستار رفع مستوى القوات المسلحة خططيا وتدريبيا.

وتحولت رحلة إجازه عادية، مثلها مثل آلاف الرحلات التى سبقتها والتى أعقبتها إلى قضية متفجرة. وسرعان ما حضر السفير الروسى إلى المطار، وفوجئ بقرار منع سفر هذه المجموعة، ومنع الطائرة من الإقلاع.

واتصل السفير الروسى بالسيد/ حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى وقص عليه الواقعة وهو ينتفض غضبا، ولم ينس أن يهدد ويعلن أن هذا التصرف يسئ إلى العلاقات الطيبة بين البلدين و ... و ... وبعد مكالمة حافظ اسماعيل اتصل بالدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء، وكان ذلك حوالى الساعة العاشرة صباحا، وفى الساعة الرابعة مساء اتصل بى حافظ اسماعيل مرة أخرى ليسألنى لماذا أحجز الطائرة السوفييتية بالمطار؟ ولماذا اعتقلت الضباط الروس؟ ثم حاول أن يوضح لى أن مثل هذا الأمر يسئ للعلاقات المصرية السوفييتية، وأخبرنى أن رئيس الوزراء مهتم جدا بهذا الموضوع ويرغب فى إنهائه وبسرعة.

وبعد أن تركته يتحدث ويشرح ويشكو ويوضح ويحكى ماذا دار بينه وبين السفير، ورئيس الوزراء، وماذا دار بين رئيس الوزراء وبينه من حديث، وما جرى من أحداث واتصالات منذ العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء، أوضحت له بهدوء وبساطة، أن هذه القضية قضية جمارك، ولا علاقة لوزير الحربية بها، وأن عليه أن يتصل بالدكتور عبدالعزيز حجازى، فهو المسئول عن هذه القضية، وقلت له وكما تعلم فإن الجمارك لا تتبع وزارة الحربية.

وفعلا اتصل حافظ اسماعيل بالدكتور حجازى، وعاود الاتصال بى فى الساعة الرابعة والنصف مساء ليخبرنى أنه اتصل بالدكتور حجازى فوافق على إنهاء هذه القضية. وبدورى اتصلت بالدكتور حجازى وطلبت منه أن يسمح بإقلاع الطائرة، بعد أخذ التعهد اللازم من كل من شارك فى تهريب الذهب.

وفعلا أقلعت الطائرة، بعد أن وقع بعضهم على إقرارات بارتكابهم جريمة تهريب ذهب من مصر إلى الخارج، فى الساعة السادسة مساء بعد أن ظلت محجوزة بالمطار لمدة ٩ ساعات.

ولما كنت قد كتبت من قبل لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء عن حركة تهريب الذهب الواسعة التى يقوم بها أفراد القوات السوفييتية الموجودة بمصر أثناء عودتهم فى إجازات، أو عندما تنتهى فترة خدمتهم، مما يؤثر سلبا على الوضع الاقتصادي، ولما كان رجال المخابرات الجوية ورجال الجمارك يحاولون رصد كميات الذهب الكبيرة المهربة ويسجلون ذلك فى تقارير، أرسل منها صورة للمعنيين بالأمر، فقد توقع كل من رئيس الوزراء وحافظ اسماعيل أننى وراء هذا التدبير، وأرسلا للسادات الذى كان موجودا بليبيا وقتذاك برقية يخبرانه فيها بما جرى.

وتسلم الرئيس البرقية أثناء اجتماعه مع العقيد القذافى وأعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية. وما أن سمع ملخصا للبرقية التى قالوا فيها إننى اعتقلت ٩٠ ضابطا وخبيرا روسيا بالمطار، و وضعتهم تحت حراسة مسلحة، حيث يحيط بهم جنود مسلحون، وأسيء معاملتهم لإرغامهم على إخراج الذهب الذى قاموا بتهريبه... حتى تكهرب الجو وقال السادات بعفوية : «**عملها صادق ...**» وأخذ يسبني.. فثار عليه القذافى وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعاتبوه على هذا السباب الذى يوجهه لرجل وطنى يؤدى واجبه ، هذا ما رواه لى أشرف مروان فيما بعد. وحدثت مشادة بين السادات وبينهم،أنفض على أثرها الاجتماع.

وخرج الرئيس من الاجتماع ليرسل برقية مفتوحة نصها: «**اترك الضباط الروس ليسافروا فورا وبلاش تشنج...**» وكان الرئيس السادات قد طلب من حافظ اسماعيل إنهاء هذه القضية وليأخذ الروس ما يريدون بلا مشاكل وقال له :

« تصرف أنت لأننى لا أريد أن أسمع شيئا بعد الآن عن تلك القضية».

واتصلت بالرئيس السادات، بعد أن تسلمت البرقية فرد عليَّ الدكتور أشرف مروان، الذى أخبرنى أن الرئيس ثائر جدا وعندما أتانى صوت الرئيس السادات، أخبرته أننى لا أقبل أن يرسل لى برقية مفتوحة، دون أن يعرف الحقيقة، واستنكرت أن يرسل برقية بهذه اللهجة فطلب منى أن أحضر إليه فى ليبيا فورا، وأن أخبر عزيز صدقى ليحضر على نفس الطائرة .. واتصلت بالدكتور عزيز صدقى وأبلغته برسالة الرئيس السادات، فطلب تأجيل السفر للصباح لأنه لا يحب أن يسافر ليلا.

وصباح اليوم التالى كنا فى طريقنا إلى ليبيا، وفى الطائرة سألته عما إذا كان قد كتب شيئا للرئيس السادات عن قضية الروس المهربين، فأجابنى بالنفى!!.

وعندما التقيت بالسادات، أطلعنى على البرقيات المرسلة من عزيز صدقى وحافظ اسماعيل، وللأسف وجدتها كلها مخالفة للواقع ومليئة بالتشويش. ومرة أخرى أخبرته أننى احتج بشدة على صيغة البرقية التى أرسلها لى، وأفهمته حقيقة القضية وملابساتها والتطورات المتابعة للموقف فهدأ ... وطلب منى أن أصلح ما بينه وبين العقيد القذافى.

وهنا أدركتُ لماذا طلب منى الحضور، فقد أراد أن أعيد المياه إلى مجاريها بينه وبين القذافى، وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة، بعد الخلاف الذى نشب بالأمس بسببى ، وبحضورى سيؤكد للقذافى ولأعضاء مجلس قيادة الثورة أن الموقف بيننا قد أصبح صافيا. ولم ينس السادات أن يوجه اللوم لرئيس الوزراء أمامى لترضيتى.

وتوجهت فعلا إلى العقيد القذافى والتقيت به وبباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة ورجوتهم أن يحضروا إلى المبنى الذى يقيم فيه الرئيس السادات لكى يسترضوه كرجل ضيف عليهم فى بلدهم، ولا يجوز مطلقاً أن يتركوه ليعود إلى مصر وهو مستاء وغاضب من الموقف.

واختليت بالقذافى لاتفق معه سرا على أن يطلب منى الموافقة على تدريب لواء مدرع ليبى أو لواءين إذا كانت الظروف تسمح بمصر، وقلت له إننى سأرفض هذا الطلب، ولكن عليه أن يلح عليَّ وعلى الرئيس السادات للموافقة وتوقيع اتفاقية بهذا الشأن لرفع مستوى القوات المدرعة الليبية، التى ستكون رصيدا للقوات المصرية المسلحة، وهى تستعد لخوض المعركة.

وسألنى القذافى، ولماذا يا سيادة الفريق تجعل الأمر سرا ؟ فإننى أعلم أن مصر رحبت وترحب دائما بتدريب ورفع مستوى أى وحدات عسكرية عربية، وتستقبل بمعاهدها وكلياتها وأكاديمياتها العسكرية العشرات من العسكريين العرب سنويا.

فقلت للقذافى إن السوفييت يصرون ويسعون بكل قوة للحصول على مرسى مطروح كقاعدة بحرية رئيسية للقوات البحرية الموجودة بالبحر المتوسط، وقاعدة جوية للاستطلاع بعيد المدى، وقاعدة برية لحراسة القاعدتين وتأمينها وتأمين مرسى مطروح التى ستصبح قاعدة سوفييتية أساسية للقوات السوفييتية بالخارج. وأوضحت للقذافى أن الروس يطالبون بهذه القاعدة منذ عام ١٩٦٩، عندما تقدموا لأول مرة بطلب رسمى للرئيس عبدالناصر لمنحهم هذه القاعدة، وأشرت إلى أن وجود الروس بمرسى مطروح إنما هو تهديد مباشر ايضا لأمن ليبيا.



الفريق أول صادق بصحبة الرئيس الليبي القذافي

وقلت للعقيد القذافى الذى فوجئ بهذا الحرص السوفييتى على احتلال مرسى مطروح واستغلالهم للمرحلة التى تمر بها مصر بعد هزيمة ١٩٦٧، وحاجة قواتها المسلحة للأسلحة والمعدات، أننى أتوقع أن يطلبوا ذلك مجددا من الرئيس السادات خلال زيارة المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفييتى المرتقبة لمصر.

وفعلا حضر القذافى وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى إلى حيث يقيم الرئيس السادات، واسترضوه وشكروه على أنه صفى الموقف معى بصورة طيبة، بعد أن علم بحقيقة الموقف ورد عليه السادات بقصيدة إشادة بوطنيتى وبالجهود التى أبذلها للإعداد للمعركة.

وهنا استدار القذافى ليطلب منى السماح بإرسال لواء مدرع ليبى أو أكثر للتدريب فى مصر. وقد رفضت الطلب، معتذرا بأن الظروف لا تسمح بذلك الآن. فبدأ القذافى يلح، وعندما فهم أعضاء مجلس قيادة الثورة أن العقيد يطلب تدريب لواء مدرع بمصر شاركوا فى الحديث وسألونى لماذا أرفض تدريب هذه الوحدات الليبية؟ وقالوا إنهم كانوا يتوقعون من الفريق صادق أن يوافق على مثل هذا الطلب فورا، وسألونى عن أسباب رفضى فبدأت أشرح لهم أن تركيز القيادة العامة الآن على الإعداد للمعركة، وفى مثل هذه الظروف يصبح من المتعذر الاستجابة لطلب سيادة العقيد.

وانتقلنا للعشاء بعد تمام الصلح بين السادات وبينهم وكان الحديث مازال مستمرا حول تدريب اللواء المدرع الليبى بمصر. وكحل بديل اقترح القذافى إرسال ضباط لتدريب اللواء المدرع بليبيا، واعتذرت أيضا عن الاستجابة لهذا الطلب، فتدخل الرئيس السادات مؤيدا طلب العقيد وبدأ يضغط علي بأن أقبل تقديم هذه المساعدة للعقيد ولباقى الأخوة وللقوات المسلحة الليبية، فقلت له سيادتك القائد الأعلى، ولك الحق أن تأمر، فقال أننى آمرك بالموافقة على تدريب اللواء المدرع الليبى وعلى أى طلبات للعقيد القذافى.

فقلت للرئيس أننى أقبل بشرط أن يحضر اللواء بكامله داخل الأرض المصرية، وهنا سألنى القذافى، عما إذا كان يمكن تدريب هذا اللواء فى مرسى مطروح ليكون قريبا من الحدود الليبية؟ وانتظر أن أجيب، وهنا تدخل الرئيس السادات وقال إن الطلب معقول جدا، وواصل الرئيس طالبا منى الإشراف على تدريب هذا اللواء بنفسى.

ولم يكن القذافى ليغفل طلب توثيق هذه الموافقة فى اتفاقية مكتوبة وأجابه السادات إلى طلبه، فكتبنا اتفاقية خاصة بتدريب هذا اللواء وقعتها أنا والمقدم أبو بكر يونس وقال القذافى، وأنا أيضا سأوقع، بعدها وقع الرئيس السادات على الاتفاقية، وهو لا يعلم أننى أخطط لأن يحتل هذا اللواء المدرع المعسكرات الموجودة فى مرسى مطروح حتى أحرم السوفييت من محاولة النجاح فى احتلال هذه المعسكرات والبدء فى بناء القاعدة البحرية التى خططوا لها طويلا.

لقد أردت أن أسبق المارشال جريتشكو بخطوة بعد أن نجحت فى إحراجه بموضوع تهريب الذهب من مصر. وكان الخبر قد تسرب إلى بعض وكالات الأنباء الأجنبية وبعض الصحف ونشرته على نطاق واسع مع ما يستحقه من عناية ، وكان وراء هذا التسريب المقصود الاستاذ عبده مباشر مما عرضه للحرج داخل الأهرام وخارجه.

وكنت على يقين أن السادات سيستجيب هذه المرة لطلب إقامة قاعدة بحرية وجوية وبرية سوفييتية فى مرسى مطروح من أجل أن يمدوه باحتياجاته من الأسلحة والمعدات. وأننى واثق أن السادات لم يكن يفكر فى دعم الاحتلال السوفييتى لمصر، لأنه كان واثقا من قدرة القوات المسلحة وقدرة مصر على التخلص من هذا الاحتلال وقتما تريد. وكنت أنا على الجانب الآخر مقتنعا، أن السوفييت لو ثبتوا أقدامهم بمثل هذه القاعدة التى تسمح لهم باستقبال قوات سوفييتية فى أى وقت وبالأعداد التى يتطلبها الموقف، بواسطة الإمداد والنقل البحرى والجوى، فلن يخرجوا أبدا. بل بالعكس سيزداد نفوذهم رسوخا بمصر.

الفريق أول صادق يستقبل المارشال جريتشكو وزير دفاع الإتحاد السوفيتي
أثناء زيارته للقاهرة في مايو ١٩٧٢

وعندما حضر المارشال جريتشكو لمصر بعد ذلك بعدة أيام، كانت العلاقات بينى وبين السوفييت فى منتهى السوء. ولما ذهبت لاستقباله فى المطار كما تقضى القواعد، تركنى عدة دقائق واقفا أمام سلم الطائرة... وهممت بالفعل بالمغادرة وترك المكان.. فأسرع بالخروج من باب الطائرة والهبوط بسرعة على السلم فانتظرته بوجه عابس، وكان وجهه أيضا عابسا، ولم نتبادل التحية ولم يكن الموقف المتوتر يسمح لى بالترحيب به.

ولذا لم تنشر أية صور عن هذا الاستقبال العابس، و ركبنا السيارة معا إلى قصر الطاهرة حيث سيقيم، وكانت ملامح وجهى تكشف عن غضب شديد، لتصرفه، وأثناء سيرنا بالسيارة قال لى: « **لقد أتيت لكى أحطم أسنانك...** »

فأجبته: « بأننى علمت بكل ما دار من حوار فى موسكو، ولولا أنك ضيفى، وتقاليدنا تلزمنى بإكرامك كضيف واحترامك، لكنت رأيت من منا سيحطم أسنان الآخر »

فانتقل بالحديث إلى اتجاه آخر وقال إنه حزين جدا لما جرى لمجموعة المستشارين و الخبراء العائدة فى إجازة وأسلوب التصرف مع الطائرة السوفييتية.

فأجبته بأن ما حدث أمر طبيعى جدا، وقد سبق أن نبهنا على كبير الخبراء بأن كل القوات السوفييتية بمصر خاضعة لإجراءات التفتيش الجمركى، مثلهم فى ذلك مثل كل زوار مصر، كما أخبرنا الجميع بأن الامتيازات التى سبق أن منحها لهم الفريق أول فوزى وزير الحربية السابق، لا مكان لها الآن. ولكن رجالك لم يهتموا بما قيل لهم، وترتب على ذلك اصطدامهم برجال الجمارك.

ولم يقتنع جريتشكو بهذا الرد، وظل متيقنا أن ما جرى كان ردا على ما قاله عن تحطيم أسنانى وعن مباراة الملاكمة التى اقترحها الدكتور مراد غالب.

واستمر الحديث بيننا، ثم طلب أن يلتقى برئيس الجمهورية فى نفس يوم وصوله مقابلة خاصة. فأجبته إلى طلبه، وتحددت الساعة السابعة مساء موعدا للقاء الرئيس السادات وكان برنامج زيارته يتضمن إقامة عشاء رسمى مساء نفس اليوم فى الساعة الثامنة مساء وقد تم توجيه الدعوة فعلا لعدد كبير من القادة والضباط المصريين والسوفييت.

وفى الساعة الثامنة توجهت إلى نادى الضباط بالزمالك، حيث يقام العشاء الرسمى، وانتظرت حتى الساعة التاسعة مساء دون أن يحضر المارشال جريتشكو. فغادرت النادى متوجها إلى منزلى المواجه للنادى، وطلبت أن يحيطونى علما عندما يصل الضيف الروسى إلى النادى.

وعندما دقت الساعة الحادية عشر مساء، كان المارشال جريتشكو يدق باب منزلى بنفسه وما أن رآنى حتى بادرنى بالاعتذار، وأخبرنى بأن الرئيس السادات قدم له كمية كبيرة من الكونياك والفودكا، لدرجة أنه لم يتمكن من الوقوف إلا بصعوبة.

وطلبت منه أن يجلس ليستريح قليلا، وجلس وبدأ يحكى أن السيدة جيهان السادات حرم الرئيس وكريماته قد عزفن وغنين له معزوفة (ليالى موسكو)، وهى أغنية شعبية

روسية، مما كان سببا فى بقائه وعدم قدرته على الاستئذان للحاق بموعد العشاء الرسمى، وكان سعيدا جدا بهذا اللقاء وبالأغانى التى سمعها ...

وغادرنا المنزل معا، حيث صحبته سيرا على الأقدام حتى نادى الضباط. وشاهد سكان الزمالك والمارة فى ذلك الوقت المارشال جريتشكو وأنا معه نسير من شارع شجرة الدر حيث أقيم ومعنا عدد كبير من القادة والضباط وقوة الحراسة، ونقطع شارع ٢٦ يوليو فى طريقنا إلى نادى ضباط القوات المسلحة.



وكان من أهداف زيارة المارشال أندريه جريتشكو لمصر التى تم تخطيطها واختيار موعدها لتأتى قبل بدء زيارة نيكسون للاتحاد السوفييتى بأقل من أسبوع وتحديدا بستة أيام فقط تأكيدا واستعراضا لنفوذهم القوى فى مصر والشرق الأوسط، لاستخدام هذه الورقة على مائدة المفاوضات مع الرئيس الأمريكى نيكسون. فقد وصل إلى مصر يوم ١٤ مايو، وغادرها يوم ١٧ مايو ١٩٧٢ ليكون فى استقبال الرئيس الأمريكى نيكسون الذى سوف يبدأ زيارته للاتحاد السوفييتى يوم ٢٠ مايو ١٩٧٢.

وكان من ضمن برنامجه إقناع السادات بزيارة القطعتين البحريتين الروسيتين بميناء الأسكندرية، ولو استجاب السادات لهم لحققت زيارة جريتشكو أهدافها بشكل كامل.

وعندما قمت بزيارة هاتين القطعتين، الغواصة الذرية والمدمرة المزودة بالصواريخ مع جريتشكو والوفدين العسكريين الروسى والمصرى، تناولت طعام الغذاء مع أطقم القطعتين، وتبادلت مع جريتشكو الخطب أثناء الغذاء، لكن كان ملحوظا استياء جريتشكو من عدم زيارة الرئيس السادات للقطعتين، وكان قوى اليقين أننى أنا العقبة التى حالت دون إتمام هذه الزيارة.

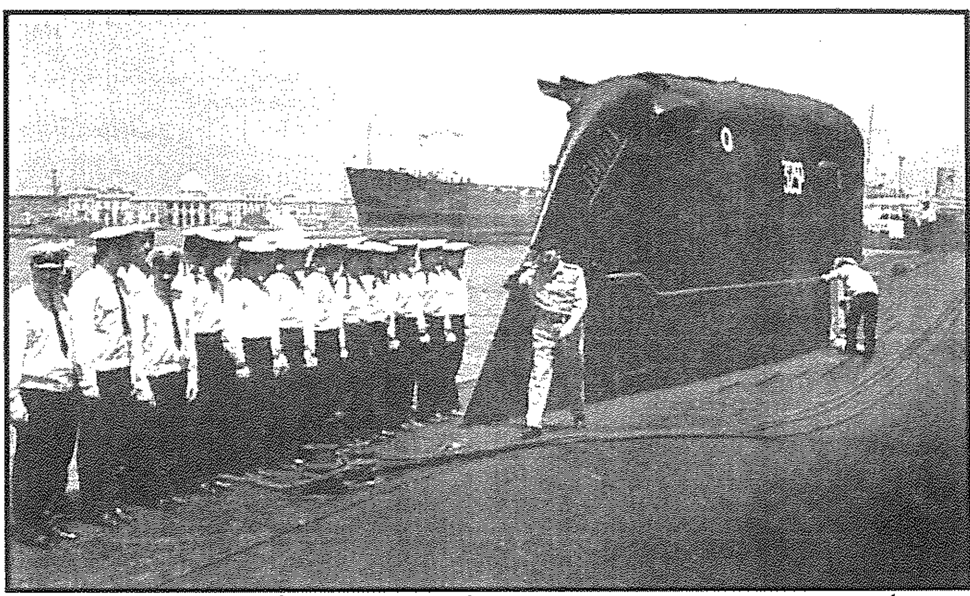
وخلال وجود جريتشكو والوفد الروسى بالأسكندرية فى الفترة من ١٥ حتى ١٧ مايو ١٩٧٢ تقرر اختيار قصر الصفا قصرا لإقامتهم، ولأنه سبق أن وفدا روسيا قام بجمع بعض التحف والقطع الفنية والفازات من قصر الطاهرة بالقاهرة وحملوها معهم عند عودتهم، فقد أعطى المشرف على القصر تعليماته لرجاله بمراقبة القصر تماما للحفاظ على ما به من مقتنيات وقطع منقولة.

وسجل المشرف على القصر أن الوفد شرب خلال ليلة واحدة عدد هائل من زجاجات الويسكى، وكانت السفارة السوفييتية قد أعدت حفلا بقصر الصفا بزيزينيا بالأسكندرية نجمته الراقصة سهير زكى بناء على طلب شخصى لجريتشكو حيث كان يحرص على لقائها فى كل زيارة لمصر، كما سبق أن استضافها فى موسكو. وكان الوفد المصرى على موعد للاجتماع بنظيره السوفييتى بقصر الصفا، وعند وصولهم فوجئوا بالحفل و الراقصة، فاعتذروا عن البقاء، وغادروا القصر.

ووفقا لما هو مخطط أقام الروس عرضا جويا بالطائرة «ميج ٢٥» المخصصة للاستطلاع الجوى ولطائرة أعلنوا إنها «سوخوى ١٧» وفى الحقيقة لم تكن سوى الطائرة «سوخوى ٧» المعدلة ، ذات الأجنحة المتحركة.

وقد طلب الرئيس السادات أن أدعو عددا قليلا من الضباط، ثم قال بشرط ألا يزيد العدد عن ١٠ أفراد لحضور العرض الذى قرر أن يشهده بنفسه. وكان الوفد السوفييتى الذى يرأسه جريتشكو يضم أدميرال البحر جورشكوف قائد القوات البحرية ومارشال الجو كوبرنوف قائد القوات الجوية وعددا آخر من كبار القادة.

واختار السوفييت قاعدة غرب القاهرة الجوية، التى كانت تحت سيطرتهم بالكامل، وكان ممنوعا على المصريين دخولها. وأيضا كان حضور السادات للعرض الجوى بصحبة



الفريق أول صادق فى زيارة لغواصة نووية سوفيتية أثناء زيارتها لميناء الأسكندرية. (١٥ مايو ١٩٧٢)



الفريق أول صادق والمارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى واللواء محمود فهمى قائد القوات البحريه فى زيارة للمدمرة السوفيتية بالأسكندرية، التى كانت سبب فى حدوث أزمه مع الرئيس السادات.(١٥ مايو ١٩٧٢)

جريتشكو والوفد الروسى يحمل الكثير من الدلالات. ولم يكن ممكنا إقناع الرئيس هذه المرة بعدم الحضور، لكن لجأت إلى أسلوب آخر؛ فقد طلبت من قائد القوات الجوية أن يدعو ١٥٠ من قادة وضباط القاذفات المقاتلة لحضور المناورة والعرض الجوى.

وعندما شاهد السوفييت عدد الحاضرين أبدوا استغرابهم ودهشتهم فهم الذين أصروا على ألا يزيد عدد المدعوين من القادة والضباط المصريين عن ١٠ أفراد .. وما قاله السوفييت لى بقاعدة غرب القاهرة الجوية بهذا الشأن كشف لى أن ما طلبه السادات كان بناء على طلب السوفييت وكان واضحا بالنسبة لى ولكثير من القادة أن الروس يريدون إيهام الناس فى مصر والخارج أن القوات المسلحة المصرية تملك تسليحا جيدا، بكل ما سيترتب على هذا التصور من نتائج.

وفعلا تمت المناورة وفى أعقابها أخرج المارشال جريتشكو من جيبه بيانا مكتوبا باللغة الروسية طالبا إذاعته. ويفيد البيان أن رئيس جمهورية مصر شاهد بيانا جويا لقاذفات مقاتلة عددوا مواصفاتها بشكل يؤكد كفاءتها وتفوقها من ناحية القدرة على المناورة والمدى والتسليح ولم يشر البيان إلى وجود وزير الحربية ولا قائد القوات الجوية المصرية. أما أخطر ما فى البيان فهو الادعاء بأن الطيارين المصريين هم الذين قادوا هذه الطائرات.

وبالرغم من أن الرئيس السادات قد فهم الهدف من الزيارة ومن إصرارهم على زيارته للقطع البحرية السوفييتية بالأسكندرية وعلى حضوره للبيان الجوى، وأن توقيت الزيارة بكل ما فيها إنما هو عملية استعراض نفوذ، فقد أمر بإذاعة البيان الروسى بالرغم من اعتراضى عليه.

فليس مألوفا أن يحضر ضيف إلى مصر حتى ولو كان بوزن المارشال جريتشكو وهو يحمل بيانا صحفيا مكتوبا ومعدا وبشكل مسبق لتحقيق أهداف محددة تخدم مصالح دولته، وتسيء بشكل أو آخر للدولة المضيفة، ثم يطلب إذاعة البيان كما هو لنشره على نطاق واسع بالداخل والخارج.

وعندما أذيع البيان وجدت أن أسمى قد أضيف لقائمة الأسماء التى شهدت العرض. ولم يكتف السادات بالموافقة على إذاعة البيان، بل أصر على منح الوفد العسكرى الروسى نياشين وأوسمة عسكرية مصرية رفيعة فقد كان يعمل من أجل نيل رضاهم، متصورا أن ذلك هو الطريق للحصول على الأسلحة المطلوبة. وبعد إذاعة البيان، أدلى الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء بتصريح قال فيه، لقد أصبح التفوق الجوى الإسرائيلى خرافة !!!!.

وأثناء اجتماع مجلس الوزراء فى اليوم التالى أعلنت احتجاجى الشديد على إدلاء رئيس الوزراء ببيانات غير صحيحة، مما يؤدى لتضليل الرأى العام ورسم صورة غير حقيقية عن قوة القوات الجوية المصرية وأيضا للقوة الإسرائيلية وأخبرته أن الطائرات التى اشتركت فى العرض الجوى، أخذها الروس معهم وهم عائدون إلى بلدهم، وأن الطيارين الروس هم الذين قادوا هذه الطائرات. وإذا كان البيان الروسى مليئا بالتضليل، فإن على رئيس وزراء مصر وهو يخاطب أبناء مصر أن يعلن الحقيقة، لا أن يساهم مع الروس فى تضليل الشعب المصرى. فخرج عزيز صدقى من قاعة الاجتماع تاركا الوزراء، وذهب إلى رئيس الجمهورية شاكيا، فاتصل بى رئيس الجمهورية طالبا إنهاء الموضوع عند هذا الحد.

وقبل أن يغادر جريتشكو مصر كان يحمل معه مشروع اتفاقية توصلنا إليها خلال مباحثاتنا لإمداد مصر بقدر من احتياجاتها العسكرية وقد استثمر الوفد المصرى مناخ الزيارة ليضغط ويطلب من السوفييت أفضل الممكن.

❁ ❁ ❁

قواعد سوفييتية فى مصر

فى الساعة الثامنة من صباح أحد أيام شهر يونيه ١٩٧٢، كان اللواء أحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة يدخل مكتبى زائراً، بناء على موعد تحدد مساء اليوم السابق خلال اتصال تليفونى. وكان واضحاً من خلال حديثه التليفونى أن الأمر عاجل، وأنه - كما قال- يفضل أن يشرب القهوة معى فى مكتبى.

خلال هذه المرحلة كانت الأجواء مشحونة بالتوتر، فالعلاقات المصرية السوفييتية تشهد انحدارا غير مسبوق، وعلاقاتى بالسادات محاطة بالشكوك والمخاوف من جانبه، أما الاتحاد السوفييتى فيرانى عدوا وخصما يسد الطريق عليه فى مصر، ويحول بينه وبين أهدافه التى يسعى إليها، ومنها الحصول على قواعد عسكرية لتوطيد وجوده ونفوذه.

وبدا أحمد اسماعيل فى حديثه ودودا وبشوشا، وأخذ ينتقل بين قضايا ومشاكل مختلفة، وإن كانت كلها مرتبطة بالعلاقات السوفييتية المصرية. وتطرق إلى غضب السادات من المواقف المتشددة التى أقفها من الخبراء والمستشارين الروس، ومن طلبات قادة الكرملين خاصة تلك التى طرحها المارشال جريتشكو فى زيارته الأخيرة، ثم أكد أنه سيطرح اقتراحا يضمن به رضاء الرئيس السادات عنى، وينهى ما يحمله من مشاعر غضب وسخط تجاهى، ويوقف حملة الكراهية التى أتعرض لها من البعض استغلالا منهم للموقف الحالي وإحساسا بأن ما يقولونه يرضى السادات، ويرضى الروس فى نفس الوقت، ويقنعهم بأن شكوكهم لا أساس لها، ويقضى على المشاكل التى ثارت بينى وبينهم ويحسم الموقف ويساعد على تنقية كل الأجواء بين كل الأطراف. وقال أحمد اسماعيل: «**باختصار هو حل يرضى جميع الأطراف**».

وانتقل مدير المخابرات العامة للحديث عن هذا الاقتراح، فإذا به يعرض عليَّ أن أوافق على وجود فرقتين من الجيش السوفييتى، أو فرقة واحدة على الأقل فى منطقة البحر الأحمر بعد إخلائها من القوات المصرية. و واصل قائلا وبهذا سأضمن وجود قوات أكثر لدى للعمل فى مناطق أخرى تحتاج إليها.

أى أن إخلاء منطقة البحر الأحمر من القوات المصرية، سيوفر للقيادة العامة هذه القوات، التى يمكن استخدامها فى مناطق أخرى قد تكون فى حاجة إليها. وبالموافقة على هذا العرض، سيصبح السوفييت هم المسئولون عن منطقة البحر الأحمر، وتتخفف القيادة العامة المصرية من هذا العبء ومن المسئولية عن هذه المنطقة النائية.

وقال أحمد اسماعيل إن منح السوفييت هذه المنطقة سيؤدى إلى وقف مطالبتهم المستمرة بالحصول على قواعد عسكرية وزيادة حجم قواتهم العسكرية بمصر، ولن تستمر ضغوطهم للحصول على قواعد بحرية سوفييتية فى مرسى مطروح والأسكندرية وبورسعيد ورأس بناس، وقواعد جوية فى مطار غرب القاهرة وبنى سويف ورأس بناس ومرسى مطروح. والأهم أن السوفييت سيقع على عاتقهم عبء الدفاع عن منطقة البحر الأحمر التى تمتد لحوالى ١٠٠٠ كيلومتر طولا.

ولدعم وجهة نظره قال إن السادات سيتمكن بعد هذا القرار من الحصول على صفقات السلاح التى يريدها ويسعى إليها من السوفييت، وإن المسئولين بموسكو لن يماطلوا بعد الآن فى تنفيذ الصفقات، وسيستجيبون لمطالبكم فى الحصول على السلاح المطلوب للردع، وعلى الأسلحة التى تخدم خطط الإعداد للمعركة.

وستتحسن بذلك العلاقات المصرية السوفييتية، وسيشعر السادات بالرضا الكامل عن السوفييت وعن وزير حربيته ، وستمضى خطط الإعداد للمعركة على أفضل صورة وسيشعر الروس بالرضا العميق وسيتنفسون بارتياح عندما يتوقف محمد صادق عن الاعتراض المستمر على مطالبهم حتى وإن وافق الرئيس السادات عليها. وسيقتنع السادات بأننى لست عقبة على طريق تحسين علاقاته بالروس، وطريق تطور ونمو العلاقات المصرية السوفييتية.

وكان السادات قد وافق أكثر من مرة على منح السوفييت قواعد بحرية وجوية، وكنت أحول بين السوفييت وتحقيق هذه المطالب. وكان يحاول إقناعى بأن الأمر لا يحمل أية مخاطرأو انتهاكات للسيادة الوطنية، وأننى الفريق أول صادق ، قادر على إخراج هؤلاء الروس فى أى وقت ....

وقال أحمد اسماعيل إننى لو وافقت على اقتراحه، فإن السادات سيقتنع أننى أدركت فى النهاية أن منطقه هو الصواب، وبذلك تذوب الحساسيات بينى وبينه ولا أصبح بالنسبة له «**كالعُقلة فى الزور...**» حسب تعبيره .

وكثيرا ما كنت أقول للسادات، ونحن وحدنا، إن الروس لو رسخوا احتلالهم لمصر، فلن تتمكن مصر من إخراجهم أبدا. وكان يرد على ذلك، بأنني قادر على إخراجهم فى أى وقت، وإنما المهم الآن منحهم القواعد المطلوبة لتحسين العلاقات والحصول على السلاح الذى تحتاجه القوات المسلحة. واستمعت إلى اقتراح أحمد اسماعيل جيدا، وتركته يعرض كل أسانيده ومنطقه محاولا إقناعى.

وبعد أن انتهى أحمد اسماعيل من حديثه أمسك بقدح القهوة الموجود أمامه ورشف رشفة وهو ينظر إلىّ منتظرا أن يسمع رأيى فيما قال. وكانت ملامح وجهه تعكس إحساسا بالراحة لما قاله عن اقتراحه والأسلوب الجيد الذى ساقه به.

وخلال هذا الوقت، كنت أتساءل هل هذه هى أفكار أحمد اسماعيل؟ أم إنها أفكار أشخاص آخرين؟ هل هى أفكار السادات؟ وهل هى رسالة من السادات، آثر أن ينقلها لى أحمد اسماعيل، بدلا من أن يطرحها هو بنفسه، خشية تجدد الاحتكاكات بينى وبينه حول نفس القضية؟ أم أنها اقتراحا سوفييتيا؟ وهل هناك علاقة قوية بين السوفييت وأحمد اسماعيل تسمح له بطرح مثل هذه القضايا؟

ومثل هذه الأسئلة والتساؤلات أعادت إلى ذهنى ما أعرفه من معلومات عن أحمد اسماعيل، فقد أُحيل إلى التقاعد في يونيه ١٩٦٧، عقب وقف إطلاق النار مباشرة. وخلال هذه الفترة تمت تصفية قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وعدد كبير من كبار القادة، منهم من استقال، ومنهم من أقيل، فى أكبر حركة تصفيات منذ يوليو ١٩٥٢.

وقد تمكن الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة من تسوية حساباته بالكامل مع رجال المشير عامر، ومع القادة الذين لم يولوه الاحترام فى السابق.

وخلال هذه الفترة أيضا استعان عبدالناصر بالروس لتقييم الموقف، وفهم ما حدث ولوضع خطة لإعادة بناء القوات المسلحة، ووصل إلى مصر المارشال زخاروف رئيس الأركان السوفيتى لإنجاز هذه الأهداف. وكان من أهم ما طلبه زخاروف إعادة أحمد اسماعيل إلى الخدمة ، ليس ذلك فقط، بل وإسناد مسئولية قيادة الجبهة ككل إليه. ولم تكن الجبهة قد انقسمت إلى جبهتين ، كانت الجبهة مسئولية واحدة، وكان المطلوب إنشاء خط دفاعى بعد أن انهارت القوات المسلحة ككل. وفعلا أعيد أحمد اسماعيل إلى الخدمة وصدر قرار بتوليه قيادة الجبهة ككل.



الرئيس عبد الناصر متحدثاً للعقيد طيار حسني مبارك وبينهما الفريق عبد المنعم رياض رئيس الاركان
ويظهر فى الخلف الفريق أول فوزي واللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية.

أما الفريق أول محمد فوزى الذى خطط وساهم فى القضاء على أكبر عدد من قادة القوات المسلحة فى ذلك الوقت فيما عُرف بعد ذلك بمؤامرة الاستقالات، فقد ظل يردد لكل من حوله إن الروس أعادوا أحمد اسماعيل.

وآل منصب وزير الحربية إلى الفريق أول فوزى ، وبعد استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض فى مارس ١٩٦٩، أسند عبدالناصر مسئولية رئيس الأركان للواء أحمد اسماعيل. ولم يرتح فوزى إطلاقا لهذا التعيين ، وشعر بخطورة الموقف لأنه يعلم يقينا صلة الروس به، ويدرك أن عبدالناصر فى حساباته وتوازناته التى يحرص عليها ويمارسها باستمرار، قد وضع بجانبه شوكة قوية تحد من سلطاته وتراقبه وتحصى عليه خطواته.

وتوقع أن يكون أحمد اسماعيل هو وزير الحربية القادم، عندما ينتهى دوره ، أو عندما يريد عبدالناصر التخلص منه، وكان إحساسه المتزايد بوجود خليفة له بكل ما يحظى به من دعم روسى ، ومعرفته بأن عبدالناصر لن يغضب الروس ويتخلى عن أحمد اسماعيل يضاعف من إحساسه بالقلق.



الرئيس عبد الناصر يصافح اللواء صادق مدير إدارة المخابرات الحربية
ويظهر فى الصورة اللواء أحمد إسماعيل رئيس الأركان والسيد محمود رياض وزير الخارجية

وكان صمت الفريق فوزى فى وجود الفريق عبدالمنعم رياض رحمه الله راجعا إلى كفاءة رياض، ودعم عبدالناصر له، أما صمته تجاه وجود أحمد اسماعيل فمن جانب منه خشية إغضاب عبدالناصر، ومن جانب آخر إدراكه أنه يحظى بثقة الروس. وربما كان ذلك وراء اندفاع فوزى لإرضاء الروس ، وبأكثر مما تحتمله الظروف داخل القوات المسلحة.

ولكن فوزى بدهائه انتظر التوقيت المناسب للتخلص من أحمد اسماعيل. فبعد نجاح العملية الإسرائيلية فى منطقة الزعفرانة يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩، بالرغم من أن المخابرات الحربية قدمت تقريرا بالصور لتدريبات إسرائيلية على عمليات إبرار بحرى وتتوقع فيه أن يقدم العدو على عمليات إبرار بحرى بالساحل الغربي لخليج السويس، خاصة فى منطقة الزعفرانة ، تمكن محمد فوزى من زرع «الأسفين» الأول للتخلص من أحمد اسماعيل، وعندما تمكنت إسرائيل من تنفيذ عملية الاستيلاء على الرادار بمنطقة رأس غارب نجح فى الإطاحة به.

أما عودة أحمد اسماعيل للأضواء مرة أخرى فلها قصة ترجع إلى عام ١٩٦٧، فى هذه الفترة كان السادات يشغل منصب رئيس مجلس الأمة. وعندما حان موعد الانعقاد العادى للمجلس فى خريف عام ١٩٦٧، توجه إلى الرئيس عبدالناصر وطلب منه أن يحدد موعدا لافتتاح الدورة البرلمانية، وتوجيه كلمة الافتتاح ، كما جرى العرف.

وفوجئ السادات برفض عبدالناصر للدعوة ، وإصراره على ألا يتحدث قبل أن يتم استكمال الخط الدفاعى الأول، لأنه يريد أن يتحدث بنفس الطريقة التى كان يتحدث بها دائما، فمن الصعب عليه أن يغير نمط حديثه.

وفى ظروف عدم وجود خط دفاعى يحمى مصر من أية احتمالات أو خطط إسرائيلية بعد وصولهم إلى الشاطئ الشرقى لقناة السويس، ووجودهم على مسافة ١٠٠ كيلو متر من القاهرة، لا يمكنه أن يتحدث بقوة كما اعتاد أن يتحدث.

وتوجه السادات إلى الجبهة، والتقى باللواء أحمد اسماعيل قائد الجبهة فى ذلك الوقت، وعرض عليه الموقف وحرصه على ألا يتأخر افتتاح دورة مجلس الأمة كثيرا عن موعدها حتى لا يحدث خلل دستورى يؤثر على مستقبل المجلس، وعليه شخصيا.

ولم يتردد أحمد اسماعيل فى الاستجابة لما طلبه منه السادات ، ووعده بأنه سيعلن الانتهاء من إنشاء الخط الدفاعى الأول فى نوفمبر ١٩٦٧، وقبل أن يكون قد أكتمل فعلا. وتشير التقارير إلى أن الخط الدفاعى كان قد اكتمل بنسبة ٦٠٪ خلال ذلك الوقت.

وفعلا أوفى أحمد اسماعيل بوعده، وتم تحديد موعد افتتاح دورة مجلس الأمة، وخطب عبدالناصر كما تعود دائما. وحفظ أنور السادات هذا الصنيع لأحمد اسماعيل.

وعندما وصل السادات إلى منصب رئيس الجمهورية، لم يكن قد نسى صنيع أحمد اسماعيل، ولكنه لم يفكر فى الاستعانة به، وتركه يعمل بالتجارة مع أفراد عائلته، وهو العمل الذى بدأه بعد إحالته للتقاعد.

وبعد أحداث مايو ١٩٧١، أمر السادات باستدعائه لمقابلته، وأمام هذه الدعوة المفاجئة، قال لمن حضر لاستدعائه، «والله العظيم لم أفعل شيئا، ولم أتصل بأى واحد». وفوجئ بعد ذلك ، أنه لم يتم استدعاؤه للاستجواب أو للاعتقال، بل لإسناد منصب مدير المخابرات العامة إليه. وبعد تعيينه قام بزيارة سرية إلى موسكو، وظلت خطوط اتصاله بالعاصمة السوفييتية قوية.

وظلت علامات الاستفهام حول اقتراح أحمد اسماعيل تتردد بقوة فى ذهنى ، ولم يكن متاحا لى أن أستمر فى تساؤلاتى والرجل ينتظر أن يسمع رأيى، خاصة أنه قطع فترة الصمت بقوله إن الاقتراح جيد ، كما أنه منطقى ومعقول.

فقلت له ، إننى أعلم أنك كنت فى زيارة خاصة للاتحاد السوفييتى، وأنك اجتمعت طويلا بأندروبوف رئيس جهاز المخابرات السوفييتية K.G.B ، فهل هو صاحب هذا الاقتراح ؟ أم أن هناك مسئولين آخرين حاولوا إقناعك بهذا الاقتراح ؟ أم أن كبير المستشارين السوفييت بمصر هو الذى عرض عليك ذلك ؟

فرد أحمد اسماعيل قائلا: إنه هو صاحب الاقتراح ، وإنه إنما يطرحه مستهدفا تخفيف الضغط علي بسبب الإعداد للمعركة.

فقلت له: أياً كان صاحب الاقتراح، فإننى أرفضه تماما؛ إن مثل هذا الاقتراح يعنى وجود ما يقرب من ٦٠ ألف جندى سوفييتى فى منطقة البحر الأحمر، أى على مقربة ساعات من وادى النيل ، وقد تكون الفترة الزمنية أقل من ساعتين ، كما أنهم سيسيطرون على موانئ رأس بناس والغردقة وسفاجا والقصير، وبها يسمح لهم بحرية استقبال سفنهم. بالإضافة إلى ذلك سيسيطرون على مطارات رأس بناس وبير عريضة والغردقة و وادى قنا ، سواء أردنا أم لم نرد بعد وصول هذه القوات.

ويضاف إلى هاتين الفرقتين هذا العدد الكبير الذى يصل إلى ٢٤ ألف جندى وضابط وقائد ومستشار وخبير، الموجودين الآن فوق أرض مصر.

أما عما تقوله من أن وجود هذه القوات سيوفر لى قوة كبيرة تدعم خطط الهجوم على العدو، مثلما يطالب الرئيس السادات، فإننى أعلم كما تعلم أن القوات الموجودة بمنطقة البحر الأحمر، قوات خفيفة الحركة، ومشكلة لمقاومة عمليات الإنزال البرى والبحرى والدفاع عن الشواطئ المصرية وبعض المناطق الأخرى كآبار البترول والموانئ. ومثل هذه القوات لا تصلح إلا للأغراض المشكلة من أجلها. أى أنها لن تمثل إضافة للقوات الموجودة بالجبهة، ولن تساهم فى دعم عملية الإعداد للمعركة.

أما إذا كان الهدف ما يجرى من تخطيط وإعداد للمعركة، فإنه يمكن الإسهام فى ذلك بمطالبة الصديق السوفييتى بإمداد مصر بالأسلحة المطلوبة خاصة الأسلحة المتطورة، التى تحتاجها القوات الجوية والدفاع الجوى.

وهناك نقطة أخرى، بما أن مصر لن تملك القدرة على عد أو إحصاء عدد الفرقتين لا مرة أولى ولا بعد ذلك، فقد يستغل الروس الفرصة لزيادة حجم القوات إذا كانت أهدافهم تتطلب ذلك. وبالأجهزة الحديثة التى تسمح لهم باستقبال طائرات بمعدل طائرة كل ٣٠ ثانية، يمكننا أن نتصور حجم القوات التى يمكن استقبالها عندما يتطلب الموقف ذلك.

ولو ذهبنا بخيالنا إلى احتمال قيام ضابط صغير برتبة رائد أو مقدم أو أية رتبة أخرى بانقلاب عسكرى، وأعلن وهو داخل وحدته، وقبل أن يتحرك فعلا للاستيلاء على السلطة أو المنشآت والمرافق العامة، وطالب بدعم القوات السوفييتية له، فماذا يمكن أن يحدث؟

وطبعا تعلم أن المخابرات السوفييتية تجيد ذلك التدبير باستمرار. وفى مثل هذه الظروف التي نتحدث عنها، ستتحرك هذه القوات القريبة لدعم هذا الانقلاب، والاستيلاء لا على السلطة فقط بل على البلد وبشكل قانونى، فهناك ضابط شيوعى نجحوا في تجنيده، وأعلن من محطة إذاعة أمدوه بها، أنه قام بانقلاب واستولى على السلطة، ويطلب دعم القوات السوفييتية الصديقة.

وودعت أحمد اسماعيل حتى باب الوزارة الخارجى، مصحوبا بما يستحقه كزميل زارنى فى مكتبى. وعلمت بعد ذلك من أحمد اسماعيل أن السادات هو صاحب الاقتراح، وهو الذى طلب منه أن يعرضه علي واشترط ألا يشير إليه بأى صورة من الصور، ولما سألته عما وراء هذا الاقتراح، أجاب بأن السادات تصور أن نزول فرقة روسية أو أكثر سيعمل على تدعيم القوات الروسية الموجودة بمصر.

وما قاله أحمد اسماعيل، لم يكن صحيحا ١٠٠٪، فقد علمت أنه هو الذى أقنع السادات بهذا الاقتراح. فطلب منه السادات عرضه على. وقال له، لو وافق صادق على ذلك فستنتهى كل المشاكل. وكان السادات يشير بذلك إلى قضية القاعدة التى طلبها السوفييت فى مرسى مطروح.

ويرجع بداية النفوذ السوفييتى فى مصر، عقب توقيع صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية اسما عام ١٩٥٥، والسوفييتية حقيقة وواقعا، وتطورت العلاقات بتوقيع اتفاقية تمويل وبناء السد العالى وقد حاول السوفييت خلال هذه المرحلة إخفاء حقيقة أهدافهم خلف شعار دعم ومساندة حركات التحرر الوطنى الذى رفعوه بقوة.

وكانت زيارة خروشوف لمصر عام ١٩٦٤ منعطفا فى العلاقات المصرية السوفييتية، فقبل أن تطأ قدمه أرض مصر اشترط الإفراج عن كل المسجونين والمعتقلين الشيوعيين بعد أن رفع شعار، كيف أزور بلدا يتخذ موقفا معاديا من الشيوعيين، ويواصل سجنهم واعتقالهم؟

وتحت الضغط الروسى الشديد للاستفادة من خبرات هؤلاء، قررت مصر تعيينهم في المجالات والأماكن التي يختارونها، فاختاروا جميعا ميدان الثقافة والإعلام.

وقدم السوفييت طلبا بالسماح لخمس قطع بحرية من الأسطول السوفييتى بزيارة موانئ الأسكندرية وبورسعيد والسلوم بواقع خمس مرات فى العام.

كانوا يبحثون عن ثغرة ينفذون منها لإثبات حضورهم ووجودهم فى المياه المصرية، وأن ترتفع أعلامهم بحيث يشاهدها الجميع. ولتمرير الأمر على السلطات المصرية، اقترحوا أن تقوم وحدات من الأسطول المصرى بزيارات مماثلة للموانى السوفييتية المطلة على البحر الأسود، أوديسا وسباستبول ونفراسك، وقد رفض جمال عبدالناصر الطلب، ووافق فقط على قيام الوحدات السوفييتية بزيارات عادية للموانئ المصرية.

وعندما علم الامريكان واستفسروا عما يجرى قرروا إحراج عبد الناصر وتقدموا بطلب زيارة لقطع بحرية من الأسطول السادس بالمتوسط للموانئ المصرية فاضطر الرئيس للموافقة منعا للحرج.

وبعد نكسة يونيو٦٧ ومع بداية الجسر الجوى بين موسكو والقاهرة، لإمداد مصر ببعض احتياجاتها العسكرية، بدأت مرحلة جديدة للضغط على مصر وقيادتها، والهدف هو ترويض الجميع على القبول بالنفوذ والحضور والنصيحة السوفييتية، وكانت التحركات السوفييتية مخططة جيدا بدأت بزيارة المارشال زخاروف رئيس هيئة أركان حرب السوفييتية الذى حضر إلى مصر بعد الهزيمة، وكانت مهمته فرض المستشارين والخبراء الروس على القوات المسلحة، التى لا تعرف كيف تقاتل.... وتطويع الرئيس عبدالناصر الذى سبق أن رفض الموافقة على منح تسهيلات للقطع البحرية السوفييتية.

وبالفعل وقعت مصر على اتفاقية تسهيلات بحرية وجوية، وعلى اتفاقية أخرى خاصة بالمستشارين والخبراء السوفييت ولم يتوقف السوفييت عن طلب المزيد باستمرار..

كانوا يماطلون فى تنفيذ الصفقات العسكرية للضغط للحصول على قطعة أكبر من السيادة المصرية.

وأراد السوفييت أن يعرف العالم أنهم أصحاب الكلمة فى مصر، فعمدوا إلى تسريب أنباء بشكل مباشر أو غير مباشر للنشر فى وسائل الإعلام العالمية، ومن ذلك ما بثته وكالة يونايتد برس يوم ١٢ أبريل ١٩٧١ عن تصريح لمصادر دبلوماسية، تتضمن بناء السوفييت لقاعدة بحرية فى مرسى مطروح لاستقبال قطع الأسطول السوفييتى الخامس بالبحر المتوسط بما فيها القطع الذرية، بواسطة فريق إنشاء سوفييتى.

وحدد النبأ مدة ١٨ شهرا للانتهاء من هذه الإنشاءات. وسبق ذلك أن نشر الاتحاد السوفييتى فى وثائق بحرية عن وجوده واستخدامه لقاعدة مرسى مطروح، وقد نقلت البحرية الإنجليزية هذه البيانات السوفييتية وأعادت نشرها فى نشرتها البحرية.

وبعد تولى الرئيس السادات لمقاليد الحكم و أحداث مايو ١٩٧١، قدم السوفييت مشروع اتفاقية، يطلبون فيها إقامة مركز قيادة للأسطول الخامس السوفييتى على البر، وإنشاء مركز قيادة متحرك بمنطقة مرسى مطروح، ومناطق لإسكان عائلات أفراد الأطقم السوفييتية للأسطول وللقوات التى ستتولى حماية المنطقة. كما طالبوا بمناطق إسكان مماثلة بالأسكندرية للقطع البحرية التى ستتوقف بقاعدة الأسكندرية البحرية.

وأمام خطورة الطلب، الذى توافق مع زيارة الرئيس السوفييتى بودجورنى العاجلة والمفاجئة لمصر للاطمئنان على وضع العلاقات المصرية السوفييتية بعد إزاحة مجموعة مراكز القوى، أرسلت مشروع الاتفاقية للواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية لإبداء الرأى؛ ورد قائد القوات البحرية بمذكرة وافية تضمنت كل الخطوات السوفيتية لتثبيت نفوذهم ودعم وجودهم العسكري خاصة فيما يتعلق بالحصول على قواعد بحرية فى كل موانئ مصر تقريبا.

و تحددت مطالبهم كالتالى:

١ - الحصول على منطقة من الأرض حول ميناء مرسى مطروح لإحاطتها بسور، ولا يصرح للمصريين بدخولها، لأنها ستصبح منطقة عسكرية سوفييتية وستقام أبراج مراقبة ونقاط تفتيش، وسيجرى حراستها بجنود سوفييت.

٢ - إنشاء قيادة بحرية، للسيطرة على وحدات الأسطول الخامس السوفييتى بالبحر المتوسط.

٣ - إنشاء مراكز مراقبة فنية على البر وأجهزة رادار، ومحطات إشارة بالميناء من الداخل والخارج.

وتوالت مطالب السوفييت وضغوطهم للحصول على مرسى مطروح لإقامة قاعدة بحرية وجوية وبرية. ومن خلال التسهيلات التى سبق أن حصلوا عليها لاستقبال بعض القطع البحرية ، أقاموا رصيفا عائما، ثم عمدوا إلى تحويل هذا الرصيف إلى رصيف دائم وبدءوا الزحف للحصول على مئات الشقق والغرف بالفنادق، تمهيدا لإخلاء مرسى مطروح من أهلها. ومع كل مطلب يتقدمون به، يضاعفون من ضغوطهم على القيادتين السياسية والعسكرية.

وفى كل مرة أكتب مذكرة جديدة للرئيس السادات أوضح له خطورة الأمر ، وأن هناك مناطق بالكامل لا يدخلها أو يقترب منها أى مصرى إلا بإذن سوفييتى. ويقرنى السادات على موقفى، وإن كان فى كل مرة يسألنى ولماذا لا توافق على طلباتهم، طالما فى إمكانك أن تخرجهم فى أى وقت؟

وأعود لأوضح له من جديد خطورة الأمر وأعدد له الأسباب، وأدرك في كل مرة أن الرئيس يخفى حقيقة التيارات العنيفة التي تتصارع في داخله، وتحت الضغوط السوفييتية، بدأت دراسة منحهم تسهيلات أكبر في مرسى مطروح. وجاءت لجان لدراسة تحويل الميناء الصغير إلى قاعدة بحرية، وتمت دراسة عميقة وشاملة للميناء بواسطة كل جانب.

ورأى الجانب المصرى العودة إلى إستخدام الميناء القديم، وأن يكون المدخل من ناحية الشرق.

ووافق الروس على استخدام الميناء القديم طالما هو صالح للاستخدام، وإن أصروا على أن يكون مدخل الميناء من أى اتجاه إلا من اتجاه الشرق. وقدموا ثلاث بدائل لفتحة الميناء وهى الشمال والشمال الشرقى والشمال الغربى، وأقر بيت الخبرة اليوغسلافى وجهة النظر المصرية، لأنها الأصوب والأقل تكلفة.

وأمام كثرة اعتراضاتي واعتراض قائد القوات البحرية اللواء محمود فهمى وباقى القادة الذين كانوا على اتصال بالموضوع ، قرر السادات أن يزور مرسى مطروح فى طريق عودته من زيارة له لليبيا. وقمنا بجولة بالمدينة: السادات وأنا وقائد القوات البحرية، لتفقد موقع الميناء .

وأثناء الاستراحة التى أعقبت ذلك ، طلب أن يسمع كل شئ عن هذه المشكلة. ولأكثر من ساعة أفاض الجميع فى الشرح لإحاطته علما بكل المعلومات والأبعاد والمخاطر.

وكأن كل ما حصل عليه السوفييت من تسهيلات على امتداد أرض مصر لم يكفهم ، فقد طالبوا بتأكيد سيطرتهم الكاملة على مرسى مطروح. وجددوا الطلب خلال زيارة السادات لموسكو فى أبريل ١٩٧٢، وحمل الماريشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى خلال زيارته للقاهرة مشروع اتفاقية جديدة شاملة تعطيهم حقوق السيادة على منطقة قواعدهم البحرية والجوية والبرية، والحق فى استخدام القاعدة الجوية لتحليق طائرات الاستطلاع بعيدة المدى لمراقبة الأسطول السادس، وكانت هذه الطائرات تقلع من قاعدة غرب القاهرة الجوية من قبل.

وخلال زيارة المارشال أندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفييتى والوفد العسكرى الكبير المرافق له ومن أعضائه قائد القوات البحرية وقائد القوات الجوية والتى بدا واضحا أن الهدف منها:

أولا : حاولة استرضاء القوات المسلحة بشكل يرضى الكبرياء ويحقق الرجاء فى الحصول على أسلحة حديثة. وكان أسلوبهم فى ذلك إذاعة البيان الذى يكشف عن حصول مصر على طائرات حديثة منها الميج ٢٥ والسوخوى ١٧ . وبما يوضح أن هناك أسلحة حديثة غير الطائرات قد تسلمتها مصر أو هى فى الطريق.

ثانيا : الحصول على قاعدة عسكرية كاملة للسوفييت فى مرسى مطروح، يتوجون بها محاولاتهم التى بدأت عام ١٩٦٤ لتثبيت وجودهم فى مصر. وكان المخطط احتلال منطقة مرسى مطروح عسكريا ومدنيا، عسكريا بإنشاء قاعدة بحرية ضخمة وحديثة بكل ما تحتاجه من إنشاءات وأرصفة وبأعماق تسمح باستقبال وحدات الأسطول الخامس السوفييتى بالبحر المتوسط بما فى ذلك القطع الذرية، ومركز قيادة برى للأسطول، بالإضافة إلى قاعدة جوية ذات ممرات حديثة تسمح باستقبال كل أنواع الطائرات الحربية، وقاعدة برية لحراسة القاعدتين والمنطقة، ومدنيا بإحضار عائلات كل أطقم الوحدات البحرية للأسطول السوفييتى للإقامة بمرسى مطروح بكل ما يعنيه ذلك من مساكن ومدارس وأسواق ومستشفيات وأماكن للترفيه ونوادى رياضية واجتماعية .

وكان الروس فى كل طلباتهم يصرون على رفع الإعلام السوفييتية على المنطقة بالكامل. وكان الروس قد مهدوا لذلك سياسيا، وكانت زيارة جريتشكو هى الحلقة الأخيرة فى هذا المخطط.

وأثناء وجود جريتشكو تمت مقابلة مع رئيس الجمهورية بحضورى وحضور حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى. وخلال هذا الاجتماع وافق أنور السادات على إعطاء الروس التسهيلات التى طلبوها وترك لوزيرى الحربية فى البلدين دراسة التفاصيل.

وخرجنا من الاجتماع ، جريتشكو فى غاية الرضا والسعادة، فها هو ينجح فيما فشل فيه كل من سبقوه. وهاهو يحصل من السادات على الجوهرة المصرية التى سعوا وراءها طويلا. وكان جريتشكو قد طلب أن يتولى السوفييت بناء الأرصفة وتعميق الميناء بما يسمح لاستقبال القطع البحرية الكبيرة.

وبعد مرور يوم استدعانى الرئيس السادات ليطلب منى تسليم بعض المعسكرات الموجودة بمرسى مطروح للسوفييت. وخرجت من عند السادات لأتأكد من وصول اللواء المدرع الليبى وتمكنه من احتلال معسكرات مرسى مطروح، التى خطط الروس للاستيلاء عليها.

وبذلك أو بهذا الإجراء سبقت السوفييت بخطوة لأحول بينهم وبين تحقيق أهدافهم.

ولما كنت أتوقع حصول السوفييت الوشيك على مرسى مطروح كقاعدة كاملة لهم، فقد سبقت وأقنعت العقيد القذافى بإرسال لواء مدرع ليبى للتدريب فى مصر. وطلبت منه أن يطرح هذا الطلب فى حضور الرئيس السادات خلال وجودنا معا فى ليبيا، وأن يلح حتى ينال موافقة السادات. وألا يكتفى بوعد شفهى بل يوثق هذه الموافقة فى اتفاقية يوقع عليها وزيرى الحربية والقذافى والسادات.

وفعلا نفذ القذافى ما طلبته منه لهذا رأيت أن أضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ، وأن أتأكد بنفسى من ذلك. وقبل وصول جريتشكو إلى مصر، طلبت من القوات الجوية، إعداد طائرة للسفر فورا ولم أحدد لهم الجهة التى أقصدها. وذهبت للمطار بصحبة العقيد جمال حسن مدير مكتبى، وطلبت من الطيار التحليق والاتجاه جنوبا. وطلبت منه أن يتجه بحذى الشاطئ الشمالى باتجاه الغرب، وقبل أن نقترب من الحدود الليبية، أنبأته بأننا فى الطريق إلى طرابلس. وطلبت موعدا عاجلا مع العقيد القذافى. وفعلا وجدت العقيد وبصحبته أبوبكر يونس فى المطار. وبإحدى القاعات عقدنا اجتماعا وأطلعته على آخر تطورات موقف قاعدة مرسى مطروح ، وطلبت منه سرعة إرسال اللواء المدرع

الليبى الذى سبق أن اتفقنا عليه. وفعلا صدرت الأوامر بنفس الليلة بتحريك اللواء المدرع.

وأثناء رحلة العودة أصدرت تعليماتى بتسهيل مهمة عبور اللواء الليبى لمنطقة الحدود، وإعداد المعسكرات الموجودة بمرسى مطروح لاستقباله.

وفى زمن قياسى وصلت دبابات اللواء إلى مرسى مطروح، وكانت الأوامر قد صدرت بالتحرك من معسكراتها فى بنغازى على الجنزير، مع ما فى هذا من آثار سلبية على كفاءة الدبابات.

وبسرعة احتل اللواء المعسكرات الخالية، وبدأ فى ترتيب أوضاعه، وفى نفس الوقت أصدرت أوامرى بسفر المجموعة المسئولة عن تدريب اللواء ورفع مستوى كفاءته إلى مرسى مطروح. وبعد أن اطمأننت على استقرار اللواء المدرع الليبى، طلبت الرئيس السادات، وأخبرته أنه سيتعذر على القوات السوفييتية الدخول لمعسكرات الجيش بمرسى مطروح . فلما سألنى لماذا؟

قلت له: إن اللواء المدرع الليبى الذى سبق أن وقعت سيادتك اتفاقية لتدريبه بمصر، قد وصل إلى مرسى مطروح تنفيذا لهذه الاتفاقية فعلا وقام بشغل هذه المعسكرات كما أخبرته أنني تنفيذا للاتفاقية الموقعة، وحتى لا يغضب العقيد القذافى والأخوة أعضاء مجلس قيادة الثورة، أصدرت أوامرى بالبدء فى تدريبه، ومراعاة أن تكون إقامة القادة والضباط والجنود الليبيين طيبة بقدر ما تسمح به الإمكانيات.

وجاء دور السادات ليستمع دون أن يعلق . . .

وكانت العقبات التى واجهها السادات فى علاقته مع السوفييت فيما يتعلق بمرسى مطروح، وراء زيارة أحمد اسماعيل واقتراحه الخاص بمنحهم منطقة البحر الأحمر بالكامل بعد إخلائها من القوات المصرية.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع والعشرون

زيارة للاتحاد السوفيتى ... ولقاء مع بريجينيف

مرت العلاقات المصرية السوفييتية بمنحنيات كثيرة خلال شهرى أبريل ومايو ١٩٧٢ . ففى البداية طلبت القيادة السوفييتية من الرئيس أنور السادات أن يقوم بزيارة لموسكو قبل نهاية شهر أبريل، وقبل أن يبدأ الرئيس الأمريكى نيكسون زيارته الشهيرة للاتحاد السوفييتى يوم ٢٠ مايو ١٩٧٢ .

وفى أعقاب زيارة الرئيس السادات لموسكو وصل إلى مصر وفد عسكرى كبير برئاسة المارشال أندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفييتى وأصر الوفد على إقامة عرض جوى وإصدار بيان سبق إعداده بموسكو.

وكان الهدف السوفييتى من وراء تلك الخطوات واضحا ، فقد أرادوا أن يمسكوا فى أيديهم بورقة مصر بشكل علنى ومكشوف خلال مفاوضاتهم المرتقبة مع نيكسون، كانوا يريدون للعالم أن يشهد أنهم يتصرفون وكأن مصر دولة تدور فى الفلك السوفييتى ولم يعترض السادات على أهداف السوفييت، ويسر لهم الكثير، بل ومنح جريتشكو وأعضاء الوفد أوسمة ونياشين عسكرية رفيعة.

وبعد كل هذه التيسيرات، توقع السادات أن تنتهى مشاكله مع السوفييت وتحصل مصر على احتياجاتها من الأسلحة والمعدات، أو النسبة المعقولة منها.

وكانت صدمة السادات ومصر كبيرة، عندما قرر كل من بريجينيف ونيكسون فرض «الاسترخاء العسكرى» على منطقة الشرق الأوسط . ونظر الرئيس إلى الأمر وكأن السوفييت قرروا وأقرهم الأمريكيون على ذلك، أن تظل مصر متخلفة تسليحيا عن إسرائيل، أى أن يظل ميزان القوى لصالح إسرائيل. وكان يعنى ذلك أن الروس يضعون مصر فى موضع يحتم الاستسلام لإسرائيل.

وكان من المقرر فى هذه الفترة أن أتوجه إلى موسكو فى زيارة للاتحاد السوفيتى تلبية لدعوة من وزير الدفاع أندريه جريتشكو، وكان من المقرر أن تبدأ يوم ٨ يونيه ١٩٧٢.

وخلال الأسبوع الأول من شهر يونيه ١٩٧٢ طلبنى الرئيس السادات، وعندما ذهبت إليه أخبرنى أن السوفييت يرغبون فى أن أقوم بزيارة لهم ، وأنه قد وافق على أن أقوم بهذه الزيارة لعلها تسفر عن تحقيق بعض طلباتنا منهم ، ثم قال: عليك أن تعلم أنهم لا يكنون لك أى حب ، وقد يحدث أن يتطاول بعضهم عليك أو يتحدث معك حديثا جارحا ، ورجانى ألا اصطدم بهم وأن أحاول أن أكون سياسيا حتى يمكننا أن نحصل على ما نريد ، وأن تتغير فكرتهم عنك.....

فبدت على وجهي علامات الضيق و الغضب من ملاحظاته المسبقة ولكنى آثرت أن أدعه يكمل حديثه ، ثم واصل قائلا : عليك الاستعداد للسفر خلال الأسبوع المقبل بالاتفاق مع كبير الخبراء ، وسنتقابل سويا قبل السفر لأخبرك وأشرح لك وجهة نظرى السياسية لأنه من المنتظر أن تقابل بريجينيف وجميع القادة السوفييت.

فرددت عليه بهدوء قائلا : «سيادة الرئيس.. أنا لا أسمح بأى تطاول من أى شخص أبدا ، ومع ذلك فتقديرى الشخصى أنهم لم يدعوننى ليتشاجروا معى بل يدعوننى لمحاولة إصلاح ما يعترى علاقتنا من فتور» .

فلم يعلق على ردي و اكتفى بابتسامة لها مدلولها...

وقبل السفر اجتمعت مرة أخرى مع السادات فقال لى سيكون المارشال تيتو موجودا فى نفس الوقت أرجو منك أن تحاول زيارته لمجاملته وتهنئته بعيد ميلاده الثمانين وشكره على معاونته لنا ، ثم بدأنا فى وضع النقاط المطلوب مناقشتها مع القادة السوفييت فكانت كالآتى :

- ضرورة مزج العمل السياسى مع العمل العسكرى.
- يجب تشوين احتياجات مصر من الأسلحة والمعدات والذخائر فى هدوء وسرية قبل المعركة، كما حدث فى فيتنام، حيث مازالت مصر تعانى نقصا فى الذخيرة، ولا بد من وصولها قبل المعركة بوقت كاف.
- مطلوب إثارة موضوع الطائرة M ٥٠٠ المخصصة للاستطلاع البعيد المدى مع إرسال عدد منها مزدوجة نظام القيادة فوراً للتدريب المبكر عليها.
- إستكمال احتياجات مصانع الطائرات المصرية ، حتى نتمكن من إجراء عمليات

الصيانة والعمرات فى مصر بدلا من إتمامها بالخارج. ومصر مستعدة لتحويل مبلغ مليون دولار فورا لهذا الغرض، وكان السادات يتوقع الحصول على هذا المبلغ من دول منطقة الخليج.

- ضرورة إرسال لواء الكوادرات - سام ٦ - (صواريخ موجهة مضادة للطائرات محملة على جنزير فى إطار نظام للرصد والتوجيه وقيادة النيران) فى أغسطس. أى فى نفس الوقت الذى تنتهى فيه برامج تدريب الكوادر المصرية بالاتحاد السوفييتى. أما الباقى فيتم توريده فى أكتوبر، على أن يبدأ تدريب أفراده من الآن.
- مطلوب طائرات استطلاع مزودة بأجهزة تشويش لمرافقة القاذفات أثناء العمليات مع توفير أجهزة إعاقة إلكترونية إيجابية فى الميج ٢١ والسوخوى ٧ والسوخوى ١٧. حيث سبق أن اتفقوا مع الرئيس جمال عبدالناصر على تغطية إسرائيل كلها بأجهزة إعاقة إليكترونية.
- ماذا عن الصواريخ أرض - أرض التى سبق أن وعد بها بريجينيف سكرتير عام الحزب؟
- بالنسبة للدفاع الجوى مطلوب تحويل محطات الرادار المترية من الكشف العالى إلى الارتفاعات المنخفضة والعكس، و تركيب شاشات تليفزيونية على أجهزة صواريخ سام ٢ (دفينا) لتفادى عمليات التعمية .
- بالنسبة للقوات البحرية مطلوب سرعة توريد الطوربيدات ٥٣/ ٥٦ A.V والصواريخ ب ١٥ المتعاقد عليها.

وحملت أوراقى، وعدت إلى مكتبى بوزارة الحربية لأعد الوثائق التفصيلية الخاصة بالرحلة، ومن بينها وثائق تؤكد وجود معدات وأسلحة وطائرات سبق أن طلبناها واعتذر السوفييت بسبب إما بأنها غير موجودة أو بأنهم فى سبيلهم لتصنيعها. ومن بين هذه الوثائق مذكرة تفصيلية عن إمكانيات الاتحاد السوفييتى فى مجال الحرب الالكترونية، ومذكرة أخرى عن قاذفات بعيدة المدى، ومقاتلات أكثر كفاءة من الميج ٢١.

وطلبت من مكتبى إعداد صورة من عقود الصفقات السابقة، وما تم تنفيذه منها وما لم يتم حتى الآن وصورة من قوائم الطلبات الإضافية التى سلمناها لجريتشكو خلال زيارته الأخيرة.

وفى صباح الثامن من يونيه ١٩٧٢، بمطار شرق القاهرة كانت فى انتظارنا طائرة روسية خاصة أرسلها جريتشكو لتقلنا إلى موسكو، وكان أعضاء الوفد العسكرى قد وصلوا قبلنا، وكنت قد شكلت الوفد من عدد كبير من قادة القوات المسلحة ومن بينهم نائب الوزير وقائدى الجيشين الثانى والثالث، بالإضافة إلى الرائد عبده مباشر بصفته عضواً بالوفد وليس كصحفى مرافق للوفد.

وعند وصولنا لمطار «فونكوفنو» الروسى، لم يكن فى استقبالى فقط المارشال جريتشكو وزير الدفاع، بل كان هناك فلاديمير نوفيكوف نائب رئيس الوزراء وثمانية من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى، وكانت لفتة إيجابية فالسوفييت يعلمون أننى أشغل منصب نائب رئيس وزراء بجانب منصبى كوزير للحربية والإنتاج الحربى، فلم يغفلوا أن يكون فى استقبالى نائب رئيس وزراء، أما وجود أعضاء اللجنة المركزية فلفتة خاصة وواضحة وتعكس اهتماما بالضيف لتجعله مستعدا أمام هذا الموقف لأن يكون أكثر ليونة.

وكانت هناك مفاجأة أخرى فى مراسم الاستقبال وما تضمنه من عرض عسكرى مهم قاده رئيس حامية موسكو. فهذه المراسم لا تقام إلا لنائب رئيس جمهورية ، وبعد استعراض حرس الشرف تساءل أحد أعضاء الوفد الذى سبق أن زار موسكو عدة مرات ، لماذا هذا الاستقبال الحار جدا ؟ وكان بصحبة الجنرال جريتشكو فى المطار المارشال باكو بوفسكى النائب الأول له، وقادة القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى وعدد كبير من قادة القوات المسلحة.

وصحبنى جريتشكو فى سيارته، وأثناء مرور الموكب من مطار موسكو إلى مقر الإقامة فى استراحة خاصة تابعة للكرملين احتشد على جانبى الطريق المواطنين السوفييت وهم يحملون الأعلام المصرية والسوفييتية. وكان منطقيا أن أتساءل، ماذا يريد هؤلاء الناس؟ ومن الاستراحة توجهنا إلى قاعة الاجتماعات بوزارة الدفاع.

وأثناء جلسة المفاوضات الأولى، توقف جريتشكو فجأة عن الحديث عندما اكتشف أن سجائره الأمريكية قد فقدت. وبحث الموجودون فى جيوبهم عن سجائر أمريكية، إلا أنه رفضها جميعا، مصرا على عدم تدخين أى نوع إلا هذه السجائر التى تعود عليها. وظلت المفاوضات متوقفة إلى أن أحضر له مساعدوه هذا النوع.

ووجدتها فرصة لمداعبته، فقلت له إن الإمبريالية الأمريكية قد حققت انتصارا. فرد ضاحكا لتنتصر فى مجال التدخين ولتواجه الهزيمة فى مجالات أخرى أكثر أهمية. واعترف الرجل لي بصراحة بأن مزاجه يتعكر إذا لم يدخن هذه السجائر تحديدا.

فاغتنمت الموقف ، وسألته وماذا عن مزاج مصر المتعكر؟

فقال: «سنلبى كل طلبات مصرحتى لا يظل مزاجها متعكرا، وسأدعوك لتشهد مناورة اقتحام مانع مائى مدبر تحميه مجموعة من النقاط الحصينة القوية».

فعلقت قائلا: «وكأنه خطة لاقتحام قناة السويس».

فقال: « فعلا، لقد أمرت باختيار موقع المناورة وإقامة تحصينات مماثلة لخط بارليف عليه، مشابه تماما لمسرح العمليات بمنطقة القناة».

وقال جريتشكو فى حديثه إن القوات السوفييتية تواصل تطوير أسلحتها وتعمل على رفع كفاءتها القتالية رغم الاتفاقيات الأخيرة مع الولايات المتحدة، وذكر أن الرئيس الأمريكى نيكسون سأله: كم ستعطينى من ميزانية الاتحاد السوفييتى التى سيتم توفيرها بعد اتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية؟ وأنه أجابه بسؤاله: وكم ستدفعون لى لكى لا استمر فى تطوير الأسلحة الأخرى؟

ولم تطل فترة المفاوضات بسبب موعد العشاء الرسمى، وأثناء تبادل الكلمات خلال حفل العشاء، كرر جريتشكو مايقوله القادة السوفييت دائما حيث قال: إن الاتحاد السوفييتى مستمر في صداقته لمصر وتأييده لها، فالاتحاد السوفييتى ومصر أعداء للاستعمار. وقال إن نيكسون أو أى فرد غيره لا يمكن أن يؤثر على صداقتنا لمصر.

وأكدت فى كلمتى، أننا لسنا دعاة حرب ، وأننا سنعمل على استرداد أرضنا المحتلة، وأوضحت أن استعداد الجيش المصرى إنما هو أيضا طريق لخدمة السلام. وكان جريتشكو يحاول باستمرار أن يزيل أثر اتفاق القوتين العظميين على فرض الاسترخاء على منطقة الشرق الأوسط.

وفى جلسة المباحثات الرسمية يوم ٩ يونيه، طرحت كل النقاط الرئيسية ومطالب القوات المسلحة، وشرحت الموقف على الجبهة وحددت طلبات مصر واحتياجاتها. وأكدت أن مصر تشك فى إمكانية التوصل إلى حل سلمى.

وشرح جريتشكو عمق التزام الاتحاد السوفييتى تجاه مصر وأنه لن يتحالف مع الإمبريالية على حساب مصر. أما بالنسبة لاحتياجات مصر من الأسلحة والمعدات والذخائر فأكد أن الموقف سيكون إيجابيا.

وفى الساعة الحادية عشر بمبنى الكرملين بدأ اجتماعي مع الرئيس بريجينيف وكان الاجتماع مقصوراً على شخصي فقط كجانب مصرى وبريجنيف وجريتشكو من الجانب السوفيتى بالاضافه للمترجم، ونقلت له رسالة الرئيس السادات وأوضحت له موقف مصر العسكرى، والأسباب التى تدعوها لاتمام استعداداتها العسكرية وبعد أن استمع لما قلت، بدأ فى حديث طويل قال فيه:

– إنه يود أن يزور مصر وكوبا ، وسيختار الوقت المناسب لذلك فى القريب، لأن ظروفه لا تسمح الآن.

– إن زيارة الرفيق صادق والأخ السادات تعزز عرى الصداقة.

– إن سرورى عظيم بوصول الفريق أول صادق إلى موسكو وأنا أعتبر ذلك شيئا مهما من جوانب مختلفة:

أولا : إن زيارة بعض الأصدقاء تعزز عمق الصداقة ولذلك لابد أن نتقابل باستمرار.

ثانيا : نحن أصدقاء لكم وأنتم فى حالة حرب وإننا نشارككم ونقدم لكم المساعدات فى كل المجالات وهذه عملية طبيعية.

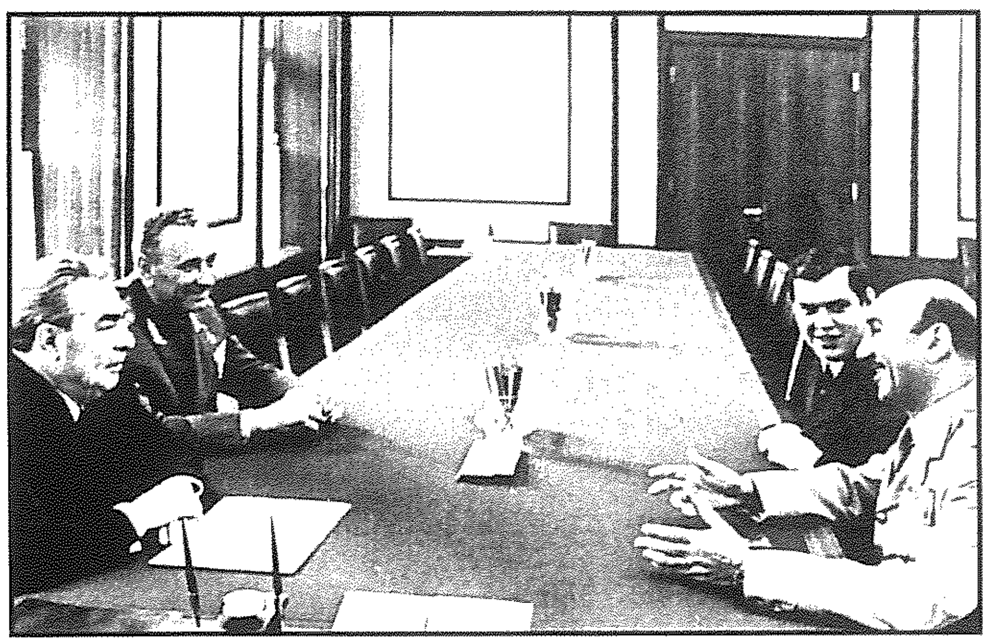
ثالثا : نحن نفهم كل الصعوبات بالنسبة للقيادة السياسية وبالنسبة لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء والرفيق صادق.

لهذه الظروف دعاك المارشال جريتشكو لنناقش سويا الموقف وماذا نستطيع أن نقدم؟ ولماذا ؟ وماذا يمكننا أن نفعل ؟

وإننى أتكلم معك بجدية لأقول لك إن الشعب السوفيتى يمد يد الصداقة بكل إخلاص وصفاء وروح طيبة ومن القلب وهذه ليست مجرد كلمات للاستهلاك. وأنا أدرك أن الوقت وقت عمل جاد وإننى أرى أن التقدم الإنسانى هدف هام.

ونحن ننطلق من مبدأ أن الشئون الداخلية للدول هى من شئونها الخاصة بها ، ولا نتدخل فيها ولا نجد أى مبرر للتدخل فى هذه الشئون ، كما أننا لانبحث عن حجج لكى نتدخل فى شئون الآخرين.

وإننى أقول إن العلاقات بين الرجال والزعماء وبين القيادات بصفة خاصة شئ هام، وأنتم تدركون شعورنا نحو جمال عبدالناصر ، وبعد موته كنا نمد يد التعاون للوزراء القائمين بالعمل وللأشخاص القياديين. وعندما تغيروا وتحمل المسئولية وزراء جدد و وزير حربية جديد استمر شعورنا كما هو ولم يتغير أسلوب التعاون.



المباحثات الثلاثية للفريق أول صادق بالكريملين بموسكو
مع الرئيس بريجنيف و وزير الدفاع المارشال جريتشكو في يونيو ١٩٧٢.

وأنا كمسئول سوفييتى على رأس الحزب الشيوعى والدولة أحب أن أتحدث معك بصراحة تامة بصفتك نائبا لرئيس الوزراء و وزير للحربية فأقول لك إننا نحب أن نتعامل مع التقدميين والذين يسعون فى هذا الاتجاه ، وإننا كأصدقاء يجب ألا نتأثر بالأخطاء الصغيرة التى تحدث دائما ، فاليوم الواحد تتغير فيه الظروف الطبيعية ويتغير المناخ ، فهناك الشمس والمطر والرياح والبرد وأخيرا وبعد إنتهاء اليوم يمكننا أن نعرف كيف مر هذا اليوم.

أنا أقول لك هذا لأن الحياة هى التى علمتنى ، فعمرى الآن ٦٥ عاما قضيت منها ٤٠ عاما فى الحزب ، فالحياة أحسن مدرسة ، وقد تقابلت مع أناس كثيرين ، من عندنا ومع أصدقاء من الخارج ، ومع أعداء ، ولذلك تجدنى قد تعلمت الكثير.

أقول هذا لكم لأنه مع الأسف الشديد يوجد عندكم من يسئ تفسير الأحداث بعد وقوعها ويصل إلى نتائج متسرعة دون أن يزن كل أبعاد الموقف ، وهنا فإننا ننظر لهذا بصبر ، ونفهم أنه شئ يحدث دائما ، وعندما أكلمك الآن على انفراد فإن سيادتك إذا لم تزن كل مشتملات الموقف قد تستنتج شيئا ، وهنا يكون الخطأ أكثر احتمالا.

إننى أكلم الفريق صادق وكل ما أعلمه عنك وعن شخصيتك يجعلنى أدرك أنك لن تغضب من هذه الكلمات.

وبالنسبه لى أنا أقول للأخ صادق إننى وأنا أتحدث إلى الشعب وإلى الحزب الذى يبلغ عدد أعضائه ١٤ مليون عضو فإننى أزن كل كلمة أقولها وأدقق فى حساب معانى الكلمات رغم اننى أمارس العمل السياسى فى هذا الموقع منذ ١٤ عاما. ومهما كنت غاضبا أو سعيدا فإن كلماتى يجب أن تكون مضبوطة ودقيقة، فلو قلت شيئا غير مضبوط فإن الرفاق لن يفهموننى.

وأقول للأخ صادق لا بهدف تحويل الموقف إلى دراما إنما بهدف توضيح أن الأخطاء يمكن أن تحدث من أى شخص ودائما، وهذه الأخطاء يمكن أن تكون مقصودة أو غير مقصودة، ولو أخطأت مع زوجتى فهذا شأنى أما لو أخطأت على المسرح السياسى أو الاجتماعى فهناك ٢٣٥ مليون شخص يمسهم هذا الخطأ.

وعلينا أن نتفق أن هذا الذى أقوله حديث عام، وإننى أنا وأنت يمكن أن نخطئ والآن ننتقل إلى الأعمال.

وفى البداية أقول لك إننى والقيادة السياسية نحترمك والأخ السادات والحكومة المصرية احتراما عميقا، ولابد أن تعرف هذا تماما ونأمل أن نحظى بنفس الاحترام، وسعادتنا الكبرى أن يكون بيننا حب متبادل. فمثلا أنا أحب السادات ولا أحب نيكسون وأحواله. هذه هى الحياة. وننتقل إلى العمل... الوضع فى مصر معقد والموقف معقد جدا. فإسرائيل تحت إشراف أمريكا تعمل بنفسها وتقدم الاقتراحات التى لا يمكن قبولها.

ومن ناحية مصر أو ناحيتنا فإننى أدرك أنكم على حق ونحن نوافق على تحليلكم، ولكن وأنتم على حق مطلق يجب أن نفكر فى الأمر بعمق ويجب إعادة الوضع إلى ما كان عليه، وهذا أمر يخص الشعب العربى كله. وليس لدينا خلاف حول هذا الأمر، ولكن هذا الأمر ليس موضوعا عسكريا بحتا.

فأنا واللجنة المركزية نفهم دورنا فى هذا الموضوع بالضبط، وبالتالى فإن علينا أن نقوم بدورنا لإعادة الحق للشعب العربى. ونحن متأكدون وسبق أن قلت للسادات وأقول لك لتقول للسادات «إننا ملتزمون فى خط واحد» وسأشرحه لك الآن.

موجود أمامنا الكلمات التى قالها الرئيس عبدالناصر والتى كررها الرئيس السادات، وهذا الشعار هو «**إن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة**» والسادات متقيد بهذه الفكرة ونحن كذلك.

فالأخ السادات يقول: «**أمامنا معركة حاسمة ضد العدو**»، ونحن متضامنون مع هذا ولكن كنا نعتقد أن السياسة هى أفضل وسيلة لحل هذه المشكلة ليرى الجميع حب العرب للسلام، وهذا من أهم وأبرز العوامل. هل هذه المحاولات السياسية كانت من غير نتيجة؟ لا ...

فلدينا قرار الأمم المتحدة، وهذا القرار لا يُنفذ، ولكن يجب أن يكون أساسا لأى تقدم فى المستقبل.

ولا ننسى أنه يجب أن نعمل بالسياسة استنادا إلى هذا حتى لو نشبت الحرب من جديد، فمهما كانت الحرب فإن هذا القرار سيصبح قاعدة للمناقشة بعد الحرب، وعلى أساسه يمكن الاتفاق والوصول إلى بعض النتائج.

وذلك ليس هو الجانب الوحيد المفيد للسياسة، فهناك جانب آخر نحن نتفق فيه معكم وهو أنه إذا لم توافق إسرائيل على الإنسحاب فيجب توفير القوة التى تحتاجونها لاسترداد الأرض. والمهم وجود القوات المسلحة بدون حرب، فوجود هذه القوات يدفع العدو للتفكير تفكيراً آخر. وكنا نعمل سويا خطوة بخطوة، ومن أجل إنشاء جيش للدفاع، أما المرحلة الثانية فهى إنشاء جيش للهجوم. لن أتعمق معك فى التفاصيل وليس ثمة شك أن جيش ما بعد الهزيمة هو جيش آخر تماما.

وطبعا الأخ السادات والأخ صادق عاوزين يشنقوا الرفيق بريجنيف وجريتشكو وعايزين يدمروا العالم كله.

ويقصد بريجنيف من ذلك (أن سعينا للحرب لتحرير الأرض إنما يعنى من وجهة نظره جر رجل الاتحاد السوفييتى للدخول فى حرب بما يعنى نهاية العالم...) ، فطبعا نحن سنساعدكم بدبابات ت - ٦٢ وطيارات سوخوى - ١٧ تدريجيا، وستحصلون على هذا الأسلحة والمعدات، لذا يجب عليكم إعداد الجيش والكوادر للهجوم، ويجب انتقاء اللحظة المناسبة لتوجيه الضربة السريعة وتدمير العدو بشكل سريع.

فهذه المهمة، مهمة إعداد الكوادر، مهمة كبرى ونحن نشترك معكم ليس فى إرسال الأسلحة فقط بل وإرسال الخبراء و وجود المستشارين له أهمية دولية كبرى،

أمريكا وإسرائيل تضعان ذلك فى الاعتبار ، وذلك عمل سياسى وليس عملا عسكريا. والاتصالات والمقابلات الودية مع الرفيق السادات والرفيق صادق وباقى الرفاق ، فإن العالم يأخذها بعين الاعتبار ويستدلون منها على أشياء كثيرة. وهكذا فإن الموضوع السياسى والعسكرى والصداقة تؤدى إلى الموقف الذى وصلنا إليه.

وإذا أخذنا العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى طوال السنوات الماضية فسنجد أن ميزان القوى كان فى البداية ١٠ - ١ ، ولكن نيكسون يقول حاليا إن النسبة بيننا هى ١ - ١ ، ونحن سنسعى إلى جعل النسبة بين الشعب المصرى وإسرائيل ١ - ١ .

أعود وألخص الموضوع الداخلى:

علينا أن نبنى العلاقات على مبادئ أخوية وتفاهم متبادل ، وننطلق من مبادئ فى المعاهدة عن الصداقة ، وليس لدينا أى مطامع فى مصر ، فالأعداء يسممون العلاقات بيننا بترديد هذا الكلام. وأنا آمل أن يكون هذا نمط التفكير السائد ، ولن أتكلم فى كلام صغير ، ومستعد للاستماع إليكم.

وأريدك أن تبلغ الأخ السادات أننا بشكر عميق استلمنا رسالته وتقديره الكبير للمحادثات التى أجريناها مع الأمريكيين هنا ، ومن أجل إنهاء الموضوع فهو يرجو اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لتنفيذ كل الوعود التى وعدناه بها.

وأنا أرجو الماريشال جريتشكو أن ينفذ كل الوعود التى اتفقنا عليها ، وأنا سبق أن كررت عدة مرات إنكم تمشون ببطء فى إعداد الكوادر فى ميدان الدبابات والطيارين والذين يجب ألا يقلوا عن ٢٠٠٠ طيار من شعب تعداده ٣٥ مليون ، ٢٠٠ طائرة بطيارين جيدين لها قيمة كبيرة.

فنحن كعسكريين يجب أن نأخذ بعين الاعتبار موضوع الضبط والربط والروح المعنوية والشجاعة ، فمثلا أنتم لا تجيدون الانسحاب ، إحنا انسحبنا من برست إلى ستالينجراد ، والمسافة كانت أطول ، وبالرغم من أن جميع رجال الدين عندنا كانوا يصلون للانتصار إلا أننا كنا ننسحب...

وبعد أن تعلمنا هاجمنا وانتصرنا ، وبالنسبة للضبط والربط يجب أن تبدأ من هيئة أركان حرب حتى الضباط الأصاغر والجنود ، وهذا مكان عملك يا أخ صادق. وأنت مسئول أمام الدولة والشعب ، أما نحن أنا والرفيق جريتشكو فمسئولان أمام الشعب السوفييتى.

نرجع مرة أخرى لسياسة الدول الكبرى ، فموضوع لقائى مع الأمريكان :

أولا : قبل كل شئ قل للسادات إننا لم نطلب المقابلة بل الذى طلبها هم الأمريكان ، وكانت المحادثات بيننا لا تجرى من موقف القوة بل من موقف التعادل والأمريكان هم الذين عمدوا إلى إبداء ذلك.

ثانيا : إن الاتفاقية التى عقدناها ليست اتفاقية سوفييتية - أمريكية ، ولكنها اتفاقية لها آفاق أوسع سياسيا ، ولن تعود بفائدة على الاتحاد السوفييتى فقط بل على كل الأصدقاء.

فإذا كان فى صلب الاتفاقية الشامل النص على التعايش السلمى ، فلا يعنى ذلك أننا على اتفاق مع الإمبريالية الأمريكية ، فنحن نعرف أن طبيعة الإمبريالية الأمريكية لا يمكن أن تتغير فالمحادثات كان لها طابع طبقى. وخصص جزء كبير من وقت المحادثات لمناقشة موضوع الشرق الأوسط وفيتنام ، وكل الكلام الذى أقوله لك عن مقابلتى للأمريكان هو بينى وبينك وللرئيس فقط.

والمحادثات كانت حادة ولها طابع جام.. المهم أننا كنا ندافع عن مصر بكل طاقتنا. وكل ما اتفقنا عليه جاء نتيجة ضغط شديد من جانبنا على نيكسون.

وقبل كل شئ يجب أن نفهم أنه ليس من الممكن عقد اتفاقيات مع أمريكا من خلف ظهر مصر. وكان هدفنا الضغط السياسى على الإدارة الأمريكية ونيكسون وقد قمنا بذلك فعلا.

ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن نيكسون لا ينتمى إلى الدوائر التقدمية والحزب الشيوعى ، بل ينتمى للحزب الجمهورى ، ولو كان ينتمى للحزب الشيوعى لكنا قد توصلنا لحل جيد. وكان لدينا سويا ، أمريكا والسوفييت رغبة قوية فى الاتصال ومناقشة قضية الشرق الأوسط .

فمثلا قبل وصول نيكسون إلى موسكو لم يتكلم مرة واحدة عن قرار الأمم المتحدة، ومع ذلك سجلنا ذلك فى البيان ، وكان دائما يدور حول القضية ، ولكن القضية باقية وهذا يعطينا فرصة للضغط عليه فى المستقبل. ورأيى أن هذا الجزء من البيان السوفييتى الأمريكى لم يرض إسرائيل .

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن نيكسون على وشك دخول الانتخابات وكان يسعى للحصول على بعض المكاسب ، ولكنه فهم أنه من الصعب أن يحقق أكثر مما حقق. ونيكسون يحب السلطة ويسعى ورائها ، وأبلغ السادات أننا لسنا متفقين مع نيكسون

١٠٠٪. وماذا كان علينا أن نفعل وهناك من يرفض الحديث مع عدوه بحجه أنه لا يثق فيه ولا فى نواياه.

أما نحن ونحن نشارك فى رسم السياسة العالمية فقد كان علينا أن نجلس مع عدونا، وقد اتفقنا فى اجتماع اللجنة المركزية على ما سوف أقوله لنيكسون عن الشرق الأوسط وفيتنام. وأيدنى فى ذلك جريتشكو والقيادة المسلحة السوفييتية وأعضاء اللجنة المركزية.

أقول لك الآن وأرجوا ألا يعرفه إنسان غيرك وغير السادات ، إننا بالرغم من أنه كان من الصعب إيجاد الحل المقبول ، فقد اتفقنا على أن نستمر فى العمل لإيجاد مثل هذا الحل وعلى أساس قرار مجلس الأمن. وسنستمر فى العمل فى هذا الاتجاه فالشكوى التى ظهرت عند بعض الناس عندكم ليس لها أى مبرر ولا يمكن أن ننشر ما دار فى المباحثات ولا المناقشات.

لذلك أنا أقدر تقديرا كبيرا الكلام الذى كتبه السادات عن المحادثات مع الأمريكان. وأنا أثق فى إخلاصه ، وهو يتكلم عن الكلمات التى ألقاها نيكسون ، وهذا شئ طبيعى لأنه لازم يرضى شعبه خاصة القوى الجمهورية ، وهو على وشك خوض معركة انتخابات. (يقصد نيكسون)

والمهم هو الموجود فى الوثائق.

وكثيرا ما يتكلم حتى ضدنا. ويجب أن تعلم أن مجلس الشيوخ الأمريكى يصدق على الوثائق التى تم توقيعها. وسنعمل على أن يكون حل المشكلة وفقا لقرار مجلس الأمن.

أما مراحل التنفيذ والحل العسكرى فسيخضعان مستقبلا للعمل السياسى وسوف أكتب للأخ السادات فى المستقبل. وسوف أرسل إليه شخصا من زملائى ، وسيكون ذلك بعد فترة لأننى مشغول جدا ولا أنام إلا بعد الثانية صباحا وأبدأ يومى فى التاسعة صباحا.

ويجب أن تعرف يا أخ صادق أن كل ما قلته لك ليس باسمي ولكن باسم الحزب والشعب وأرى أن تبلغ ذلك للأخ السادات ليعلم ويتفهم الموقف.

المهم جدا أن تفهموا أنتم ، القيادة والشعب المصرى أن السياسة التى نمارسها ليست سياسة سوفييتية قومية ، إنما سياسة عامة لصالح الشيوعية التى تقدم مساعداتها للشعوب التقدمية فى العالم. وأريد أن أقول لك إننى سياسى ولي خط استراتيجي معين وما تراه الآن وتسمعه هو عمل وخط تكتيكى ، أما الهدف الاستراتيجى فله مجال آخر. فإذا كان الأخ صادق موافق على هذا الكلام، فسأعتبر يومي هذا يوما سعيدا....

وتوقف قليلا عن الكلام، وقال إننا نعتبر الجنرال صادق رجلا وطنياً نحترمه و نثق فيه، ونحن نفهم أهدافه الوطنية وأعماله من أجل الوطن ثم نظر إليَّ وقال:

« إن الجنرال صادق ينتظره مستقبل كبير فى مصر....»

وبعد أكثر من ساعتين أو ما يقرب من ساعتين ونصف انتهى الاجتماع الذى عُقد بقاعة الاجتماعات الملحقة بمكتب بريجينيف.

وكانت مفاجأة لي هذا الاجتماع الطويل مع بريجينيف، والذى تم تمديده بناءاً على طلبه، وهذا الدفء الشديد فى الحديث فكانت الكلمات الأخيرة لليونيد بريجينيف السكرتير العام للحزب الشيوعى والتى كان ينطقها بهدوء وأناة، وينظر إلي ليتأكد من أننى أفهم الرسالة.

فإنه يقر أننى رجل وطنى، فهو يقول إننى لست عدوا للاتحاد السوفييتي، وإن كل ما أفعله لأسباب وطنية، وبما أننى وطنى فقد انتقل للتلميح الخطير، عندما قال إنه ينتظرنى مستقبل كبير بمصر.... أى بوضوح يحرضنى على السادات.

وأنهى المحادثة بالاغتباط بالمقابلة مع الفريق صادق.

وعندها تم إبلاغة بوصول المارشال تيتو وانتظاره المقابلة ، فالتفتُ ضاحكاً إلى بريجينيف وقلت له: لقد أخذنا درسا ممتازا فى السياسة ، أشكرك عليه ولى بعض الملاحظات على الحديث سأرسلها لسيادتكم مع المارشال جريتشكو نظرا لضيق الوقت ولارتباطك ، وبدت علامات الاستغراب على بريجينيف .

واستنتجت من حديث بريجينيف الآتى :

١ – الاتحاد السوفييتى قلق بالنسبة للوضع الداخلى ، ويشعر بأن القوات المسلحة والشعب بدأوا يضيقون ذرعاً للتسويف فى موعد المعركة ، الذى يتوقف على الإمداد بالأسلحة والمعدات والذخيرة المطلوبة.

٢ – اختلاف المنظور فيما يتعلق برسم سياسات فى كل من مصر والاتحاد السوفييتى، فمصر لها أرض تسعى لتحريرها، و الاتحاد السوفييتى دولة عظمى لها مصالح وسياسات على امتداد الكرة الأرضية، ويسعى لحل المشاكل مع عدوه الرئيسى الإمبريالية الأمريكية.

٣ – خلال زيارة نيكسون لموسكو ، اقتنع القادة السوفييت بأنه يمكن التفاهم معه ، وأنه فى حالة نجاحه فى الانتخابات قد يصلون معه إلى حل لقضية الشرق الأوسط يستند إلى قرار الأمم المتحدة دون حاجة إلى خوض تجربة القتال.

٤ - إن السوفييت لن يسمحوا بمعركة بيننا وبين إسرائيل خلال هذه الفترة حتى لا تعكر الاتفاقات التى توصلوا إليها مع نيكسون.

٥ - سعى السوفييت إلى الاحتفاظ بصداقتهم مع مصر وبنفس درجة الحرارة السابقة، ولذلك يعرضون تدريب وإعداد الجيش الهجومى والكوادر لملء الفجوة بين الوقت الحالى والانتخابات الأمريكية.

أى أن الاتحاد السوفييتى لم يرفض فكرة تحرير الأرض بالقوة ، بل يطالب بالإعداد التام لها ، والوعد بالإمداد بالسلاح خلال هذه الفترة.

ولأن الحوار كان يجب أن يتوقف مع بريجينيف تحت عامل وصول المارشال تيتو وحلول موعد الاجتماع به فقد أرسلت إلى بريجينيف بالملاحظات التالية مع جريتشكو :

١ - اننى شخصيا والقوات المسلحة المصرية والشعب المصرى شاكرين ومقدرين موقف الاتحاد السوفييتى ومساعدته لنا بعد هزيمة ١٩٦٧ وإعادة تسليح القوات المسلحة ونقدر دور المستشارين السوفييت فى إعادة تنظيم القوات المسلحة وتدريبها وبذلك أستطيع أن أقول إننا وصلنا الى درجة عالية فى استعدادنا الدفاعى.

٢ - كل ما نطلبه الآن هو استكمال هذا الاستعداد ليكون هجوميا ، لنستطيع أن نحرر الأرض إذا استمر العدو فى عناده ورفضه الانسحاب من الأرض المحتلة.

٣ - مع تقديرى العظيم للصداقة السوفييتية وللسياسة السوفييتية العالمية المبنية على حب السلام فإنى أرى أن التوصل إلى اتفاق مع أمريكا شئ مفيد للغاية ، ليس فقط لقضية الشرق الأوسط بل لجميع القضايا العالمية ، ولكن ومع هذا الاقتناع أرى أنه من الأفضل بجانب ذلك أن يكتمل تسليح الجيش المصرى لمعركة التحرير، فهذا يجعل الحل السياسى أسهل، ولذلك فأنا أرى أن يجري العمل بالتوازى فى الاتجاهين: السعى للسلام والاستعداد للحرب ، فالاتحاد السوفييتي يعمل سياسيا للضغط على أمريكا لحل القضية سلميا وفى نفس الوقت يقدم لنا ما يلزمنا من سلاح ومعدات تسمح لنا بالنصر فى معركة التحرير.

٤ - بخصوص المستشارين ، فهم يلقون كل احترام وتقدير والحوادث الفردية التى حدثت من جانبهم أو جانبنا ننظر لها نظرة موضوعية لا تؤثر على مسيرة الصداقة بيننا، ولنا رجاء أن يلتزم هؤلاء الخبراء بعدم الدخول فى مناقشات خارج إطار عملهم العسكرى.

٥ - النقص فى الذخيرة خطير ، وإحتمالات أن يبدأ العدو الهجوم موجودة ، وأرى أن الذخيرة بالنسبة لصعوبة نقلها بالطائرات ، أن يجرى تشوينها فى مصر لمواجهة هذا الاحتمال.

كان تقديرى أن السوفييت قد وجهوا الدعوة لي لزيارة موسكو وألحوا عليها لسببين :

الأول : إقناعنا بالانتظار لحين انتهاء الانتخابات الأمريكية وفوز نيكسون ، وأنهم يراهنون على حل جميع المشاكل معه بعد فوزه.

الثانى : أراد السوفييت إظهار مودتهم وتفهمهم لموقفى وأنهم لا يكنون لى أى عداء ، بل التفهم الكامل لأسباب الخلاف بينى وبينهم.

كما أرادوا إظهار قوتهم البحرية فى البحر الأسود حتى نطمئن أن لديهم ما يكفى للتدخل إذا أرادوا ذلك وكل ما طلبوه منى هو أن ننتظر لحين انتهاء محاولات التوصل إلى حل سلمى مع نيكسون.

وخرجت مع جريتشكو لاستكمال برنامج الزيارة واستجابة لدعوة جريتشكو وقائد القوات البحرية الأدميرال جورشيكوف لزيارة القاعدة البحرية الرئيسية للأسطول السوفييتى على البحر الأسود، قررت مد الزيارة يوما واحدا لتنتهى يوم الثلاثاء بدلا من يوم الاثنين.

وكانت الدعوة تتضمن قضاء الليلة باستراحة جريتشكو على البحر الأسود بعد زيارة قاعدة سباستبول ويالتا.

وواصلت برنامج الزيارة من جلسات مباحثات وزيارات تضمنت ضريح لينين وقبر الجندى المجهول وبانوراما معركة بورد الينو، التى دارت رحاها بين الجيش الفرنسى بقيادة نابليون والجيش الروسى بقيادة كوتوزوف. ولم يتخل القادة السوفييت عن حرصهم على إنجاح الزيارة وإحاطتى وإحاطة الوفد المصرى بالرعاية. وبعد لقاء بريجينيف ألتقيت بالسفير يحيى عبدالقادر سفير مصر بالاتحاد السوفييتى وهو من السفراء الممتازين، وخلال جولة على الأقدام بالاستراحة التى أقيم بها أحطه علما بمباحثاتى مع بريجنيف.

أما ما لم أقله فقد كان محور تفكيرى الدائم، وكانت التساؤلات تبدأ بلماذا؟ لماذا الآن؟ ولماذا هذا التلميح؟ وهل هى مناورة؟

فأنا وقد تحملتُ مسئولياتى كوزير للحربية رأيتُ أن أفضل أسلوب أن أعلن الحقائق للقوات المسلحة وللمواطنين. ومنهج إعلان الحقائق اقتضى أن أكشف موقف الاتحاد السوفييتى من إمداد مصر باحتياجاتها وضغوطه المستمرة للحصول على قواعد بمصر.

لم أكن أريد أن أكرر أخطاء ما قبل ١٩٦٧، وأواصل الإدعاء بأن الجيش المصرى أقوى جيش، وإننا نملك أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط، وهكذا فليعلم الجميع الحقيقة كما هى، ولنتحمل مسئولياتنا فى إطار الواقع، لا الأوهام. وفى نفس الوقت كنت مقتنعا والاستعدادات تتم بسرعة وجدية من أجل معركة هجومية وشيكة، أن مصر لا يمكن أن تخوض هذه الحرب فى ظل وجود عسكرى روسى بمصر.

وكنت أدرك أن كشف حقائق الموقف الروسى سيولد ضغوطا لإنهاء الوجود الروسى بمصر. وإذا ما صاحب كشف الحقائق، الإعلان عن سوء سلوك ومعاملة المستشارين والخبراء للقادة والضباط المصريين، ومحاولة البعض تكوين خلايا شيوعية داخل القوات المسلحة وبما يضعهم دائما فى موقف الدفاع، فإن صورتهم ستهتز.

ولقد كان من بين المستشارين والخبراء من هم على مستوى عال من الكفاءة والعلم والخبرات، ومن هؤلاء استفادت مصر جدا، ولكن الأغلبية (خاصة مع زيادة حجم الوجود الروسى بمصر بعد معركة ١٩٦٧ وبعد زيارة عبدالناصر السرية لموسكو فى بداية عام ١٩٧٠) ، لم تكن على المستوى العلمى أو القيادى الذى يؤهلها للدور المطلوب منها. وكان معظمهم من الضباط السياسيين لا العسكريين أى الضباط الذين يمثلون الحزب ويراقبون الأداء.

وقد شرحت موقفى للسادات، وأوضحت له أن مصر لايمكن أن تخوض معركتها مع إسرائيل فى ظل وجود عسكرى روسى لأن أى انتصار سنحققه سينسب لهم الفضل فيه ولن يصدق أى مراقب أنه انتصار مصرى ونتيجة جهود ودماء مصرية، وسيصدق الجميع أننا انتصرنا بفضل الدعم والمساندة الروسية. وكثيرا ما اقتنع السادات بوجهة نظرى، ولكن كانت له حساباته ووجهة نظره التى لا يريد أن يفصح عنها.

وفى كل لقاء تقريبا مع القوات المسلحة كنت أواجه بأسئلة حول موقف التسليح، وإلى متى يمكن احتمال استفزازات الخبراء والمستشارين الروس؟

وكنت أتحدث بصراحة ، وأعلن أن الروس يرفضون إمداد مصر باحتياجاتها، وأن ما نحصل عليه لانحصل عليه إلا بعد إلحاح من جانبنا ومماطلة من جانبهم. وكان

السادات يعيش هذا الموقف بصورته الحقيقية ويعانى من مماطلة السوفييت وعدم استجابتهم لطلباته.

ولم تكن ثقة الروس فى السادات كبيرة ، فبعد أحداث مايو التى عصفت برجالهم فى مصر، وكشف موقف السفير السوفييتى الضالع فى مؤامرة الانقلاب على السادات، بدأت بذور عدم الثقة تنبت أوراقها السامة. وتحولت الأوراق إلى أغصان وأشجار، بعد أن ساهمت مصر بقوة فى القضاء على الإنقلاب الشيوعى بالسودان. (يوليو ١٩٧١)

وأعود بأفكاري إلى ما قاله بريجينيف وأتساءل : هل كان القرار السوفييتى منذ البداية، التخلص من السادات، ولكن عندما يحين الوقت الملائم؟

وهل يعد ذلك ردا على موقفه في أحداث مايو ١٩٧١ بمصر، ويوليو ١٩٧١ أى من إفشال الانقلاب الشيوعى بالسودان؟ .

ولو كان الأمر كذلك فلابد أن يتخلصوا منى أولا ... فأنا المسئول عن بقاء السادات في مقعد السلطة. فلولا الدور الذى قمتُ به لما تمكن السادات من الاحتفاظ بمقعده، وأيضا لولا نجاح خطتى لإحباط الانقلاب السودانى، لبقى هاشم العطا و بابكر النور و فاروق عثمان حمدالله على قمة السلطة بالخرطوم. والسوفييت ليسوا من الغفلة بحيث يغيب عنهم الدور الذى قمتُ به !

قد لا يدركون أو يتفهمون أننى ما فعلت ذلك إلا من أجل مصر والمصريين.. ولكن بالقطع يعلمون، أننى المسئول الأول.

إذن، هل يريدون التخلص منى ؟ بإثارة شكوك السادات فى شخصى، لدفعه إلى الإقدام على هذه الخطوة ؟ وهذا أمر غير مستبعد، فأنا الرجل الذى يقود حملة لإخراجهم من مصر، وأن ما أقوم به أوشك أن يحقق النتيجة المطلوبة.

وربما أدرك السوفييت أن مصر على وشك اتخاذ قرار بشأن الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر، سواء بسبب مماطلتهم فى تلبية احتياجات مصر العسكرية، أو بسبب تعجلهم فى استعمار مصر بشكل سافر وعلنى وموثق بمعاهدات واتفاقيات تضمن لهم السيطرة على مناطق ومدن بأكملها بدعوى إنشاء قواعد عسكرية تخدم المصالح الاستراتيجية للبلدين، أو بسبب غلظة وتعالى الخبراء والمستشارين السوفييت وارتكابهم لأخطاء مستمرة فى تعاملهم مع القادة والضباط المصريين.

وهنا من الضرورى أن أشير إلى واقعتين:

الأولى: فرار بعض المستشارين السوفييت ووصولهم إلى إسرائيل عبر النمسا أو عبر قناة السويس وإدلائهم بمعلومات عن موقف الجيش المصرى والقوات الموجودة بالجبهة. ولا شك أن هذه المعلومات أفادت إسرائيل جدا.

والثانية: اشتراك هؤلاء الفارين الذين اختاروا العمل لحساب إسرائيل فى تحريض زملائهم الموجودين بالجبهة على الفرار، وانغماسهم فى عمليات الدعاية المضادة لتثبيط معنويات القوات الموجودة بالجبهة. وهؤلاء المستشارون الذين فروا كان من بينهم من يجيد التحدث بالعربية ، وكانوا يخاطبون القوات الموجودة على الخط الأمامى عبر الميكروفونات، مستخدمين ما لديهم من معلومات عن الوحدات المصرية وأسماء قادتها وضباطها فى إطار حملة دعائية إسرائيلية مخططة.

أقول ربما أدرك السوفييت أن مصر على وشك التوصل لقرار حاسم بشأن الوجود السوفييتى فى مصر، **فأرادوا إحداث شرخ عميق على القمة.**

وهذا احتمال وارد بشكل أساسى. كنت أناقش كل الاحتمالات، وأحاول أن أحتفظ بذهنى صافيا لالتقاط باقى الإشارات السوفييتية فى ظل برنامج زيارة مشحون ومكثف.

وفى التاسع من يونيه خرجنا جميعا من موسكو لنشهد المناورة العسكرية التكتيكية، التى اختاروا أن تكون مشابهة لما تخطط القيادة المصرية العامة لتنفيذه لاقتحام قناة السويس ومواجهة خط بارليف الحصين. واشترك فى التحضير للمناورة وتنفيذها وحدات من المشاة والمدفعية والمدرعات والمشاة الميكانيكية والمظلات والإبرار الجوى والمهندسين.

وطوال فترة المناورة التى كانت تتم بكفاءة عالية، تولى المارشال جريتشكو الشرح بنفسه لى ولباقى أعضاء الوفد، وكان يجيب على كل الأسئلة، وهى كثيرة ومتنوعة وعميقة باستفاضة وصبر، ويبدوا أنه كان يتوقع كثيرا من الأسئلة، لذا كان تحضيره لها جيدا. ومن نقطة مشاهدة إلى نقطة مشاهدة أخرى لم يتخل الرجل عن دوره.

وبعد ذلك تضمن البرنامج زيارة لأكاديمية المدرعات ، وخلال الزيارة أطلعت على تطور المدرعات السوفييتية واستمعت بالتفصيل إلى شرح للدبابات الجديدة - ت ٦٢ التى كانت القوات المسلحة المصرية قد بدأت تتسلح بها .

وفى مساء نفس اليوم، وفى لفتة خاصة أقام لى حفل عشاء بمنزله، وقدم لى حفيده الثانى، وذكرنى بأننى رأيت حفيده الأول خلال زيارة سابقة لى.

كان يريد أن يضفي الطابع العائلي على حفل العشاء.



وفى اليوم التالى دُعيت للسفر إلى شبه جزيرة القرم على البحر الأسود لزيارة الأسطول السوفييتى فى البحر الأسود ، ورافقنى فى هذه الزيارة الأدميرال جورشكوف قائد القوات البحرية نائبا عن جريتشكو.

ويمكن وصف الزيارة بأنها كانت زيارة هامة وغير عادية حيث أنها تضمنت أكثر من ٦٠ قطعة بحرية ما بين طرادات ثقيلة حاملة صواريخ ذرية ومدمرات وغواصات ذرية وعادية وحاملات هليكوبتر ولنشات صواريخ ولنشات مدفعية. وكانت كلها مصطفة وفوقها أطقمها بالكامل ، وكنت أمر عليها وأنا على ظهر سفينة قيادة أسطول البحر الأسود. واستغرق ذلك أكثر من خمس ساعات ونصف الساعة.

وكان الهدف الأول من هذه الزيارة إظهار قوة البحرية السوفييتية فى البحر الأسود ، مصدر قوة الأسطول الخامس السوفييتى فى البحر الأبيض المتوسط. كما أرادوا بجانب ذلك تكريمى بطريقة لم يسبق أن استقبل بها أى زائر أجنبى.

وفى اليوم التالى زرنا الميناء الشهير سيباسبتول الذى شهد معارك عنيفة على امتداد التاريخ.

وكان المعلقون العسكريون السوفييت يوضحون أن جيشا لم ينجح فى الاستيلاء على المدينة خلاف الجيش التركى الذى قام بعملية إنزال على حافة الهضبة واستطاع أن يحقق نجاحا ويستولى على الأرض ، وللحقيقة فإن أى مدافع عن هذه الأرض يمكنه الدفاع عنها بسهولة وإنها لمعجزة أن يتمكن قائد ما من إجراء عملية إنزال بحرى.

وقد أوضحت للمرافقين المصريين وللسوفييت أن الجنود الذين قاموا بالاستيلاء على سيباستبول تحت العلم التركى لم يكونوا أتراكا بل كانوا مصريين. وكان يقود الأسطول المصرى الذى قام بهذه العملية الجريئة حسن باشا الاسكندرانى.

وطلبت من المصريين قراءة الفاتحة على أرواح الذين استشهدوا منهم ، فهؤلاء المصريون الأبطال حققوا ما لم يحققه قبلهم أو بعدهم جندى آخر تأكيدا لما يستطيعه الجندى المصرى إذا ما قاتل تحت قيادة سليمة. وقد اندهش القادة السوفييت من هذه المعلومات وقالوا ، كنا نظن إنهم أتراك. ولم أكن بحاجة لمزيد من التوضيح بعد أن أتيحت الفرصة لكشف صفحة من تاريخنا العسكرى.

وأمضيت الليلة فى استراحة المارشال جريتشكو على البحر الأسود. حيث كانت شديدة الاتساع والأناقة والجمال، وتضم عددا من القصور والفيلات والاستراحات، وكل من هذه الأماكن محاط بحديقة جميلة وأنيقة ومجارى مائية، وبحيث تفصل هذه الحدائق بين المبانى بشكل كامل لتحقق لكل مبنى الخصوصية. وكان كل شئ يجرى بشكل انسيابى للاستمتاع بليلة قبل العودة إلى مصر فى هذه الاستراحة الجميلة.

وتساءلت أنا وأعضاء الوفد ، إذا كانت استراحة جريتشكو بهذا الجمال والاتساع والأناقة، فكيف تكون استراحة بريجينيف ؟

وأفقنا ونحن نقضى هذه الأمسية الجميلة، على إصابة الرائد عبده مباشر مجددا بنفس الآلام التي شعر بها في الصباح. وقرر الأطباء السوفييت ضرورة إجراء جراحة عاجلة له لاستئصال الزائدة الدودية. وحاول الدكتور فتح الله الطبيب المرافق للوفد أن يقنع الأطباء السوفييت بخطأ التشخيص بصفته الطبيب المسئول عنه خلال عمله بوحدة الكوماندوز المصرية (المجموعة ٣٩ قتال) كمتطوع مدنى قبل أن يمنحه السادات وساما ورتبة فخرية، وقبل أن أكلفه أنا برتبة الرائد بالقوات المسلحة.

ولكن الأطباء السوفييت أصروا على رأيهم. وتدخل جريتشكو وأمر بإجراء الجراحة وفورا للرائد مباشر، فالاتحاد السوفييتى لا يقبل أن يواجه ضيوفه أية متاعب أو أخطار. وحاولت التدخل لإرجاء هذه الجراحة، وأن تتم بالقاهرة التى سنصلها بعد ساعات وبشرط أن يوضع تحت الملاحظة طوال فترة الليل. فإذا تجددت الآلام فلتكن الجراحة، وإذا لم تتجدد فليعد معنا إلى القاهرة. إلا أن الأطباء السوفييت أصروا على إجراء الجراحة وفورا.

وخشيت أن بالأمر تدبير، وأنهم يريدون للرائد مباشر أن يدفع ثمن مواقفه التى اعتبروها معادية لهم. فلا شك أنهم علموا أنه مستشارى الصحفى وأنه يشارك فى كتابة خطبى وبياناتى، ويشارك أيضا فى كتابة خطب الرئيس السادات التى يلقيها أثناء زياراته للقوات المسلحة. وكانت كل الخطب والكلمات والبيانات خلال هذه الفترة تستهدف إخراج السوفييت من مصر، عبر حملة منظمة ومتصاعدة.

وسألته باللغة العربية وبصوت مسموع، هل تخشى الموت؟

فقال: ياسيادة الوزير.. لقد كنت أسعى إليه بإرادتى واختيارى، عندما ألححت عليكم وعلى باقى القادة لقبول طلبى بالتطوع كمدنى فى صفوف الكوماندوز. وإذا لم أكن أخشاه وقتذاك، فهل أخشاه الآن؟ عُد ياسيادة الوزير إلى مصر، وثق أنى أيا كان ما ينتظرنى هنا فأنا راضى بقضاء الله. وبسرعة كان المترجم يترجم لجريتشكو هذا الحوار. ولم يعلق جريتشكو أو أى من القادة السوفييت بشئ.

وفى الصباح وقبل إقلاع الطائرة للعودة إلى القاهرة، قمت بزيارة الرائد عبده مباشر فى المستشفى حيث أجريت له الجراحة فى نفس الليلة ، وتأكد الجراحون أن الزائدة الدودية لم تكن ملتهبة...

وعندما كانت الطائرة تخرج من المجال الجوى السوفييتى، أمسكت بالقلم لأكتب تقريرا عن الرحلة. ولم أكن لأتجاهل النقاط التالية:

١ - لأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفييتى يقوم وفد عسكرى أجنبى بزيارة القاعدة الرئيسية للأسطول السوفييتى بالبحر الأسود.

٢ - وللمرة الأولى أيضا يسمح لوفد عسكرى أجنبى بزيارة وسائل الدفاع الجوى عن العاصمة موسكو خاصة قواعد الصواريخ أرض - جو الموجودة حول موسكو، والاطلاع على أساليب تشغيلها، وأماكن إخفاءها، ووسائل تحصينها.

٣ – أثناء زيارة وسائل حماية الطائرات بالقواعد الجوية، اعترف السوفييت لأول مرة، بأنهم نقلوا هذه الخبرة من مصر، بعد أن تأكدوا من نجاح التحصينات الخرسانية التى أقيمت لحماية الطائرات بالقواعد الجوية المصرية .

٤ – لأول مرة تقوم قوات سوفييتية ببيان عملى بالذخيرة الحية، تشترك فيه الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، بتمثيل اقتحام مانع مائى يماثل قناة السويس، ولمدة يومين من خلال ٨ نقاط مشاهدة.

٥ – مراسم الاستقبال التى لا تقام إلا لنائب رئيس جمهورية، بالإضافة إلى وجود ٨ أعضاء من اللجنة المركزية ضمن وفد الاستقبال.

وعدتُ لحديث بريجينيف ، هذا القائد السوفييتى الذى استغل وجود السادات فى زيارة للاتحاد السوفييتى فى ابريل الماضى ليحرضه عليَّ علنا وعلى مرأى ومسمع من جميع الحاضرين، باستفزازه وسؤاله عمن يحكم مصر؟ أهو السادات أم الجنرال صادق؟

- **أى فى أبريل يحرض السادات على وزير الحربية !!**
- **وفى يونيه يحرض وزير الحربية على السادات !!!!!**

أى دور يلعبه هذا الرجل؟ وأى مخطط يسعى وراءه السوفييت. ومن الواضح أنهم نجحوا مع السادات، لأن هذا هو مايريده السادات، أما معى، فأنا لن أنقلب على رئيس مصر، لا لحسابهم، ولا لحسابى.

إن ما فعله بريجينيف معى ومع السادات أمر خطير، وإذا كانت الحسابات والفطنة تقتضى ألا أخبر السادات بما دار، حتى لا أضاعف من مخاوفه وشكوكه، إلا أن المخاطر التى تحيط بمصر والسادات وبى من جراء عمليات التحريض المتواصلة تفرض عليَّ أن أنبه السادات وأن أخبره بما دار. كما أننى إذا لم أخبره فقد يخبره السوفييت. وقد يصورون له الأمر وكأننى أنا الذى طلبت مساعدتهم للتآمر عليه. وقد يجد السادات مثل هذا الأمر منطقيا، أو فى أضعف الأحوال مبررا جديدا وواضحا للإقدام على التخلص منى.

كان الموقف صعبا، والتفكير فيه لاستكشاف أبعاده يستغرقنى ، والوصول إلى قرار بشأنه أكثر صعوبة، فما أن أستقر على ضرورة إخبار السادات، حتى تتدافع الأسباب التى ترجح كفة عدم إخباره، والاحتفاظ بالأمر سرا.

أما القرار الأساسى، فكان رفض الطعم السوفييتى، ورفض فكرة التآمر أو الانقلاب على الرئيس السادات، وطوال فترة رحلة الطائرة، وطوال الليلة التى سبقتها، بل وطوال

الفترة منذ لقائى ببريجينيف، وأنا مستغرق فى التفكير. وفى الطائرة صليت صلاة الاستخارة وهدانى الله إلى قرار إخبار السادات.

وبعد وصولى للقاهرة، توجهت مباشرة للقاء أنور السادات، وقدمت له تقريرا مكتوبا عن الرحلة بالكامل. وبعد أن ناقشنى فى التفاصيل والنتائج، أبدى ارتياحه الكامل، وقال أرجو أن يصدقوا هذه المرة ، وسألنى هل تظن أن هذه الحفاوة البالغة مقصودة ؟

فقلت له: بالتأكيد.

فقال هل هى تعبير عن تغيير فى منهجهم؟

فقلت له: .. لا.

ففوجئ بالإجابة التي جاءت عكس توقعاته وإن كانت تتفق وشكوكه.

فالرجل كانت تساوره الشكوك فيَّ و في السوفييت. وأمام تفتح شهيته للاستماع ، بعد أن استنفرت شكوكه أخبرتُه بما قاله بريجينيف، وناقشنا معا الاحتمالات المختلفة.

ولاحظت طوال فترة الحديث أنه يشعر بالضيق من حديثى عن الزيارة ولقائى ببريجينيف.

وبعد أيام التقيت باللواء بحرى محمود عبدالرحمن فهمى قائد القوات البحرية وهو رجل أعتز بصداقته ووطنيته وأخوته. و رأيت أن أحيطه علما بالموقف، لأن نتائجه يمكن أن تمتد لمن يعتبرهم السادات أصدقائى.

واستمع محمود فهمى بكل الاهتمام ، ثم سألنى عما إذا كنت قد أبلغت السادات ذلك؟ فأجبته بالإيجاب، فصعق.......

وأوضحت له أن الاستقامة، وضرورة إحباط المؤامرة السوفييتية فى بدايتها، وتجنيب مصر من أيه شروخ أو شكوك عميقة تصيب قيادتها، وهى فى أوج الاستعداد للمعركة، يقتضى أن أخبر السادات.

فقال محمود فهمى: « بل بهذا ستدفع الثمن بشكل أفـــدح».

فأجبته: «**أيهما أفضل لمصر: القبول بالتآمر مع السوفييت على رئيس مصر ؟**

أو استغلال السوفييت للموقف، و إبلاغ السادات بالأمر سواء واصلت معهم رحلة التآمر أم لم أواصل ؟ أو إبلاغ السادات ؟»

❁ ❁ ❁

الباب السابع

الخلاف مع السادات

عربات مدرعة فى ميدان الحسين

خلال فترات الصفاء فى العلاقة التى كان محكوما عليها بالتوتر بينى وبين الرئيس السادات ، كان بالامتنان يشكرنى أننى جنبته وجنبت مصر هذه المحاولات الانقلابية.

وكانت أحاديث السادات معى حول هذه القضية فيها من التساؤلات الكثير ، كان يتساءل عن المعاناة التى كان يعيش فيها الرئيس عبدالناصر ، وهو يتابع هذه المحاولات الانقلابية واحدة وراء الأخرى . وحتى بعد نكسه ١٩٦٧ كانت الانقلابات مستمرة وكان أخطرها تلك التى قادها صديقه ورفيق دربه والنائب الأول لرئيس الجمهورية المشير عبدالحكيم عامر. ولما قلت للسادات إن هذه المحاولة ، لم تكن انقلابا واحدا، بل كانت ثلاثة انقلابات متواليه ، ما أن ينجح الأول حتى ينقلب الباقون على قائد الانقلاب السابق ، وما أن ينجح الثانى حتى تثب القوات الانقلابية الحقيقية على قادة الإنقلاب الثانى.

ثم يتساءل هل عرف عبدالناصر الاستقرار ؟ ويجيب بالقطع لا.

وكان الرئيس عبدالناصر يلجأ عقب كل محاولة إنقلابية إلى عزل عدد من العسكريين ونقل آخرين إلى الأعمال المدنية. وكنت أقول دائما للسادات :

«إن القوات المسلحة لها مهمة واحدة هى القتال دفاعا عن الوطن،

ومهمتها الوحيدة بعد يونيه ١٩٦٧ هى تحرير الأرض المحتلة واستعادة الكبرياء».

وكل هذا لن يتحقق إلا مع وضوح الهدف أمام الجميع والتخطيط الجيد والتدريب المستمر لرفع الكفاءة القتالية للقوات ككل ، والحفاظ على روح معنوية عالية استنادا إلى القيم الدينية والوطنية. و أذكر للرئيس أن العمل السياسى مهمة السياسيين وأن مهمة العسكريين هى تنفيذ الأوامر التى تصدر من القيادة الشرعية. وأعود لأقول له ، إن المغامرين والطموحين والساخطين لم يعد لهم مكان أو وجود داخل القوات المسلحة. فيسألنى كيف ؟

فأجبته إننى لجأت إلى الطريق الصحيح ، أن أصل إلى عقولهم وقلوبهم بأقصر طريق، ثم أقول له لا تنسى أن ما حققته حتى الآن هو بفضل المولى سبحانه وتعالى. فيقول معلقا، إن المولى كان موجودا فى عصر عبدالناصر ، ومع ذلك كانت الانقلابات تتوالى....

فأجيبه إن الله موجود دائما ، ولكن كم من المسئولين فى ذلك العصر لجأوا إليه ؟ ولم يكن يتوقف عن إطرائى وإعلان اعتزازه بى كلما مر الوقت دون محاولة انقلابية واحدة.

ولكن وفى وقت إفطار رمضان يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٢ اتصل بى مدير مكتبى ليخبرنى بأن مجموعة من الدبابات تدخل القاهرة عن طريق الهايكستب ، وترفض الانصياع للأوامر الصادرة إليها بالتوقف من جانب أفراد الشرطة العسكرية.

غادرت المنزل إلى مكتبى وأنا أتساءل ماذا يجرى ؟ وبعد وصولى بدأ القادة يصلون واحدا تلو الآخر، فقد كانت المعلومات الأوليه توحى بوقوع انقلاب عسكرى. وعندما وصلت إلى مكتبى كانت الدبابات المذكورة قد وصلت إلى مسجد الإمام الحسين ، وكان هذا البلاغ مطمئنا ، فالهدف إذن ليس منزل الرئيس ولا مبنى القيادة ولا حتى مبنى الإذاعة والتليفزيون.

أتصلت بالرئيس السادات وأبلغته بالموقف ، وأن وحدات من الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية قد توجهت إلى مسجد الإمام الحسين للسيطرة على الموقف وإلقاء القبض على أفراد هذه المجموعة.

وما أن سمع السادات هذه المعلومات حتى أصابه الهلع وظل يردد:

« إنقلاب يا محمد، إنقلاب يا محمد .. هل أترك منزلى وآخذ الأولاد معي .. ؟»

فقلت له مطمئناً إن الأمر لا يستحق كل هذا القلق وإن المعلومات تشير إلى أن المجموعة التى دخلت القاهرة لا تتجاوز عدة عربات مدرعة وليست دبابات وكل من وصلوا تحاصرهم وحدات الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية داخل مسجد الإمام الحسين.

فطلب منى أن أوافيه بالمعلومات أولا بأول ، فعدت لطمأنته وقلت له إن الموقف تمت السيطرة عليه. وبعد إلقاء القبض على قائد هذه المجموعة تبين أن اسمه هو النقيب على حسن عيد ، قائد سرية مشاه ميكانيكية بلواء مدرع متمركز بمنطقة شرق القاهرة. وقررت أن أتولى التحقيق بنفسى بحضور كل من سعد الشاذلى وعلى عبدالخبير .

ومن أقواله فإن قصته تتلخص فى أنه مكلف وسريته بمواجهة أى قوات منقولة جوا يمكن أن يقوم العدو بإسقاطها فى المنطقة ، وأنه كان يدرب رجاله على المهمة ويعمل على اختبار مدى كفاءتهم ، وخلال هذا اليوم أجرى مشروعا تدريبيا بنجاح.

وبما أن المشروع بدأ فى الساعة الثانية من بعد ظهر نفس اليوم فقد كانت نهايته قبل حلول موعد آذان المغرب بقليل ، فرأى أن يتوجه ورجاله للصلاة فى مسجد الإمام الحسين ، حيث غادروا عرباتهم المدرعة وتركوها فى ميدان الحسين فى منظر غير مألوف إطلاقا بالنسبة للناس هناك ودخلوا للصلاة ، و فوجئ هو ورجاله بالشرطة العسكرية تحيط بهم وتلقى القبض عليهم بعد الصلاة .

وباستكمال التحقيق مع باقى الأفراد المقبوض عليهم من ضباط الصف والجنود، بدأت الصورة تكتمل ، فقد أخبر النقيب على حسن عيد أفراد الوحدة بأنه سيقوم بمشروع تدريبى وتحرك من منطقه التجمع وهو يقود ١٢ عربة قتال مدرعة كانت من بينها ٦ عربات من السرية التى يقودها ، و ٦ عربات من سرايا الكتيبة الأخرى ، وانطلق من منطقة الهايكستب إلى القاهرة ، وقد قابل أول نقطه اعتراض من الشرطة العسكرية عند علامة الكيلو ١٤,٥ بمدخل القاهرة واستجابت ٥ عربات لأوامر الشرطة العسكرية وتوقفت ولم تواصل مسيرتها.

وقامت نقطة الشرطة بإبلاغ قيادتها ، وبدأت المعلومات تصل إلى مكتب الوزير ورئيس الأركان وقائد المنطقة المركزية ومدير المخابرات الحربية ، وواصل النقيب عيد طريقه داخل شوارع القاهرة دون أن يتمكن أحد من معرفة الهدف الذى يتوجه إليه.

ونتيجة للأوامر المتناقضة التى كان يصدرها عبر اللاسلكى إلى قواته والتى لا علاقة لها بفكرة المشروع التدريبى ، والشك فى أن ما يحدث مخالف للتعليمات والأوامر العسكرية ، خاصة تعليمات التحرك ، قررت أطقم أربع عربات مدرعة التوقف فى منتصف الطريق.

ووصل النقيب على عيد ومعه ثلاث عربات مدرعة إلى ميدان الحسين.

ومرة أخرى اتصلت بالرئيس السادات وأبلغته بنتيجة التحقيق وأحطته علما بالموقف كاملا ، وكان صوت الرئيس ما زال مضطربا ويخامره الشك فيما أقول ، متصورا أننى أبسّط ما جرى لطمأنته ، فالسادات بطبيعة شخصيته المتآمرة والشكاكة لم يكن يصدق ما يقال له.



وفيما يتعلق بوصول المدرعات إلى شوارع القاهرة و وصولها إلى ميدان الحسين ، كنت على يقين أنه لن يهدأ له بال حتى يسمع أطراف كثيرة خاصة من الفريق سعد الشاذلى الذى كان يراهن عليه بقوة.

وبالرغم مما أظهره التحقيق من حقائق حول شخصية النقيب عيد المضطربة والغير متزنه، فقد كان بجانب ذلك لا يتوقف عن الهجوم على المصريين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ...، ويرى أن المجتمع يمضى على طريق الضلال وكثيرا ما كان ينسى أن يجيب على سؤال موجها له ويظل يتمتم بآيات من القرآن الكريم. وكان باديا عليه سمة التعصب الدينى ، وأكد ذلك ضباط الصف والجنود الذين كشفوا أن أوامره أثناء قيادة الطابور المدرع كان تتخللها آيات قرآنية كثيرة غير مترابطة. وكانت هناك أسئلة كثيرة ، لم يكن هناك من يجيب عنها فالنقيب المتهم لم يكن فى جعبته أيه إجابات ، ومن هذه الأسئلة :

١ - إذا كان فعلا قد خطط لمشروع تدريبى لسريته ، فلماذا أستعان بعربات مدرعة وأفراد من سرايا أخرى ؟

٢ - إذا كان صادقا ، فلماذا لم يخطر قائد الكتيبة قبل أن يبدأ مشروعه التدريبى حتى يتم اتخاذ إجراءات التأمين المطلوبة فى هذه الحالة ؟

٣ - ولماذا لم يقم بإجراءات الحصول على تصديق كتابى مسبق بالسير على الطريق من الهايكستب إلى القاهرة محددا به الشوارع التى سيمر بها ؟

٤ - ولماذا لم يمتثل لأوامر الشرطة العسكرية عندما اعترضت طريقه عند علامة الكيلو ١٤,٥ عند مدخل القاهرة ؟

٥ - ثم لماذا توجه للصلاة بمسجد الإمام الحسين بالمدرعات ؟ وهل أصبحت المدرعات وسيلة انتقال داخل القاهرة ؟

وبالرغم من مشاركة كل من سعد الشاذلى وعلى عبدالخبير فى التحقيق وتوجيه الأسئلة للمتهم ، فإننا لم نتمكن من استخلاص إجابات على هذه الأسئلة.

وأمام هذه الحالة قررنا عرضه على الأطباء الذين قالوا بعد الكشف عليه إنه مختل عقليا وبالتالى تم إرساله إلى المستشفى ، ولم يقدم للمحاكمة على هذا العمل الطائش.[٤]

وظل السادات على موقفه من عدم تصديق كل ما يتعلق بهذه القضية ، ولم يقتنع أبدا أن النقيب على عيد مريض . وحتى بعد أن أخبره سعد الشاذلى بالحقيقة كما رآها

٤ - ذكر المقدم محمود عادل أثناء وجوده فى السجن الحربى كان الحراس يتندرون بما كان يصرخ به النقيب على عيد عن «الحمير التى تهاجمه ويطلب منهم النجده.....» وبالكشف الطبى عليه تبين وجود ورم بالمخ تم إستئصاله وبذلك لم يقدم للمحاكمه



وشهدها وسمعها خلال حضوره التحقيقات، فقد ظل مُصرا على رفض تصديق الحقائق البسيطة الواضحة .

وقدرت أن السادات سيستخدم هذا العمل ويركز عليه ويلقى عليه الأضواء ليكون بالنسبة له الذريعة المباشرة لإقصائي. ولم يمض أسبوعان على هذه المغامرة إلا وكان السادات قد قرر إقالتى ، وتحقق له ما يريد. ولكن يظل سر محاولة إنقلابية أخرى أكثر جدية وأدق تخطيطا طى الكتمان.

فقبل طرد الخبراء والمستشارين السوفييت تورط قائد مصرى فى محاولة إنقلابية بالتعاون مع السفير السوفييتى وأحد كبار المستشارين العسكريين السوفييت. وتم الكشف عن المحاولة بعد إعداد البيانين الأول والثانى المقرر إذاعتهما بعد نجاح الانقلاب، وجرى إبعاد كل من القائد المصرى والمستشار السوفييتى. ولأن السوفييت كانوا طرفا رئيسيا فى المحاولة فقد أمر السادات بالاحتفاظ بالأمر طي الكتمان وإن أزعجه الأمر كثيرا.

ولكن هل زال توتره بعد إقالتى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ ؟

أعتقد لا .. وإلا ما استمرت محاولات التخلص منى ..

۞ ۞ ۞

صورة للصراع على القمة

لم يكن الصراع مقصورا عليَّ أنا والسادات، كانت هناك أطراف أخرى تشارك فى حمل المسئولية.

ومن هذه الأطراف من كانت حساباته وتحالفاته تدفعه للعمل ضد وزير الحربية..

و ظل هذا الفريق يعمل باستمرار على زيادة مشاعر الغضب ومضاعفة حجم السخط لدى الرئيس السادات، وإثارة مخاوفه وإلهاب شكوكه لحفزه على تنحية وزير الحربية.

ومن جانب آخر كان السادات فى حاجة إلى عناصر يناور بها ويحركها للعمل ضد وزير الحربية الذى اتجهت نيته للتخلص منه بعد أن مرت عاصفة مايو ٧١ واستقر فى مقعده كرئيس للجمهورية.

كان الجانبان يتحركان فى نفس الاتجاه. وكل جانب يخطط لاستغلال الجانب الآخر لحساب طموحاته وأهدافه. وكان كل طرف يدرك أن لكل خطوة ثمنا مستحق الدفع إن آجلا أو عاجلا.

ومن هؤلاء أحمد إسماعيل مدير المخابرات العامة. وعلاقتى بالرجل كانت متصلة وعميقة إلى أن أُحيل للتقاعد فى سبتمبر ١٩٦٩، أى بعد تحمله لمسئولياته كرئيس للأركان لمدة ٦ أشهر. وقد ترك هذا الأمر فى نفسه جرحا عميقا لم يكن من السهل أن يندمل، فلقد كانت تلك هى المرة الثانية التى يُحال فيها للتقاعد خلال أقل من عامين ونصف العام.

وكانت المرة الأولى يوم ١١ يونيه ١٩٦٧ وفى أعقاب النكسة مباشرة. ولكنه وبعد تقاعده وجد مساندة قوية وفعالة من السوفييت لإعادته إلى الخدمة فى نفس الشهر، **وتعيينه قائدا عاما للجبهة ككل.**

وبعد استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض رئيس الأركان فى مارس ١٩٦٩، وصل أحمد إسماعيل إلى منصب رئيس الأركان بالرغم من وجود أربعة من كبار القادة يسبقونه فى الأقدمية وهم الفريق رفاعى كامل ، و الفريق صلاح محسن مساعد وزير الحربية، واللواء

كمال منير مدير سلاح الإشارة، واللواء لطفى السعيد مدير سلاح الحرب الكيماوية.

ولأن اللواء أحمد إسماعيل كان قد أمضى فى رتبة اللواء أكثر من سبع سنوات، متخطيا بذلك الحد الأقصى لمدة خدمة اللواء وهى ٦ سنوات، فقد رؤى منحه رتبة الفريق.

ولم تمض الأمور كما يشتهى أحمد إسماعيل، ففى التاسع من سبتمبر ١٩٦٩، نفذ الإسرائيليون عملية الزعفرانة ، وأثبت التحقيق أن المخابرات الحربية سبق أن قدمت تقريرا بالصور تنبه فيه إلى أن قوات العدو تتدرب على عمليات إبرار بحرى بجنوب سيناء، وتوقعت فى نهاية التقرير اتجاه نية العدو لتنفيذ مثل هذه العملية على الشاطئ الغربى لخليج السويس.

وفى نفس اليوم الذى نفذت فيه إسرائيل عملية الزعفرانة، كان الرئيس عبدالناصر فى زيارة للجبهة لمتابعة بيان عملى تنفذه بعض الوحدات. وقدرت أن وجود الرئيس بالجبهة خلال هذه الساعات، وتحت ظروف تنشط فيها قوات العدو الجوية مما يشكل خطرا على حياته.

وكانت احتمالات اكتشاف العدو الجوى للمناورة ولوجود الرئيس عبدالناصر كبيرة، لذا أسرعتُ بالاتصال بالفريق أول فوزى أثناء وجودهم بمقر الفرقة ٢١ المدرعة لإبلاغه بما يجرى، ليخبر الرئيس وليستأذنه فى العودة إلى القاهرة.

وتبينتُ بعد قليل أن وزير الحربية لم يخطر عبدالناصر بما يجرى فى الزعفرانة حرصا على استمرار متابعته للبيان العملى. فأعدتُ الاتصال باللواء عبدالقادر حسن وأوضحتُ له حقيقة الموقف، فما كان منه إلا أن أسرع وأخبر الرئيس واستأذنه فى العودة فورا للقاهرة.

اتصل الرئيس عبدالناصر بى فأبلغتُه بما توفر لديَّ من معلومات وأننى قد دفعتُ بالمجموعة ٣٩ قتال تحت قيادة إبراهيم الرفاعى إلى الزعفرانة لمواجهة قوات العدو.

بعد ذلك اتصل الرئيس بحسنين هيكل فأخبره أن العدو أحاط الإغارة على الزعفرانة بمظاهرة دعائية ضخمة، حتى أن بعض الإذاعات فى الخارج صورت الأمر وكأنه غزو لمصر....

واستبد الغضب بعبد الناصر ، ورأى أن يكلف الفريق أحمد إسماعيل رئيس الأركان والذى كان يرافقه بالتوجه مباشرة إلى المنطقة ليباشر بنفسه العمل على تطهيرها من الوجود المعادى، فقد تصور أن العملية مرشحه للتوسع .

وبعد أن تلقى رئيس الأركان الأمر من عبدالناصر، رأى أن يتوجه إلى مكتبه بالقاهرة أولا للاطلاع على تفاصيل الموقف وكل المعلومات المتاحة عن هذه الإغارة ومعرفة حجم قوة العدو وأماكن انتشاره فى محاولة لقراءة أهدافه أو نواياه على الأقل، ثم وبعد معرفة المعلومات المتوافرة بالقيادة العامة يتوجه إلى منطقة البحر الأحمر.

وعلم عبدالناصر بأن الفريق أحمد إسماعيل لم يتوجه فورا إلى منطقة الزعفرانة كما أمره، بل توجه إلى القاهرة، فاجتاحه غضب عارم. واستغل الفريق أول فوزى الموقف لإثارة عبدالناصر للتخلص من أحمد إسماعيل فورا ولم يكن فوزى قد توقف عن عمليات الدس والتحريض ضد أحمد إسماعيل منذ أن أصبح رئيساً للأركان.

وفى نفس الوقت كان فوزى يستهدف بتحميل أحمد إسماعيل مسئولية التقصير سواء بعدم الأخذ بما جاء فى تقرير المخابرات الحربية، أو بعدم تنفيذ أمر الرئيس القائد الأعلى، إبعاد المسئولية عنه بصفته الوزير القائد العام.

ويوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ أصدر الرئيس قرارا بتعيين اللواء محمد صادق رئيسا للأركان والعميد محمود فهمى قائدا للقوات البحرية.

وفى ظروف المحنة، أستنتج أحمد إسماعيل أن تقرير مدير المخابرات الحربية، كان السبب فى عزله. وقال لأصدقائه، لو لم يقدم محمد صادق تقريره لجمال عبدالناصر لبقيت فى منصبى. وجاء تعيينى رئيسا للأركان، مؤكدا لاستنتاجه، وأيقن أننى سعيت لإزاحته لأحل محله.

وبعد إعفاء أحمد إسماعيل، كتب المحرر العسكرى للأهرام يوم الأحد ٢١ سبتمبر ١٩٦٩، أنه وبعد استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض تم شغل المنصب على أساس الأقدمية .... وبعد ما جرى فى الزعفرانة، قرر عبدالناصر تجديد دماء قادة القوات المسلحة بدفع عناصر أكثر شبابا وعلما وخبرة. ثم أضاف المحرر العسكرى أن عبدالناصر شعر بمدى افتقاده لعبدالمنعم رياض، وأدرك مدى الخسارة باستشهاده بعد ما جرى فى الزعفرانة، لذا قرر التخلص من القيادات القديمة التى لم تعد تصلح لتحمل مسئولياتها.

ولم يعرف أحمد إسماعيل أن الأستاذ هيكل هو كاتب هذه السطور نقلا عن جمال عبدالناصر. وتصور أن عبده مباشر المحرر العسكرى للأهرام هو الذى كتب ذلك للإساءة إليه، وقد استنتج أننى الذى حرضته على ما كتبه.

ولم يراجع أحمد إسماعيل نفسه أبدا فى هذا الاستنتاج المجافى والمخالف للحقيقة. وكان فى حاجة شديدة لهذا الاستنتاج بعد أن أعاده السادات للمسرح وأسند إليه منصب مدير المخابرات العامة، لكى يبرر به لنفسه كل ما يقوم به ضدى، ونسى أن عدم تنفيذه لأمر عبدالناصر بالتوجه إلى البحر الأحمر كان السبب المباشر لغضب عبدالناصر عليه وعزله من منصبه.

ونسى أو تناسى أحمد إسماعيل مواقف كثيرة ؛ منها أنه وبعد إحالته للتقاعد توجه إلى مستشفى المعادى للقوات المسلحة للعلاج، فعومل معاملة اللواء المتقاعد. وعندما تم إخطارى بما جرى قمتُ بزيارته بالمستشفى، وأمرتُ بنقله إلى جناح من الأجنحة المخصصة لكبار القادة فورا مع تقديم الاعتذار المناسب له.

وكان لابد من إجراء يضمن تصحيح أوضاع أحمد إسماعيل الذى شغل منصب رئيس أركان القوات المسلحة. فمثل هذه المكانة الرفيعة التى يبلغها القائد، يجب أن يحاط من يصل إليها بالاحترام والتقدير المناسبين.

وأصدرت أوامرى بإعداد مشروع قرار جمهورى ينص على اعتبار رئيس أركان القوات المسلحة بدرجة وزير، وأن يعامل معاملة الوزراء، وأن يطبق القرار بأثر رجعى. وعندما عرضت القرار على الرئيس عبدالناصر قرأه بإمعان، وسألنى مازحاً عما إذا كنت قد أعددت القرار لخدمة أحمد إسماعيل..، أم لكى أخدم نفسى عندما أحال إلى التقاعد..؟ أم لكى أستفيد من اعتباري وزيرا مادمت رئيسا للأركان..؟

وقلت للرئيس عبدالناصر، الله وحده هو المطلع على القلوب، وما كنت لأفكر فى أن أؤدى خدمة لنفسى فى مثل هذه الظروف، بل أردت أن أصحح وضعا رأيته بعيدا عن اللياقة، فلم يكن مقبولا أن يعامل أحمد إسماعيل رئيس الأركان السابق فقط كلواء متقاعد.

و وقع الرئيس عبدالناصر القرار..

بعدها حملت صورة منه للفريق متقاعد أحمد إسماعيل بالمستشفى، فدمعت عيناه وهو يردد كلمات الشكر والامتنان والوفاء .

وبعد تعيينه مديرا للمخابرات العامة، وأمام إدراكه أنه يواجه مسئوليات جديدة عليه، لم يُعَد لها علمياً، وبدون سابق خبرة ، فقد طلب منى أن يمر عليَّ بالمكتب لاستيضاح بعض الأسرار وخفايا هذا العمل الجديد . وكان له ما أراد . وظل يتردد على مكتبى كثيراً

ليناقش ويستفهم ، ولم أبخل عليه بجهد أو وقت. ولم يتوقف خلال هذه الفترة عن بناء جسور المودة بيننا، وفى نفس الوقت واصل الوقيعة بينى وبين السادات... حيث حرص باستمرار على كتابة تقاريره بخط اليد، اقتناعا بأن ذلك يضمن سريتها.

ومع هذا كنت أتلقى صورة من هذه التقارير أو أُحاط بمضمونها علماً على الأقل.

وبدافع الحرص على المنصب وعلى الفرصة التى أُتيحت له للعودة إلى المسرح، فقد قدر أننى أفضل سبيل يكسب به ثقة السادات، فقرر فرض رقابة مشددة على كل تحركاتى وأخضع كل تليفوناتى للرقابة.

ولم يكتف بذلك، بل عمد إلى توثيق علاقته أسرياً بالسادات وزوجته، اقتناعا منه بأنه اليد التى امتدت لتنتشله من المجهول إلى عالم الأضواء والنفوذ، بل هي أيضا اليد التى يمكن أن تدفعه للأمام. وكانت أحلام العودة إلى القيادة العامة للقوات المسلحة كقائد عام و وزير حربية، تداعب مخيلته بقوة.

وبعد تعيين أحمد إسماعيل بقليل ، زاره الدكتور محمود محفوظ فى مكتبه، بعدها بدأ يتردد سرا على عيادته لتلقى العلاج. وأنبأ الدكتور محفوظ السادات بحقيقة مرض أحمد إسماعيل ، و وجد الخبر طريقه إلينا. ولم تمض فترة طويلة حتى بدأ أحمد إسماعيل يقول للمقربين إليه إنه عائد للخدمة، وأن السادات وعده بمنحه رتبة المشير. ولم يكتف بالقول، بل بدأ فى تفصيل ملابس جديدة استعدادا لتعيينه وزيرا للحربية وقائدا عاما، وهذه المرة تسلمت صورا له وهو يرتدى البدلة الجديدة، والترزى بجواره لتسجيل أية ملاحظات.

السادات يتعجل ، وأحمد إسماعيل أكثر تعجلا، أما سعد الشاذلى الذى لم يكن قد استوعب شيئا مما يدور أو علم عنه شيئا، فقد كان يحلم أيضا بمنصب الوزير.

والشاذلى قائد عسكرى جم النشاط، وأشهد له بالكفاءة، فقد تحمل أعظم الجهد ونحن نعمل معا لإعداد القوات المسلحة للحرب. كنا نسابق الزمن، ونحرص على توفير أفضل الظروف والإمكانيات وبشكل مكثف وغير مسبوق. وكانت للرجل أفكاره المبتكره لتجاوز بعض العقبات التى واجهت خطط الإعداد والتدريب. وكلما كنت أكلفه بمسئولية، كان يؤديها بكفاءة عاليه.

وأتذكر بعد تعيينى وزيرا للحربية، خلا موقع رئيس الأركان وبالتالى كان السادات يتوقع أن أرشح له من يشغل هذا المنصب. وبعد تفكير كتبت مذكرة للسادات أرشح

فيها ٥ من القادة لمنصب رئيس الأركان كان ترتيبهم كالتالى:

١ – الفريق عبدالقادر حسن
٢ – اللواء محمد فائق البورينى
٣ – اللواء منير عبدالرحيم
٤ – اللواء سعد مأمون
٥ – اللواء سعد الشاذلى



الفريق عبد القادر حسن
من خيرة القادة ، ورفض السادات اختياره كرئيس أركان لأنه كان على وفاق معي

وناقشنى السادات فى أسباب ترشيحى وسألنى عن أولوياتى، وشرحت له الصورة كما أراها، وأكدت له أننى أعلم أن له رؤيته وأسبابه، وأنه لن يختار أبدا عبدالقادر حسن، ليس إنكارا لتاريخه أو كفاءته بل لأنه ليس على خلاف معى، وأنه سيختار الأقرب للخلاف معى، وقد يقع اختياره على اللواء سعد الشاذلى مجاملة للفريق سعد الدين متولى كبير الياوران أولا وكشخصية تقف فى منتصف الطريق بينى وبينه.

فرد السادات وإذا لم أختر عبدالقادر أو سعد فمن أختار، قلت لقد وضعت الأسماء بالترتيب الذى رأيته الأفضل للقوات المسلحة، ووفقا لمعايير الكفاءة والخبرة لا معايير الولاء والاعتبارات السياسية. فقال السادات لقد أديت دورك ورشحت لى من تراه يصلح، وحان دورى لأختار، ودورك ينتهى عند الترشيح، أما الاختيار فمسئوليتى أنا.

فقلت له كلهم قادة، وكل منه له تاريخه وكفاءته، وكل منهم يصلح لتحمل المسئولية. واختار الرئيس سعد الشاذلى كما توقعت وكان العنصر الحاسم، قدرته على بث راحة يبحث عنها السادات فى مواجهة قلقه من وزير الحربية.

ومنذ تحملنا المسئولية معا، أنا كوزير وقائد عام وهو كرئيس أركان، فى بداية النصف الثانى من مايو ١٩٧١، وحتى تاريخ تنحيتى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢، أى خلال أقل من ١٨ شهرا، تمكنا من إعداد القوات المسلحة للمعركة. وأعددنا الجبهة بكل ما تحتاجه وتتطلبه من تجهيزات هندسية وطرق ومراكز قيادة تبادلية ومواقع ومنشآت.

وكان الشاذلى منغمسا للغاية فى أى خلاف بينى وبين السادات. وعندما اختلفنا حول إقامة رؤوس كبارى شرق القناة على مساحة تتراوح بين ٨ ، ١٠ كيلو مترات والوصول إلى خط المضايق، وقف الفريق سعد الشاذلى بقوة مساندا للرئيس السادات.

ولم يكن الخلاف حول الوصول إلى خط المضايق خلافا شخصيا بينى وبين السادات، بل خلافا حول الأصوب عسكريا. كان وصول القوات المصرية إلى خط المضايق يعنى وقوفها على خط دفاعى صلب يستند إلى مواقع دفاعية طبيعية يصعب على العدو إختراقها. وفى ظل هذا الوضع يمكن الانتقال بقواعد الصواريخ المضادة للطائرات إلى رؤوس الكبارى شرق القناة وبها يوفر حماية للنشاط الجوى المصرى، ومظلة لحماية القوات الموجودة هناك.

وكانت رؤية السادات، رؤية سياسية، فإقامة رؤوس كبارى مصرية شرق القناة وبعمق يتراوح بين ٨ ، ١٠ كيلو مترات تسمح للعمل السياسى بالانطلاق وإكمال الطريق، فالانتصار لم يكتمل، والهزيمة الإسرائيلية ليست كاملة. وهذا الوضع مريح للمناورات السياسية للوصول إلى حل تفاوضى للقضية.

وهذا البعد كان واضحا فى ذهن السادات بصورة أفضل مما كان لدى القادة العسكريين، وبما أن القيادة العامة مؤسسة انضباطية فقد كانت تؤكد للسادات القائد الأعلى أن ما تطرحه عليه من رأى أو آراء هو فى النهاية الصواب كما تراه، ولكنه فى النهاية القائد الأعلى، وأن الجميع سينفذون أوامره. ولم يكن السادات يتوقف كثيرا أمام هذا القول أو هذا التأكيد. كان هدفه أن يصل بالخلاف فى الرأى إلى النقطة التى تحقق له أهدافه فى تنحية وزير الحربية وكان الفريق سعد الشاذلى على بينة من أهداف السادات التى تتعلق بوزير الحربية، وكان يرى فى ذلك طريقا يقوده إلى منصب الوزير.

فقد ظل سعد الشاذلى لصيقا بالسادات، مشجعا له ولوجهات نظره. وكلما بدت ملامح اختلاف بينى وبين السادات فى وجهات النظر يسارع بكتابة مذكرة تؤيد وجهة نظر الرئيس.

وكان منطقيا أن يبحث سعد الشاذلى عن حلفاء وكان أحمد إسماعيل خارج دائرة الاختيار فمنذ التقى الرجلان فى الكونغو عام ١٩٦٠ وهما فى حالة صدام، فقد كان الشاذلى فى ذلك الوقت يقود قوة المظلات المصرية التى تعمل تحت راية الأمم المتحدة هناك، وذهب أحمد إسماعيل فى مهمة إلى الكونغو. وهناك تفجر الخلاف بين الرجلين.

وأرسل سعد الشاذلى خطابا للرئس فأرسل إلىَّ صورة منه، واتصل بى تليفونيا وطلب أن أبحث الأمر مع سعد ، مؤكدا أنه لا يحب «شغل العيال ده...». واستقبلت سعد الشاذلى فى مكتبى وأبلغته رسالة عبدالناصر. وانتهى الأمر.

وبعد عملية الزعفرانة التى أدت إلى عزل رئيس الأركان، ناقش عبدالناصر معنا (فوزى وأنا) الموقف فى منطقة البحر الأحمر، وفى النهاية تقرر تعيين الشاذلى قائدا للمنطقة.

واستدعى عبدالناصر الشاذلى ليناقشه ويسمع منه قبل أن يخبره بأنه اختاره ليكون أول قائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية، وفى بداية اللقاء اعتذر الشاذلى عن الاستقالة التى تقدم بها والخطاب الغاضب الذى سبق أن بعث به لعبدالناصر، وقال للرئيس، أعلم أن أحمد إسماعيل دفعة سيادتك وزميلك ولكنه يا افندم...

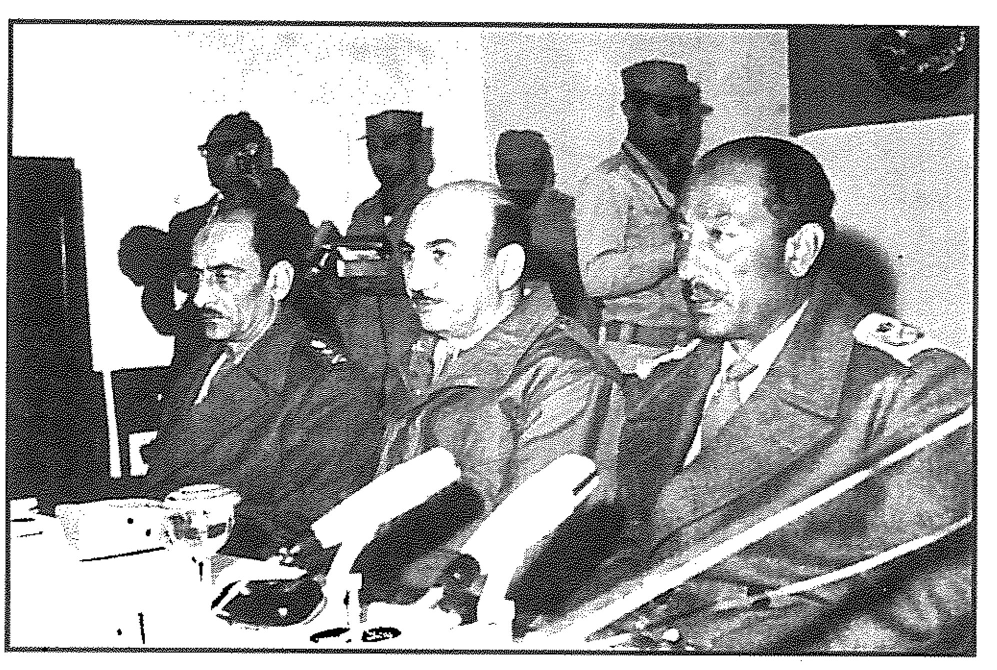
« فأكمل عبدالناصر الجملة قائلا ولكنه (......) وفى نهاية اللقاء أسند عبدالناصر مسئولية قيادة منطقة البحر الأحمر للواء سعد الشاذلى.

و وجد سعد ما يبحث عنه، عندما مد له الفريق الليثى ناصف يد التعاون. وكان صاحب فكرة بناء هذا التحالف، اللواء ممدوح التهامى رئيس هيئة العمليات، وكانت تربطه قرابة وثيقة بالليثى ناصف وعلاقة صداقة وطيدة دعمها المساندة المتبادلة من كل منهما للآخر.

ولم يكن الليثى ناصف قد تخلص من أثر الرسالة التى أرسلتها له مع الفريق سعد الدين متولى لتغيير موقفه خلال عاصفة مايو ١٩٧١. وكنت قد ترفعت عن إبلاغ السادات بحقيقة موقفه، والأسباب الحقيقية التى دفعته للانتقال من معسكر إلى معسكر آخر.

وتذرع الليثى ناصف قائد قوات الحرس الجمهورى برغبته لزيادة حجم قواته ليتمكن من تحمل مسئولياته فى الدفاع عن الرئيس والشرعية فى مصر، وطلب مجموعة كبيرة من الضباط فسألته، هل أبلغ السادات بذلك؟ فقال هذا من مسئولياتى كقائد للحرس. فاعتذرت بحاجة القوات المسلحة للمزيد من القادة والضباط و لا للتفريط فيها لديها بسبب الاستعداد للمعركة. فتوجه بالشكوى للسادات مدعيا أننى أقف عقبة فى طريق تطوير ودعم قوات الحرس الجمهورى.

وجاء الاحتكاك الثانى سريعا، عندما حاول إحاطة الرئيس السادات بقوة الحرس الجمهورى كلما توجه لحضور اجتماع بمقر الاتحاد الاشتراكى، للمزيد من الاقتراب من الرئيس وتأكيد الولاء.



الرئيس السادات والفريق أول صادق والفريق الليثي ناصف
في إحدى زيارات الرئيس للجبهة.

وخلال لقاء بالسادات، سألته عما إذا كان قد طلب من الحرس الجمهورى حمايته؟ فأجاب السادات ببساطة: إن الأمر مجرد «حنشصه» من الليثى. و رغبة من الفريق الليثى فى البقاء بالقرب من الرئيس، وربما أملا فى منصب أكبر، فقد رفض منصب مدير المخابرات العامة عندما عرضه السادات عليه. وعندما تقرر نقله لوزارة الخارجية، صُدم صدمة كبيرة، إن لم تكن أكبر صدمات حياته.

وطلب من الرئيس أن يتوجه إلى لندن للعلاج. وخلال وجوده بالعاصمة البريطانية، قضى نحبه. وحتى الآن ما زالت علامات الاستفهام تحيط بقصة موته، فهل مات منتحرا؟ أم أن هناك من أنتحره؟

وفيما يتعلق بالضلع الثالث للمثلث، اللواء ممدوح التهامى، فقد تقرر نقله من هيئة العمليات إلى إدارة المشاة بعد أن استدرجه السوفييت للاشتراك في مباراة استراتيجية وهزئوا به ومنه. وكان التهامى قد تلقى نصيحة بأن يشترك في المباراة كحكم، ولكنه لم يأبه بالنصيحة متصورا أنه أذكى من السوفييت، وأنه سيتمكن من الإيقاع بهم. وعندما فقد التحالف كيانه، لم يتورع سعد الشاذلى عن مهاجمة ممدوح التهامى فى مكتبه وأمام الضباط، فيخرج من المكتب ويركب سيارته ليموت كمدا.

وكان أحمد إسماعيل يتابع تفتت مجموعة الشاذلى سعيدا لا بسبب سقوط الحلف، بل لتيقنه أنه خصم سهل ويمكن كسره دون صعوبة. فها هو يفشل فى اختيار أنصار يدعمون موقفه، وبتصرفه حيال ما جرى لليثى وللتهامى سيدفع أى طرف لتجنب الارتباط به أو الرهان عليه.

أما هو، فقد عرف من موقعه من يكرهون وزير الحربية، وأسباب هذه الكراهية، فاستغل ذلك لصالحه وعمل على إذكاء نار هذه الكراهية باستمرار. ومن موقعه حرص على تجميع بعض الخيوط بيده ليتمكن من بناء مخطط على أساسها.

وكان سهلا أن يتبين أن طموح الدكتور عزيز صدقى كرئيس للوزراء يقوده لمحاولة السيطرة على مختلف مجالات الحياة فى مصر، وأن تكون له الكلمة العليا دون أن يصطدم بالسادات، ولتحقيق هذا الهدف تحرك على مجموعة محاور:

الأول : استمالة العمال بمنحهم المزيد من الحقوق سواء بزيادة المرتبات والأجور أو صرف بدل طبيعة عمل أو أجور إضافية وقد تمكن فى يناير ١٩٧٢ من اعتماد ١٠٠ مليون جنيه كبدل طبيعة عمل للعمال. وخلال نفس الشهر وأثناء وجودى بالسودان يومى ١٠، ١١ يناير ١٩٧٢ قرر تخصيص مبلغ ٤٠ مليون جنيه كبدلات وأجور إضافية.

وفى تودده للعمال لم يتورع عن استخدام سلطاته للاستجابة لكل مطالبهم ولو كان ذلك على حساب مصر أو باقى الشرائح الاجتماعية، وبلغ اقتناعه أن دعم مستقبله على المسرح السياسى يتوقف على علاقته بالطبقة العاملة مبلغا عظيما. ولم يكن بغائب عنه، أنه يرضى بذلك سادة الكرملين والتنظيمات الشيوعية فى مصر.

الثانى : بعد سقوط مجموعة مايو ١٩٧١ التى سميت بمراكز القوى، بكل مالها من ارتباطات وعلاقات بالاتحاد السوفييتى، رأى عزيز صدقى أن يملأ هذا الفراغ ليكون رجل السوفييت فى مصر. وكان من الذكاء بمكان، فقد استند إلى تحالف يضم عبدالسلام الزيات ومراد غالب وممدوح سالم. والرجلان الأولان لهما تاريخ فى التنظيمات الشيوعية فى مصر ومن بين هذه المجموعة وثق علاقته بكل من الزيات وممدوح سالم، ليشكل بذلك ثلاثى للحكم. وقد نجحوا فى أن يجمعوا فى أيديهم معظم خيوط السلطة.

الثالث : السيطرة على القوات المسلحة، الشوكة التى تقف فى طريق كل من يحاول الوثوب إلى السلطة أو السيطرة على مقاليدها.

ولتحقيق هذا الهدف، كان من الضرورى التخلص من وزير الحربية، الذى اعتبره عزيز صدقى . حلا طموحا خاصة بعد نجاحه فى إزاحة مجموعة مايو ١٩٧١. وأيقن

صدقى أن صادق لن ينصاع لمخططاته، ولن يصبح حليفا له، كما أنه قادر على طرح وجهات نظر مضادة لوجهات نظره التى يحاول إقناع رئيس الجمهورية بها. وكان كل سعى عزيز صدقى، أن يصبح هو صاحب وجهة النظر الوحيدة التى تطرح على رئيس الجمهورية، ووجود صادق لا يتيح له ذلك.

وقد تأكد صدقى من ذلك، عندما طالب بتخفيض حجم القوات المسلحة بحجة خفض النفقات، فقد وقفت معارضا لا للخفض فقط، بل لمجرد طرح مثل هذا المطلب الانهزامى المجافى للمنطق والمخرب لعمليات الاستعداد للمعركة.

وكان موقف وزير الحربية من قضية المصانع الحربية واضحا وقويا. فقد كان للفريق أول فوزى وزير الحربية السابق أسبابه الخاصة سواء أكانت تسوية حسابات مع من تبقى من رجال المشير عامر بهذه المصانع أو إرضاء للسوفييت الذين كانوا يلحون من أجل إغلاق مصانع الطائرات الحربية والصواريخ أرض - أرض، واجتمع رأى كل من عزيز صدقى ومحمد فوزى على إغلاق بعض المصانع وتسليم مصانع أخرى لوزارة الصناعة.

وقد أعلنت رفضى التام لمحاولات وزارة الصناعة أو رئيس الوزراء لفرض سيطرة وزارة الصناعة على الصناعات الحربية، لتحويلها لإنتاج الثلاجات والبوتاجازات...

ولم يكن عزيز صدقى بعيدا عن هذا النشاط، ولم يكن أحمد إسماعيل بغافل عما يجرى، وعن أهدافه ، فهذه الضغوط المتصاعدة للزج بالقوات المسلحة وإقحامها فى معركة قبل أوانها كانت بالنسبة للمخططين تتفق وما يتطلعون إليه من إزاحة قادة القوات المسلحة وتحجيم السادات على الأقل إن لم يتمكنوا من القضاء عليه.

فعلى أشلاء الهزيمة التى رأوها فى مخيلتهم يمكن التخلص من القوات المسلحة التى تقف كقوة تحول بينهم وبين السيطرة على السلطة أو الوثوب إليها، وإزاحة القادة العسكريين المناوئين لأهدافهم وتطلعاتهم. ولم أكن القائد المناوئ الوحيد بل كانوا يضعون كل من اللواء طيار على بغدادى قائد القوات الجوية واللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية واللواء عبدالقادر حسن نائب الوزير مع الوزير فى سلة واحدة. وكان هؤلاء القادة وأمثالهم وكثير من القادة الأصاغر والضباط يعدون من وجهة نظر الخبراء والمستشارين السوفييت ورئيس الوزراء المصرى ، قيادات برجوازية لا تصلح للقيادة أو القتال.

ويحضرنى هنا اتهامات الخبراء والمستشارين السوفييت للطيارين المصريين بأنهم طيارون برجوازيون لذا يخسرون معاركهم مع القوات الجوية الإسرائيلية، وكانوا كلما

واجهناهم بأن المقاتلة ميج ٢١ ليست بكفاءة المقاتلات الإسرائيلية، كانوا يردون بأن ذلك غير صحيح. وأن نقطة الضعف هى الطيار لا الطائرة. وحدث أن اشتبكت ٦ مقاتلات من طراز ميج ٢١ المعدل والتى تعد أفضل مما يطير بها المصريون، مع مقاتلات إسرائيلية ، وأدرك الطيارون الإسرائيليون أنهم يشتبكون مع مقاتلات يقودها طيارون روس ، وذلك من خلال تبادل الروس الحديث لاسلكيا فيما بينهم، وبين مركز التوجيه. وانتهت المعركة بخسارة مهينة للطيارين الروس. ومنذ تلك المعركة، لم يعد مستشار أو خبير روسى يجرؤ على اتهام المقاتل المصرى بالبرجوازية. وكأن البرجوازية تهمة، ولكنها المرحلة السوفييتية!!

ولم يتورع قادة الاتحاد الاشتراكى أصحاب الميول اليسارية والمنظمات الماركسية عن تسريب معلومات، ادعوا أنها حقيقية عن وصول الكثير من الأسلحة والمعدات الروسية وبما يكفى لشن حرب تحرير على العدو. واستغلوا ذلك فيما بعد لاتهام القيادة بالتقاعس عن شن هذه الحرب. وفى مثل هذا المناخ الشديد الاضطراب والغليان أدلى الدكتور عبدالقادر حاتم بتصريح أعلن فيه أن قرار الحرب بيد العسكريين . وبسرعة تم استغلال هذا التصريح بتصوير الأمر وكأن القيادة العسكرية تحجم عن القتال.

وكان الهدف واضحا، اتهام القيادة العسكرية بالتخاذل وعدم الوطنية، وتوجهت إلى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وأكدت للمجتمعين أن موقفنا الدفاعى جيد، ولكننا لا نستطيع الهجوم قبل أن تصلنا الطائرات والأسلحة والمعدات الإلكترونية التى سبق أن تعاقدنا عليها مع السوفييت. وبالرغم من الاتصالات والإلحاح فإن الروس ما زالوا يعدون بإرسالها، دون أن يفوا بهذه الوعود.

وأسرع الدكتور عزيز صدقى للإدلاء بتصريح قال فيه إن مثل هذا القول يسئ إلى علاقتنا بالاتحاد السوفييتى.

وخلال هذه المرحلة اتخذ ممدوح سالم قرارا بالتعاون مع الدكتور عزيز صدقى كمرحلة، إلى أن تحين الفرصة للاقتراب بصورة أقوى وأفضل من الرئيس السادات. ورأى أن مثل هذا التعاون سيلقى القبول من السادات، ويتفق مع أهدافه، وكان ممدوح سالم من الذكاء ليدرك أن السيدة جيهان السادات تلعب دورا رئيسيا. لذا حاول الاقتراب منها، وتنفيذ ما تلمح به أو ما تطلبه مباشرة، وبدأ وزير الداخلية يرسل التقرير تلو التقرير وبخط اليد أيضا مراعاة للسرية والتكتم إلى رئاسة الجمهورية. وكثيرا ما أرسل بعض التقارير للسيدة حرم رئيس الجمهورية.

ولأن صورا من معظم هذه التقارير كانت تصلنى أو أحاط علما بمضمونها، فقد رأيت أن أوضح الحقائق حول المعلومات التى تتضمنها للرئيس كلما التقينا لأتيح له فرصة استيعاب الموقف كاملا، وليتعرف على ما يقولونه ويكتبونه من جانب، والحقيقة كما أراها من جانبى.

وخلال هذه المرحلة، اخترت موقف الدفاع ، وتوضيح الحقائق للرئيس. وتركته يعلم أو يستنتج أننى على بينة مما يحاك لى. وبالرغم من تقارير ممدوح سالم التى تحمل اتهامات لوزير الحربية وافتراءات لا أصل لها، إلا أن العلاقة العلنية قد خلت من الاحتكاك.

وشاءت الأقدار وتطورت الأحداث أن نختلف إلى حد الصدام أثناء تفجر مظاهرات الطلبة من جديد خلال شهر يونيه ١٩٧٢، وكانت هذه المظاهرات قد اتجهت بكل حشودها إلى مبنى جريدة الأهرام بشارع الجلاء ، وتجمع الطلبة الغاضبون الساخطون على كل شئ أمام الواجهة الزجاجية ومدخل المبنى وهم يهتفون ضد الجميع بما فى ذلك رئيس تحرير الأهرام.

كان الموقف ينذر بكارثة تلحق بالمبنى ومن فيه، وقد تطال حي بولاق، ولم يكن الأستاذ هيكل موجودا ليعالج الموقف بمعرفته. فى هذه اللحظة تقدم الصفوف عبده مباشر ليواجه المتظاهرين، ويخطب فيهم باسمه وباسم الأهرام، وكان من بين ما قاله: «أيها الطلبة الشرفاء، يا أنقى عناصر هذه الأمة، ويا ضميرها اليقظ، أننى أقول لكم، إن من يأمرون بإطلاق النار على صدوركم، إنما يلفون حبلا حول عنق النظام، اهتفوا معى، يسقط الطاغية، يسقط الجلاد» وردد الجميع الهتاف من خلفه...

وبذلك وقع عبده فى الخطأ الذى ينتظره منه معسكر الحلفاء، خاصة وزير الداخلية ، لم يكن من السهل أن يهتف واصفا الرئيس السادات بالطاغية والجلاد، أو أن يتهم النظام بإطلاق النار على صدور الطلبة.

وقد أخبرنى رجال المجموعة ٧٥ مخابرات بما جرى ، ونقلوا لى ما قاله عبده مباشر. وبعد قليل علمت أن رجال ممدوح سالم قد صوروا المظاهرة، ومن بين ما صوروه خطبة وهتاف عبده مباشر، وأصدر وزير الداخلية أمرا بإلقاء القبض عليه. وبمجرد أن علمت بذلك اتصلت به وأوضحت له أن عبده مباشر ضابط بالقوات المسلحة، وأنه لا يجوز القبض عليه إلا بمعرفة الشرطة العسكرية.



الفريق صادق يصافح أفراد المجموعة ٣٩ قتال
ويظهر أقصى اليمين كاتب المذكرات الأستاذ عبده مباشر عضو المجموعه .

وكان السادات قد أصدر قراراً بمنح عبده مباشر رتبة عسكرية فخرية ونوط الشجاعة العسكرى من الطبقة الأولى فى سبتمبر عام ١٩٧١ تقديرا وإعجابا بدوره وشجاعته فى القتال خلف خطوط العدو كفرد متطوع بالمجموعة ٣٩ قتال خلال معارك الاستنزاف. بعدها أصدرت قرارا بتكليف عبده مباشر برتبة الرائد فى القوات المسلحة حتى يمكن منحه النوط العسكرى. ويبدو أن ممدوح سالم فوجئ بهذه المعلومة.

والتقيت عبده مباشربمكتبى لأسمع منه، وكان تقديره أن أى متظاهر من بين هذه الجموع الغاضبة يمكنه أن يبدأ ٢٦ يناير ١٩٥٢ جديد - اليوم الذى تم فيه حرق القاهرة - فيما لو ألقى حجرا على الواجهة الزجاجية للمبنى، وقتها ستبدأ عقلية القطيع فى السيطرة على المتظاهرين وتتوالى عمليات التخريب والحرق الذى قد ينتشر من مبنى الأهرام إلى حي بولاق، ولا يعلم إلا الله ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك.

وعندما رأي الارتباك و الحيرة فى عيون قيادات الأهرام التحريرية والإدارية وحالة الشلل التى أصابتهم والمخاوف التى اعترتهم، لم يقبل بالموقف السلبى، وتقدم ليواجه المتظاهرين. فاعترضه الأستاذ مكرم محمد أحمد ، طالبا منه ألا يندفع خشية تطور الأمور إلى الأسوأ إلا أن الصورة كانت واضحة أمام عينيه وكان هدفه إنقاذ مبنى الأهرام،

وتجنب ماهو أسوء من ذلك. وما أن خرج من باب المبنى وبدأ يخاطب المتظاهرين حتى حمله على كتفه السائق رمضان، وبسرعة قدم له البعض ميكروفونا، وعندما سألته، ولماذا تهتف ضد رئيس الجمهورية، قال، لم يكن هناك أى حل آخر للسيطرة على المظاهرة والمتظاهرين. ثم أوضح أنه يعلم أنه قد أخطأ، وأنه يتحمل المسئولية كاملة. وأنه أتى إلى الوزارة بسرعة ليحيطنى علما، وليعتذر لى عما يمكن أن يكون قد سببه لى من حرج. فقد تصور أنه يمكن أن يستنتج البعض من الموقف، أن وزير الحربية كان وراء ذلك .... وأخبرته ألا يخرج من مبنى الوزارة الآن ، لأن ممدوح سالم قد أصدر أمرا بإلقاء القبض عليه.

وكان على أن أوضح الأمر للرئيس السادات، وأن أشرح له أن عبده مباشر لم يقصد الإساءة له بل كان يستهدف إنقاذ الأهرام، وكنت أنتظر عودة هيكل، ليشاركنى توضيح الموقف للسادات. وكان تقدير هيكل لما قام به عبده مباشر كبيرا، واستطعنا معا توضيح الموقف للسادات.

وبالرغم من أن السادات بدا مقتنعا، إلا أننى شعرت أنه ما زال مستاء من كل ما قاله وفعله عبده مباشر....

أما ممدوح سالم فقد نقل للسادات أننى أحمى من يتطاولون عليه...

۞ ۞ ۞

الفصل السابع والعشرون

الزعامة

حكاية الزعامة ولدت لأول مرة فى أعقاب مشاركة إدارة المخابرات الحربية فى معركة إغراق المدمرة إيلات مساء يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، أى بعد خمسة أشهر من كارثة يونيه ١٩٦٧، فقد ظل رجال الإدارة يتابعون المدمرة ويرصدون تحركاتها واقترابها من المياه الإقليمية.

وهذه المدمرة سبق لها أن أغرقت زورقى طوربيد مصريين خلال شهر يوليو ١٩٦٧، وكانت تكثر من تحركاتها خارج و داخل المياه الإقليمية المصرية. وأبلغت القيادة بالمعلومات الخاصة عن تحركات المدمرة الإسرائيلية ، واقترحت قصفها بالصواريخ سطح - سطح من طراز «ستايكس» التى تستخدمها لنشات الصواريخ ودعمت الاقتراح بالأسانيد التى تدعمه. واقتنعت القيادة بالاقتراح وأصدرت الأمر بتنفيذ قصف المدمرة عندما تكون داخل المياه الإقليمية. واستمرت عملية الرصد ، وفى النهاية تحرك لنشى صواريخ بقيادة النقيب بحرى أحمد شاكر القارح الذى كان يقود اللنش الأول، فى حين كان يقود اللنش الثانى النقيب بحرى لطفى جادالله وتمكن اللنشان من إغراق المدمرة.

وأثنى جمال عبدالناصر على العمل وعلى الاقتراح الذى أخذت به القيادة ، وأثار هذا الثناء حفيظة بعض القادة العسكريين و المسئولين وبدأوا فى التساؤل بصوت عال ، ماذا يريد صادق من وراء هذا العمل ، هل يريد إغراق مصر أيضا ؟ وهل يتخيل أن إسرائيل ستسكت ؟ وقالوا فى نهاية تساؤلاتهم إننى أريد القضاء على عبدالناصر أيضا بعد إزاحة المشير عامر.

قالوا الكثير وتناسوا أن إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات وفى هذا التوقيت وفى هذه المنطقة وبهذا الأسلوب ساهم فى إعادة الروح المعنوية للمقاتل المصرى ، وهو عمل لا يقدر بمقابل أو بثمن. و وصلت تقارير لعبدالناصر حول ما قيل ولكنه لم يفاتحنى فيها بأى صورة من الصور. و واصل البعض كتابة التقارير خاصة بعد تعيينى رئيسا لأركان

القوات المسلحة خلفا للواء احمد اسماعيل فى سبتمبر ١٩٦٩ . وقالوا فى تقاريرهم أننى أعمل لحسابى ، وأقيم صلات وعلاقات خاصة مع الضباط الأصاغر والجنود بحثا عن زعامة داخل القوات المسلحة، مكررا نفس الدور الذى قام به عبدالحكيم عامر ، من أجل أن تتعلق بى القوات المسلحة.

والذى لاشك فيه أننى خلال معركة يونيه ١٩٦٧ قد تحملت مسئولياتى وبذلت غاية جهدى للتخفيف من حجم الكارثة ، وعندما فقد القادة الآخرون أعصابهم و انهاروا، كانت إدارة المخابرات هى الإدارة التى واصلت العمل باقتدار ، فقبل المعركة وفرت المعلومات المطلوبة و وضعتها أمام القيادات المعنية ، وخلال المعركة ظلت عن طريق مكاتبها ورجالها ومندوبيها تؤدى دورها ، وعندما انهارت شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية للقوات المسلحة ، كانت شبكة اتصالات المخابرات هى الشبكة الوحيدة التى استمرت فى العمل.

وبعد أن عجزت القيادة العامة عن توفير أى حجم من القوات ولو سرية لوقف تقدم القوة الإسرائيلية على الطريق الساحلى لإغلاق المضايق من ناحية الغرب أمام القوات المصرية المنسحبة ، شكلت مجموعتان عسكريتان عملت كل منهما لعرقلة تقدم القوة الإسرائيلية على الطريق الساحلى لعدة ساعات ، مما ساهم فى إنقاذ عشرات الآلاف من القوات المنسحبة.

وبعد انتهاء المعركة ، كانت إدارة المخابرات هى الجهة الوحيدة التى تعمل لتجميع وإنقاذ الشاردين ، وفى نفس الوقت تؤدى دورها فى جمع المعلومات عن أوضاع قوات العدو بسيناء.

ومبكرا بدأت الحرب ضدى شخصيا وضد إدارة المخابرات ، باتهامى واتهام الإدارة بأننا المسئولان عن عدم توفير المعلومات المطلوبة ، وظلت هذه النغمة تتردد طويلا إلى أن حسم عبدالناصر الأمر بمطابقة المعلومات والحقائق التى تكشفت على ضوء المعركة بخريطة توزيع قوات العدو قبل بدء المعركة التى أعدتها المخابرات الحربية. وبعد هذه المطابقة سأل عبدالناصر الجميع ، ماذا تريدون أكثر من ذلك من المخابرات الحربية؟ وأسكت التساؤل الجميع... ومن قبل أشاد تقرير البعثة العسكرية الروسية بقيادة المارشال زخاروف بتقارير معلومات المخابرات الحربية.

بعد نكسة ٦٧ ، كان المطلوب عمل كبير ومتصل لمحاولة إعادة بناء القوات المسلحة ورفع مستوى كفاءة الرجال القتالية. وقبل أن نمضى طويلا تفجر الصراع بين ناصر وعامر ، وتحملت إدارة المخابرات التحقيق مع حوالى ١٥٠ قائدا وضابطا اتهموا بالتآمر لقلب نظام الحكم. و وفقنى الله لاكتشاف وجود ثلاثة انقلابات تم التخطيط لها ، لا انقلاب واحد. وعندما أحطت عبدالناصر علما ، كانت المفاجأة بالنسبة له كبيرة، وقد عبر عن تقديره لهذا الجهد. ومع كل تقدير من جانب الرجل ، كانت محاولات التخلص منى تتصاعد بقوة. وتركتهم يواصلون ما هم فيه من مشاعر وأحقاد ، وكنت على يقين أن لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، ولو اجتمع القوم على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بما كتبه الله عليك.

كانت البلد تعيش كارثة غير مسبوقة ، قوات منهارة ، قيادات تجاوزها الزمن ، وأفراد شاردون ، و وطن بدون خط دفاعى ، ونقص شديد فى الأسلحة بعد أن تركت القوات المنسحبة أسلحتها ومعداتها فى سيناء غنيمة سهلة للعدو ، وسيناء تحت وطأة الاحتلال ، ومنطقة القناة رهينة لوقوعها فى المدى المؤثر لنيران العدو ، وروح معنوية فى الحضيض ، وصورة العدو وقياداته وقواته المنتصرة ورجاله «السوبر» من الممكن أن تستقر فى أذهان القوات المسلحة وبالتالى يصبح من الصعب إعدادها للقتال ضد هذا العدو «السوبر». كانت المهام أمام الجميع ابتداء من عبدالناصر ووصولا لأصغر المستويات مسئولية كبيرة ولا تحتمل الانتظار.

وكان من الضرورى تفجير مناطق تشوين الذخيرة بسيناء قبل أن يتمكن العدو من الاستيلاء عليها واستخدامها ضد أصحابها وبأسلحة كانت لنا ، ولم أجد أمامى سوى الاستعانة بإبراهيم الرفاعى وعدد من رجاله الذين شاركوا فى وقف تقدم قوات العدو على المحور الساحلى ، وعرضت الأمر على عبدالناصر فوافق بعد تردد خشية تأثير ذلك على موقف مصر أمام العالم بعد أن قبلت وقف إطلاق النار ، و أوضحت له أن أهالى سيناء من حقهم العمل ضد قوات الاحتلال ، وبالتالى فإن منظمة سيناء العربية هى التى تتحمل المسئولية ، وعندما سألنى عن المنظمة أخبرته أنها مشكلة فعلا وتمارس نشاطها فى سيناء وخلف خطوط العدو ، وأنها لعبت دورا رئيسيا فى تجميع القوات الشاردة بسيناء وإعادتها إلى غرب القناة ، وأن رجالها يواصلون إمداد القوات المسلحة بالمعلومات الطازجة عن أوضاع قوات العدو بسيناء.

وتوالت العمليات خلف خطوط العدو لمنع صورة العدو المنتصر ورجاله «السوبر» من الاستقرار فى أذهان رجال القوات المسلحة. وكأن الهدف الآخر المرتبط بالهدف الأول رفع معنويات القوات المسلحة.

وأذكر هنا أن الأستاذ عبده مباشر الصحفى بالأهرام والوثيق الصلة بقيادات القوات المسلحة، تقدم بطلب للتطوع بالصفة المدنية بقوات الكوماندوز تحت قيادة صديقه إبراهيم الرفاعى. وقد وافق الرفاعى على الطلب متحمسا ، وبدورى وافقت على هذا الطلب مدركا مدى تأثيره على مجموعة الكوماندوز وعلى القوات المسلحة ككل وأخيرا على الرأى العام.

وعندما عرض طلب التطوع على الفريق أول فوزى ، رفض الموافقة عليه مستنكرا أن يشارك مدنى وصحفى فى القتال خلف خطوط العدو. ويبدوا أن كراهيته للأستاذ هيكل رئيس تحرير الأهرام وللاستاذ عبده مباشر كانت السبب الرئيسى لهذا الرفض.

وعندما أبلغ ا. عبده بهذا الرفض غير المبرر طلب من الفريق فوزى رفع الأمر للرئيس عبدالناصر القائد الأعلى ، فرد عليه الفريق أول فوزى بقوله إنه المسئول لا عبدالناصر، فما كان من عبده الا أن قال له إنه سيعرض الأمر على عبدالناصر بطريقة أو بأخرى.

وعندما حضر إلىَّ فى مكتبي وأبلغنى بموقف الفريق فوزى ، طلبت منه أن يترك الأمر لى.

بعدها اتصلت بالرئيس عبدالناصر ، وعندما التقيت به شرحت له الموقف وأوضحت له مدى كفاءة الصحفى المذكور وأنه أهل للثقة بجانب لياقته البدنية وروحه المعنوية العالية ، فأبدى الرئيس دهشته من اعتراض فوزى وتساءل كيف فاته أن يدرك أن تطوع مباشر واشتراكه فى القتال كمدنى خلف خطوط العدو مع رجال الكوماندوز سيساهم فى رفع معنويات القوات الموجودة بالجبهة بصفة خاصة والقوات المسلحة بصفة عامة كما سيؤثر إيجابا فى الرأى العام ويساعد على إبراز صورة البطولة. وعندما بدأ مباشر فى المشاركة الفعلية بالقتال خلف خطوط العدو تأكدت رؤية عبدالناصر الصائبة والثاقبة.

وكانت مصر فى ذلك الوقت تعيد بناء القوات المسلحة وتخوض فى نفس الوقت معارك الاستنزاف على امتداد الجبهة وفى العمق المصرى.

ويستشهد البطل الفريق عبد المنعم رياض فى مارس ١٩٦٩ وهو على الحد الأمامى للجبهة فى قطاع الجيش الثاني ويصدر عبدالناصر قرارا بتعيين أحمد إسماعيل رئيسا للأركان وبعد ستة أشهر ينفذ العدو إغارة على منطقة الزعفرانة، ويقرر عبدالناصر إعفاء

أحمد اسماعيل ويصدر قرارا بتعيينى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة. و واصلت العمل ، وطوال هذه الفترة كنت أعمل بمكتبى ساعات قليلة ، منفقا أكثر ساعات النهار والليل بين قواتنا المنتشرة على طول الجبهة بمنطقة القناة وفى العمق حيث مشروعات التحديث والتطوير والتجميع لقوات الأفرع الرئيسية.

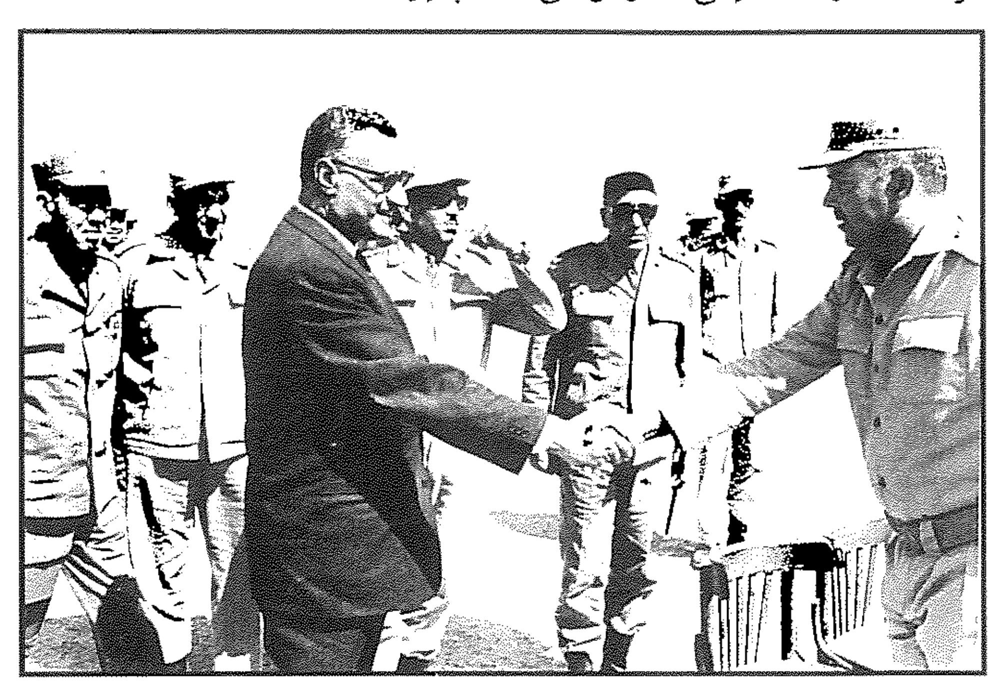
وتوثقت العلاقات مع عبدالناصر، وبالرغم من أننى لست ناصريا، إلا أننى وجدت الرجل يحترم من يحترم نفسه أمامه، ويقدر من يتحمل مسئولياته بأمانة ويؤدى عمله دون تقصير، وأذكر خلال هذه الفترة أننى ساهمت كرئيس للأركان فى بناء حائط الصواريخ الشهير الذى غيّر من موازين القوى وأساليب الصراع.

وقبل أن يكتمل العمل تمكنت مصر من إسقاط ٩ طائرات من طراز فانتوم فى عدة كمائن ناجحة خلال يوم واحد يوم ٣٠ يونيه١٩٧٠، **وعندما علم عبدالناصر قال هذا يوم عيد ، وقد أصبح اليوم فعلا عيداً لقوات الدفاع الجوى.**

ولهذه الكمائن الناجحة التى أسقطت المقاتلات الإسرائيلية القاذفة من طراز فانتوم قصة ترجع إلى فترة سابقة فخلال عام ١٩٦٩، كتب الرائد محمود عادل قائد ثان مكتب مخابرات الإسماعيلية ، وكان قد سبق له الحصول على دورة تدريبية بالاتحاد السوفييتى عن أساليب استطلاع مؤخرة العدو، تقريرا عن التغيير الذى يتوقعه فى منهج العدو وأساليب عمله بعد أن واصلت القوات المصرية المسلحة عملياتها النشطة والتعرضية ضد القوات الإسرائيلية (معركة رأس العش فى أول يوليو ١٩٦٧، الغارة الجوية التى نفذتها طائرات السلاح الجوى على مواقع العدو بسيناء يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧، إغراق المدمرة إيلات يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧، المناوشات المستمرة ، إطلاق النيران المستمر على امتداد الجبهة) وقال : إن القيادة الإسرائيلية قد ضاقت بهذه العمليات خاصة وأنها بدأت مبكرة جدا وفى الوقت الذى توقعت فيه استسلام مصر. ثم قال: إن القوات المسلحة تعمل بنشاط لإنشاء شبكة لكتائب صواريخ الدفاع الجوى، وقد نجحت فى إنشاء مواقع لـ٥ كتائب حتى توقيت كتابة التقرير على مسافات متباعدة بالجبهة.

وتوقع كاتب التقرير أن تقرر القيادة الإسرائيلية الإقدام على عمل كبير مثل التركيز على تدمير هذه الكتائب بدلا من عملية الرد بالنيران على نيران القوات المصرية أو بالقيام بعمليات محدودة. وقال إن هذا الهجوم سيتم تنفيذه خلال شهرين.

وعندما قرأ اللواء محمد الجمسى نائب مدير المخابرات هذا التقرير نصح الرائد عادل بالتركيز على عمله بمكتب مخابرات الإسماعيلية فقط. وبعد شهر كتب الرائد عادل تقريرا آخر قال فيه إن إسرائيل ستستغل نزول الإنسان على القمر لأول مرة وانشغال العالم بمتابعة هذا الإنجاز الكبير لتنفيذ ضربتها التى توقعها، وفى هذه المرة استقبلتُ الرائد عادل وقلتُ له إننى لا أوافق على ما ذهب إليه.



بعد حرب ٦٧ حرص الرئيس عبدالناصر على تفقد القوات والقادة بنفسه ويظهر في يمين الصورة الفريق عبدالمنعم رياض رئيس الأركان واللواء عبدالقادر حسن قائد الجيش الثالث واللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية والفريق أول محمد فوزي القائد العام و وزير الحربية

وقد حدث ما توقعه الرائد محمود عادل ، ومنذ تلك اللحظة بدأتُ أثق فى تقاريره وأصدرتُ قراراً بنقله إلى القاهرة ليعمل بجواري. وعلى ضوء فهم العقلية الإسرائيلية من واقع الخبرات السابقة، توقعنا غارات جوية قبل حلول موعد وقف إطلاق النار فى الثامن من يوليو بعد أن أعلنت مصر قبول مبادرة روجرز. وكان أن خططنا لعدة كمائن لمفاجأة الطائرات المغيرة ، وفى مواقع غير مألوفة ، وكانت النتيجة مفاجأة كاملة للعدو.

ومن العمليات الناجحة فى هذا المجال عملية تدمير طائرة التجسس والاستطلاع الالكترونى من طراز «ستراتوكروزر» . فقد تم رصد قيام هذه الطائرة بالتحليق شرق

القناة لأداء مهمة استطلاع كل الوسائط الالكترونية ، صواريخ ، رادارات ، لاسلكى وغيرها. وكان استمرار هذه الطائرة فى العمل يعنى التأثير على أداء قواتنا غرب القناة ، فقررنا العمل على إسقاطها.

وبعد معرفة توقيتات تحليق هذه الطائرة وأسلوبها فى الاقتراب، تم وضع خطة لإسقاطها ، وتم دفع كتيبة صواريخ مضادة للطائرات خلال الليل حيث كمنت وسط الأشجار بالقرب من القناة وما أن ظهرت الطائرة حتى انطلقت الصواريخ لا لتسقطها فقط بل ولتدمرها. وبعد هذا النجاح تقرر سحب كتيبة الصواريخ فورا إلى الخلف. ولما كان محمود عادل مناوباً فى مكتبه بوزارة الحربية فى ذلك التوقيت، فقد درس الموقف وكتب تقريرا عن رد فعل العدو المتوقع.

وكانت المقدمات التى استند إليها كالتالى :

- بعد خسارة إسرائيل لهذه الطائرة الثمينة بمن فيها من خبراء أصحاب تخصص عال فى مجال الاستطلاع والتجسس الالكترونى ، فإن المنطقى أن يفكر القادة الإسرائيليون فى الانتقام.

- ستبدأ العملية الانتقامية فى نفس الوقت الذى تم فيه تدمير الطائرة (قبل الظهر تقريبا) حتى تستفيد القوات المهاجمة من وجود الشمس فى عين القوات المصرية.

- ستستخدم إسرائيل أحدث أسلحتها ، وكانت فى ذلك الوقت صواريخ **«شرايك»** التى تركب الشعاع الرادارى المنبعث من كتائب الصواريخ المضادة للطائرات ، ولم يكن قد تم استخدامها من قبل، وبها سوف يشكل مفاجأة كبيرة لقوات الدفاع الجوى.

- الهدف الذى تسعى اليه إسرائيل هو التدمير الكامل لشبكة صواريخ الدفاع الجوى الموجودة بجبهة القناة.

- سيتم الهجوم بقوة جوية كبيرة تضم حوالى ٥٠ طائرة ، حتى يمكن إنجاز المهمة وتحقيق الهدف بسرعة ودون محاولة للتدخل من جانب القوات الجوية.

- ستحاول القيادة الإسرائيلية جذب انتباه القوات الجوية فى اتجاه الشمال ، وإعداد كمائن جوية تكون فى انتظارها لزيادة حجم الخسائر المصرية.

واقترح كاتب التقرير إغلاق كل أجهزة الرادار فور ظهور الطائرات الإسرائيلية حتى لا تتمكن من استخدام الصواريخ **«شرايك»** وبهذا يفشل الهجوم على كتائب

الصواريخ، ومنع تحليق أى طائرة مقاتلة لمواجهة العدو فى اتجاه الشمال خاصة من قاعدة المنصورة الجوية ، لتجنب الكمائن الجوية.

وبعد أن قرأتُ التقرير اجتمعت مع قائد القوات الجوية اللواء طيار على بغدادى وبالفريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى ونائب الوزير وطلبت من الجميع قراءة التقرير والتوقيع بتنفيذ ما به من اقتراحات ، وكان ذلك فى حوالى الساعة الثامنة والنصف صباحا.

ونفذ العدو العملية كما توقعها كاتب التقرير ، ولم تزد الخسائر عن هوائى (ايريال) أحد كتائب الصواريخ ، تأخر فى تنفيذ إغلاق الرادار ، وكان عدد الجرحى ٧ جنود.

ومن إنجازات تلك الفترة إسهامى مع البطل اللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية فى قصف تجمعات قوات العدو بجنوب سيناء بالمدمرات ، والهجوم بالمدمرات على مواقع العدو وتجمعاته بمنطقة رمانه وبالوظة بشمال سيناء ، وهذه العمليات نالت إعجاب واحترام القادة العسكريين بالعالم.

كما تمكن رجال المجموعة ٣٩ قتال من تلغيم القطع البحرية فى ميناء إيلات ٣ مرات، وقد علقت بعض الصحف الإسرائيلية بعد العملية الثالثة بقولها :

«لم يكن هناك عاقل واحد يمكنه أن يصدق أن الضفادع البشرية المصرية ستعود للمرة الثانية لتلغيم الميناء ذاته ، ثم فعلوها ، ولم يدر بخلدنا أنهم سيأتون للمرة الثالثة بعد شهور قليلة ولا نستبعد الآن أن يحضروا إلينا للمرة الرابعة...»

وأسهمت برجالى مع رجال المخابرات العامة فى تدمير الحفار الإسرائيلي «كيتنج» بساحل العاج، تلك العملية السرية التى ظل عبدالناصر يتابعها من القاهرة يوميا، ونجحنا فى حرمان إسرائيل من الحفر بحثا عن البترول فى البحر الأحمر.

وهكذا لم أكن متفرغا للبحث عن زعامة لى بين صفوف القوات المسلحة كما يزعمون. فالمسئوليات التى كنت أتحملها كمدير للمخابرات أو كرئيس للأركان من الضخامة بمكان. ومع هذا فقد فوجئت بعبدالناصر فى منتصف عام ١٩٧٠ يفاتحنى ويسألنى عن هذه الزعامة، وكانت لدى الرجل أسبابه.

وقد بدأت القصة كالتالي : فقد كنت حريصا على أن أطوف بسيارة جيب قديمة مرتديا «الافرول» دون علامات رتب على مواقع الجنود بالحد الأمامى للجبهة وأن

أزورهم فى مواقعهم المطلة على مياه القناة مباشرة ، باعتبارهم أول من يتحملون مسئولية مواجهة العدو والتصدى له.

أما السيارة الجيب و « الأفرول » بدون علامات رتب ، فذلك حتى لا يرصد العدو وصول قائد ، فيبدأ فى قصف سيارته بالنيران ، مثلما فعلوا مع الشهيد عبدالمنعم رياض الذى زار مواقع الحد الأمامى بسيارته وبعلامات الرتب فوق أكتافه ومن خلفه رتل من السيارات المرافقة ، فما كان من قائد الموقع الإسرائيلي على الناحية الأخرى إلا أن استنتج أن هذه زيارة يقوم بها قائد كبير ، فأمر بتغيير مسار نيران المدفعية الإسرائيلية باتجاه هذا القائد ومن معه ، ولم يكن يعلم أن هذه النيران ستصيب رئيس أركان القوات المسلحة المصرية المسلحة وتؤدى إلى استشهاده.

وكنت قد تسلمت شكوى من بعض النقاط التى يتمركز جنودها على الشاطئ مباشرة عن عدم وصول مياه إلى بعض النقط بانتظام ، وتأخر وصول مواد الإعاشة ، وعند نقطة صغيرة بعد مدينة القنطرة غرب توقفت ووجدت ستة جنود وليس معهم ضابط ، ولم يتمكن أى منهم من التعرف على شخصيتى وظنوا أننى قد أكون أحد ضباط المنطقة.

وتحدثت معهم ، وبعد قليل قال أحدهم كنا نريد أن نقدم لسيادتك الشاى ، إلا أنه لا يوجد لدينا ماء منذ يومين ، فسألتهم كيف يحدث ذلك ؟ ولماذا لم تصل إليكم عربة توزيع المياه ؟ فأجابوا بقولهم : «كلما حاولت عربة المياه الوصول إلينا يرصدها العدو ويقصفها قبل أن تتمكن من الوصول إلينا مستهدفا بذلك حرماننا من المياه».

كان الموقف مؤلما ، فهؤلاء الجنود الموجودين على الحد الأمامى للجبهة ، لا تصلهم المياه نتيجة تدخل العدو ومحاولته الضغط عليهم ، وبالرغم من نقص المياه ومواد الإعاشة فإنهم صامدون بل ومدركون لحقيقة أهداف العدو.

وفجأة هدانى الله إلى اقتراح أو فكرة جديدة عرضتها عليهم من فورى ، وبدأت بسؤالهم ، ما رأيكم يا أولاد واحنا كلنا فلاحين فى دق طلمبة مياه هنا مثلما نفعل جميعا فى بيوتنا بالقرى فتحصلون أنتم والنقط المجاورة لكم على الماء بسهولة دون الحاجة إلى عربة توزيع المياه ؟ فأجابوا جميعا فى نفس واحد ، ياريت ، ثم تساءلوا ، ولكن كيف نحصل على هذه الطلمبة ؟ فقلت لهم ، سأحضرها لكم غدا قبل الظهر ، ومضيت إلى حالى ، وفى اليوم التالى عدت إليهم ومعى عدة طلمبات تم دقها فى عدة مواقع ونقط ، ونجحت الفكرة.

وبعد أيام مررت على نفس النقطة مرة أخرى وحدى ، لأتابع الموقف بعد استخدامهم لطلمبة المياه ، ولأتأكد من انقطاع الشكوى ، فما أن رأونى حتى أقسموا أن أتناول معهم طعام الغذاء. وافترشنا جميعا الأرض، وأكلنا معا، وتصادف مرور قائد التشكيل بسيارته، وعندما توقف تقدم منى مؤديا التحية العسكرية ، وعرف الجنود وقتها أننى رئيس أركان القوات المسلحة. وتناقل كبار الضباط القصة، وكل منهم يضيف إليها ما يراه...

ولم يتأخر كتبة التقارير عن استغلال ما جرى ، بل وجدوا فى القصة ما يدعم ادعاءاتهم أننى أقيم علاقات مع الضباط الأصاغر والجنود لبناء شعبية لى بين صفوف القوات المسلحة...

وعندما فاتحنى الرئيس عبدالناصر، رويت له القصة بكل تفاصيلها ، وبدا الرجل سعيداً بفكرة طلمبات المياه، وبنجاحها، وبتوقف شكاوى الجنود فى هذه المناطق والنقاط التى فى مواجهة العدو مباشرة.

وبعد رحيل عبدالناصر، واصل كتبة التقارير عملهم ، فقد وصلت تقارير مماثلة للرئيس السادات ، وربما كانت هذه التقارير وراء مفاتحته لى لكى أخلفه فى منصبه. وقال لى أكثر من مرة ، أنه سيجعلنى خليفته ، ويؤكد لى أننى الوحيد الذى أصلح لكى أخلفه وكنت على بينة من حقيقة نوايا السادات.

❁ ❁ ❁

زيــارة .. وإبعــاد .. ومؤامــرة

تزاملت مع أنور السادات طويلا، طويلا، جمعت بيننا سنوات الدراسة بالكلية الحربية ، ثم زمالة القوات المسلحة لسنوات أطول ، وكنا جميعا مجموعة من الشباب الملئ بالحماس للوطن والاستعداد للبذل من أجله.

كانت الأحداث الكبرى تتوالى على العالم ومصر.

فقد بدأنا الدراسة بالكلية الحربية ونذر الحرب العالمية الثانية تتجمع فى سماء القارة الأوروبية، كما أن معاهدة ١٩٣٦ فتحت الباب لزيادة حجم القوات المسلحة وبالتالى فتح أبواب الكلية الحربية أمام أعداد أكبر من الدارسين ، مما أتاح الفرصة أمام أجيال جديدة من أبناء الطبقة المتوسطة لدخول الكلية الحربية والانخراط فى صفوف القوات المسلحة.

وطوال سنوات الدراسة بالكلية الحربية التى بدأت تجمع بين أبناء شرائح اجتماعية متعددة ، كنا جميعا نعيش الفوران الوطنى والرغبة فى التخلص من الاستعمار الانجليزى كلية ، كنا على اقتناع أن معاهدة ١٩٣٦ التى وقعها حزب الوفد لا تحقق لمصر السيادة الكاملة التى نتطلع إليها ، وبجانب هذا الفوران الوطنى كانت التفاعلات فيما بين أبناء هذه الشرائح إيجابية فى معظمها.

وبعد تخرجنا عام ١٩٣٩ وعملنا كملازمين ثوان بالجيش ، كان كل منا يملك صورة تقريبية عن زملاء الدراسة الذين كانوا يسبقوننا فى الأقدمية والزملاء الذين يأتون بعدنا فى الأقدمية وبخاصة أبناء دفعة عام ١٩٣٩ ، كانت الملامح الشخصية لكل منا قد بدأت تنضج ومن خلال الزمالة والاحتكاك والتفاعل كنت على بينة من ذكاء أنور السادات وأيا كانت التحفظات التى تشكلت تجاهه نتيجة لمسلكه الشخصى ، كان دوره الوطنى

السياسى مثار إعجابى وإعجاب عدد كبير من زملائه الضباط ، ولكن هذا الدور كانت تلحق به كثير من الشوائب.



وظل اقتناعى أن لكل منا اختياراته وبدأ كل منا يسعى لتحقيق أهدافه فيما يتعلق بالوطن بطريقته، ولم يتغير اقتناعى بذكاء السادات ودهائه وسعة حيلته.

ومع انتصاف عام ١٩٧٢ وإقدام السادات على طرد السوفييت من مصر كانت نقطة الافتراق بيننا تقترب بشكل كبير. ولأننى كنت على بينة من نواياه ، ومعرفة بطريقته فى التفكير ، فقد أدركت وهو يطلب منى السفر إلى كل من يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والمرور على سوريا فى طريق العودة إلى القاهرة ، أنه يريد إبعادى عن مصر خلال هذه الفترة حتى يتمكن من وضع اللمسات الأخيرة على مخطط إبعادى ، وحتى يجرى اتصالاته ويعقد اجتماعاته وأنا خارج الوطن.

ولما طلب منى أن اصطحب كل من الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية واللواء على عبدالخبير ضمن أعضاء الوفد المرافق ، تأكدت من حقيقة نواياه ، فقد كان

مقتنعا أن القائدين يقفان معى ، ولم يكن ذلك حقيقيا بالمرة ، فكلا القائدين من أبرز قادة القوات المسلحة ، وكل منهما له تاريخه المشرف وإنجازاته ودوره الوطنى ، وهما بسجلهما العسكرى المشرف ولاءهما لله ولمصر فقط ، ولا يتحركان إلا بهدى الإيمان والحب العميق للوطن.

ولكن السادات بطريقة تفكيره ، أراد أن نكون جميعا خارج مصر فى تلك الفترة. وبما أننى كنت قد توصلت إلى الرضا بترك موقعى كوزير للحربية ، ليحل محلى من يرى السادات أنه يمكنه التعاون معه فقد استجبت لاقتراحه لأفسح أمامه المجال للعمل على إعداد المسرح لخطوته التى انتظرها طويلا.

لقد سعى التشيكوسلوفاكيون وأنا فى زيارة ليوغوسلافيا إلى تأجيل زيارتى المقررة لبراغ ، ومن هذه النقطة بدأت خيوط المؤامرة تنساب خيطا وراء الآخر ، وأخيرا تمت الزيارة وإن قررنا أن نقبل باقتراح المسئولين التشيكوسلوفاكيون بالعودة على طائرة تشيكية خاصة ، دون المرور على سوريا.

واستجابة لطلب السادات شكلت الوفد العسكرى المرافق من القادة الذين وقع عليهم اختياره بالإضافة إلى اللواء حسن الجريدلى سكرتير عام الوزارة واللواء طيار نبيه المسيرى رئيس أركان القوات الجوية وعدد محدود من القادة.

ولما كان الأستاذ عبده مباشر حريصا على الانضمام للوفد ، فقد استجبت لرغبته ، وقبل أن نبدأ رحلتنا أسررت إليه بحقيقة نوايا السادات والهدف من وراء هذه الرحلة ، حتى يرى الصورة وهى تتكون خطوة إثر خطوة.

وقبل أن يبدأ الوفد رحلته فى الصباح الباكر ليوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢ ، اتصل بى العميد ابراهيم سلامة ليخبرنى عن وجود معلومات عن محاولة قد تعرض حياتى وحياة أعضاء الوفد للخطر ، وبما أنه لا يستطيع أن يقترح تأجيل الزيارة لموعد آخر ، فإنه يقترح ضم ضابط وفردى أمن للوفد لحماية الوفد ككل ، فوافقت على الاقتراح.

وكانت الوقفة الأولى للوفد بمطار أثينا وكان فى استقبالنا وزير الدفاع اليونانى وعدد من القادة العسكريين وحسن كامل سفير مصر بأثينا. وخلال جلسة المباحثات مع وزير الدفاع والوفد العسكرى اليونانى ، كانت لكل منا أسئلة يبحث عن إجابة عنها وقضايا يريد أن يطرحها. وباختصار كانت جلسة مفيدة للطرفين ومن أثينا أقلعت طائرة أخرى بنا إلى العاصمة اليوغسلافية بلجراد.

ولأن هذه الزيارة أتت بعد عشرة أسابيع من إنهاء مهمة المستشارين السوفييت فى مصر ولأنها أول زيارة لوزير حربية مصرى لدولة شيوعية حتى وإن كانت ليست طرفا فى العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتى ، فقد كانت مراسم الاستقبال فى مطار بلجراد تتسم بالحفاوة والدفء وتتجاوز ما هو متعارف عليه فى هذه المناسبات و وصلت الرسالة اليوغسلافية.

لقد أرادوا أن يؤكدوا لمصر، أن علاقتهم لم تتأثر بما تم من قرارات وإجراءات تجاه الوجود الروسى فى مصر، وأرادوا أن يظهروا استقلاليتهم تجاه الاتحاد السوفييتى، وأرادوا أن يؤكدوا استمرار التعاون مع مصر وبقوة بالرغم من اختفاء عبدالناصر صديق الرئيس تيتو وحليفه.

وبالرغم من أن مصر ويوغسلافيا ترتبطان بعلاقات متميزة منذ أوائل ومنتصف الخمسينات ، وأنهما بالتعاون مع الهند أنشأوا كتلة عدم الانحياز ، وتشكلت قيادة الحركة من كل من نهرو وتيتو وعبدالناصر ، فإن هذه الدولة الصديقة لم يزرها وزير حربية مصرى طوال تلك الفترة، أى منذ عام ١٩٥٢ وحتى لحظة وصولى إلى العاصمة بلجراد يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢. أى لأكثر من عشرين عاما.

وطوال هذه السنوات كان التعاون العسكرى بين البلدين من القوة بمكان ، ويمثل امتدادا منطقيا للتعاون السياسى الوثيق بين الدولتين. وقد أبدى المارشال نيقولاى ليو تششن وزير الدفاع اليوغسلافى هذه الملاحظة الذكية خلال اجتماعى مع بدوجوفيتش نائب رئيس الجمهورية.

وكنت مدركا وأنا أستعد لهذه الزيارة أن المسئولين اليوغسلاف وعلى رأسهم المارشال تيتو سيتطرقون خلال المباحثات إلى العلاقات المصرية السوفييتية ، لذا حاورت السادات طويلا حول هذه النقطة وسألته بوضوح ، ماذا يريد من الرئيس تيتو ؟ وإلى أى مدى يمكن أن تدور مباحثاتى معه ومع باقى القادة اليوغسلاف ؟

ويبدوا أن السادات لم يكن مستعدا للإجابة على هذه النقطة عندما طرحتها عليه لأول مرة ، لذا طلب منى أن أعيد التفكير فى الأمر لأرى الخط الذى يجب أن التزمه فى مباحثاتى ، ثم أعود للحديث معه حول ما سوف أتوصل إليه. ولما كانت رغبته واضحة فى أن أتركه ليعيد التفكير فى الأمر ، فقد استجبت لها.

وخلال اللقاء التالى أعاد السادات قراءة خطابه الذى أرسله لبريجينيف يوم ٣٠ أغسطس ١٩٧٢. وكان واضحا أن الرئيس يطلب أن أعرض على الرئيس تيتو فقرات أو ملخصا من هذا الخطاب ، ثم طلب منى أن أرى ماذا فى جعبة تيتو وعما إذا كانت لديه معلومات من الاتحاد السوفييتى أو رسالة أرسلوها لتيتو ليبلغها لمصر ، وهل لديه مقترحات فى هذا الشأن؟

ولم يكتف اليوغسلافيون بالاستقبال الحار بل أتاحوا لنا التنقل فى أرجاء يوغوسلافيا لزيارة المصانع والقواعد العسكرية والمنشآت التعليمية ، وحاولوا إيضاح كل شئ بالمعلومات الدقيقة. وكان حرصهم شديدا على استجلاء آراء أعضاء الوفد العسكرى حول الدروس المستفادة من الصراع العسكرى مع إسرائيل ، والاطلاع على حقيقة مايجرى والتقييم والتوقعات. وقالوا لنا بوضوح إنهم يستفيدون من تجربتنا وخبراتنا ، لأنها الأحدث فى العالم ولأنها تجرى فى ظروف مختلفة ، كما أنها ليست بعيدة عن الصراع بين القوتين العظميين.

وكانت لفتة غير متوقعة أن يقيم القادة اليوغسلاف حفلا صغيرا وجميلا بمناسبة عيد ميلادى. وكانت اللفتة الثانية أن يقرر المسئولون إهداء الوفد العسكرى أوسمة ونياشين عسكرية رفيعة، وأن يسلمها نائب رئيس الجمهورية للجميع خلال احتفال أقاموه بهذه المناسبة. وخلال الزيارة ونحن منغمسون فى المباحثات والقيام بالزيارات المقررة التى امتدت مواقعها من الجنوب حتى الشمال اليوغوسلافى ، وجدتنى منغمسا فى مشكلة أخرى تتعلق بزيارتى التالية لتشيكوسلوفاكيا.

وانتهت هذه المشكلة بإصرار المسئولون فى براغ على إتمام الزيارة فى موعدها المقرر وإن توجهوا برجاء أن أختصر زيارتى ليوغوسلافيا يوما لكى أصل إلى براغ قبل بدء الاحتفال بيوم الجيش التشيكوسلوفاكى ، ووعدتهم بأننى سأحاول واستأذنت المسئولين اليوغسلاف فى اختصار زيارتى يوما وأوضحت لهم السبب ، وبعد مناقشات وافقوا على مطلبى.

وقد كتبت تقريرا للسادات عن لقائى بالرئيس تيتو ، أرسلته له يوم ١٤ أكتوبر بعد عودتى إلى القاهرة. وقلت له فى التقرير التالى :

- تمت المقابلة فى بلجراد الساعة ٨٠٠ صباح الخميس ٥/ ١٠/ ١٩٧٢ واستمرت حوالى ساعة.

- حضر المقابلة السيد سعد عفرة سفير جمهورية مصر العربية فى بلجراد والسيد وزير الدفاع اليوغسلافي والسيد مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى.
- فى بداية المقابلة قمت بإبلاغ الرئيس تيتو تحيات أخيه السيد الرئيس السادات وتمنياته له بالسعادة والتوفيق.
- وقد استفسر الرئيس تيتو عن صحة السيد الرئيس وطلب منى أن أنقل لسيادتكم أطيب تمنياته بالصحة والسعادة والتوفيق ، وإنجاز المهام والأعباء الموكلة إليكم فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الأمه العربية وتحقيق تحرير الأراضى وعودة السلام والازدهار إلى الشعب العربى.
- جددت الدعوة للرئيس تيتو لزيارة جمهورية مصر العربية خصوصا فى فترة الشتاء، وفى فترة مناسبة للالتقاء بالسيد الرئيس والراحة من عناء تقلبات الجو الشتوى فى أوروبا، ورد الرئيس تيتو شاكرا وقال إن لديه واجبات كثيرة خصوصا فى حل المشكلات الداخلية وإذا ما خرج فى زيارة فإنه ولا شك سيكون من دواعى سعادته المرور على مصر (من المتوقع زيارة الرئيس تيتو لأفريقيا فى يناير أو فبراير١٩٧٣) واستطرد أن ذكرياته فى مصر كثيرة وهو يتذكر اللقاءات التى كانت تتم وخصوصا فى أسوان والأقصر.. فرحبت باستقبال الرئيس تيتو فى أى مكان يرغب فيه.
- ثم جرى تبادل عبارات الود والصداقة وسأل الرئيس تيتو عن الحالة الآن. فقلت إن الجبهة هادئة وإن العدو لا يقوم بأى نشاط وإن العدو الإسرائيلى من مخططاته أن تبقى الحالة هادئة كما هى عليه فى هذه المنطقة ولكن الوضع قد يتغير فى أى لحظة.
- قال الرئيس تيتو : إنه من الطبيعى أن يكون لدى الإسرائيليين الأسباب لبقاء الحالة على ماهى عليه. فذكرت أن كل شئ يعمل فى صالح العدو المحتل وهو يهدف إلى عدم التسخين ويخطط للبقاء أطول مده ممكنة واستمرار هذه الحالة ضد صالحنا فهى تسبب التوتر الشديد والقلق وضعف الروح المعنوية باستمرار احتلال العدو لأراضينا.
- قال الرئيس تيتو : إنه علم أن السيد رئيس الوزراء الدكتور عزيز صدقى سيذهب إلى موسكو يوم ١٦ الجارى. فقلت إنى على علم بذلك وكان هذا متفقا عليه قبل مغادرتى القاهرة واستطردت «لقد كلفنى السيد الرئيس أن أضع أمام سيادتكم ما جاء فى رسالته إلى بريجينيف فى ٣٠ أغسطس ولو تسمحوا لى أن أقدم لسيادتكم

ملخصا وضعته بنفسى عما جاء فى الرسالة والتى تنتهى بفقرة يذكر فيها السيد الرئيس أنه إذا ما أراد الاتحاد السوفييتى أن ينتهج سياسة طيبة إزاء جمهورية مصر والموقف فى الشرق الأوسط فإن الدكتور عزيز صدقى على استعداد لأن يذهب للاتحاد السوفييتى لتبادل الآراء.

ويبدوا أن السيد الرئيس حافظ الأسد فى زيارته الأخيرة لموسكو قد حمل رسالة للسيد الرئيس السادات شعر أنها ذات أهمية فقرر بموجبها السيد الرئيس أن يذهب الدكتور عزيز صدقى إلى موسكو.

قال الرئيس تيتو : إننى اتمنى أن تسوى الاختلافات مع الاتحاد السوفييتى وعلى الأخص فى المسائل الأساسية ، لأن هذه الاختلافات تضيف رصيدا سياسيا إلى الغرب، وأنه يعلم أن الغرب لا ينوى مساعدة مصر.

فقلت إننى أتفق معكم ياسيادة الرئيس فى أن تسوية الاختلافات منهج حكيم وإننا نسير على ذلك منذ مدة.

قال الرئيس تيتو : إننى أريد أن أضرب مثلا على فائدة تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى بما حدث أخيرا .. فإن إسرائيل بعد عدوانها على لبنان وقتلها للأبرياء متذرعة بأحداث ميونيخ [(١)٥] (وقد أعلنت إدانتى لإسرائيل فى ذلك الوقت) فقد بدأت تحشد على الحدود السورية بنية إجراء عمليات واسعة فى الجولان وحتى دمشق .. ولكن عندما رأت رغبة الاتحاد السوفييتى فى استمرار التعاون معكم ودعمه لموقفكم خشيت إسرائيل من ذلك فعادت وأصدرت تصريحاتها بنفى أى نوايا لها فى العدوان على سوريا.

وقد علقت على ذلك بقولى إننا نبذل كل مافى وسعنا للإبقاء على علاقتنا مع الاتحاد السوفييتى ولا نريد أن نفقد صداقته.

قال الرئيس تيتو : إن الغرب يقوم بعملية تكثيف لقوته العسكرية فى هذه المنطقة مثال ذلك زيادة قواعده فى اليونان وإيطاليا وتركيا، حسب مخطط طويل الأجل للسيطرة على المنطقة ، وفى الوقت نفسه فإن الاتحاد السوفييتى لديه نوايا سليمة وأكثر من ذلك فهو ليس بقادر على القيام بأعمال عدوانية كتلك المتوقعة من الغرب ولشدة دهشتى أن زعماء الاتحاد السوفييتى لا يرون ما يحدث لهم ومن حولهم فى هذه المنطقة ولا يتصرفون لمواجهة سياسة الحصار التى يرسم لها الغرب على المدى الطويل.

---

٥ (١) العملية التى نفذتها مجموعة فلسطينية ضد عدد من الرياضيين الإسرائيليين أثناء دورة الألعاب الأوليمية بميونخ خلال صيف عام ١٩٧٢.

وقد علقت على ذلك «ياسيادة الرئيس هذا هو بيت الداء .. وهذا هو الوضع .. إن السوفييت لا يرون ذلك».

قال الرئيس تيتو : إنه للعجب أن الأمريكيين يقولون علانية إنهم لايريدون غير سيطرتهم على بترول الشرق الأوسط ويحاولون المحاصرة ثم الإجهاز على النظم التقدمية ويهدفون إلى إنهاء الوجود السوفييتي.

أنا لا أقول إن السوفييت لا يسببون مشاكل .. ولقد وجدنا أنفسنا معهم منذ عام ١٩٤٨ فى مشاكل مماثلة لما أنتم عليه .. لقد عانينا الكثير من خبرائهم ولكن وجدنا أنه من الضرورى أن نناقش معهم المشاكل الأساسية أولا بأول ، وحتى اليوم نجد أنهم يلقنون أبناءهم فى المدارس ما يعتبر ضدنا حتى ولو كانت قياداتهم السياسية غير راضية عن هذا العمل وضده.

لقد قلت لبريجنيف بصراحة إنكم يجب أن تتعاملوا معنا على قدم المساواة ، وحتى الآن يظهر فى الصحافة ما هو ضدنا وتتبادل الصحف المهاترات ، ومن البديهى أنه لا يمكن غلق فم الصحفيين ولكن من الأفضل أن نعمل جاهدين على الإقلال إلى أدنى حد من المهاترات الصحفية.

وقد علقت بأننا نبذل أقصى الجهد من جانبنا ونحن نسأل السوفييت صراحة ماذا يريدون وما هو المقصود من حملات تحطيم معنوياتنا وتثبيط عزائمنا ، نحن نسألهم أن يوضحوا لنا ماهى سياستهم وما الذى يريدون أن يفعلوه بالضبط ، لقد جلست مع الرئيس بريجينيف ساعتين ونصف أناقش واستوضح ، وتذكرون ياسيادة الرئيس أننى كنت فى نفس الفترة التى كنتم فيها فى زيارة للاتحاد السوفييتى.

قال الرئيس تيتو : نحن نفهم موقفهم تماما ونحن نعرف جيدا أنهم مختلفون فيما بين أنفسهم ، وأن منهم من يتكلمون كممثلين لقوة كبرى بكل ماتحويه هذه الكلمة من معنى، كما أنهم يتصرفون على هذا النحو مع أنه فى الحقيقة وفى النهاية أنه بهذا المفهوم وبهذا التصرف يعملون ضد مصالح الاتحاد السوفييتى.

واستطرد الرئيس تيتو قائلا إن الولايات المتحدة لازالت مصممة على السيطرة وإنما تريد التوتر وإنها تريد أن تلعب دور رجل البوليس وأن تنفرد بهذا الدور وفى الوقت نفسه فإن الاتحاد السوفييتى لا يريد أو يقدر أو يعمل على القيام بدور مماثل. ولما كانت الولايات المتحدة بهذه النوايا فلابد من الحصول على التوازن استنادا إلى قوة ذات فاعلية،

ومن المناسب ألا يترك للأمريكيين تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة أمريكية.

فقلت إننى أوافق سيادة الرئيس تماما وإننى أود لو أن أصدقائنا يفهمون ذلك وإننى أتمنى أن يكونوا قد فهمونا تماما ونحن نطلب السلاح المتكافىء لهذا الغرض .. إن السوفييت قد عقدوا اتفاقات مع الولايات المتحدة ونرجو أن يكونوا قد أدركوا ما هو خلف هذه الاتفاقيات.

قال الرئيس تيتو : إن الإنسان فى هذه الظروف يجب أن يكون يقظا ولا يضع يديه فى النار .. إن كل شئ يتوقف علينا أنفسنا .. إن نشاط عدم الانحياز واتساع رقعته يصبح حائلا من أن تفرض القوى الكبرى أى شئ علينا ، والصورة فى العالم غير واضحة فلقد أعلنت الصين مثلا إنها تقف مع عدم الانحياز ثم هى تستخدم حق الفيتو فى موضوع بنجلاديش وهذا من ألعاب القوى الكبرى .. إن علاقات القوى الكبرى فى العالم تمر بمرحلة حرجة.

فقلت إن رغبتنا أكيدة فى الإبقاء على ذاتنا واستقلالنا وأن نرفع رأسنا عاليا وذلك يمكن أن يتحقق من تعاون قوى لدول عدم الانحياز وفى الوقت نفسه علينا أن نقوى من أنفسنا ومن اعتمادنا على قوتنا الذاتية وتنمية قدراتنا الدفاعية.

قال الرئيس تيتو : نحن نفعل ذلك هنا فى يوغوسلافيا وإن شعوبنا تفهم الأوضاع الدولية على حقيقتها وإنه مهما اشتدت بها الأزمات فإن الشعوب تفهم جيدا ولا يكون بينها خلافات مهما طلب منها من تضحيات.

فقلت إننا نفعل ذلك باستمرار ونذكر شعوبنا وهى مستعدة لتحمل الأعباء الملقاة على عاتقها مهما حدث ، وإن ما حدث لمصر هو مثال لجميع الشعوب فى الدول الصغيرة لأنها إذا ما اعتمدت فيجب أن تعتمد على نفسها وأن تبنى لنفسها جيشها القوى الذى يدافع عنها.

وفى ختام المقابلة ذكرت بالشكر التعاون التام وما لمسته من روح الود والصداقة النابعة من المصلحة المشتركة وأكدت بروز آفاق جديدة للتعاون بين بلدينا وتمنيت للرئيس تيتو دوام الصحة لأنه ليس رائدا لشعبه فقط ولكن لشعوب العالم الناهضة أيضا. وقد عبر الرئيس تيتو عن شكره وحملنى تحياته إلى أخيه السيد الرئيس أنور السادات.

وبعد أن اختصرنا زيارتنا يوما ، توجهنا إلى العاصمة التشيكوسلوفاكية براغ ، وبعد مراسم الاستقبال، اقترح الجنرال مارتن دزورا وزير الدفاع أن أمضى معه يومين للصيد

فى غابات تشيكوسلوفاكيا ، على أن يتوجه الوفد العسكرى إلى مدينة كارلو فيفارى الجميلة ليمضى فيها هذه الفترة ، وكانت وجهة نظره أن هذه الرحلة ستتيح لى فرصة للراحة من عناء المجهود الذى بذلته فى القاهرة وخلال زيارتى المكثفة فى يوغوسلافيا.

وقال إن مثل هذه الرحلات البعيدة عن مراسم الاستقبالات وجلسات المباحثات ستساعد على توثيق علاقتنا الإنسانية وعلى الحديث بعيدا عن الرسميات. وكان واضحا أن الرجل يريد أن يسمع لى على انفراد وأن يسر لى بما عنده بعيدا عن الوفدين العسكريين التشيكى والمصرى. ووافقت الوزير على اقتراحه فربما يكون لديه جديد، خاصة وأن تشيكوسلوفاكيا تحولت إلى الدوران بقوة فى الفلك السوفييتى بعد أحداث ربيع ١٩٦٨ وتدخل القوات السوفييتية وقوات من حلف وارسو لإزاحة الكسندر دوبشيك بالقوة.[٦(١)]

هذا التدخل العسكرى وضع تشيكوسلوفاكيا فى قبضة السوفييت القوية ، وأزاح كل من شارك فى «ربيع براغ» وكل من تصور السوفييت أنه مناوئ لهم أو يشكل تهديدا لمخططاتهم. وفى هذه الظروف يمكن للسوفييت استخدام براغ كوسيط أو صندوق بريد لتسليم رسائل للجانب المصرى.

وبعد حضور الاحتفال بيوم الجيش التشيكوسلوفاكى الذى أراد الروس والتشيك أن نشهده للتوصل إلى الاستنتاجات الضرورية، عن حاجتنا للأسلحة السوفييتية التى حرص التشيك على عرض مالم يسبق لنا الحصول عليه وتوضيح أن مثل هذه الأسلحة يمكن أن تخدم خططنا العسكرية ، توجه أعضاء الوفد إلى كارلو فيفارى ، وهناك اقترح المسئولون التشيك أن يقضى كبار القادة خاصة الفريق عبدالقادر حسن واللواء على عبدالخبير وقتهم بإحدى مصحات العلاج الطبيعى للاستشفاء ، ولم يمانع القائدان.

وكارلو فيفارى مدينة تقع بالقرب من حدود المانيا الشرقية ومشهورة بمصحاتها التى يقصدها الملايين للاستشفاء وبعيون المياه المعدنية التى يصفونها فى برامج العلاج ، وهذه المدينة كانت تسمى من قبل كارلسباد ، أى حمام كارل باللغة الألمانية ، ومن هذه المدينة أعلن نابليون مراسيم فرض الحصار على أوروبا فى مواجهة انجلترا.

---

٦ [(١)] عندما حاول الكسندر دوبشيك رئيس الوزراء وسكرتير عام الحزب الشيوعى إتاحة مساحة أكبر من الحرية للشعب فى تشيكوسلوفاكيا وتبنى أساليب ليبرالية فى الحياة الأقتصادية والسياسية والاجتماعية ، تدخل السوفييت عسكريا للقضاء على ما عرف باسم «ربيع براغ».

وخلال رحلة الصيد مع الوزير التشيكى تطرقنا خلال جلسات المساء إلى العلاقات المصرية السوفييتية ولم يخف الرجل انحيازه للمنطق السوفييتى وإن استمع باهتمام لأبعاد وأسباب القرار المصرى.

وأوضحت للوزير التشيكى أن مصر لم تغلق أبواب التعاون مع الاتحاد السوفييتى ، وأن رئيس وزراء مصر سيتوجه إلى موسكو ، وأن الرئيس السورى حافظ الأسد كان يبحث عن طريق خلال زيارته لموسكو لكى يستعيد التعاون السوفييتى المصرى عافيته.

ووافقنى الوزير فى أن الأمريكيين هم الطرف المستفيد من إبعاد السوفييت من مصر، وأنهم أى الأمريكيين ليسوا على استعداد لمد يد العون إلى مصر ، وأن القوات المسلحة المصرية لن تتمكن من مواصلة صراعها مع إسرائيل بدون الاعتماد على الترسانة العسكرية السوفييتية.

كان الرجل يحاول أن يبدو ودودا ومتفهما ، ولكن كان يعود دائما إلى نقطة أهمية الاعتماد على الاتحاد السوفييتى وأنه لا غنى لمصر فى صراعها مع إسرائيل عن هذا التعاون ، وأن القرار المصرى أفاد الأمريكيين فى صراعهم مع السوفييت دون أن تستفيد مصر من الأمريكيين.

وانتهت رحلة الصيد ، وعدت إلى براغ وعاد الوفد العسكرى من كارلو فيفارى وبدأت جلسات المباحثات الرسمية. وشارك وزير التجارة الخارجية بارتشاك ونائبه لانجر فى المباحثات بما أن هذه الوزارة هى المسئولة عن التجارة الخارجية التشيكية بما فى ذلك صفقات الأسلحة. وتضمن برنامج الزيارة عددا من مصانع الأسلحة والمنشآت العسكرية ، وخلال زيارة لمدينة برنو زرت الأكاديمية العسكرية والتقيت بالدارسين العسكريين المصريين.

وقد بدأ شهر رمضان ونحن فى تشيكوسلوفاكيا ولم نعلم ببدء شهر الصيام إلا بعد بداية الصوم فى القاهرة ، لأن السفارة لم تستطع الاتصال بنا لإبلاغنا ببدء الصيام.

وبدأنا جميعا الصيام فى اليوم الثانى من شهر رمضان ، وقد راعى الجانب التشيكى احترامنا لشهر الصوم بكل دقة. وخلال المباحثات مع سفوبودا الرئيس التشيكى وجه الدعوة للرئيس السادات لزيارة تشيكوسلوفاكيا. كما وجه الدكتور لوبومير شتروجال رئيس الوزراء دعوة مماثلة للدكتور عزيز صدقى رئيس وزراء مصر.

❁ ❁ ❁

الفريق أول أحمد إسماعيل

عُين أحمد إسماعيل رئيسا للأركان خلفا للشهيد عبدالمنعم رياض الذى استشهد فى الخطوط الأمامية للجبهة يوم ٩ مارس ١٩٦٩ عند بدء معارك المدفعية الشهيرة . وكان تعيينه، كما علمت من عبدالناصر بعد ذلك بناء على توصية وإلحاح من الفريق فوزى طوال اليوم التالى لاستشهاد الفريق عبدالمنعم رياض.

وقد فوجئت شخصيا بهذا التعيين لما أعلمه من أن عبدالناصر لديه معلومات كافية عن مستوى أحمد إسماعيل العلمى والقيادى وعن تاريخه بالقوات المسلحة، وكان يسميه "الجيزاوى" نسبة إلى ضابط قديم بالجيش تتلمذ أحمد إسماعيل على يديه وهو ضابط صغير.

ومما يذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ اجتمعت لجنة برئاسة زكريا محي الدين لتطهير القوات المسلحة من الضباط والقادة غير الأكفاء عسكريا وغير الصالحين قياديا. وكان أحمد إسماعيل أحد هؤلاء ، وأحيل إلى المعاش. وبعد فترة فوجئنا بإعادة استدعائه للخدمة.

وكما علمت كان ذلك استجابة لضغوط سوفيتية وبناء على توصية من سامى شرف ومحمد فوزى ، واستمر أحمد إسماعيل فى منصبة حتى عملية الزعفرانة فى سبتمبر ١٩٦٩، أى لم يكن قد مضى عليه فى منصبه ستة أشهر. وأدى تصاعد الأحداث إلى تصور أحمد إسماعيل اننى كنت السبب فى عزله.

وتبدأ القصة كالآتى :

فى حوالى الساعة الرابعة صباح يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ أبلغت بنزول قوات مدرعة للعدو تقدر بـ ٨ دبابات ومعها بعض المشاة الميكانيكية في المنطقة جنوب فنار أبوالدرك أى على الجانب الأيمن للجيش الثالث. وكان الإبلاغ من نقطة للحدود موجودة على سفح جبل الجلالة ومجهزة بأجهزة لاسلكية متصلة بالمخابرات الحربية رأساً.

ولما طلبت قائد الجيش الثالث تبينت عدم وجود معلومات لديه عما يحدث. ومع أن هذه المنطقة خارج نطاق الجيش ، فقد طلبت منه إرسال قوة للاستطلاع وإبلاغي بالمعلومات التي يمكن الحصول عليها.

وتوالت البلاغات من بعض النقط الأخرى عن أن الدبابات متجهة جنوبا على الطريق الساحلى إلى الزعفرانة ورأس غارب.

فطلبتُ أحمد إسماعيل فى منزله حوالى الساعة الرابعة والربع صباحا وذلك بعد أن تأكدت من بلاغات النقط الأخرى، وأبلغته بالإبرار الإسرائيلي. فقال لى:

« إننى لا أصدق ما تقوله ، وإن الأمر لا يخرج عن خيالات وتهيؤات ...»

وفى الساعة الخامسة صباحا اتصلت باللواء نوفل رئيس هيئة العمليات وأعدت الاتصال بأحمد إسماعيل ونصحته بأن تقوم القاذفات المقاتلة بقصف الطريق لمنع تقدم قوة الإبرار المعادية جنوبا، لأن الطريق ملتصق بالجبل وعلى حافة جرف لا يسمح للدبابات بالنزول إلى الماء. وأى تدمير للطريق سيؤدى الى الإيقاع بالدبابات فى مصيدة. وكان العدو متنبها لذلك، فاستخدم دبابات مصرية من طراز ت ٥٤ ، ت ٥٥ (التى سبق أن استولى عليها بعد معركة يونيو ٦٧) فى هذه العملية حتى لو واجه الفشل يمكنه إنكار المحاولة تماما.

ولكن أحمد إسماعيل ونوفل صمما على استحالة تنفيذ مثل هذه المحاولة ، وأصرا على رأيهما.

وحوالى الساعة الخامسة والنصف أبلغتُ الفريق فوزى وزير الحربية بما حدث ورأيى وأكدت له أن هذه المعلومات صحيحة ، ولكنه قال لى إن هذا ليس عملى بل عمل رئيس الأركان وهيئة العمليات. وعندما بدأ النهار دفع الإسرائيليون بعدد كبير من المقاتلات إلى سماء المنطقة كمظلة لحماية قواتهم. وكان ذلك تأكيدا لوجود قوة الإبرار وأهمية العملية، فأعدت الاتصال بالوزير ورئيس الأركان ، فأصرا على رأيهما واتضح أنهما على موعد مع الرئيس عبدالناصر لحضور مناورة لواء مدرع فى منطقة الجيش الثالث صباح نفس اليوم.

وبدأت قوات العدو فى الاشتباك مع فصيلة من فصائل الاستطلاع التى دفعت بها إلى الزعفرانة للحصول على معلومات وتحديد حجم قوة العدو. وقد أكدت هذه الفصيلة أنه يتجه إلى الزعفرانة وأنه يدمر كل ما يصادفه من قوات أو مدنيين.

وعندما وجدت أن الموقف أصبح خطيرا للغاية وذلك فى الساعة التاسعة والنصف صباحا، ورئيس الجمهورية موجود فى مناورة بمنطقة قريبة من مظلة العدو الجوية، واشتراك لواء مدرع مصرى فى مناورة على سطح الأرض فى نفس المنطقة مما يجعله هدفا

سهلا للعدو، اتصلت بقائد الجيش الثالث اللواء عبدالقادر حسن وطلبت منه الذهاب إلى منطقة المناورة وإبلاغ الرئيس جمال عبدالناصر برسالة منى عن عملية الإبرار وخطورة استمرار وجوده أو وجود اللواء المدرع خارج الملاجئ.

وعندما علم عبدالناصر سأل الوزير فوزى وأحمد إسماعيل عما يجرى، فكذبا الموضوع برمته ومنها المعلومات التى أبلغته بها. ومع ذلك أمر الرئيس بإيقاف المناورة وعاد إلى القاهرة.

وعند وصوله اتصل بى تليفونيا وسألنى عن حقيقة الموضوع فشرحته له وأبلغته أن بعض عناصر الاستطلاع ما زالت مشتبكة مع العدو على الطريق إلى الزعفرانة وأنها متصلة بى لاسلكيا. وقدرت أن العدو سينتهى من عمليته عند وصوله للزعفرانة حيث يسهل على القوة العودة إلى السفن التى جرى إبراره منها وبعد أن تدمر منطقة الزعفرانة. فرد عبدالناصر قائلا: « **أنا مش عارف أصدقك ولا أصدق الوزير ورئيس الأركان** ..»، فقلت له انتظر ساعتين وسيصدر بلاغ إسرائيلي بعد إتمام العملية.

بعد ذلك طلبنى محمد فوزى تليفونيا وأخذ يهدد ويندد باتصالى برئيس الجمهورية وإبلاغه بمعلومات غير صحيحة. و وعد باتخاذ إجراءات شديدة ضدى.

فلم أتمالك نفسى من الرد عليه وبتحدى، وأكدت له أن الموضوع ليس من صنع خيالى، وأن قوات مصرية تقاتل العدو وقد تعرضت لخسائر كبيرة بواسطة دبابات العدو، وأن بعض الجرحى فى طريقهم من الزعفرانة إلى وادى النيل الآن، وإننى أتوقع انتهاء العملية خلال ساعة بعد تدمير محطة الرادار وما حولها.

وفعلا أذاعت إسرائيل بيانها ونبأ توغل قواتها المدرعة لمسافة ١١٠ كيلو مترات داخل أرض مصر ودمرت وقتلت أعدادا كبيرة من أفراد القوات المسلحة.

والحقيقة أن القوة الإسرائيلية لم تصادف سوى بعض أفراد نقط سلاح الحدود المسلحة بأسلحة خفيفة ورجال الاستطلاع بالقرب من الزعفرانة، وقتلت جميع المدنيين على الطريق الساحلى ومن بينهم محافظ البحر الأحمر الذى شاء له حظه أن يمر من المنطقة خلال تنفيذ العملية.

وعندما أذيع البيان الإسرائيلي وانتشر فى العالم وعلم به الرئيس عبدالناصر استشاط غضبا وأدرك أنه كان هو شخصيا معرضا للخطر، ليس ذلك فقط، بل أكثر من مائة دبابة وعدد كبير من القادة والضباط كان يمكن أن يجرى تدميرهم لو تنبه العدو إلى وجودهم فى منطقة المناورة.

واجتمع عبدالناصر بالخبراء السوفييت، وكان مصمما على عزل الوزير و رئيس الأركان و رئيس هيئة العمليات. **ولكن السوفييت نصحوه بأن يستبدل رئيس الأركان لعدم صلاحيته وكذلك رئيس هيئة العمليات.**

مع العلم بأن المخابرات الحربية قبل بدء عملية الإبرار بحوالى شهر أصدرت تقرير معلومات يفيد بأن العدو يتدرب على عملية إبرار محدودة يستخدم فيها الدبابات. وحددت الإدارة بعض المناطق الصالحة فى الخليج والبحر الأحمر لهذه العملية المتوقعة ومنها المنطقة التى نفذت فيها العملية فعلا.

كما أن النصائح التى قدمتها لهم فور علمى ببدء العملية لقصف الطريق الساحلى وتدميره كان من الممكن أن تؤدى إلى إفشال العملية وإجهاضها. وللأسف الشديد كان كل اهتمام فوزى وأحمد إسماعيل منصب على حضور المناورة مع الرئيس عبدالناصر دونها تقدير لعواقب هذه العملية.

وقد فوجئت بحضور الفريق فوزى شخصياً إلى مكتبى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٩فى المخابرات الحربية ولإبلاغى باختياري رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

ولم ينس أن يحضر معه كشفا بإحالة عدد من الضباط إلى المعاش وتعيين مدير للمخابرات الحربية من غير رجال المخابرات، وطلب منى الموافقة على هذه القرارات تمهيدا لإبلاغ عبدالناصر، فرفضت أن أوقع على الكشف إلا بعد دراسته. ورشحت أن يخلفنى كمدير للمخابرات الحربية نائبى الأول فى الإدارة اللواء محرز عبدالرحمن.

ثم بدأت خطوات إعداد الدولة للقتال الجدي مع إسرائيل، لا معارك استنزاف، ولا مجرد تبادل لنيران المدفعية، والذى كنت أعتبره قليل الجدوى بالنسبة للتحصينات التى أقامها العدو.

ومما يذكر أن أحمد إسماعيل بعد أن خرج من الخدمة شعر بالمرض فتوجه إلى مستشفى المعادى للعلاج وأثناء زيارتى له أخبرنى أنه يريد تحسين معاشه كرئيس أركان، و رجانى أن أفاتح عبدالناصر فى ذلك. وفعلا طلبت من عبدالناصر زيادة المعاش فضحك وسألنى عما إذا كنت أقدم هذا الاقتراح من أجل أحمد إسماعيل أم من أجلى مستقبلا...

فقلت له: «**أنا لا أطلب شيئا لنفسى، أنا أبلغك رجاء من أحمد إسماعيل**»، **فوافـــق الرئـــيس**.. بعدها أبلغته بالموافقة على طلبه بنفسى...

إلا أن ذلك لم يغير من اقتناع أحمد إسماعيل بأننى كنت السبب فى خروجه من القوات المسلحة.

❁ ❁ ❁

الاجتماع التاريخى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة

يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢

كان شغل السادات الشاغل طوال الأسابيع التى مضت ، إعداد المسرح لخطوته الرئيسية. وكانت خطوة تأمين القوات المسلحة هى أهم الخطوات ، لذا بدأ فى التخطيط لها بالتربيط مع الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان وأحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة ، وعدد آخر من القادة.

ولاستكمال هذه الخطوة ، ولتوسيع دائرة الأنصار خاصة بين أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، رأى أن غيابى لأسبوع أو أكثر عن مصر قد يفسح أمامه الطريق لذلك، فما كان منه إلا أن طلب منى السفر إلى يوغسلافيا وتشيكوسوفاكيا لإجراء مفاوضات واستكشاف موقف القادة السوفييت بعد خروج قواتهم من مصر ثم المرور على سوريا فى طريق العودة.

وبما أننى كنت قد حسمت أمرى نهائيا وقررت إفساح الطريق أمامه وتركه ليواصل حمل مسئولياته ، فقد استجبت لطلبه ، وبدأت زيارتى ليوغسلافيا خلال الأسبوع الأول من شهر أكتوبر. والسادات لم يفته أن يطلب منى أن أضم للوفد العسكرى المرافق كل من الفريق عبدالقادر حسن نائب الوزير واللواء على عبدالخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية بحجة إتاحة الفرصة أمامهما للراحة والاستجمام من عناء العمل المتواصل ، ولإجراء فحوصات طبية للاطمئنان على صحتهما.

وهذا الاهتمام بصحة قائدين من أبرز قادة القوات المسلحة - كان يخفى خلفه هدفا آخر - فالسادات كان على اقتناع بأن الرجلين يناصران مواقفى وسياساتى ، لذا رأى إبعادهما عن مصر حتى يضمن تنفيذ مخططاته بعيدا عن قدرتهما على الرصد والتحليل أو حتى مجرد التساؤلات فمخططاته تتضمن إجراء اتصالات وعقد اجتماعات مع القادة

الذين قبلوا أو يقبلون التعاون معه ، ومثل هذه الاتصالات والاجتماعات لم تكن لتخفى عن القائدين ، ولأنه خشى أن يبلغانى بالأمر وبأبعاده ، فقد رأى إبعادهما ، أي إبعاد الوزير ومن رأى أنهما من رجاله معا عن مصر. وغاب عن السادات أننا كنا على بينة من مخططه، وأن كل اتصالاته واجتماعاته أحاط بها علما أولا بأول.

المهم نفذت طلب السادات وزرت يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ولكنى لم أزر سوريا فى طريق العودة ، وكان المسئولون التشيكوسلوفاكيون قد علموا بوجود مؤامرة لاغتيالى بتفجير الطائرة التى سأستقلها وهى محلقة بالجو ، وفى البداية طلبوا تأجيل الزيارة ، ثم عندما تمت الزيارة خصصوا طائرة لرحلة العودة مباشرة إلى القاهرة دون المرور على سوريا ، حتى لا تشير أصابع الاتهام إلى السوفييت بأنهم وراء اغتيالى ثأرا من عملية إخراجهم من مصر ، وبالتالى تبتعد الأنظار عن الأيدى الحقيقية. وخلال فترة وجودى مع الوفد العسكرى بالدولتين، وضع السادات مع أنصاره اللمسات الأخيرة لخطتهم.

وبعد عودتى من الخارج واطمئنان السادات إلى خطته ومراحلها ، بدأ يستعد لدعوة المجلس الأعلى للقوات المسلحة للاجتماع ، باعتباره الساحة الرئيسية التى توفر له فرصة الانقضاض على القائد العام والتخلص من أنصاره من وجهة نظره ، وكسب الأنصار ، فكل من سيراهن عليه سيعده من أنصاره . وقد سبق ذلك دعوته للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى للاجتماع ، حيث هاجم «المتشنجين» الذين يهاجمون الاتحاد السوفييتى. السادات الذى أوجعته مماطلات القادة السوفييت والمتبرم الضيّق الصدر من تسويف الاتحاد السوفييتى والساخط على أسلوب تعامل القادة السوفييت معه ، هو نفس الرجل الذى هاجم «المتشنجين» ودافع عن الاتحاد السوفييتى والقادة السوفييت.

وعندما دعانى لحضور اجتماع اللجنة المركزية لم أنجح فى تخمين الهدف من وراء الاجتماع وإن توقعت أن يكون مرحلة من مراحل الإقصاء وعندما بدأ فى الهجوم على «المتشنجين»، كان واضحا أنه يقصدنى وربما كان يسعى لفتح صفحة جديدة مع السوفييت ، خاصة وقد سبق أن أوفد عزيز صدقى فى مهمة لتنقية الأجواء والاتفاق على بدء صفحة جديدة بعد أن تلقى رسالة من الرئيس السورى حافظ الأسد عندما عاد من رحلة إلى الاتحاد السوفييتى.

كانت وساطة حافظ الأسد تشق طريقها لإعادة بناء الجسور بين مصر والاتحاد السوفييتى ومن جانبهم لم يكن السوفييت يريدون أن يتركوا مواقعهم فى مصر خشية أن

يشغلها الأمريكيون ، وكانوا يسعون لإعادة الدفء لعلاقاتهم مع مصر وإن لم يكونوا على استعداد لتلبية احتياجات مصر العسكرية ، احتراما لما اتفقوا عليه مع الرئيس الأمريكى نيكسون خلال اللقاء الشهير بموسكو فى صيف نفس العام.(٢٠ مايو ١٩٧٢)

ومن جانب آخر ، لم تكن مصر بقادرة على الاستغناء بشكل كامل عن الاتحاد السوفييتى فترسانتها العسكرية تتكون فى معظمها من أسلحة روسية ومصادر شرقية أخرى ، وبالتالى فهى فى حاجة مستمرة إلى قطع غيار وذخائر واستكمال احتياجات هذه الترسانة وبما يكفى لإطلاق هجومها القادم على القوات الإسرائيلية بسيناء ، ولم أستبعد أن يكون إقصائى جزء من الثمن فى الصفقة الجديدة وعلى أقل تقدير سيكون الهجوم علىَّ بداية طريق السادات لتحميلي مسئولية سوء العلاقات بين البلدين.

وقررت ألا أرد على السادات ، وأن أتركه يواصل طريقه ما دام يرى أن فيه مصلحة مصر ، وكنت مدركا أن طرد الخبراء والمستشارين بالرغم من المرارة التى سيتركها فى حلوق السوفييت ، سيؤدى إلى تحسن أسلوب تعاملهم مع مصر وإلى تغيير فى عمليات التسويف والمماطلة حتى لا يخسروا مكانهم ونفوذهم بالكامل ، وبما يضر بمصالحهم الاستراتيجية عالميا وإقليميا.

ويبدوا أن السادات كان سعيدا لأننى لم أواجهه أمام اللجنة المركزية ، وكانت هذه الخطوة من وجهة نظر السادات خطوة رئيسية حتى يدخل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة مستندا إلى التأييد السياسى للجنة المركزية.

وتحددت الساعة الثامنة والنصف مساء يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ كموعد لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة الحاسم بمنزل الرئيس أنور السادات بالجيزة أو فلنقل بمتحف محمد محمود خليل.[7]

وصباح يوم الاجتماع كان موعد المؤتمر الذى دعوت القادة أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة لحضوره تمهيدا لاجتماع المساء برئاسة الرئيس السادات. وكان الهدف أن يعرف القادة الموقف وأن يسمع كل منهم رأى الآخرين عن الموقف العسكرى ، ليكون الجميع على بينة من كل الأبعاد. وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا بدأ المؤتمر الذى

٧ - المتحف يضم مجموعة من أندر اللوحات الفنية من بينها أعمال لجوخ و رينوار وغيرهم من كبار فنانى ورسامى العالم ، وبعد أن أصبح السادات على قمة السلطة أمر بتحويل المتحف إلى ملحق لمنزله بالجيزة ، وبالرغم من مقار الرئيس الكثيرة بالقاهرة وغيرها من المدن فإن الرئيس لم يكن ليستقر أو ليقيم طويلا فى قصر الجيزة. وبعد إخلاء القصر من محتوياته ومقتنياته النادرة ، وضياع وسرقة وتلف بعض اللوحات ، تم تخزين هذه الثروة بصورة عشوائية وبأيدى غير خبيرة.

عقد بقاعة الاجتماعات بوزارة الحربية، كانت القضية الرئيسية الموقف العسكرى والإمكانيات المتوفرة وما انتهى إليه رأى القادة حول خطة العمليات والهدف الذى يجب تحقيقه.

وكان هناك **اتجاهان الأول** : إنشاء رءوس كبارى شرق القناة بعمق يتراوح بين ٨ و ١٢ كيلومتر ، والثانى الوصول إلى خط المضايق باعتباره خط الدفاع الرئيسى عن مصر.

والرأى الأول يتبناه الرئيس السادات باعتباره كافيا لتحريك الموقف السياسى وكان الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان هو صاحب هذا الرأي وقد وضعه فى مذكرة بعث بها إلى السادات وتحاورا معا حول هذا الاختيار.

والرأى الثانى: وكنت قد ناقشت الرئيس طويلا حوله ، موضحا ضعف وهشاشة رءوس الكبارى التى ستقام وكان الجميع سواء أصحاب هذا الاتجاه أو الاتجاه الآخر ، لا يفكرون إلا فيما هو الأنسب أو الأفضل لمصر والقوات المسلحة.

كانت كل الاتجاهات تراعى الصالح العام.

والذين كانوا يختلفون مع الرئيس السادات فى الرأى ، كانوا يدركون أن خلافهم أو نقاشهم وطرحهم لوجهات نظرهم إنما هو لتوضيح جانب أو أبعاد أخرى من الصورة، وأن هناك اختيارات أخرى ربما تكون الأفضل أو الأنسب. وكانوا يرون أنهم بذلك يمارسون دورهم ويتحملون مسئولياتهم أمام الله والوطن والرئيس ، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك ، فإنهم إنما يكررون الخطأ الذى قاد إلى كارثة يونيه ١٩٦٧ . لقد استفادوا من درس النكسة ، ورأوا أن من واجبهم أن يساهموا فى إنارة الموقف أمام الرئيس بذكر الحقائق حول الإمكانيات المتوفرة والموقف العسكرى وإعلان رأيهم حول الاختيارات المختلفة، وبقيامهم بهذا الواجب والتخلى عن «كله تمام يافندم» فإنما يساعدون الرئيس على اتخاذ القرار المناسب.

والذين اختلفوا فى الرأى مع الرئيس السادات ، كانوا يدركون أن نقاشهم إنما يدور حول الأنسب لمصر ، وأن الرأى والقرار فى النهاية هو للرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة. ولم يكن هناك من بين هؤلاء القادة من فكر فى مناوئة الرئيس أو منازعته حول سلطاته أو عدم الاعتراف بهذه السلطات ، وقد دعوت القادة لهذا المؤتمر وأنا أعلم أن السادات قد أجرى اتصالات والتقى بعدد من القادة سواء قبل أو أثناء زيارتى ليوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا.

وخلال فترة غيابى عن مصر كثف الرئيس نشاطه وساعده فى ذلك الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان. و كان من بين القادة الذين اتصل والتقى بهم ، اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى، واللواء نوال سعيد رئيس هيئة الإمداد والتموين ، واللواء عمر جوهر رئيس هيئة التنظيم والإدارة ، أما اللواء حسن الجريدلى وهو قريب اللواء عمر جوهر فقد كان من بين أعضاء الوفد المرافق لى خلال هذه الزيارة الأخيرة. وخلال المؤتمر تكلم القادة أعضاء المجلس عن موقف قواتهم وعن المتاعب والمشكلات التى تواجه كل منهم.

وطوال الوقت تحدث فيه الجميع التزمت الصمت حتى لا يقال إننى حاولت التأثير على مواقفهم بحديثى ، وفى نهاية الاجتماع قلت لهم ، إن كل ما أريده هو أن يقوم كل منكم بإعطاء صورة حقيقية عن موقف قواته أمام الرئيس هذا المساء.

وأوضحت لهم أن الرئيس يعتقد أننى أبالغ فى ذكر المشكلات ، ولذلك فإنه يريد أن يسمعها منكم شخصيا. فقال الجميع إنهم سيفعلون ذلك ، وإنهم سيقولون ما قالوه فى المؤتمر، ورأى الجميع أن فى ذلك توحيد لرأى القوات المسلحة.

ثم وجه قائد أحد الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة الدعوة لمن شاركوا فى المؤتمر ، لتناول طعام الإفطار بنادى الجلاء لقادة و ضباط القوات المسلحة ، فقد كان يوم ٢٤ أكتوبر١٩٧٢م يوافق يوم ١٧ رمضان عام ١٣٩٢هـ ولم يكن كل ذلك سوى مناورة من جانب القادة الذين سبق أن اتصل بهم الرئيس السادات ، فقد كانوا هم الأكثر تشددا فى عرض مواقفهم.

كانت المناورة تتميز بالذكاء ، فقد كان المطلوب أن يتوجه القائد العام إلى الاجتماع وهو مقتنع أن أعضاء المجلس الأعلى يتبنون نفس الموقف. وبالرغم من ذلك ، كنت أتمنى لو صدق القادة وأطلعوا السادات على الموقف العسكرى وأن يطرحوا عليه نفس المشاكل التى عرضوها فى الصباح ، لعله يعيد التفكير فى الموقف ككل. ولكن لم يخطر ببالى أبدا أنه سيؤجل خططه الخاصة بإقصائى.

فى المساء بدأ أعضاء المجلس الأعلى يتوافدون على منزل الرئيس ابتداء من الساعة الثامنة والنصف الموعد الذى تحدد للاجتماع ، وبدأ الاجتماع فى الساعة التاسعة مساء بعد حضور السيد الرئيس.

وامتد الاجتماع حتى منتصف الليل ، وتحديدا حتى الساعة الثانية عشرة والربع من صباح الأربعاء ٢٥ أكتوبر ١٩٧٢.

ولأننى كنت على بينة من الهدف من هذا الاجتماع ، وأنه سيتم تحريف محضر الاجتماع وإعادة صياغة ما جرى فيه من حوار أو نقاش لخدمة هدف الرئيس السادات المتعلق بإقصائى، وأن التركيز سيدور حول تشويه أقوالى ومواقفى وصورتى ومواقف وصورة عدد من القادة المخلصين من أبناء مصر ، فقد رأيت أن كتابة محضر الاجتماع وطبعه وتوزيعه على القادة سيحد من قدرة البعض على الاختلاق والتزوير والإدعاء.

وقبل أن نتوجه مع السادات لجلسة خاصة قبل مغادرة منزله ، أمرت بكتابة وطبع المحضر فورا وتوزيعه مباشرة بعد ذلك حتى مستويين أدنى.

ويحضرنى الآن أن اللواء سعد مأمون قد احتفظ بنسخ المحاضر التى كان عليه أن يأمر بدوره بتوزيعها على مستويين أدنى إلى أن تم تعيين احمد اسماعيل وزيرا للحربية ، وحين التقى به أخبره بأنه لم ينفذ أمرى بتوزيع محضر الاجتماع على من يحق لهم من القادة الحصول عليه انتظارا لأوامر سيادته ، فما كان من أحمد اسماعيل إلا أن قال له ، نفذ الأمر الذى أصدره الفريق صادق يا سعد...

لماذا أذكر هذه الحكاية الآن ؟

لأنها تؤكد مجموعة من الحقائق منها :

١ – أن سعد مأمون كان يعلم يقينا ، أن هناك وزير جديد قادم بعد إقالة الوزير الحالى، وهذا العلم اليقينى لا مصدر له إلا شخص واحد هو الرئيس السادات ، لأن أحدا غيره بما فى ذلك رئيس الأركان لا يمكن أن يكون مصدرا لمثل هذه المعلومة التى كانت مؤكدة بالنسبة له.

٢ – عمق الاتصالات والحوارات التى دارت بين الرئيس السادات واللواء سعد مأمون.

٣ – محاولة سعد مأمون كسب مساحة عند القادم الجديد ، والأهم كسب ثقته ، وعلى أقل تقدير التأكيد للقادم الجديد بأنه ليس من رجال الوزير السابق.

وبعد انتهاء الاجتماع توجهت مع الرئيس وبصحبتنا رئيس الأركان إلى صالون قريب، وسألته لماذا كل هذا التوتر؟ لقد أراد القادة أن يعبروا عن وجهات نظرهم ، وفى النهاية سيادتك القائد الأعلى ، وعليك أن تصدر الأمر وستنفذه القوات المسلحة بحذافيره.

ودار حوار قصير حول هذه النقطة، **ثم توقف ليطلب منى إنهاء خدمة كل من الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية واللواء محمود عبدالرحمن فهمى قائد القوات البحرية واللواء على عبدالخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية**، فقلت له إنه بذلك يطلب عقاب قادة لا ذنب لهم سوى أنهم امتلكوا شجاعة التعبير عن رأيهم وأداء واجبهم كما تحتمه مسئولياتهم تجاه الرئيس القائد الأعلى.

فسكت الرئيس ولم يعلق، فقلت له مواصلا حديثى: « إنك بذلك ستحرم نفسك كرئيس من المشورة والرأى الآخر وإحاطتك علما بالحقائق، فطلبك عقاب القادة بإنهاء خدمتهم بالقوات المسلحة لمجرد أنهم أبدوا رأيا يختلف مع رأيك، فإنك ترسى بذلك مبدأ كنت أعتقد أننا تجاوزناه على ضوء كارثة يونيه ١٩٦٧، أى أنك تطلب من الجميع ألا يقولوا إلا ما يتفق و رؤيتك ووجهة نظرك، أى أنك تشجع العودة إلى أسلوب «كله تمام يافندم» وأسلوب سماع صوتك يتردد على ألسنة الآخرين».

فنظر إلىَّ متسائلا:

«هل تدافع عن عبدالقادر حسن وعلى عبدالخبير بعد أن سمعت تطاولهما علىَّ وتدخلهما فى مسئولياتى السياسية ؟»

فأكدت له: « إننى لا أدافع عنهما، ولكنهما خاطباك بكل الاحترام، ولم يبد أى منهما تطاول عليك ولكنهما كقائدين مسئولين أبديا وجهة نظرهما، فإذا رأيت أنها صائبة وستأخذ بها فذلك أمر يرجع إليك، وإذا رأيت عكس ذلك فسيادتك القائد الأعلى».

فقال: « يا محمد إنك تدافع عنهما وتحميهما لأنهما من رجالك».

فأجبته قائلا: «يا سيادة الرئيس إننى أعلم أن هذه نظرتك إليهما وإلى آخرين تتصور إنهم قريبين منى، ولكنهما وغيرهما من رجال مصر الأكفاء، لم ولن يكونوا من رجالى أو رجال أحد آخر».

وواصلت قائلا: «يا سيادة الرئيس، إن على عبدالخبير هو قائد موقع أبوعجيلة فى معركة ١٩٥٦، وهو الذى تمكن بعدد محدود من الجنود وبأسلحة وذخائر محدودة من صد الهجوم الإسرائيلى على الموقع لعدة أيام، وبهذا النجاح تمكن من عرقلة تقدم قوات العدو على المحور الأوسط مما أتاح للقوات المنسحبة من سيناء أن تتم انسحابها دون ضغط عليها إلى غرب القناة، كما أن عبدالقادر حسن هو القائد الوحيد الذى اقتحم حدود العدو وشق طريقا فى المحور الجنوبى باتجاه ايلات ولم يتوقف إلا عندما تلقى أمرا بالعودة والانسحاب».

فرد السادات قائلا: «**يا محمد أنت بتشحن القادة ضدى**» !!

فقلت له: « يا سيادة الرئيس، لم يحدث هذا إطلاقا، وكلنا على استعداد لتنفيذ أوامرك فورا، والتضحية بأرواحنا وشن الهجوم اليوم قبل الغد، ولكن واجبى و واجب هؤلاء الرجال أن يضعوا أمامك النتائج كما نتوقعها إخلاصا للوطن ولسيادتك كرئيس وقائدا أعلى واحتراما لضمائرنا ولمسئولياتنا، ونحن على اقتناع كأعضاء بالمجلس الأعلى أنك تتمنى النصر وتعمل من أجله وأنك لا تريد تكرار الهزيمة، لذا فإن واجبنا جميعا أن نستعد للحرب استعدادا حقيقيا لا مظهريا».

« ثم سيادتك سبق أن طلبت منا وأكدت لنا أنك تريد «فرقعة» ونحن لا نستطيع عسكريا أن نلبى لك هذا المطلب.».

و واصلت قائلا: «إن القوات المسلحة وهى مقدمة على كسر وقف إطلاق النار ومهاجمة مواقع العدو لتحرير الأرض؛ فى حاجة إلى جهود هذين القائدين وأمثالهما».

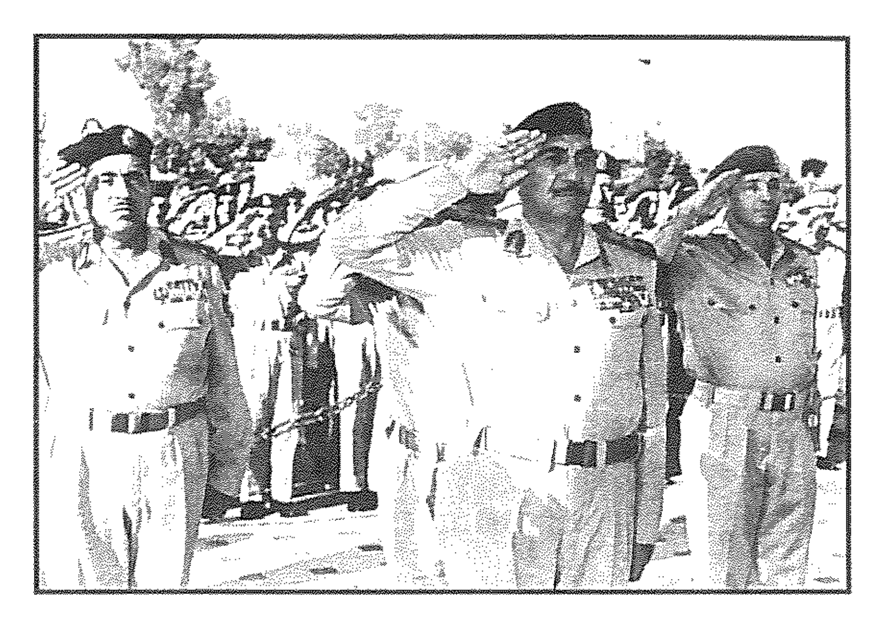
فرأى السادات أن يغير دفة الحديث وسألنى أن استعد للسفر إلى سوريا صباح يوم الجمعة ٢٧ أكتوبر، لكى نلتقى بالأخوة السوريين ونناقش معهم الموقف العسكرى، وبإذن الله سأرسل معك رسالة للرئيس السورى حافظ الأسد.

فقلت له: «إن شاء الله»، وأنا أعلم يقينا أنه يواصل محاولات تخديرى لإقناعى بأننى مستمر فى تحمل مسئولياتى، خشية أن أقود انقلابا للتخلص منه، فيما لو علمت أنه سيقصينى. ولم يكن الرئيس يعلم أننى على بينة من الأمر ومن مخططاته، وأنه لم يبق سوى ساعات على إقالتي.

وانصرفت مع سعد الشاذلى، ولكن وقبل أن يستقل الشاذلى سيارته، كان أحد أفراد سكرتارية الرئيس يسرع من خلفنا ليلحق به وتوقف الشاذلى فى انتظاره. وبعد أن لحق به طلب منه أن يعود معه للقاء الرئيس الذى ينتظره فى حجرة الصالون، وعاد سعد الشاذلى للقاء الرئيس؛ وكان واضحا أن السادات طلبه ليناقش معه إجراءات تأمين القوات المسلحة، قبل أن يصدر قراره بإقالتي.

وغادرت أنا قصر الجيزة إلى منزلى، ومن هناك حرصت على الاطمئنان على أن محضر الاجتماع قد تمت كتابته وطباعته وتوزيعه.

وصباح يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٢، صعد سعد الشاذلى إلى مكتبى بعد وصولى مباشرة، ليخبرنى أن الرئيس طلبه بالأمس لكى يقول له: «إنه سيحضر فرح ابنته»، وكان سعد يستعد لهذا الفرح وسبق أن وجه دعوة للرئيس السادات، وإنهما ناقشا المواعيد التى تناسب الرئيس، واتفقا على أن يكون الفرح يوم ٩ نوفمبر المقبل.



وكان حرص الشاذلى على إخبارى بما ناقشه مع الرئيس، استمرار لمحاولة تخديرى وإبعادى عن التفكير في قرار إقالتي. وبالرغم من يقينى بأن السادات قد حسم أمره وأن قراره سيصدر غدا الخميس ٢٦ أكتوبر، وتحديدا قبل موعد الإفطار باعتبار أن هذا التوقيت هو الأفضل لتأمين القوات المسلحة ، فقد واصلت عملى بصورة عادية ، وكانت معظم التساؤلات تدور حول الإجراء الخارج عن المألوف، وهو توزيع محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة على مستويين أدنى.

فقد قرأ القادة المحضر، واستطاع كثيرون أن يصلوا إلى الاستنتاج المنطقى ، وأمام التساؤلات، التزمت الصمت، وإن شعرت ببعض الراحة لأن الرئيس أو غيره لن يستطيع أمام هذه الحقيقة، وأعنى حقيقة انتشار محضر الاجتماع ، أن يزور فيما جرى من حوار أو نقاش أو حقائق. وبعد إقالتي يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢، بدأت عملية تزييف محضر الاجتماع والاندفاع لتوجيه الاتهامات لى.

وتساءلتُ بينى وبين نفسى ، إذا كانت الحقيقة تتعرض للاجتراء عليها ، ويجرى اختلاق أقوال واتهامات بالرغم من أن محضر الاجتماع التاريخى فى أيدى كثيرين من كبار القادة ، وبالرغم من وجود أشرطة تسجيل لكل ما دار من نقاش وحوار ، نسخة لدى الرئاسة ، ونسخة أخرى بالقيادة العامة ، فماذا كان يمكن أن يحدث لو لم أصدر أمرى بتوزيعه ؟



تزييف الوعى

مع علم الرئيس أنور السادات ، بأننى أمرت بطبع وتوزيع محضر الاجتماع التاريخى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة مساء يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ على مستويين أدنى من المستوى الذى حضر الاجتماع ، فقد عمد إلى نشر محضر مختلف يضم أقوالا تخدم مخططه لتشويه صورتى معنويا ، وإظهارى بمظهر القائد الذى تملص من مسئولية تنفيذ أمره ببدء المعركة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ .

ومعنى مستويان أدنى أى أن قادة الجيشين الميدانيين الثانى والثالث مثلا اللذان حضرا الاجتماع يمثلان مستوى قيادة ، فإن المستوى التالى هو مستوى قادة الفرق التى تتبع قيادة كل منهما ، والمستوى الثانى يصبح مستوى قادة الألوية بهذه الفرق.

أى أن المحضر الحقيقى لاجتماع المجلس الأعلى كان فى يد القادة حتى مستوى قائد لواء وهذا العدد من القادة لا يستهان به.

وتضمن أمرى بالطبع والتوزيع ، توقيع أعضاء المجلس الأعلى الذين حضروا الاجتماع على استلام المحضر ، أى استلام النسخ المطبوعة تمهيدا لتسليمها.

وكنت قد قررت أن وجود محضر الاجتماع الحقيقى فى يد هذا العدد من القادة سيحقق ثلاثة أهداف :

الأول : الحيلولة دون السادات ومن يقف فى صفه والإقدام على تزويره أو تزوير أجزاء أو مقاطع منه ، بما يوفر له التبرير الضرورى للقرارات التى سيتخذها لتنحيتى وتنحية قادة آخرين.

الثانى : أن يستقر فى فكر القادة الذين سيقرأون هذا الاجتماع ، وأن يعلموا يقينا الموقف كما جرى ، وتعمد السادات التصاعد بالموقف وتوتير مناخ الاجتماع هذا من جانب، ومن جانب آخر مدى حرص القادة الذين تحدثوا على مصلحة مصر وجيشها وقدرتهم على إبداء وجهات نظرهم وفقا لمقتضيات مناصبهم ومسئولياتهم ، وأن يعلموا أيضا من تحدث ومن التزم الصمت، وماذا قال من تحدث ولخدمة أية أهداف.

الثالث : إدراك الحقيقة الماثلة فى توزيع المحضر بهذه الصورة ألا وهى أن الاجتماع لم يكن أكثر من سيناريو لإبعاد القادة الذين لا يستريح لهم السادات وأن يصل الجميع إلى استنتاج منطقى هو أن توزيع المحضر هو تعبير مسبق عن فهم نية السادات من وراء الاجتماع ، فالمحضر سيوزع ويقرأ قبل أن يصدر السادات قراراته بتنحية القادة وأنا فى مقدمتهم.

وأيضا فإننى ما كنت لأقدم على إصدار أمر بتوزيع محضر الاجتماع بهذه الصورة لو كان يحمل أى قدر من الإدانة لى أو للقادة الذين غضب السادات عليهم.

ولكن يبدو أن القتل المعنوى وتشويه الصورة كان أقوى عند السادات من هذا الحاجز المعنوى الذى سعيت لإقامته.

ووجدت النسخة المزيفة طريقها إلى الكتاب والصحفيين ، فقد نشرها الأستاذ موسى صبرى فى جريدة أخبار اليوم فى أغسطس عام ١٩٧٤ ثم فى كتاب فى سبتمبر من نفس العام ، أما جريدة الأهرام فقد نشرتها فى أكتوبر ١٩٧٥ ثم نشرها الأستاذ أنيس منصور فى حلقات بمجلة أكتوبر عام ١٩٧٧ .

وقد اعتمدت مادة النشر فى كل هذه الجرائد والمجلات على المحضر المزيف للاجتماع التاريخى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ . وهذا التوالى فى النشر ابتداء من عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٧٧ وما تلاه يعنى أن أحقاد السادات وكراهيته الشديدة لى لم تخمد أو تهدأ أبدا. وإذا كانت محاولات اغتيالى قد فشلت واحدة إثر أخرى، وحفظنى الله جل فى علاه ، فإنه لم يكن أمام السادات إلا الاستمرار فى محاولات قتلى معنويا.

لقد انتصر السادات وحقق لمصر أعظم انتصاراتها المعاصرة ، ولكن مشاعره تجاهي لم تتغير. ولم يكتف السادات بما نُشر فى الصحف والمجلات وما قاله موسى صبرى فى كتابه «وثائق حرب أكتوبر» ، بل واصل ترديد هذه الأكاذيب فى أحاديثه العامة والخاصة وفى خطبه ، ثم عاد وضمنها كتابه «البحث عن الذات».

ولم يكن أمامى غير الإصرار على توضيح الحقيقة دوماً ردا على ما يطلقه من أكاذيب.

وإذا كان البعض قد رأى أنه من الحكمة ألا أنشر ردودي وتوضيحى لما ورد على لسان السادات، فإن آخرين كانوا أكثر حماسا لذلك سواء بمصر أو بالعالم العربى.

وكنت طوال تلك الفترة حريصا على الرد على السادات وتوضيح الحقيقة فى مواجهته وهو فى قمة السلطة، مستندا إلى ما تمنحه له من عناصر قوة ، ولم أكن أملك من عناصر القوة سوى الحقيقة، تلك الحقيقة التى حاول تزييفها من أجل تزييف الوعى.

وبما أن ما ورد فى كتاب موسى صبرى «وثائق حرب أكتوبر» الصادر عن المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر عام ١٩٧٤ ، يضم ما ادعى الكاتب أنه النسخة الحقيقية للمحضر السرى لاجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ ، وبما أن ما نُشر فى هذا الكتاب لا يختلف كثيرا عما نشر فى المصادر الأخرى ..

و لابد أن أسجل بالتقدير دقة ما نشره الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان فى مذكراته المنشورة فى حلقات بمجلة «الوطن العربى» التى تصدر من باريس ثم فى كتاب يحمل عنوان «**حرب أكتوبر**» عن محضر هذا الاجتماع التاريخى ، فقد كان الرجل أمينا.

ولا شك فى أن غيره من العسكريين إذا ما رأوا كتابة مذكراتهم عن هذه الفترة سيحذون حذوه فى الالتزام بالصدق والأمانة والدقة.



السادات ..
وأسباب تنحية الفريق أول صادق

صباح الثامن من يوليو ١٩٧٢، استقبلت الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، وكنت قد دعوته لنتناول طعام الإفطار معا.

كان الرئيس السادات قد قرر إنهاء الوجود السوفييتى فى مصر، لتنطوى بذلك صفحة استعمار أسوأ من الاستعمار الإنجليزى الذى عانت منه مصر على امتداد ٧٠ عاما.

وناقشنا معا ونحن نتناول طعام الإفطار بشرفة الشقة التى أقطن بها القرار وأبعاده ونتائجه.

وأفاض هيكل فى تقييم القرار وأثره على المنطقة والتوازن بين القوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، واتفقنا فى نقاط واختلفنا فى نقاط أخرى.

وأهم ما اتفقنا عليه، أن القرار يخدم المعركة القادمة التى تخطط لها مصر لاسترداد أرضها المحتلة. وتحقق انتصارا للولايات المتحدة فى صراعها مع الاتحاد السوفييتى. لم تدفع له ثمنا.

وقلت لهيكل، لن أكون موجودا لقيادة هذه المعركة التى أعددت القوات المسلحة لها معنويا وخططيا وتدريبيا لخوضها بشكل غير مسبوق فى تاريخ القوات المسلحة.

وفوجئ هيكل بقولى، وتساءل فى اللحظة التى تسجل فيها واحدا من أهم انتصاراتك، وتتمكن من إنهاء الوجود السوفييتى فى مصر، تقول لى إنك لن تكون موجودا لقيادة المعركة القادمة؟

وقلت لهيكل إن من أهم أسباب هذا اللقاء، أن أخبرك أن السادات سيعفينى من مسئولياتى كثمن لهذا القرار، بالإضافة إلى أسبابه الأخرى.

وسألنى أمن المعقول أن تدفع ثمن نجاحك فى إخراج السوفييت؟

قلت سأدفع ثمن تحرير مصر من الاستعمار السوفييتى، وثمن مواقف أخرى كثيرة أولها حمايتى للشرعية فى مايو ١٩٧١، ومساندتى للسادات للاحتفاظ بمقعده كرئيس للجمهورية.

قال: أجزاء سنمار؟

قلت: نعم.

ولم يصدق هيكل أياً من توقعاتى، و بعد فترة صمت قال إنه برغم ضيق الرئيس من تنامى شعبيتك بين العسكريين والمدنيين على حد سواء، فإنه يظل رافضا لاستنتاجى وقلت له وأنا أودعه: تذكر إنك أول من يعرف أننى قبل نهاية العام، بل ربما قبل ذلك بكثير، لن أكون وزير حربية مصر.

فقال واثقا ومبتسما: دعك من هذه الوساوس يا محمد، وركز فى الإعداد للمعركة التى ستكون قائدها بلا أدنى شك.

وبالرغم من ثقتى فى الأستاذ محمد حسنين هيكل، وفى دقة تحليلاته، وحسن معرفته بالأمور، وكامل إحاطته بما يجرى فى مصر خاصة وبالعالم بصفة عامة، فقد رأيت أننى أقرب إلى الصواب منه فيما يتعلق بهذا الاستنتاج.

وكانت هناك أسباب كثيرة فى علاقتى بالسادات تقود إلى هذه النتيجة.

وأهم من الأسباب تلك القاعدة الذهبية التى توضح وتكشف أن أى حاكم فرد، يرفض أن يعيش مع الإحساس بأنه مدين فى وجوده على مقعده إلى شخص ما أو أكثر. هذا الإحساس بالدين، يجعله مغلول اليدين، وغير قادر على ممارسة السلطة كما يريد. وهذا الرفض يدفعه للتخلص ممن هو مدين له بوجوده على قمة السلطة.

ولا يخالجنى أدنى شك فى أن السادات يدرك أن موقفى ودورى فى أزمة الصراع على السلطة فى مايو ١٩٧١، ونجاحى فى إبعاد القوات المسلحة عن هذا الصراع، هو الموقف والدور الحاسم والرئيسى فى احتفاظه بمقعده كرئيس للجمهورية.

وإذا كان فى أحاديثه العلنية قد جمع بينى وبين الليثى ناصف وممدوح سالم وأشاد بنا جميعا وبدورنا فى ثورة مايو ١٩٧١، كما كان يحلو له أن يسميها، فما ذلك إلا محاولة لتصوير الأمر وكأننا نحن الثلاثة شركاء فى النتيجة التى انتهى إليها الصراع.

وللسادات الحق، كل الحق فى أن يشيد بموقف الاستاذ هيكل، فقد اختار هيكل منذ وفاة عبدالناصر أن يدعم السادات وحقه فى خلافة عبدالناصر فى وجه كل من حاولوا حرمان السادات من هذا الحق. كما اختار هيكل بشجاعة رغم مواقف الآخرين العدائية منه أن يقف مساندا للسادات خلال أزمة مايو ١٩٧١.

ومن حقه أيضا الإشادة بدور الدكتور عزيز صدقى، الذى راهن على السادات وربح الرهان، والإشادة بدور كل من راهنوا عليه خلال هذه الفترة التى كانت محنة شديدة بالنسبة له.

وإحساس الرجل بهذا الدور يجعله بعيدا عن الشعور بالراحة. ولأنه تعلم الصبر والتخطيط ولفترات طويلة، فقد توقعت أن يصبر إلى أن تحين الفرصة. وفى حوارى مع عبده مباشر، قلت له إن السادات سيتخلص من الثلاثة الذين أعلن وقوفهم بجواره، وفى مرحلة تالية سيتخلص من هيكل.

ولم يختلف معى عبده مباشر، كان يرى الأمور بنفس الطريقة التى أراها.

وأعتقد أنه ناقش الأمر مع الأستاذ هيكل بصورة أو بأخرى.

وبدأ السادات يقرأ الأحداث بطريقته المتشككة. ففى أعقاب عاصفة مايو، طلب منى التخلص من كل القادة والضباط الذين ساندوا الفريق فوزى. وبهدوء ناقشته، وأوضحت له أننا فى طريقنا للاستعداد للمعركة، وبالتالى فلا يجب أن نشق صفوف القوات المسلحة أو أن نزرع المخاوف بالانتقام من البعض. وقلت ربما أخطئوا بحسن نية أو بخطأ فى الحسابات وأنه بعفوه عنهم سيكسبهم فى صفه، وسيقنعهم بخطأ موقفهم، كما أوضحت له أن بينهم مجموعة من القادة والضباط الأكفاء، ونحن فى حاجة إلى مثل هذه العناصر.

فاقتنع السادات، أو فلنقل أنه أبدى الاقتناع، وإن كان فى أعماقه يرى أننى أعترض وأقول لا، لإحساسى بالقوة بعد دورى فى مايو، وأننى أحمى هؤلاء الضباط لأكسب مزيدا من الشعبية داخل القوات المسلحة وعلى حسابه.

ومرة أخرى يغضب السادات ، عندما طلب منى أن أعصف بفوزى، ولم أستجب له، بل وضعت فوزى فى مستشفى الحلمية العسكرى ووفرت له كل عناصر الراحة، وسمحت لزوجته وأسرته بزيارته يوميا فى المستشفى.

وسألنى السادات، هل يقضى فوزى فترة العقوبة فى الهيلتون ...؟ فقلت له ، إن من يصل إلى منصب القائد العام يصبح رمزا للقوات المسلحة. وأيا كانت أخطاء هذا الرجل، فإنه يظل رمزا ، ولا يمكن وضع رموز القوات المسلحة فى السجن.

وبعد ذلك علم السادات أننى زرت فوزى فى المستشفى ونقلته بسيارتى إلى مستشفى المعادى، استجابة لطلبه. ومرة أخرى يقرأ السادات الموقف وكأننى أعترض على قراراته ورغباته.

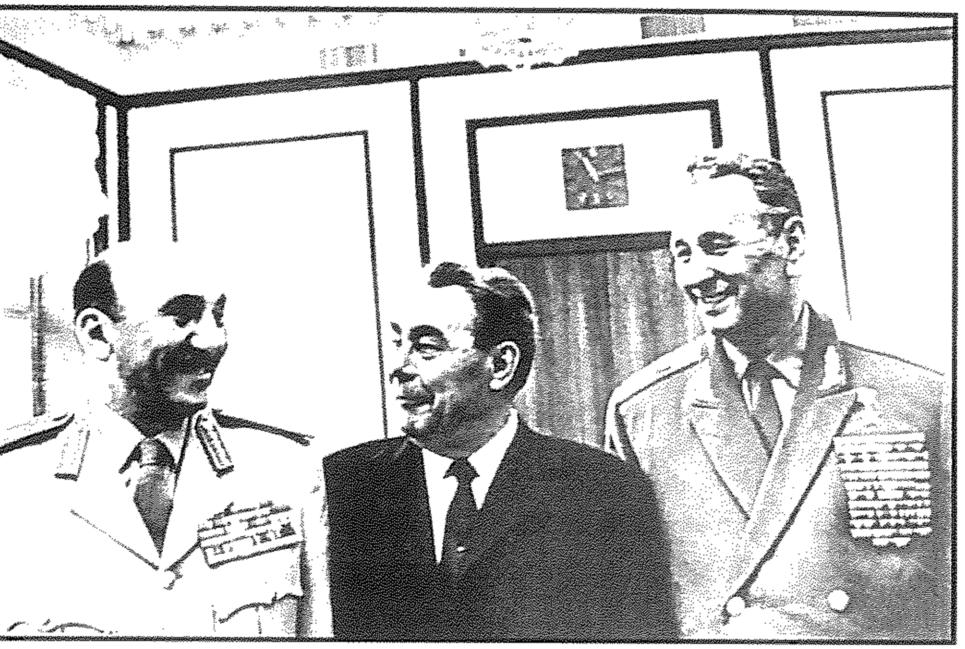
وإذا اعتبرنا أن تأييدى له و وقوفى بجواره فى مايو ١٩٧١، ورفضى الإطاحة بمجموعة القادة والضباط الذين وقفوا بجوار محمد فوزى، وقضاء فوزى فترة العقوبة بمستشفى عسكرى، سببا من الأسباب التى قادت السادات للتخلص منى فإن هناك أسباب أخرى منها :

- موقفى أثناء زيارته المفاجئة لموسكو أثناء قيامى بزيارة للاتحاد السوفييتى، وكنت قد توجهت إلى العاصمة الروسية يوم ٨ أكتوبر ١٩٧١ بعد أن التقيت بالرئيس السادات، وتلقيت تعليماته الخاصة بالزيارة، ولم يكن لديه أية خطط لزيارة الاتحاد السوفييتى. وبعد يومين من وصولى فوجئت بحضور السادات. واستغرقت هذه الزيارة ثلاثة أيام بعدها عاد للقاهرة وتركنى لأتم مباحثاتى وزيارتى التى استمرت ثلاثة أيام أخرى.

ولاشك أن وصول السادات بهذه الصورة، يكشف عن عميق شكوكه فى الجميع بما فيهم أنا، وعن عدم ثقته بالقادة السوفييت. فقد توقع السادات أن أتوصل أنا وبريجينيف إلى اتفاق سرى يتضمن أن أصبح رئيسا للجمهورية بدلا منه، مقابل التخلى عن الحملة المضادة للسوفييت. ولابد أنه سمع أو قرأ تقريرا عن استقبال السوفييت الرائع لى يوم وصولى.

وفى أعقاب انتهاء حفل عشاء رسمى عقب وصول السادات، كان واضحا أن كل من بريجينيف وجريتشكو قد أضمرا أمرا، فقد أحاطا بى وأمسك بريجينيف بذراعى الأيمن، وتأبط جريتشكو ذراعى الأيسر، وخرجنا من الباب بهذه الصورة، ومن خلفنا الرئيس السادات يتأبط ذراعيه كل من بودجورنى رئيس الدولة وجروميكو وزير الخارجية. وكانت الرسالة واضحة للسادات ولا تخفى دلالتها عليه، أنهم يفضلون صادق ويراهنون عليه.

وهذه الرسالة ليست أكثر من تحريض للسادات للتخلص منى وأن يكون أكثر تساهلا معهم. وأنهم على استعداد لعقد صفقة معه بهذا الشأن. وإن لم يعقد هذه الصفقة فأمامهم البديل. ولا شك أنه كان لديهم معلومات عن حقيقة نوايا السادات تجاهى.



المباحثات الثلاثية للفريق أول صادق بالكريملين بموسكو مع الرئيس بريجنيف
و وزير الدفاع المارشال جريتشكو في يونيو ١٩٧٢.

كان القادة السوفييت يمارسون لعبة زرع الشكوك، وكنت أحاول العمل من أجل تماسك الموقف المصرى فى هذه المفاوضات الشاقة، **وعندما قال بريجنيف للسادات إنه يجب شد أذن صادق !!**

فأصبح لزاما علىَّ أن أرد على بريجينيف وبقوة، حتى لا تمضى ملاحظته بدون تعقيب.
فقلت له فورا : «**من الصعب على أى إنسان أن يشد أذنى...**»

وانفجرت ضاحكا، فضحك الجميع.

وتركت الملاحظة والتعقيب أثرا على السادات ورجاله...

- اعتراضى على صفقة أسلحة نجح السادات فى التوصل إليها أثناء وجوده بموسكو تضمنت تزويد مصر بقاذفات بعيدة المدى من طرز تيبيلوف - ٢٢، ودبابات ت - ٦٢.

وكنت على موعد للقاء السادات، وكان قبل حضورى قد التقى بالدكتور مراد غالب سفير مصر بالاتحاد السوفييتى، الذى أكد له أنه تمكن من الحصول على أسلحة حديثة وجيدة، وأخبره أن الروس يقولون إنها أحدث ما عندهم، وإنه لم يسبق أن أعطوها لأحد من قبل. ثم قال للسادات إن الروس يقولون إن المصريين والقوات المسلحة المصرية لا

رغبة لهم فى القتال، وإن هناك من يتهم الروس بعدم إمداد مصر باحتياجاتها العسكرية.

ويواصل الروس حديثهم بأن الاتحاد السوفييتى بهذه الصفقة التى اخترنا أن نعقدها مع صديقنا الكبير السادات، قد وفر لمصر تسليحا حديثا وقويا وسننتظر ماذا سيفعلون بها.

وعندما دخلت لمقابلة السادات، كان متحفزا وروى لى ما قاله مراد غالب، وما قاله الروس له. ثم قال ها أنا ذا قد نجحت فى الحصول على هذه الصفقة الجيدة. فقلت له، يبدو أن الأمر يحتاج إلى مراجعة.

فرد بانفعال قائلا : «هو أنا كل ما أجيب حاجة من الاتحاد السوفييتى، تقولى دى وحشة، ومتنفعشى ...».

وانتظرت حتى انتهى من حديثه ثم أوضحت له أن المصنع الذى ينتج القاذفة تيبيلوف - ٢٢ قد أغلق منذ ١٢ عاما. أى أن إنتاجها توقف تماما. وأن القوات الجوية السوفييتية قد أخرجتها من الخدمة، فطولها وارتفاعها وعرض الأجنحة وحمولتها من الذخيرة، عيوب رئيسية، جعلت الروس يتوقفون عن استخدامها وإنتاجها.

وقلت له: سيادتك لست خبيرا فى الطيران ولا أنا، ولكن ما أقوله هو ما جاء فى تقرير للقوات الجوية يؤكد أن قاذفة بهذه المواصفات لا تصلح، ولا تحقق أية أهداف. و لذلك فالقوات الجوية ليست فى حاجة لمثل هذه الطائرة.

فاحتد السادات وقال إنه رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وإنه مقتنع بأن الطائرة جيدة، وأضاف يبدو أن الروس كانوا على حق فى قولهم بأن الجيش المصرى لا يريد أن يقاتل ! بالرغم من كفاءة الأسلحة التى تسلم له و وفرتها !!

بعدها كتبت تقريرا للسادات أوضح به أسباب اعتراضى على الصفقة التى عقدها مع الروس وهى كالتالى :

١ - رفض القوات الجوية للقاذفة تيبيلوف - ٢٢.

٢ - إغلاق المصنع الذى ينتجها منذ ١٢ عاما مما يعنى عدم توفر قطع الغيار الخاصة بها.

٣ - استغناء القوات الجوية السوفييتية عنها يعنى ببساطة أنها طائرة غير صالحة.

٤ - مغالاة الروس فى سعر هذه القاذفة، وسعر الدبابة ت - ٦٢، وإصرارهم على تقاضى الثمن بالعملة الصعبة، وهذا أمر يختلف تماما عن كل التعاقدات السابقة، وقد علمنا أن الروس باعوا نفس الدبابة للسوريين بالروبل مع تيسيرات فى الدفع وبسعر يقل كثيرا جدا عن السعر المطلوب من مصر دفعه.

٥ – رفع أجهزة إلكترونية حديثة من كل من الدبابة والقاذفة، وبها يفقدهما أهم ما يميزهما.

وأذكر هنا أن قائد القوات الجوية ، كان فى زيارة لموسكو لبحث شروط هذه الصفقة فيما يخص القوات الجوية. وخلال الزيارة سلمه طيار مصرى يدرس بالأكاديميات العسكرية الروسية تقريرا عن القاذفة تيبلوف – ٢٢، والأجهزة الإلكترونية المزودة بها، وحرص الروس على بيعها وتسليمها لمصر بدون هذه الأجهزة. ووضع القائد هذا التقرير فى حقيبته الموجودة بالحجرة التى يقيم بها، بعد أن احتفظ بصورة من التقرير فى جيبه. **وعندما عاد إلى حجرته فتح الحقيبة فاكتشف اختفاء التقرير كما توقع !!!**

ولم يعجب السادات قرارى بإلغاء الصفقة التى كان يعتبرها نجاحا شخصيا له. ولم يقتنع بالأسباب التى ذكرتها له، ولم يصدق أن السوفييت سرعان ما سيقررون عقد هذه الصفقة وبنفس الأسعار التى باعوا بها لسوريا، وسيسلحون كل من القاذفة والدبابة بكل أجهزتها. وعندما عاود السوفييت الحديث لعقد الصفقة من جديد وفقا للشروط المصرية، كان صدر السادات قد امتلأ بما يكفى من مشاعر الغضب والعداء.

• ساءت علاقة السادات بزعماء السودان فى نهاية عام ١٩٧١، ويوم ٧ يناير اتصل بى تليفونيا وطلب منى السفر للخرطوم للالتقاء بالرئيس جعفر نميرى لإعادة علاقتهما إلى حالتها الطبيعية قائلا لى : إن الرئيس نميرى يحترمك ويحمل لك تقديرا خاصا (يشير بذلك إلى دورى فى إحباط الانقلاب الشيوعى فى يوليو ١٩٧١) .

وفوجئت يوم ٨ يناير وقبل السفر بساعات، بأن الرئيس السادات قرر ضم الدكتور مراد غالب وزير الخارجية إلى الوفد، وكان ذلك بناء على اقتراح من الدكتور عزيز صدقى رئيس مجلس الوزراء ، حتى لا أكون وحدى فى هذه المهمة !!!

واتصل بى الرئيس أنور السادات لأتوجه لمنزله بالجيزة قبل السفر مباشرة. ولاحظت عند دخولى أنه كان يجلس فى الحديقة مع مراد غالب الذى أسرع بالانصراف عندما علم بوصولى. وأثار هذا التصرف علامات استفهام.

فبعد ساعات سنسافر معا. فلماذا يجتمع مع السادات وحده؟ ولماذا ينصرف عندما علم بحضورى؟ هل هناك ما يخفياه عنى؟ ولماذا لا نجتمع معا برئيس الجمهورية، طالما أننا نشكل وفدا واحدا ولأداء نفس المهمة؟ وبدأت الصورة تتضح عندما اجتمعت بالرئيس السادات، فبدلا من مهمة المصالحة بينه وبين الرئيس جعفر النميرى، وإصلاح

العلاقات بين البلدين، أعطانى الرئيس السادات تعليمات جديدة تقضى بالتشدد مع رئيس السودان وباقى المسئولين.......

هل انتقل السادات من النقيض إلى النقيض بناء على نصيحة مراد غالب؟ أم نصيحة عزيز صدقى؟ أم نصيحتهما معا. إن مراد غالب المعروف بميوله الماركسية الشديدة ، يحمل كراهية عميقة للرئيس نميرى لا من أجل فشل الانقلاب الشيوعى فقط بل أيضا من أجل إعدام قادة الحزب الشيوعى السودانى.

ولم يكن مراد غالب أو الجماعات الشيوعية بمصر بقادرة على نسيان فشل الانقلاب الشيوعى، ولا سقوط رؤوس قادة الحزب الشيوعى هناك ووجدت أن الموقف يقتضى أن أستفسر من الرئيس عن الأسباب التى دفعته إلى تغيير رأيه.

من المهم أن أقول أننى لم أعترض على المهمة الجديدة فهو رئيس الجمهورية، والدكتور مراد غالب الوزير المسئول عن السياسة الخارجية، وكل ما فعلته هو الاستفسار، فقد تلقيت تعليمات بالسفر لمهمة محددة رأى السادات أن علاقتى بالنميرى تسمح بتحقيقها، والآن أتلقى تعليمات مختلفة تماما بل على النقيض ، فأردت أن أعرف أسباب هذا التغيير الحاد المفاجئ ، فقد يساعدنى هذا على تحقيق المهمة الجديدة.

وعندما سمع السادات كلامى ، انفجر ثائرا بدون سبب واضح. وكان يمسك بيده عصاه المفضلة ، والتى سبق أن صنعها بنفسه من غصن شجرة زيتون أيام خدمته بالعريش. واعتاد السادات أن يحملها معه أينما ذهب كجزء عزيز من ذكرياته وأيضا لأنه شديد التفاؤل بها.

وأثناء ثورته بدأ يدق بعصاه على الأرض محتجا، فانكسرت وانقسمت إلى نصفين، وكأنها نشرت بمنشار. وكان الاعتقاد أن العصا، ولأنها من غصن زيتون جاف وصلب وقديم غير قابلة للانكسار. فزاد اضطراب رئيس الجمهورية، وأصيبت زوجته بالوجوم...

بعدها استأذنت فى الانصراف ولم ألحظ الرئيس وهو يتبعنى إلا عندما هممت بركوب السيارة، حيث وجدته يقف لوداعى وكان فى حالة اضطراب شديد لم تستطع ملامح وجهه أن تخفيها.

وطوال الطريق كنت أفكر فى الموقف وكنت مندهشا من انقسام العصا إلى نصفين بهذه الطريقة، وبدأت تتضح لى أسباب اضطراب السادات ، لمعرفتى الجيدة به وبأسلوب تفكيره. فقد أخذ الموضوع على أنه فأل سيئ.

ومن جانب آخر خشى هو وزوجته أن يكونا قد أغضبانى. وسبب هذه الخشية ترجع إلى شكوكهما القوية فى احتمال أن أقود إنقلابا عسكريا للتخلص من رئيس الجمهورية.

وقبل ذهابى إلى المطار بدقائق ، وصل إلى منزلى السيد محمد حسنين هيكل، فعجبت لزيارته غير المتوقعة ، فأوضح لى أن السادات استدعاه إلى منزله ، ثم أرسله خلفى فى محاولة لتخفيف وقع الموقف عندى...

وسافرت فى نفس الليلة إلى الخرطوم مع الدكتور مراد غالب، وبعد الاستقبال الكبير والحفاوة البالغة، أمضيت الليلة مع كل من الرئيس نميرى وخالد حسن وزير الحربية. وأبدى الاثنان دهشتهما من وصول مراد غالب مع الوفد ، واعتبروا ذلك نوعا من التحدى للسودان. وبذلت جهدى لتذويب هذه المشاعر.

وفى اليوم التالى تركت مراد غالب بالخرطوم وعدت إلى القاهرة، وبعد عودتى بساعات اتصل بى رئيس الجمهورية، وسألنى عن أسباب عدم اتصالي به؟ وعما إذا ما كنت مازلت غاضبا حتى الآن؟ وصمم على أن أذهب للقائه فى نفس الليلة، حيث أظهر كثيرا من الود فى محاولة لمحو آثار اللقاء الغاضب ، ولكن بدا واضحا أن الرئيس لم يعد يطيق سماع وجهات نظر مخالفة، أو كلمة لا ، أو حتى مجرد الاستفسار عن رأى أو تعليمات أصدرها.

• أما باقى الأسباب الفرعية التى أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في دفع السادات إلى التخلص مني فهى عديدة ومن أهمها :

- تفتيش واحتجاز مجموعة المدربين أو الخبراء والمستشارين السوفييت لمده ٩ ساعات والفضيحة التى لحقت بهم، قبل وصول جريتشكو مباشرة، ونجاح عزيز صدقى وحافظ اسماعيل فى إيغار صدر السادات الذى كان موجودا بليبيا، بتصوير الأمر على غير الحقيقة، ونجاحى فى تحطيم أسنان جريتشكو قبل أن يصل إلى القاهرة لتحطيم أسنانى كما توعدنى أمام السادات أثناء وجوده بموسكو فى زيارته التى قام بها خلال شهر أبريل ١٩٧٢.

- تحريض ليونيد بريجينيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى لى للانقلاب على الرئيس السادات أثناء لقائى به الذى استغرق ما يقرب من ساعتين و نصف، بقاعة الاجتماعات الملحقة بمكتبه. ولم أحاول إخفاء الأمر على الرئيس السادات وأخبرته بكل ما دار بينى وبين بريجينيف. واشتركنا معا فى تحليل الأمر.
- وإذا كان السادات قد شكرنى وأشاد بى وأكد ثقته في ، وأننى أهل لهذه الثقة، إلا أننى كنت أعلم إنه يقول ما يجب أن يقوله. لا ما يدور فى ذهنه . ولأن الشكوك كانت تسكن السادات، فكان من المنطقى أن تضاعف محاولة بريجينيف من شكوكه.
- إنهاء الوجود السوفييتى فى مصر، ولم يكن وصول السادات لهذا القرار سهلا.

فقبل اتخاذ القرار يوم السادس من يوليو عام ١٩٧٢، حاول أن يجس نبض القوات المسلحة، وأن يجهض الحملة التى بدأتها لتوضيح حقائق الموقف العسكرى والسياسى بما فى ذلك موقف السوفييت للقادة والضباط والجنود. كان يتابع بدقة، كل ما أقوله، ويرصد زياراتى ، ويسجل ردود الأفعال والأثر الذى تتركه كل زيارة.

وكنت بدورى لا أخفى عنه شيئا مما أقوم به أو أقوله. كما أننى ناقشته طويلا فى الموقف من الاتحاد السوفييتى والوجود العسكرى فى مصر وأثره على المعركة التى نستعد لها.

ومن خلف ظهرى كان يلتقى بعدد من القيادات ، وكنت أعلم بهذه اللقاءات. وكثيرا ما عرفت ما يدور خلالها بواسطة بعض رجال السادات. ولم يكن السادات يعرف أننى على علم بما يدور. وقد حرصت على أن يظل الأمر هكذا ، ولم أفكر يوما فى طرح ما يقوله أو يسمعه خلال هذه اللقاءات عليه لا للعتاب أو حتى للتوضيح.

وكان يعلم يقينا أخطاء السوفييت فى مصر وسلوكهم الاستفزازى ، ويعلم أن حالة من الكراهية والنفور تسود القوات المسلحة تجاه المستشارين والخبراء السوفييت، وأن صدامات بلا حصر قد حدثت بين القادة والمستشارين.

وعندما كان الفريق أول فوزى وزيرا للحربية كان ينتصر دائما للجانب السوفييتى، بل ويبالغ فى منحهم المزايا المختلفة، فعندما فرض على القوات المسلحة الاحتفال بمولد لينين، وأصر على أن يُلقي قادة الأفرع الرئيسية والجيوش والتشكيلات والوحدات العسكرية، كل فى موقعه كلمة فى هذه المناسبة، فجر ينابيعا من الكراهية تجاه كل ما هو سوفييتى وتجاهه هو شخصيا. وساء الموقف بشكل غير متوقع ، عندما تم تجاهل الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم.

وعندما تحملت مسئولياتى كوزير للحربية، ألغيت الامتيازات الفجة التى سبق أن منحها فوزى، وبدأت فى حصار ظاهرة استعلاء هؤلاء المستشارين والخبراء، وقد حرصت على أن أنتصر للحق، لا للأشخاص ، مصريين كانوا أم سوفييت ، وعلى أن يعلم الجميع هذه الحقيقة البسيطة. وطالما كان المستشارون والخبراء موجودون بيننا، فلنستفد من وجودهم. أما الذين يخطئون، أو الذين نكتشف أن مستواهم لا يتلائم مع احتياجاتنا، فنطلب فورا إعادتهم إلى أوطانهم.

وعندما أخطأ مستشار رئيس الأركان طلبنا إعادته إلى وطنه فورا. وبالتالى فأى مستوى دون ذلك يصبح من السهل أن يكون مصيره مثل مصير مستشار رئيس الأركان. واستقامت الأمور، وحتى وأنا أكشف حقائق موقف الاتحاد السوفييتى بالنسبة لتلبية احتياجات القوات المسلحة، كنت أشيد بدور السوفييت المساند للقضية العربية والحق الفلسطينى ، وأذكر لهم بالخير موقفهم من إعادة تسليح مصر بعد هزيمة ١٩٥٦، وموقفهم المساند للقوات المسلحة لكى تقف على قدميها بعد نكبة ١٩٦٧ .

وتبينت القوات المسلحة الصورة الحقيقية للسوفييت وسياساتهم وأهدافهم ومناوراتهم شيئا فشيئا، وأدركوا أن بالقيادة العامة روحا جديدة ، فانطلقت تعبر عن حقيقة مشاعرها وتوجهاتها. وهذا النبض المتصاعد ، حاصر القيادة السياسية بضغوط متنامية، ولكن حجم هذه الضغوط ومداها لم يكن معلوما بصورة واضحة. وكان السادات يشعر أن هذه الضغوط فيما لو كانت حقيقية وقوية، فإنه لن يستطيع أن يصمد فى مواجهتها، وكانت النتيجة المنطقية التى يتوصل إليها كلما قرأ تقريرا عن هذا الحالة، أنه مجبر على اتخاذ قرار بإنهاء الوجود الروسى. ولكن وقبل أن يتخذ القرار، قرر أن يتعرف بنفسه على موقف القوات المسلحة.

وخلال النصف الثانى من شهر يونيه ١٩٧٢، أى بعد عودتى من زيارة الاتحاد السوفييتى، اتصل بى تليفونيا وطلب منى أن يزور الجيشين الثانى والثالث، هكذا وفجأة وبدون أى استعداد قرر أن يزور الجيشين. وفعلا توجهنا سويا إلى مطار ألماظة الحربى حيث أعدوا لنا طائرة عمودية «هليكوبتر» أقلتنا إلى قيادة الجيش الثالث ، التى تلقت إخطارا بوصولنا، قبل أقل من ساعتين.

واستقبلنا القائد اللواء عبدالمنعم واصل، وعقب استراحة قصيرة، حضر الرئيس اجتماعا مع القادة والضباط وحدثهم طويلا عن إنجازاته الشخصية ودوره فى ثورة

٢٣يوليو١٩٥٢، وعلاقته بعبد الناصر والضباط الأحرار، ثم تكلم عن الروس ومساعداتهم وصداقتهم وصعوبة الابتعاد عنهم، وخطورة تنويع السلاح، واستحالة أن يعطينا الغرب أى سلاح.

وكان الرئيس السادات يستهدف من هذه الخطبة الطويلة هدفين أساسيين :

الأول : شرح علاقته القوية والوثيقة بعبدالناصر، ودوره الرئيسى فى الثورة وإبراز وزنه وشخصيته من خلال هذه الأحداث التاريخية.

الثانى : إظهار خطورة مهاجمة الروس وانتقادهم ، خشية من تأثير ذلك على مصر والقوات المسلحة والاستعداد للمعركة. فبدون الروس لن توجد مساعدات ولن تحصل مصر على أسلحة، وبالتالي لن تتمكن من الحرب واسترداد أرضها المحتلة فى سيناء.

وطوال هذة الخطبة كنت أجلس بجواره ، وتابعت إحساسه بالمفاجأة من ضعف التصفيق الذى استقبل به القادة والضباط كلمته ، حيث لم يتجاوز عدد من صفقوا أكثر من بضعة أفراد من الجالسين بالصف الأمامى. أما باقى القاعة فقد غمرهم الصمت وكان الموقف محرجا، فرفعت يدى وصفقت لاستحث الموجودين على التصفيق ، فقد كان اللقاء فاترا للغاية.

وبالرغم من أننا اتفقنا على أن نتناول طعام الغذاء فى الجيش الثالث، إلا أننى فوجئت به يرفض البقاء ، ويصر على الذهاب للجيش الثانى. وبدلا من أن يلتقى بقادة وضباط الجيش الثانى فى الغد ، قرر أن يلتقى بهم اليوم. واستنتجت إنه يشك فى أننى أعطيت تعليمات بخصوص نوع الاستقبال.

وتوجهنا فعلا إلى الجيش الثانى. وكان اللقاء بالقادة والضباط بقاعة السينما بمعسكر الجلاء بالإسماعيلية. وهناك واجه الرئيس استقبالا أشد فتورا من استقبال الجيش الثالث، بعد أن تحدث أمامهم مثلما تحدث من قبل. وغضب الرئيس ورفض تناول الطعام معنا وصعد إلى استراحته.

بعدها هدأ قليلا، ثم قال لى :

«إن منظر الجيش بيفكرنى بمنظر الجيش عام ١٩٥٢ ...»

فرددت عليه قائلا، أنت مخطئ فى تقديرك، فالجيش بخير، وإذا كان هناك من خطأ، فهو خطأك أنت ، لأنك حاولت الدفاع عن قضية خاسرة ، فكل القادة والضباط يعلمون أن السوفييت غير جادين فى مساعدتنا ومع هذا تأتى لتدافع عن الروس فى كل خطبك أمام القوات المسلحة رغم شكواك المرة منهم فى جلساتك الخاصة ، وذلك يثير دهشتى

وعجبى. وأقسمت له أن الجيش بخير، وأننى شخصيا مسئول عن أمن القوات المسلحة، ولن أكون يوما خائنا، وإذا كنت أعارض أحيانا، فأننى أفعل ذلك دفاعا عن مصالح مصر، لا لأى هدف آخر.

ولكى أخرج السادات من الحالة التى سيطرت عليه رويت له أن السلطات السوفييتية خلال عام ١٩٧٠ تسلمت عددا من التقارير عن كراهية الشعب المصرى للروس، وأن هذه الكراهية قد ازدادت بعد الوجود العسكرى الروسى الكبير نتيجة وصول كتائب الصواريخ المضادة للطائرات وانتشارها من الأسكندرية حتى أسوان مرورا بالقاهرة. وعندما ناقشت القيادة الروسية هذه التقارير تعددت الآراء، فهناك من يرى أن الأمر سينتهى بطرد الروس من مصر أيا كان حجم المساعدات التى ستقدم لها. والبعض قال إن المصريين يسعون لتوريط الاتحاد السوفييتى سياسيا وعسكريا واقتصاديا فى الصراع العربى الإسرائيلى.

وحرصت القيادة فى موسكو على استقصاء الأمر خاصة فى القوات المسلحة.

وناقش كبير الخبراء الروس الفريق أول فوزى فى الأمر. فما كان من فوزى إلا أن استدعى مجموعة كبيرة من كبار القادة ، وسألهم مباشرة عن كراهية ضباطهم وجنودهم للروس. وأجاب البعض بصراحة وقالوا، إن هذه الكراهية موجودة وتزداد حدة وعمقا، وإن كثيرين يقارنون بشكل علنى بين الدعم العسكرى الروسى لمصر والدعم العسكرى الأمريكى لإسرائيل، ويصلون إلى النتيجة المنطقية. وهى أن الروس لا يريدون مساعدة مصر بشكل جدى ، وأنهم لا يقدمون إلا كل ما يخدم أهدافهم بعكس الولايات المتحدة.

والذين يقولون ذلك يدركون يوميا بروز وتفوق التسليح الأمريكى لإسرائيل، وقال القادة: ولا يعنى ذلك أن الذين يقولون ذلك فى حالة يأس أو إحباط ، بل بالعكس إنهم يدركون إنهم بإرادتهم وإصرارهم قادرون على إلحاق الهزيمة بإسرائيل، حتى ولو كانت متفوقة عسكريا. وفضلت الأقلية تجنب إغضاب محمد فوزى لأنهم يعلمون مدى تعلقه بالروس، وإحساسه أن حبله السرى مربوط وموصول بهم.

فسألنى السادات عن هذه التقارير، فوعدته بإرسال صورة منها إليه.

ويوم الجمعة السابع من يوليو اتصل بى رئيس الجمهورية فى المنزل ، وطلب منى الحضور إليه بالقناطر الخيرية ، فاستأذنت أن أصلى الجمعة أولا، فطلب حضورى فورا والذهاب سويا للصلاة بالمسجد المجاور لقصره فى القناطر.

وذهبت إليه، وتوجهنا معا إلى زاوية قريبة حيث أدينا صلاة الجمعة. وعدنا إلى «الذهبية» الراسية على شاطئ النيل أمام المنزل، وصرف الجميع حتى الخدم.

وبعد أن خرج الجميع أخبرنى أنه أعد لى مفاجأة مدهشة ستسعدنى للغاية لدرجة «أن ابتسامتك ستصل ما بين اذنيك».

فسألته : هل أحضرت لنا القاذفات المقاتلة المطلوبة.. ؟

فقال : لا ... احسن من ذلك بكثير... .

قل لى إذن ، ما هو الخبر السار؟

فقال : «.. أنا موافق على خروج الخبراء الروس من مصر، على أن تكون أنت مسئولا عن التنفيذ ...»

وسألنى عن عدد العسكريين السوفييت بمصر، فسألته : بدورى كم تظن..؟

قال : «حوالى ٤ آلاف ضابط وجندى.»

فضحكت.. فسألنى عما يضحكنى ، فقلت له : « **إنهم حوالى ٢٤ ألف فرد**».

وما أن سمع حتى كست الدهشة وجهه، فطمأنته بأننى أتحمل المسئولية شخصيا، وأن عليه إبلاغ القرار للقادة السوفييت، فأخبرنى بأنه سيلتقى برئيس الوزراء غدا السبت، بعدها سيستدعى السفير الروسى لإبلاغه بالقرار.

وفعلا، استدعى الرئيس السادات السفير الروسى يوم (٨) يوليه، وأبلغه بأن مصر قررت الاستغناء عن جميع المستشارين والخبراء العسكريين السوفييت.

وبعد أن أبلغنى السادات بقراره الخاص بطرد الروس من مصر، سألنى عن موعد وصول الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع السعودى الذى كان مقررا أن يصل مساء نفس اليوم، فأخبرته أنه سيصل فى الخامسة مساء ، وفى السادسة سنبدأ أولى جلسات المباحثات، وبعد ذلك سيحضر حفل عشاء رسمى اخترت مكانه فى نادى الرماية بمنطقة الهرم . فطلب منى أن يرى الأمير سلطان قبل المباحثات والعشاء الرسمى.

وفعلا توجهت مع الأمير سلطان الذى توقف فى القاهرة أثناء عودته من الولايات المتحدة فى طريقه إلى وطنه ، للقاء الرئيس السادات. وخلال الحديث بيننا، لاحظت أن رئيس الجمهورية يريد الانفراد بالوزير السعودى ، فاستأذنت لكى أصلى. وعندما خرجت من الغرفة، سمعت صوت المفتاح وهو يغلق الغرفة عليهما. وانتظرت بعد أن أديت الصلاة حوالى الساعة حتى أنهيا اجتماعهما...



الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي أثناء زيارته لمصر عام ٧٢

وأثناء الطريق من القناطر الخيرية إلى منطقة الهرم قال لى الأمير سلطان: إن أملنا أن تضع كتفك فى كتف الرئيس السادات خلال الفترة القادمة، حتى يحقق الله لكما النجاح.

وتبينتُ من خلال هذه النصيحة، أن رئيس الجمهورية قد أبلغه بقرار إنهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفييت بمصر، بالرغم من أنه طلب منى ألا أبوح لأى فرد بهذا الخبر ولا حتى لقادة القوات المسلحة إلى أن يتم إعلانه رسميا.

وهذا اللقاء فى مثل هذه الظروف جعلنى أتساءل: هل كانت هناك علاقة للأمريكيين بهذا القرار؟ وهل كان للأمير سلطان دور في هذه العلاقة .. ؟

ولا أستطيع أن أقطع بإجابـــة !!

ولأننى أعلم أن كبير الخبراء سيحاول أن يلتقى بى بمجرد معرفته بالخبر، قررت أن أبتعد عن القاهرة، فذهبت لمشاهدة عرضا لقوات الدفاع الشعبى بمدينة المحلة الكبرى، لأتجنب هذا اللقاء.

فبعد إبلاغ الرئيس السادات القرار للسفير السوفيتى ، أصبح دور القوات المسلحة وضع القرار موضع التنفيذ ، لا مناقشة القرار أو محاولة الالتفاف حول المدة المحددة

لرحيل القوات السوفييتية من مصر.

ويوم ١٦ يوليو ١٩٧٢، تحررت مصر تماما من الاحتلال السوفييتى ولكن هذا الرحيل، وما سبقه من إحساس الرئيس السادات بضغوط القوات المسلحة التى أجبرته على اتخاذ هذا القرار، كان يعنى له أن القوات المسلحة خارج سيطرته ، ليس ذلك فقط ، بل هى تحت سيطرة وزير الحربية.

وإذا كان الوزير وهو رئيس أركان قد تمكن من السيطرة عليها وأبقاها خارج دائرة الصراع على السلطة فى ظل وجود الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية، فكيف سيكون الأمر وهو وزير؟

كانت القضية تثير ضيقه بشكل لا يستطيع أن يسيطر عليه. ولم يكن كرئيس جمهورية يقبل باستمرار هذا الوضع.

وكانت زياراته الأخيرة للقوات المسلحة وفشله فى الوصول إليها بكلماته، وكل ما قاله عن تاريخه ونضاله ودوره السياسى قبل وبعد ٢٣ يوليو، لم يفتح له أبواب قلوبهم أو عقولهم، بل كان محبطا له بشكل كبير. وقد قرأ الموقف بعقلية الضابط الانقلابى ، وعبر عنه فى حديثه معى بقوله ، «إن شكل الجيش يشبه شكله عام ١٩٥٢»

ولم يكن السادات بالشخصية التى يمكن أن تثق بالناس، وبالتالى لم يكن ليصدق أن كل ما أفعله لله ولمصر، ولم يكن ليصدق قسمى بأننى لا يمكن أن أخون ثقته، ولا أن أتنكر لمسئولياتى أو لاحترامى للشرعية.

وطوال الشهور الماضية وفكرة التخلص منى تسيطر على السادات ، ولكن الموقف بالنسبة له لم يكن قد نضج بما يكفى. وتسلح السادات بالصبر، ولكن رصيد هذا الصبر قد تقلص بشكل حاد ، بعد قرار إخراج السوفييت من مصر.

فى هذه الأيام بلغت شكوكه مداها، ولم يعد قادرا على احتمال ما هو أكثر.

وكنت فى أعماقى التمس له بعض الأعذار. ولم أكن أتوقع غير المصير الذى نتجه إليه سويا، ولم أكن لأسمح لمثل هذا المناخ أن يؤثر على مواصلة دفع عجلة الاستعداد للمعركة للدوران وبقوة ، فقد كانت المعركة هى الشاغل الرئيسى وبالتعاون مع القادة توصلنا لحلول لكل العقبات تقريبا. واستقر فكر القيادة العامة على خطة عمليات رئيسية، تقبل بإدخال تعديلات عليها لمواجهة أية احتمالات.

وعرف كل فرد دوره ، وواصل التدريب عليه نظريا وعمليا عبر المناورات وبرامج التدريب وخططه. وكنت قد قررت أن يكون التدريب مماثلا للواقع ، واخترنا مناطق على الرياح التوفيقى مشابهة للقناة لإنشاء ساتر ترابى وموانع حصينة مماثلة تماما لما هو موجود على الضفة الشرقية للقناة.

ومن خلال الاجتماعات واللقاءات والزيارات وتقارير المتابعة، واصلت الإشراف على إعداد القوات المسلحة للحرب. وكنت سعيدا بالنتائج التى تحققت وبالحلول العبقرية التى ابتكرتها عقليات مصرية لمشاكل، بدت للجميع مستعصية بل مستحيلة فى البداية.

وكنت أحيط السادات علما بكل ما يتحقق من نتائج ، وكنت حريصا على دعوته باستمرار لمتابعة المراحل المختلفة للإعداد.

وكان الرجل يناقش وبدقة ويستفسر ويخرج سعيدا ، بل بالغ السعادة بأولاده. وكثيرا ما عبر عن فخره بهم وبما أنجزوه.

وكنت أداعبه أحيانا، وأقول له ، بعد أن تمكنت من إعداد القوات المسلحة للحرب، فأننى أرجو أن تختار من بين رجالك من يقودها لتحقيق الانتصار، فيجيبنى بدهاء ، وكيف أعثر على محمد صادق آخر.

ويضحك .. وأضحك معه..

❁ ❁ ❁

اتهامات .. وردود

لم يكن قرار إقالتى الصفحة الأخيرة فى علاقتى بالرئيس السادات ، بل كان مجرد صفحة بالنسبة له ومن الضرورى أن تعقبه صفحات، فلم يكن ليقنع ويشعر بالراحة إلا إذا تخلص منى ماديا ومعنويا ، ماديا بالتصفية الجسدية ومعنويا بتشويه صورتى إلى حد الاتهام بالخيانة أمام الرأى العام.

ولست أدرى هل كان هناك ما يستحق كل ذلك ، أم إنها مشاعر السادات ومخاوفه وافتقاده للإحساس بالأمن.

لقد تركت له الساحة ، وأبلغه عدد من رجاله أننى كنت أعلم بخططه الخاصة بإقالتى وإبعادى، وبالرغم من ذلك ومن قدرتى على التخلص منه، فإننى أفسحت له ليحقق مايريد ولقد سأل السادات كثيرا حتى تأكد من ذلك ، وتأكد أننى كنت على بينة من نواياه منذ فترة ليست بالقصيرة ، ومع ذلك لم يشعر بالهدوء وإذا كانت محاولات قتلى لم يتحقق لها النجاح بالرغم من دقة التخطيط والتنفيذ وذلك بفضل رعاية الله وأن ساعة الأجل لم تكن قد حانت بعد ، فقد اتجه بكل قواه لتشويه صورتى وقتلى معنويا.

وخلال زياراته المتعددة للقوات المسلحة وجه كثيرا من الاتهامات فى خطبه ، وصاحب هذه الكلمات الحادة حملة من التضليل المتعمد المجافى لكل الحقائق. وقد أفادت تقارير المعلومات التى جمعتها المخابرات الحربية وعمليات استطلاع الرأى أن الأغلبية داخل صفوف القوات المسلحة مازالت تحمل لى الكثير من التقدير وأن كل ما قيل لم يغير من هذا الموقف ، وتبين للمسئولين أن محضر اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر، والذى أمرت بكتابته وطبعه وتوزيعه حتى مستويين أدنى بعد انتهاء الإجتماع مباشرة ، قد قرأه الكثيرون ، ومنه علموا حقيقة الموقف وأن رئيس الجمهورية بعد أن أقالنى يحاول كسب التأييد لقراره والظهور بمظهر الحريص على وضع قرار القتال موضع التنفيذ.

وكان اللواء على عبدالخبير ومعه مجموعة من خيرة القادة قد فكروا فى الانقلاب على رئيس الجمهورية ، إلا أنهم تراجعوا وقرروا عدم المضى فى مخططهم ، وبعد أن انطوت صفحة هذه المحاولة ، انهار واحد من ضباط المخابرات الحربية وأبلغ عن المحاولة الإنقلابية ودون انتظار لجمع أدلة خوفا من أن تفلت من الجميع خيوط الموقف تقرر إلقاء القبض على اللواء على عبدالخبير وكل من شارك فى الحديث عن هذا الإنقلاب.

وعندما تبين المحققون أنه لا صلة لى إطلاقا بهذه المحاولة لا من قريب ولا من بعيد جرى الضغط على اللواء على عبدالخبير للزج باسمى ، إلا أنه حاول الانتحار أكثر من مرة فرارا من هذه الضغوط العاتية والمساومة غير الشريفة على بيع ضميره وشرفه وهو القائد صاحب التاريخ المشرف والمواقف النبيلة.

واتجه رئيس فرع الأمن بالمخابرات الحربية للضغط على اللواء أركان حرب محمود عادل وهو واحد من أكفأ ضباط المخابرات الحربية بتهديده بإحضار زوجته فما كان منه إلا أن قال لرئيس فرع الأمن ، إنك تستطيع أن تفعل ذلك ولن يحول بينك وبين هذا الأمر لا صداقة ولا زمالة ولا أى شئ ، ولكن أود أن أؤكد لك أن الفريق أول صادق لم يعلم إطلاقا بما كنا نتحدث بشأنه ، ولم يتصل به أحد منا بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومع هذا فإننى سأطلق زوجتى فى نفس اللحظة التى ستقوم فيها بإحضارها ، ووقتها لن تكون زوجتى وسيصبح لك الاختيار فى أن تفعل ما تشاء.

ومارس المحققون كل المحاولات الممكنة وغير الممكنة بضغط من القيادات الأعلى على الجميع ، إلا أن الفشل كان النتيجة التى توصلوا إليها. ووجد السادات فى هذه المحاولة ما يؤكد مخاوفه من القوات المسلحة ، خاصة وتقارير الرأى العام تحمل له مالا يسره.

وإذا كان للسادات عين على القوات المسلحة فإن عينه الأخرى كانت على الرأى العام، فخطب كثيرا ، وأدلى بأحاديث صحفية كثيرة مرددا نفس الاتهامات التى رددها فى كلماته إلى القوات المسلحة. وشارك فى الحملة عدد من رؤساء تحرير الصحف والمجلات وعدد آخر من الكتاب ، وكنت أتوقع ذلك ، فما أن يتجه رئيس الجمهورية فى اتجاه ما حتى يسير معظم رؤساء التحرير من خلفه مؤيدين ومباركين ومهللين ، وليس فى ذلك أى خروج على المنطق، فرئيس الجمهورية هو الذى يصدر قرارات تعيين هؤلاء الرؤساء، وهو الذى يعزلهم ، حتى لو كان القانون يقول إن الصحف القومية مملوكة للاتحاد القومى أو

للاتحاد الاشتراكى من بعده ، فهذه الملكية ملكية صورية لا يعتد بها ، وليس للمالك أى نفوذ على هذه الصحف. وأمام المزايا والنفوذ والأبهة التى يعيش فيها رئيس التحرير بعد تعيينه ورضاء رئيس الجمهورية عنه ، فإن همه وحرصه الأكبر أن يظل متمتعا بهذه المزايا.

وظللت أتابع حملة الاتهامات الظالمة التى يوجهها السادات لى باستمرار منذ خريف عام ١٩٧٢ دون كلل، والتى واصلها حتى بعد أن حقق انتصار أكتوبر العظيم وسار خطوات على طريق السلام ، واكتسب شرعية جديدة لحكمه سواء بالانتصار أو بالسلام.

ولقد كنت أتوقع أنه وقد قاد القوات المسلحة إلى أول نصر عسكرى فى إطار الصراع مع إسرائيل سيشعر بالاستقرار ويتعالى على تسوية أى حسابات سواء معى أو مع غيرى، إلا أنه خيب توقعى ، فقد استدار إلى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام والرجل الذى سانده للوصول إلى مقعد رئيس الجمهورية بعد وفاة عبدالناصر و وقف بجواره خلال عاصفة مايو ١٩٧١، والرجل الذى كتب له التوجيه الاستراتيجى لمعركة أكتوبر ١٩٧٣، ليعزله من منصبه فى فبراير ١٩٧٤، وقبل أن تمضى ستة أشهر على انتصار أكتوبر ٧٣.

وعندما رأيت أنه يتمادى ويتجاوز كل الخطوط ، وأن صمتى قد يفهم على أنه إقرار بصحة هذه الاتهامات الظالمة والتى لا علاقة لها بالواقع ، قررت الرد عليه داخل مصر وليس خارجها ، وهو فى أوج قوته وعنفوانه وثقته بالنفس وغروره أيضا.

وكانت المشكلة ، من سيرضى أن ينشر ردا على رئيس الجمهورية.. ؟

وكان الرئيس ابتداء من عام ١٩٧٦ قد فتح الباب أمام تكوين الأحزاب ، بتقسيم الاتحاد الاشتراكى العربى إلى ٣ منابر ، منبر لليمين وآخر للوسط وثالث لليسار ، وبعد انتخابات عام ١٩٧٦ تحولت هذه المنابر إلى أحزاب ، وبدأت هذه الأحزاب في إصدار صحف خاصة بها. ثم ظهر بعد ذلك حزب الشعب ومن بعده حزب الوفد.

وبدأتُ أُجري عددا من الاتصالات بحثا عن مساحة أنشر فيها ردودي على رئيس الدولة داخل مصر ورفضت الكثير من العروض المغرية للرد على السادات فى صحف و مجلات عربية أو أجنبية .

وقد أبدى الأستاذ ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل الاشتراكى شجاعة كبيرة لاستعداده لنشر ردى على رئيس الجمهورية ، فى وقت رفضت فيه باقى الصحف المصرية القومية أو الحزبية مجرد استلام ردى خوفا من بطش الرئيس ، فقد كان لهذا

الرد صدى كبير حيث يعتبر أول رد مباشر على ادعاءات السادات من داخل مصر و فى حياته. و قد نشر فى العدد رقم ٥٧ يوم ٢٧ مايو ١٩٨٠ على شكل حديث صحفى تحت عنوان بارز بصدر الصفحة الأولى هذا نصه :

الفريق أول صادق

يدافع عن نفسه .. ويعلن :

الخط الدفاعى كان جاهزا منذ عام ١٩٦٩

رد الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية الأسبق فى حديث خاص «للشعب» على اتهام الرئيس أنور السادات له «بالخيانة» فى خطابه يوم ١٤ مايو ١٩٨٠ أمام مجلس الشعب ، بسبب ما قاله عنه الرئيس وعن أن «ارتفاع الساتر الترابى الإسرائيلى شرق قناة السويس عن الساتر الترابى المصرى غرب القناة مما جعل المواقع العسكرية المصرية مكشوفة وأضعف من إمكاناتنا وقدراتنا الدفاعية» .

فنفى الفريق أول صادق هذه التهمة تماما .. ودلل على ذلك مؤكدا أن الخط الدفاعى المصرى كان جاهزا ومستكملا منذ عام ١٩٦٩ وكانت القوات المصرية مدربة تدريبا عاليا على القيام بهذا الواجب ، ولم يكن هناك أى خطر على هذا الخط ، فقد أقيم بعد دراسة كاملة لكل الاحتمالات وعلى أسس علمية ونتيجة لجهود قادة أكفاء، وكان دفاعنا نشطا فخلال هذه الفترة قامت قواتنا بأكثر من مائة عملية عبور فى أرض العدو ولاستطلاع خطوطه الدفاعية ، وكلها كللت بالنجاح وكانت الأساس الذى رسمت عليه خطة الهجوم والعبور.

وروى الفريق أول صادق : قصة الساتر الترابى فقال : إن القيادة المصرية لجأت إلى إنشاء ساتر ترابى غرب القناة لارتفاع الضفة الشرقية عن غرب القناة ، مما سمح للعدو بمراقبة تحركاتنا غرب القناة ، فكلفت القيادة العامة الوحدات الموجودة فى هذه المنطقة بإنشاء ساتر ترابى حتى يتمكن جنود المواقع الأمامية من ممارسة أعمالهم بدون تدخل من قناصة العدو ولمنع العدو من استطلاع مواقعنا وتحركاتنا بسهولة ، ولجأ العدو إلى نفس الأسلوب .. يدرك كل قائد أن مثل هذا الساتر لا يمثل عقبة رئيسية تمنع الطرف الآخر من الاستطلاع فهناك الأبراج المتحركة والمناظير والبالونات والاستطلاع الجوى والاستطلاع الالكترونى المتعدد الوسائل والإمكانات وكلها استخدمت بمعرفتنا أيضا بنجاح.

وأكد وزير الحربية الأسبق أن أحدا لم يتهاون فى حماية تحركاتنا ومواقعنا غرب القناة من مراقبة العدو ، وقال إنه لو كان ذلك قد حدث فإنها مسئولية القائد المحلى أو القائد المباشر .. ولكن لم يثبت أى تقصير من هؤلاء القادة فقد كانت لديهم الإمكانات التى تسمح بمواصلة إضافة كميات جديدة من الأتربة لرفع الساتر الترابى فى مواجهة أى منطقة يحقق فيها العدو منسوبا أعلى فى ارتفاعها.

وحول ما أشار اليه الرئيس السادات فى خطابه من أنه أعطى مبلغ ٢٠ مليون جنيه لوزير الحربية الذى جاء بعد الفريق أول صادق لاستخدامها فى رفع الساتر الترابى المصرى .. رد الفريق أول صادق على ذلك قائلا : إن الرئيس السادات والسادة القادة أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة يعلمون أننى طلبت هذا المبلغ ، ولكن لاستخدامه فى تجهيز المواقع الابتدائية للهجوم ، فقد كانت القوات المسلحة المصرية آنذاك تستعد للهجوم تخطيطا وتدريبا وإعدادا لمسرح العمليات .. وتجهيز المواقع الابتدائية للهجوم هو جزء من خطة إعداد مسرح العمليات .. وطالما كنا نستعد للهجوم فإن هذا يعنى أننا كنا قد استكملنا دفاعاتنا منذ مدة طويلة قبل ذلك .. ولو شكت إسرائيل لحظة واحدة أنها ستنجح فى اختراق دفاعاتنا ما تأخرت.

وعن الذين قالوا للرئيس السادات إن معنى ارتفاع ساتر العدو الترابى عن ساترنا الترابى يعنى انهيار فى خطوطنا الدفاعية مما أثار خوف الرئيس وقلقه وحرمه من النوم لفترة طويلة، حتى أخبره الوزير الجديد بإتمام رفع الساتر ، أكد الفريق أول صادق أن هؤلاء أخطأوا فى حق السيد الرئيس.

وشرح الفريق أول صادق رأيه هذا قائلا : لقد كان على هؤلاء أن يذكروا للرئيس أن الخطوط الدفاعية تعتمد على مواقع دفاعية مجهزة ومحصنة ، وقد تستند على موانع مائية أو صناعية أو الاثنين معا ، مع حساب كمية الذخيرة فى المتر المربع سواء من الأسلحة الصغيرة أو الهاونات أو المدفعية بأنواعها أو الصواريخ وقذائف الطائرات التى يمكن للقوات إطلاقها أو قصفها لحماية هذه المواقع من الاختراق .. وخلف هذه المواقع تقام مواقع أخرى لصد الاختراق وتعمل من خلالها قوات تسمى بقوات صد الاختراق ثم هناك قوات الهجوم المضادة المتحركة وعلى جميع المستويات ، وبعد كل هذا هناك الاحتياطى العام لسد أى ثغرة يمكن أن تحدث.



آوجـــاع دســـتورية .. !

حتى لا تكون الديموقراطيــة كالطبــل الاجــوف !

الفريق صادق يدافع عن نفسه

ويؤكد ان خـط الدفـاع كان جاهـزا منذ عـام ١٩٦٩

الشعب

يصدرها حزب العمل الاشتراكي

رئيس مجلس الادارة
ابراهيم شكرى
رئيس التحرير
حامد زيدان

١٨ شارع ابراهيم اللقاني ــ مصر الجديدة

معهم فى احلك الخلافات السياسية

٢٦ مايــو .. جــاء وانقضى ؟ !!

ما هو اعظم من بلاء الحكم العسكري ؟

هل نحن مقبلون على منبحة للقضاة والصحفيين؟!

تناقض السياسات الاسكانية لا يخدم القضية

حقــوق الانســان فى امريكـــا

الفريــق صــادق يــدافع لاول مـــرة .. عن نفســـه

وقال الفريق أول صادق : إن كل ما سبق يعنى أنه لم يكن هناك مبرر لقلق الرئيس السادات على خطوطنا الدفاعية ، وأضاف الفريق أول صادق أنه يمكن للرئيس السادات إذا أراد أن يرجع إلى أى أحد من قادة الجيش الحاليين الذين أثق فى كفاءتهم القتالية ومعلوماتهم ووطنيتهم، وكلهم كانوا من القادة الذين تحملوا مسئوليات كبيرة خلال هذه الفترة ، وكانوا على اطلاع كامل بمجريات الأمور وقتذاك.

وللفريق أول محمد صادق كلمة يوجهها إلى الرئيس السادات يقول فيها :

«إن سيادته هو صاحب التمسك بأخلاق القرية.. وقانون حماية القيم من العيب.. فما كنت أتوقع منه أن يقول أنه طرد وزيرا .. هل يجوز له بكل القيم التى يمثلها أن يتحدث عن وزير بهذه اللهجة !!».

إن الوزير زميل يشارك فى حمل مسئولية العمل الوطنى وسواء نجح أو فشل أو رضى عنه الرئيس أو لا .. أو رضيت عنه أو لم ترض أى قوى أخرى على المسرح السياسى فإن من حقه كمواطن أن يخاطب بما يحفظ كرامته وكبرياءه ...

كلمة أخرى للفريق أول محمد صادق يقول فيها : إن المناسبة التى اختارها الرئيس لوصفه بالخيانة وتشديد النكير عليه رغم الصمت والعزلة التى فرضها على نفسه اختيارا منذ إقالته هى مناسبة ثورة التصحيح.

والرئيس السادات يذكر ويذكر معه شعبنا الطيب الأصيل أن الله قد ألهمنى خلال هذه الفترة البالغة الحرج فى تاريخنا أن اختار الجانب الذى أقف معه إلى جانب الرئيس ولأحسم الصراع لصالح الرئيس .. إن الرئيس لم يستخدم هذا اللفظ - الخيانة - ليصف فريق مراكز القوى الذى تآمر عليه رغم أنه فى الذكرى التاسعة للقضاء على مؤامرتهم التى استهدفت نظامه كما لم يصف بالخيانة أيا من هؤلاء الوزراء الذين قدموا للمحاكمة وصدرت بحقهم أحكاما فى قضايا مخلة بالشرف.

فكيف أُتهم أنا بالخيانة رغم كل ما قدمته لمصر..

حمدا لله وشكرا له.. فبفضله اخترت دائما أن أقف إلى جوار الحق. (ختام المقالة)

و كان لنشر هذة المقالة وقع كبير تناقلته وكالات الأنباء تحت عناوين مثيرة منها :

« الفريق صادق يرد على السادات قائلاً: **عيب يا صاحب قانون العيب ...**» .

وفى كتاب «حوارات مع السادات» للأستاذ أحمد بهاء الدين الذى نُشر فى مجلة المصور فصولا منه وردت اتهامات من الكاتب بحقى دون سند من الواقع أو الحقيقة ولم يكن ممكنا أن أترك ما قاله أحمد بهاء الدين بدون رد لخطورته خاصة وأن للكاتب قراء يتابعون كتاباته ويتأثرون بها.

وكتبت الرد وأرسلته لرئيس تحرير المجلة وتم نشر الرد بالعدد رقم ٣٢٣٨ الصادر صباح يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٦. وقبل أن أعيد كتابة ردى ، أرى من الضرورى نشر ما قاله الأستاذ بهاء فى حواره مع السادات تحت عنوان:

«ماذا قال الفريق صادق ؟»

وقلت له : سيادة الرئيس ، إننى لن أدافع عن نفسى فى هذا الموضوع ولكننى أريد أن أدافع حتى عن أصغر طالب جامعى خرج فى المظاهرات وهتف ضدك مقتنعا بأنه لن تكون هناك معركة.

ونظر إلى السادات وهو ينفث دخان غليونه فى دهشة وترقب واستطردت قائلا : « كان لديك يا سيادة الرئيس قائد عام للقوات المسلحة ونائب رئيس وزراء ووزير دفاع اسمه الفريق محمد صادق وكان يأخذ فى الحياة العامة والصحف ووسائل الأعلام حجما أكبر من ذلك أيضا .. الفريق محمد صادق كان يزور معسكرات الجيش ويتكلم مع الضباط والجنود ويقول لهم إنه لن تكون هناك معركة .. وأنه ليس لدينا أى سلاح.. وأن الروس لا يريدوننا أن نحرر أراضينا .. ولو كان هذا الكلام عن استبعاد المعركة أتى من وزير إعلام أو من وزير خارجية لقلنا إنها سياسة .. ولكن هذا كلام يقوله القائد العام العسكرى ويقوله لجنوده وضباطه، فهو لا يمكن إلا أن يؤخذ على مأخذ الجد ، قائد الجيش ياسيادة الرئيس حتى ولو كان يعرف أنه لا يملك طلقة واحدة عليه أن يكذب على رجاله ويرفع روحهم المعنوية ويزعم لهم أنه مدجج بالسلاح ، فكيف نصدق أن يقول العكس ؟ هذا الكلام ياسيادة الرئيس كان ينتشر في كافة الأوساط وخصوصا بين المتعلمين وشباب الجامعات سبب وضعا جديدا وهاما وهو امتلاء هذه المعسكرات بالمجندين خريجى الجامعات لأول مرة وقد سمعت شخصيا هذا الكلام من شباب كثيرين فى المعسكرات وأثق فيهم تماما.

«اسمح لى ياسيادة الرئيس أن أقول بكل صراحة أننى اقتنعت فعلا أنه لن تكون هناك معركة مهما حدث .. فما بالنا بآلاف الشباب والطلبة والمثقفين فى كل المجالات ؟».

«إننى مرة أخرى أرجو أن تعتبر كلامى هذا دفاعا عن نفسى وعن كل شاب خرج إلى الشارع فى المظاهرات».

ألقيت بهذا الكلام فى مرافعة متكاملة طويلة دون سابق إعداد ولكن من معرفتى بالسادات قررت أن أضع الحقائق كلها «على بلاطة» طالما أننى أقولها بأسلوب مهذب ومستند إلى منطق.

واحتقن وجه السادات ..واحتسى عدة رشفات من كوب شاي ونفث الدخان من غليونه عدة مرات .. ثم قال بعد فترة صمت وهو يهز رأسه : «الفريق صادق .. لو أننى أردت أن أرسل الفريق صادق إلى محكمة عسكرية لحكمت عليه بالإعدام ولكنه بعد

أكتوبر المجيد والسمعة التى أحرزها الجيش المصرى ، لا أريد أن ألطخها بمثل هذه المحاكمة .. وصمت وحدق فى الأفق وسكت.

بدورى لا أسأل ولا أناقش ولا أحاول استدراجه إلى أن يقول ما كان باديا أنه لا يريد أن يقوله ، وصفق بيديه ، وطلب من الشخص الذى حضر أن يبلغ «الست» أن تعد لنا الغداء بعد حوالى نصف ساعة.

قلت له بنبرة رضاء وتهدئة : ماسمعته اعتبره حكما بالبراءة ، وشرع من جانبه فى أسئلة وأحاديث شخصية ودردشة عامة ، وعاد يخاطبنى بلهجة ودية عن بعض تصوراتى لردود أفعال «أصحابك بتوع البلاد العربية» بعد الحرب.

واختارت المصور أن تنشر ردى تحت العنوان التالى :

الفريق صادق فى تعليقه على حوارات السادات وبهاء...

فى الأسبوعين الأول والثانى من أكتوبر ١٩٨٦ صدر فى مجلة المصور وبعض الصحف العربية الفصل الرابع من كتاب الأستاذ احمد بهاء الدين «حوارات مع السادات».

وفى سطور يقول عنها الأستاذ بهاء أنها كانت مرافعة كاملة طويلة دون سابق إعداد، دافع فيها الأستاذ بهاء عن نفسه ضد اتهام السادات له «بأنه كان ضده سنه ١٩٧٢ فى وقت كان السادات فيه - فى عز الإعداد للمعركة - ووقف الأستاذ بهاء مع الذين قالوا بملء الفم أنه ليس هناك معركة».

ودافع الأستاذ بهاء عن نفسه وكما يقول دافع أيضا عن الطلاب المتظاهرين ضد السادات بكلام «دون سابق إعداد» كما يصف نفسه بكلام بعيد كل البعد عن الحقيقة وهذا تعبير مهذب لما كان يجب أن يوصف به كلام لا يستند إلى أى دليل.

ورد عليه السادات كما قال «بأنه كان يود محاكمتى والحكم عليّ بالإعدام..» وفى ردى هنا سأرد ردا موضوعيا بأحداث حدثت ومسجلة فى الوثائق الرسمية ومعروفة للجميع وهو رد - كما سيرى الأستاذ بهاء - «معد ومدروس».

١ - ذكر السادات أنه كان فى عام ١٩٧٢ فى عز الإعداد للمعركة : .. فلماذا تجاهلت يا أستاذ بهاء هذه الجملة عمدا ؟ وإذا لم تكن عمدا .. فماذا تكون ؟ لأننى كنت المسئول عن القوات المسلحة كوزير للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة فى ذلك الوقت ، وفى وقت سابق كرئيس لأركان القوات المسلحة .. فهل تصورت أن السادات كان يستعد ويعد للمعـركة من وراء ظهرى وبقوات مسلحة أخرى غير القوات التى أتحمل مسئوليتها ؟

٢ - ثم هل لى أن أسأل الكاتب لماذا تكتب بعد هذه السنوات الطوال وبعد وضوح الرؤية ومعرفة أن من تسلم المسئولية من بعدى فى أكتوبر ١٩٧٢ وحتى بدء القتال فى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن ليستطيع أن يعد القوات المسلحة خلال عام واحد للمعركة وبالشكل والمستوى والروح والتدريب والخطط التى عبرت بها ؟

٣ - لن أقول لك أن كتابة هذا الكلام وبهذا الأسلوب فيه تصفية حسابات قديمة ، ظنا أن هذا يرضى الاتحاد السوفييتى ولكننى سأوضح لكم وللقارىء الآتى :

ألا تعلم يا أستاذ بهاء أننى وقت أن كنت مديرا للمخابرات الحربية وبمبادرة شخصية منى شكلت مجموعة قتال من المتطوعين من ضباط وجنود المخابرات الحربية انضم إليها فيما بعد أفراد من الصاعقة والضفادع البشرية وكونت منها بعد ذلك المجموعة ٣٩ قتال وعهدت بقيادتها إلى ضابط المخابرات الشهيد البطل إبراهيم الرفاعى، وبدأت هذه المجموعة العمل المباشر بعد انسحاب القوات المصرية من سيناء ١٩٦٧، وتوالت عملياتها التى امتدت من «رأس محمد» جنوب سيناء إلى خليج السويس وعلى طول قناة السويس ، وقد كانت تلك العمليات نواة عمليات الاستطلاع بقوة لمواقع العدو وسهلت فيما بعد وضع خطط العبور بدقة؟

ولم تكن جميع هذه العمليات القتالية من صلب واجباتى الأساسية ، ولكن كان الهدف الأساسى منها : رفع معنويات القوات المسلحة والقضاء على أسطورة تفوق الجندى الإسرائيلى وتشجيع باقى قوات الدفاع المصرية على الاقتداء بالمجموعة ٣٩ وقد تم ذلك فعلا بنجاح. ومن ضمن أهداف هذه العمليات تكبيد العدو الإسرائيلى أكبر خسائر ممكنة وزيادة حجم قواته ومضاعفة إجراءات حماية خطوطه ومواقعه مما يجعل إقامته فى الضفة الشرقية للقناة عملا مكلفا وصعبا.

٤ - ألا تعلم يا أستاذ بهاء وأنت وثيق الصلة بالقيادات الفلسطينية حقيقة الدور الذى قامت به مصر وتشرفت بتحمله وذلك بتدريب وإعداد عناصر المقاومة الفلسطينية لقيامها بواجباتها فى مواجهة العدو ؟

٥ - ألا تعلم ، وألم تقرأ يا أستاذ بهاء عن عملية الأسطول المصرى الذى قام بضرب مناطق الاحتلال الإسرائيلى على الساحل الشمالى لسيناء مما كان يعتبره بعض المسئولين مجازفة جريئة ، لقد قمت بذلك بفضل من الله وتوفيقه ، وبالتنسيق مع اللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية وبمعاونة القوات الجوية التى ساهمت بطلعات فردية وانتحارية لتغطية الأسطول البحرى المصرى أثناء عملياته ؟

٦ - لقد وفقنى الله سبحانه وتعالى فى عمل كمائن لطائرات العدو التى كانت تعربد فوق قواتنا وفى العمق ولم يكن قد تم إنشاء حائط الصواريخ المشهور ، وعملت قواتنا وكتائبنا للدفاع الجوى فى أرض مفتوحة بدون أى تحصينات، وأظنك تذكر أسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية فى الأسبوع الأخير من يونيه ١٩٧٠ والذى أسقطنا فيه باعتراف العدو ١٢ طائرة وأسرنا من بقى حيا من طياريها وأصبح يوم ٣٠ يونيه عيدا لقوات الدفاع الجوى. ولا يفوتنى هنا أن أشيد بكفاءة وشجاعة رجال الدفاع الجوى وعلى رأسهم الفريق محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى فى هذا الوقت.

٧ - ألا تعلم يا أستاذ بهاء أن تاريخ احتفال محافظة البحر الأحمر القومى هو تاريخ إجلاء القوات الإسرائيلية عن جزيرة شدوان والذى اشتركت فيها القوات البحرية والجوية والصاعقة ؟ وكنت فى هذا الوقت أقود القوات المسلحة لوجود كل من الرئيس عبدالناصر ووزير الحربية فى الاتحاد السوفييتى وبذلك كان الرئيس السادات هو رئيس الجمهورية بالنيابة فى هذا الوقت وفى أثناء عملية إسقاط الطائرات السابق ذكرها.

إذا كان السادات قد نسى هذا كله أو تناساه وأنت كذلك فقلتما ما قلتما سامحكما الله، فهل لم تعلم أيضا بعمليات إغراق السفن الحربية الإسرائيلية فى ميناء إيلات بواسطةالضفادع البشرية ورجال المخابرات الحربية ثلاث مرات فى توقيتات مختلفة متتالية ، وهذه العمليات لو أتيح سرد تفصيلاتها لظهرت مفاخر عديدة للقوات البحرية المصرية ؟

٨ - جميع العمليات - قد ذكرت جزءا يسيرا منها - كانت تتم بدون إبلاغ أى شخص محافظة على السرية وضمانا للنجاح ، وأذكر أن الرئيس عبدالناصر اتصل بى تليفونيا يوم عمليات إغراق السفن الأولى ليسألنى كيف تمت فرجوت سيادته الانتظار لحين عودة الرجال ، وقد تقبل ذلك بروح عظيمة وتفهم ما أقصده .. لقد كان زعيما صادقا.

٩ - الرئيس السادات يعلم تماما بجهودى وجهود القيادات التى كانت تعمل معى فى سبيل الإعداد للمعركة من تدريب وتخطيط وتجهيز لما يلزم للنجاح ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر عندما كان صعبا شراء طائرات توازى الطائرات الأمريكية الإسرائيلية فقد وفقت للحصول على موافقة السعودية والكويت لإمدادنا بعدد ثمانين طائرة «لايتنج» وإدخال التعديلات اللازمة عليها وتدريب طيارينا عليها كما وفقت مع العقيد القذافى فى

إمدادنا بطائرات «ميراج» التى حصل عليها من فرنسا وأرسلنا طيارينا للتدريب عليها.
رحم الله الملك فيصل وأمير الكويت فقد كانا زعيمين صادقين.

جميع مصاعب العبور من فتح ثغرات فى الساتر الترابى وإزالته وخلاف ذلك من عقبات مثل استخدام العدو للنابالم فى مياه القناة تم التغلب عليها بفضل من الله ، فعلى سبيل المثال أحضرنا طلمبات المياه النفاثة وأجرينا عليها التجارب وأخفينا ذلك عن الجميع وكانت من مفاجآت عمليات العبور العظيم.

هذا كله جزء صغير مما يسمح به الموقف الآن فى مجال الرد عليكم ..

فماذا تسمى هذا كله ؟

ولقد كان السادات يعلم الكثيرعن هذا الاستعداد .. أليس هذا ما يسمى بالاستعداد للمعركة ؟

لقد كانت جميع القوات تعلم وتشترك فى هذا التدريب الجاد القوى وتعرف أننا نستعد لاقتحام وعبور المانع المائى كأصعب مراحل المعركة. ولقد رأى العالم جميعه نتيجة هذا التدريب والإعداد فى السادس من اكتوبر.

لقد هاجمنى السادات بعد خروجى عدة مرات وفى مناسبات عديدة وكان آخرها خطبته أمام مجلس الشعب فى مايو ٨٠ ، وادعى أن ارتفاع الساتر الترابى شرق القناة فى منطقة من المناطق أعلى من الساتر الترابى غرب القناة مما يجعل المواقع المصرية مكشوفة لأن هذا كان يؤثر على خطة الدفاع ، وقد رددت عليه فى جريدة الشعب المصرية فى حينه وأفهمته أن ما يقوله ويدعيه خطأ عسكرى كبير بل هو خطأ مضحك وشرحت له معنى الموقع الدفاعى والمعركة الدفاعية ومعنى الإعداد للهجوم وفندت أقواله ..

وقد أمسك عن الكلام فى هذا الموضوع ولم يعد إلى مثل ما قاله حتى وفاته غفر الله له.

هل بعد كل ذلك تدعى علي أننى قلت أنه لن تكون هناك معركة ؟

كيف أقول هذا لقوات تشارك فى التدريب اليومى وتستعد للعبور .. أظن من الواضح أن كلامك غير منطقى ومتجن بشكل يدل على إصرارك على الفهم الخطأ.

إذا كان الموقف غامضا وقتها لديك فهل هو غامض أيضا حتى تكتب ما كتبته الآن أم هى شهوة التحطيم ؟

ومما استرعى انتباهى أنك تقول أنى قلت للجنود بأنه ليس لدينا سلاح ، كيف والأسلحة معهم وفى معسكراتهم التى أزورها .. كيف أقول ذلك ؟

لقد قلت فعلا في بعض الاجتماعات - وكان يحضرها الخبراء السوفييت - إنه ينقصنا بعض المعدات والأسلحة استعدادا للمعركة ، وكنت أقصد من ذلك الضغط على السوفييت لتأييد موقف الوفد المصرى الذى أرسلته لإحضار السلاح. لقد واجهت كثيرا من اختلاف وجهات النظر بينى وبين القادة السوفييت، ولم يمنع هذا أبدا من احترامى لهم فهم الذين وقفوا معنا وأعادوا تسليحنا بعد ١٩٦٧ واشتركوا فى تدريبنا ، وكنت دائما أتفهم وجهة نظر السوفييت كقوة كبرى لها التزاماتها وأهدافها.

ولم يكن هذا التفهم يمنعنى من الوقوف مع وطنى لو تعارضت أهدافنا مع أهداف السوفييت.

لم تكن اخلاقياتى فى أى وقت تسمح بأن أكذب على أى فرد فى القوات المسلحة أو أضلله بدعوى رفع روحهم المعنوية ، وليكن فى علمكم أن الجنود والضباط شباب مصر يعلمون ويقرأون ويتفهمون كل شئ وأن إخفاء الحقائق عنهم جريمة لا تغتفر وليست سياسة كما يدعى البعض.

هل كنت تريد أن أكون نسخة من الرئيس السادات فى الكلام عن عام الحسم وادعاء أن السوفييت يمدوننا بكل ما نطلب ولم يرجع إلي السادات قبل إطلاق ادعاءاته عن عام الحسم والضباب وخلافه من المبررات التى كان يدلى بها ؟

لم أكن أنا السبب كما تدعى في مظاهرات الطلبة بل هى تصريحات الرئيس السادات اللا مسئولة ، وقد كان يؤمن بالسياسة الميكافيلية مثلما جاء في أقوالك ، ولمعلوماتك فإن جميع الأحاديث التي أدليت بها مع الضباط والجنود مسجلة وكان يحضرها الخبراء السوفييت ومن المؤكد أن السادات كان لديه دائما نسخة منها ، فلماذا لم ينشر هذا الكلام إذا كان ما قلته أنت صحيحا ؟

ويوم تظهر مذكراتى سيعلم الأستاذ بهاء وغيره كل كلمة قيلت في آخر مقابلة بينى وبين بريجينيف في أول شهر يونيه ١٩٧٢ والتى استمرت٣ ساعات وسيعلم أن السوفييت يعرفون من هم الوطنيون حقيقة ومن هم العملاء ، إن المتمركسين في مصر للأسف هم الذين لا يفهمون الحقيقة أو يظنون أنهم يرضون الاتحاد السوفييتى بأقوالهم وكتاباتهم.

كلمة صغيرة فى أذنك يا سيد بهاء مادمت تسمع كثيرا : هل سمعت بعض ماقاله السادات فى لحظة تجل عن كمية الذخيرة التى دخلت بها مصر الحرب فى ٦ أكتوبر ؟

وهل تعلم كمية الذخيرة المطلوبة للقتال وخاصة فى الهجوم ليوم واحد ؟

حسبما قاله السادات فلم تكن هناك ذخيرة تكفى إلا لثلاثة أو أربعة أيام قتال ، وبعدها كانت ستصبح الأسلحة قطع حديد خردة. هل الحروب الحديثة مغامرات بأقدار الأوطان والشعوب ؟ ألم يكف فى الحروب السابقة جهل القادة الذين أضاعوا مجهود الجندى المصرى الممتاز الشجاع بالجهل والفهلوة ؟

قد يكون موضوع الذخيرة وهو أهم الأسباب لعدم تنفيذ الخطة التي كانت موضوعة ومدروسة جيدا لتدمير قوات العدو وتحرير سيناء ، وقد تكون أحد الأسباب الرئيسية لعدم مهاجمة الثغرة وسدها وترك الجيش الثالث يعزل مما مكن المغامرين الإسرائيليين من الوصول إلى طريق السويس - القاهرة. وليس الآن وقت البحث فى أخطاء ما حدث.

ثم أخيرا يا سيد بهاء هل لديك موازين خاصة لمعرفة مايستحقه أى مسئول من حجم إعلامي فى الحياة العامة أو وسائل الإعلام ؟ هل تستطيع بموازينك أن تقول ما هو الحجم الذى تقول أنه أكبر من حقى ؟

فالكل يعرف محليا وعالميا مدى إعجاب السادات بنفسه ورغبته الدائمة في أن يكون محط أنظار الصحافة العالمية ومحطات التليفزيون وجميع وسائل الإعلام لتقول أخباره ليل نهار وما كان ليقبل بأى شكل أن ينافسه أى شخص فى هذا .. فهل كان وصفك لى بهذا الوصف أمامه بريئا ساذجا أيها الكاتب الكبير .. أم كان هدفك «تسخين» السادات ضدى ؟

وحتى أؤكد كلامى عنك فأنت تعرف كما يعرف كل من عاصر فترة مابعد ٦٧ أن أخبار القوات المسلحة كانت الشغل الشاغل للجميع ، وأن أى أخبار عن نجاح أو انتصار كانت تفرح الشعب وتقوى أملهم وعزائمهم وتقرب من يوم النصر.

ولهذا كان المسئول عن القوات المسلحة فى هذه الأوقات محط أنظار عامة الشعب وخاصتهم فليس غريبا أن تركز وسائل الإعلام على نشاطات القوات المسلحة وتحركات وأقوال المسئولين بها وعلى قمتهم وزير الحربية والقائد العام ، فأى غرابة إذن فى أن يكون حجم الاهتمام بوزير الحربية كبيرا فى مثل هذه الظروف ؟ وبما أن الموضوع واضح جدا حتي للصحفى المبتدئ وليس للكاتب الكبير مثلك ، فأظن أن الاستنتاج من كلامك عنى بهذا الأسلوب وفى الوقت الذى كنت تقف فيه مع السادات يكون واضحا ويكون

وصفى لموقفك وكلامك بأنه كلام لإرضاء السادات على حساب الحقيقة والوطن صحيحا أيضا.

وإنى لآسف لعلامات الاستفهام الكثيرة التى حفل بها ردي عليك وكان الأولى بالرد كله أن يكون علامة استفهام كبيرة واحدة تشمل حوارك مع السادات.

يا سيد بهاء سأقول لك عن سر لم يصبح سرا منذ زمن ، ولكنه قد لا يكون قد وصل إليك أو وصل إليك وتتغاضى عنه نظرا لأنه يوضح الكثير مما خفى.

والموضوع الذى سأذكره قد يكون فيه السر الذى من أجله خطط السادات - وأعوانه - ليتخلص منى بعد أن اعترضت على قراره ، وكذلك السر الذى من أجله هاجمنى الكثيرون من اليساريين فى مصر.

فقد طالبتنا القيادة السوفيتية بإلحاح متواصل بالحصول على قواعد برية وبحرية وجوية مقننة فى شكل اتفاقيات وذلك فى مرسى مطروح ، الأسكندرية ، سفاجا ورأس بناس بالبحر الأحمر وتكون هذه القواعد مقفلة عليهم.

ولقد كنت بحكم منصبى فى هذا الوقت طرفا فى هذه المحادثات التى تجرى بين القيادتين المصرية والسوفيتية ، وأمام إلحاح السوفيت وبحكم أنهم الدولة التى نعتمد عليها فى التسليح ولا بديل لها وأى حل للقضية الفلسطينية يحتاج إلى معونتهم ، وافق الرئيس السادات على مطلبهم. ولقد اعترضت بشدة وخلال عدة جلسات معه على ذلك ، وحاولت إقناعه بأننا أضعنا عمرنا كله فى التخلص من الإنجليز ولا داعى لإحلال احتلال جديد بدلا من احتلال قديم. وكان رده بأن ذلك يختلف وأننى أستطيع التخلص منهم فى أى وقت وطبعا كان كلاما غير دقيق.

فالسوفييت كدولة عظمى لايمكن أن يخرجوا من هذه القواعد بهذه البساطة التى يتحدث بها وضربت له مثلا بالقاعدة الأمريكية الموجودة فى كوبا ولم يتم استردادها حتى فى عهد كاسترو الشيوعى وقلت له إنه لا يمكن تحرير أرضنا أو حل المسألة الفلسطينية بسبب الاستقطاب الحاد الذى سيعقب ذلك فى المنطقة إذ ستقف أمريكا بكل ثقلها وعلانية بجوار إسرائيل.

ولم يقتنع السادات بهذا وقال لى أنت قائد عسكرى عبقرى ، ولكن أنا عبقرى أيضا فى السياسة واترك لى هذا الموضوع فاعتذرت وأبديت استعدادى للاستقالة.

وقد عجلت بموضوع مرسى مطروح مع العقيد القذافى من أجل استخدامها للتدريب المشترك لقواته وقواتنا مما جعل المنطقة غير صالحة لعمل قاعدة عسكرية بعد أن شغلت جميع المعسكرات كما أوقفت العمل فى ميناء مرسى مطروح العسكرى بعد أن كنت أعمل فيه بجدية.

وكانت مطروح بالنسبة للسوفييت أهم منطقة لصلاحيتها كميناء للأسطول ولوجود مطار يمكن استخدامه لجميع أنواع القاذفات ووجود معسكرات تصلح لإقامة سبعة آلاف جندى. وكان القادة المصريون على علم بهذا الخلاف، ووضح للسادات أننى لن أكون راضيا أو موافقا على أى تفريط فى أرض مصر. وبعدها بدأ التخطيط الجاد من السادات وأعوانه للتخلص منى وهذا موضوع سيأتى بالتفصيل فى مذكراتى.

يا سيد بهاء لقد اضطرنى عدم صحة حديثك وأسلوبك وتعليق السادات الذى تقول إنه قاله لك أن أرد عليك وأنا كاره أن اشترك فى مثل هذه المهاترات. إن القائد الذى قلت للسادات عنه «كان عندك قائد عام ونائب رئيس الوزراء و وزير دفاع أسمه محمد صادق» متجاهلا دوره وتاريخه، لن يضيره أو يقلل من قيمته، ما تكتبه أنت أو غيرك فهذا الشعب لديه حاسة يستطيع بها دائما أن يعرف الحقيقة.

لقد أبعدت القوات المسلحة عن التيارات السياسية المختلفة سواء فى صراع مايو ١٩٧١ أو انحيازهم لليمين أو لليسار حتى يركزوا قدراتهم لاسترداد شرف وطنهم وترابه، والحمد لله، لقد وفقنى الله دائما والتاريخ لا يزور، والشعب يعلم الحقيقة، ولن يكون قولك أو كتابتك أو كلام السادات هو موضع الحكم عليّ.

هل ترى أنى كنت استحق «المحاكمة والإعدام» كما قال لك السادات.. ؟

ولماذا لم يحاكمنى ويعدمنى.. ؟

يا سيد بهاء، كل ما قلته وما عملته للقوات المسلحة معروف ومسجل فى وثائق، وكل من خدم فى هذه الفترة يذكره حتى الآن، ويعرف مدى حبى لوطنى، فلم أكن ولن أكون متسلقا لا لليمين ولا لليسار حتى أرضي هذه الدولة أو تلك أو عملاءها فوق أراضينا وأنا لم أكن أنتظر من السادات الذى أعلم كل صغيرة وكبيرة عنه من أيام الدراسة إلا ما حدث أو أكثر، ولكن ما أحزننى هو ما أكتشفته أخيراً في شخص كنت أحترمه. [(*)٨]

فريق أول

محمد أحمد صادق



٨[(*)] حسم الرئيس حسنى مبارك فى حديثه المهم الذى أجراه معه الأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال ورئيس تحرير **مجلة المصور ونشره بالعدد ٤٠١٩ الصادر يوم ٢ شعبان ١٤٢٢ ، ١٩ أكتوبر ٢٠٠١** كل خلاف حول موقف القادة من الحرب خلال اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ ، والذى انتهى بإقدام الرئيس السادات على إبعاد كل من الفريق عبدالقادر حسن نائب وزير الحربية والفريق محمود فهمى عبدالرحمن قائد القوات البحرية واللواء على عبدالخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية ، ثم إقالة الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة.

ولتبرير هذه القرارات ، أطلق الرئيس السادات حملة بالغة الشراسة ضد الفريق صادق والقادة الذين أبعدهم ، استند فيها إلى أنهم جميعا كانوا ضد الحرب ، وأنهم تقاعسوا فى الإعداد للمعركة.

نقول حسم الرئيس حسنى مبارك كل خلاف حول هذه القضية فى هذا الحديث الصحفى المهم ، فعندما سأله الأستاذ مكرم محمد أحمد قائلا :

- سيادة الرئيس ، ما هى الأسباب التى جعلتكم تساندون موقف الرئيس السادات فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ وهو يؤكد على ضرورة أن تخوض مصر الحرب بما فى ايدى قواتنا المسلحة من أسلحة شحيحة ، قياسا على حجم الإمدادات الأمريكية للإسرائيليين، بينما عارض عدد من أعضاء هذا المجلس هذا التوجه ، أو أبدوا تحفظاتهم خوفا من نتائج الحرب؟
- الرئيس مبارك : " المعلومات غير صحيحه لأننى لم أسمع اعتراضا من أى من الموجودين ، قد يكون البعض قد أبدى بعض التخوف لكننى لم أسمع اعتراضا واضحا ، كما أن الحرب كانت ضرورة لأننا كنا قد وصلنا إلى مرحلة حرجة بعد خروج الروس من مصر ، ولا يوجد أحد يمدنا بالسلاح ، والفرصة الوحيدة أمامنا فى هذه الفترة إما أن نحارب ، وإما أن يزداد الموقف سوءا لأن الأسلحة سوف تحتاج إلى المزيد من قطع غيار وبالتالى لن نستطيع الحرب.
- فهذا غير صحيح ولم أسمع أن هناك من كان يرفض دخول الحرب.
- وقتها كان الفريق أول صادق وزيرا للحربية وقد أبدى بعض القلق ليس خوفا من الحرب ولكنه كان يخشى من عدم القدرة على تدبير إمدادات للسلاح ، صحيح أن بعض القادة كانوا غير متحمسين لقرار الحرب فى ظل نقص الإمدادات ، لكن لم يكن هناك اعتراض على الحرب بمعنى الاعتراض. "

ويكتسب حسم الرئيس مبارك للخلاف ثقله من مكانة الرئيس وتاريخه وباعتباره كان قائدا للقوات الجوية وقد حضر الاجتماع بهذه الصفه ، واستمر يتحمل مسئولياته العسكرية إلى أن اختاره الرئيس السادات نائبا له عام ١٩٧٥.

وبصفته كشاهد للأحداث ومعاصراً لها ومشارك رئيسى فى صنعها ، فإن قوله هنا هو القول الفصل.

ونحمد الله أن قيض الرئيس مبارك لقول الحقيقة ، وحتى ولو كان ذلك بعد مرور حوالى ٣٠ سنه على هذا الخلاف ، خاصة وأن أقلاما كثيرة خاضت فى هذه القضية انتصارا لموقف السادات.

((أسرة الفريق أول محمد أحمد صادق))

عندما طلبت إلى الوزير الصديق صفوت الشريف معاونتى فى إقناع الرئيس مبارك بأن تحظى «المصور» بحديث خاص منه فى مناسبة مرور عشرين عاماً على ولايته، نتوقف فيه عند بعض المحطات المهمة فى رحلة العطاء التى قدمها لمصر، رد الوزير صفوت..، سوف أبذل ماأستطيع، ولو أن جدول الرئيس مزدحم هذه الأيام بعدد كبير من اللقاءات، التى تحددت مع عدد من وكالات الأنباء ومحطات التليفزيون العالمية.

جاءنى رد الوزير صباح السبت الماضى، ليقول لى، إن الرئيس قد حدد لك موعداً فى العاشرة والنصف من صباح الأحد فى حدود ٤٥ دقيقة بعد لقائه مع التليفزيون الإسرائيلى وقبل لقائه مع اتحاد الصحفيين العرب.

يوم اللقاء..

فى مكتبه بقصر الرئاسة كان الرئيس كريماً معى عندما قبل أن يمتد الحوار نصف ساعة أخرى حتى أفرغ من كل الأسئلة التى أحملها، خصوصاً أننى بدأت الحوار من نقطة زمنية بعيدة، نهاية يوليو عام ٦٩ عندما استقبل الرئيس الراحل جمال عبدالناصر فى مكتبه الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية يومها ويرفقته العقيد طيار محمد حسنى مبارك الذى تقرر ترقيته استثناءً إلى رتبة العميد كى يتولى منصب رئيس أركان القوات الجوية ليعيد تنظيم السلاح الذى ضرب وهو رابض على أرض المطار صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧.

ومنذ هذا التاريخ وحتى الأحد الرابع عشر من أكتوبر عام ٢٠٠١، طاف الحوار مع الرئيس مبارك بعدد من القضايا والقرارات والمواقف التى تشكل علامات بارزة على مسيرة العطاء التى قدمها لوطنه، بهدف استجلاء بعض الحقائق أو الكشف عن بعض الأسرار أو تقديم موقف مهم فى أبعاده الحقيقية بعيداً عن روايات متناقضة صدرت فى كتب ومذكرات عديدة دون تمحيص جاد.

الرئيس مبارك فى حوار مع مكرم محمد أحمد حضره الوزير صفوت الشريف

كشف الرئيس مبارك فى حديثه عن حقيقتين جديدتين فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات.

أولاهما: أن الرئيس الراحل كان قد قرر إعادة النظر فى قوائم إعتقالات سبتمبر، بعد أن تأكد له أن أطرافاً عديدة قد تدخلت لتضم إلى قوائم المعتقلين خصوماً لهم، لم يكونوا يشكلون أى خطر على أمن مصر، وشكل لهذه المهمة لجنة يرأسها نائبه حسنى مبارك.

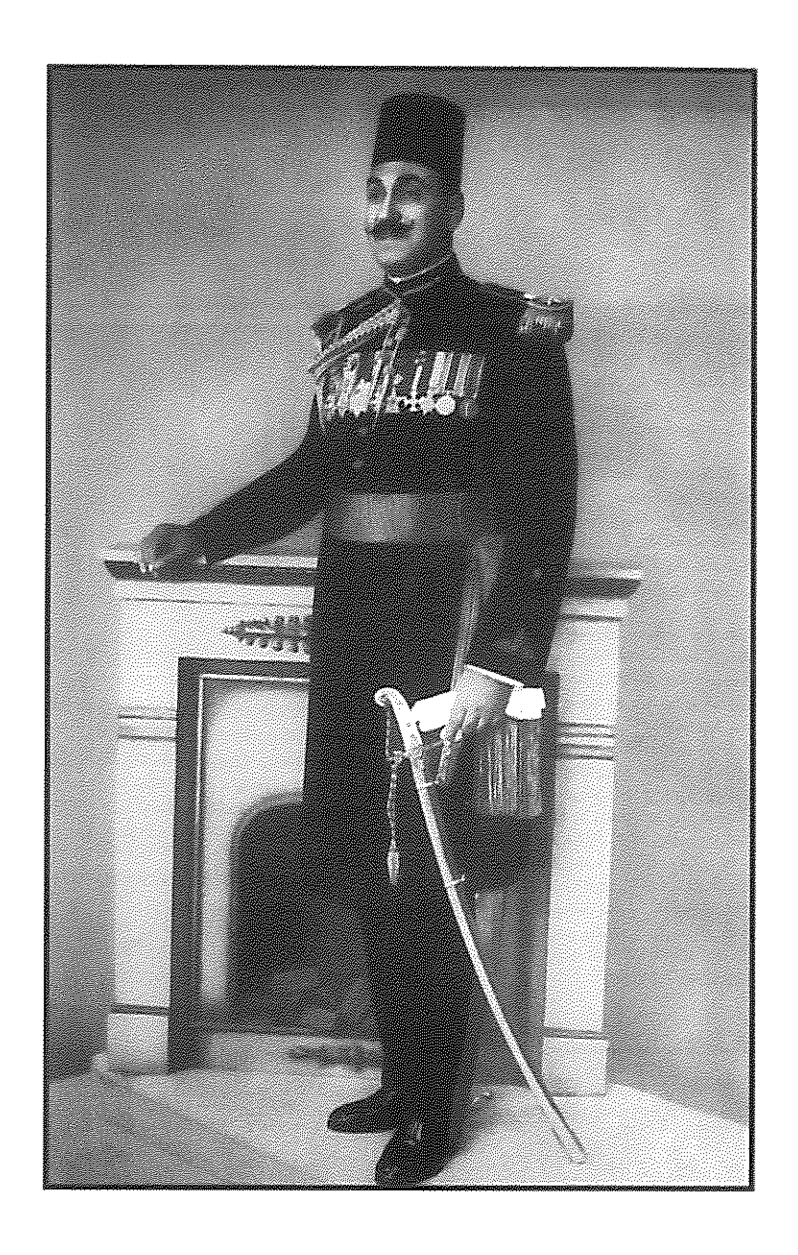
الحقيقة الثانية، أنه ليس صحيحاً أنه كان هناك من اعترض على الحرب فى الاجتماع الشهير للمجلس الأعلى للقوات المسلحة والذى رأسه السادات قبل أكتوبر عام ٧٣

صحيح أن الفريق أول [illegible] وزير الحربية الأسبق وقتها كان [illegible] القلق خشية أن تتلف امدادات السلاح

مجلة المصور عدد ٤٠١٩ بتاريخ ١٩ أكتوبر ٢٠٠١

حديث الرئيس الأسبق حسني مبارك الى الأستاذ مكرم محمد أحمد بمجلة المصور العدد ٤٠١٩ بتاريخ ١٩/١٠/٢٠٠١ عن حقيقة ما حدث في الاجتماع التاريخي للمجلس الأعلى للقوات المسلحة في ٢٤/١٠/١٩٧٢

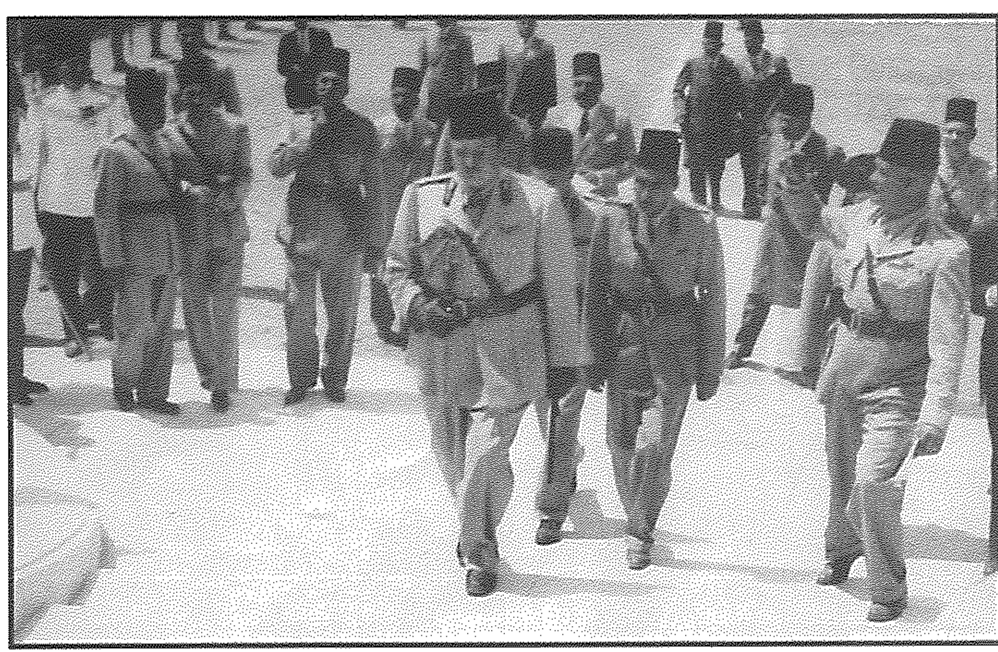
الصــــور



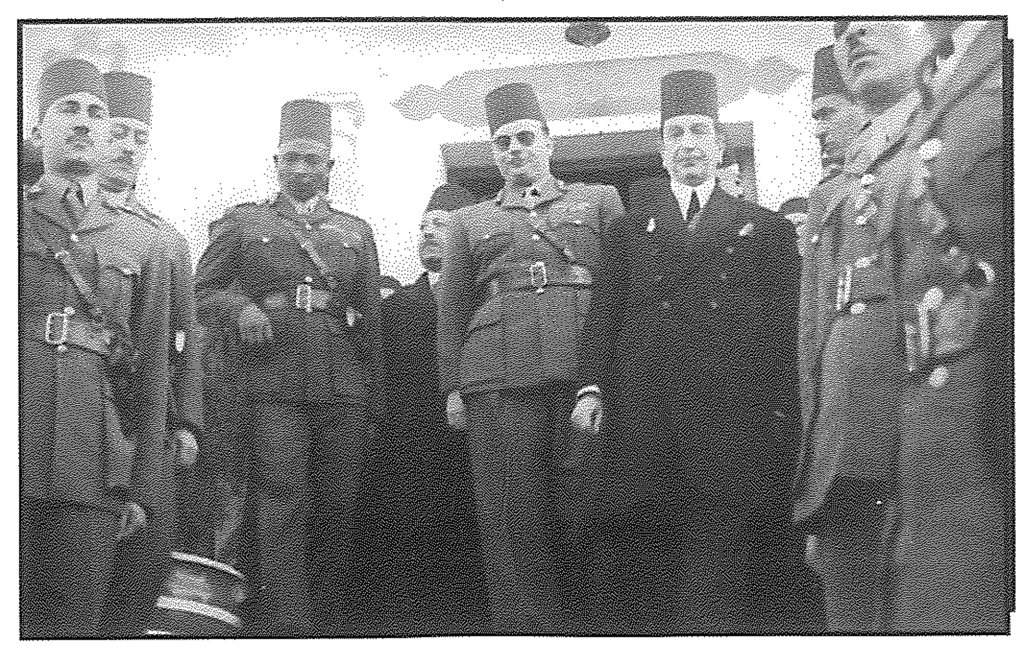
والـــدي

اللواء / أحمد صادق باشا

قائد بوليس جلالة الملك



الملك فاروق عند زيارة قلعة صلاح الدين ويظهر على يسار الصورة اللواء أحمد باشا صادق قائد بوليس جلالة الملك و بجانبه نجله الملازم محمد صادق الضابط بالحرس الملكى.



صورة يظهر فيها اليوزباشي محمد صادق بحرس جلاله الملك (أقصي يسار الصورة) مع الملك فاروق الأول عند مغادرة المسجد.



جلاله الملك فاروق يتفقد قوات الحرس العائدة من الفالوجة في ١٠ مارس ١٩٤٩ ويظهر بالصورة اليوزباشي محمد صادق قائد السرية الثانية من سرايا الحرس الملكي



اليوزباشي محمد أحمد صادق مع قوات الحرس الملكى المتوجهه إلي فلسطين والمترجلة من ميدان عابدين إلي ميدان باب الحديد



اليوزباشي محمد أحمد صادق بحرس جلالة الملك

سعادة اللواء أحمد فؤاد صادق
باشا قائد عام القوات المصرية
بفلسطين يعاين جزء من
الأسلحة التي غنمت من
الأعداء بعد معركة دير البلح
(التبة ٨٦) يومي ٢٢ و٢٣
ديسمبر ١٩٤٨



اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام القوات المصرية بفلسطين يعاين بعض الاسلحة التي غنمت من اليهود في معركة دير البلح (التبة ٨٦) يومي ٢٢ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٤٨ ويظهر بالصورة اليوزباشي محمد صادق وهو يتولي عرض الغنائم.



الرئيس محمد نجيب مع البكباشي محمد صادق أثناء تفقدهم لحطام طائرة عسكرية مصرية



البكباشى محمد أحمد صادق برفقة حرم الفيلد مارشال روميل قائد القوات الألمانية بشمال أفريقيا أثناء الحرب العالميه الثانية ، لدى زيارتها للآلاى الثالث حدود بمنطقه "تل العيسى" بالصحراء الغربية عام ١٩٥٤.



المشير عبد الحكيم عامر والعميد أركان حرب محمد صادق ومن خلفه الفريق أول علي علي عامر أثناء حضور مناورة لـ٦ مشاة ميكا بالذخيرة الحية في فايد ١٩٦٢.



الرئيس عبد الناصر والفريق أول فوزي والفريق صادق أثناء حضور المناورة الحربية.
(" القدس " فى ٥ مايو ١٩٧٠)

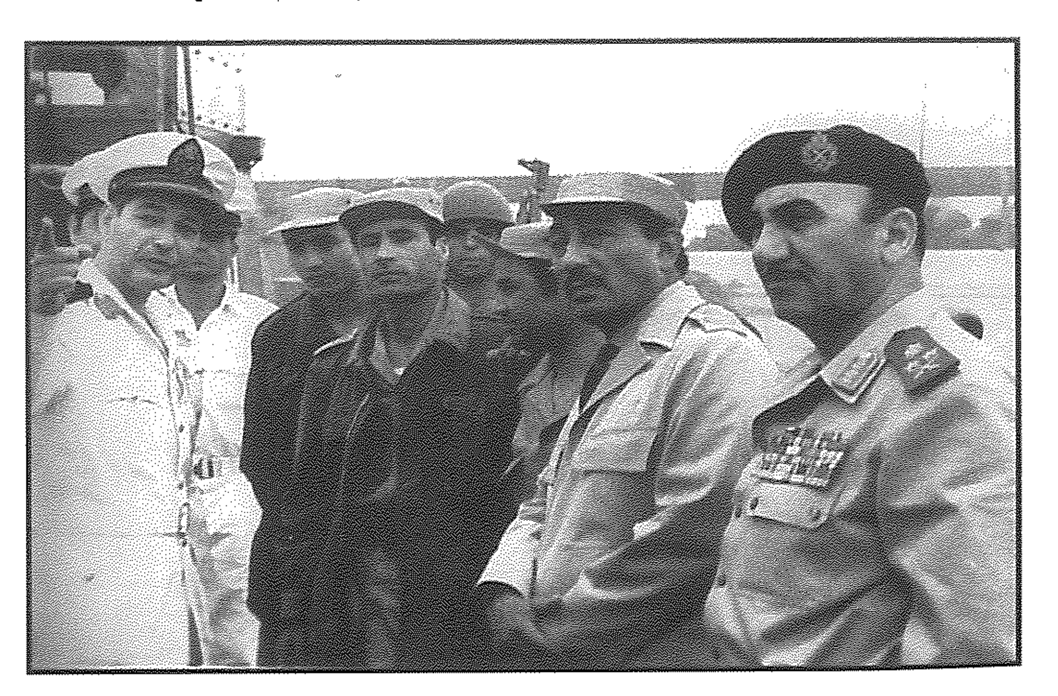


الرئيس عبد الناصريتحدث إلى الفريق صادق رئيس الأركان و معهم الفريق أول فوزي أثناء حضور مناورة حربية. (المناورة " القدس " فى ٥ مايو ١٩٧٠)

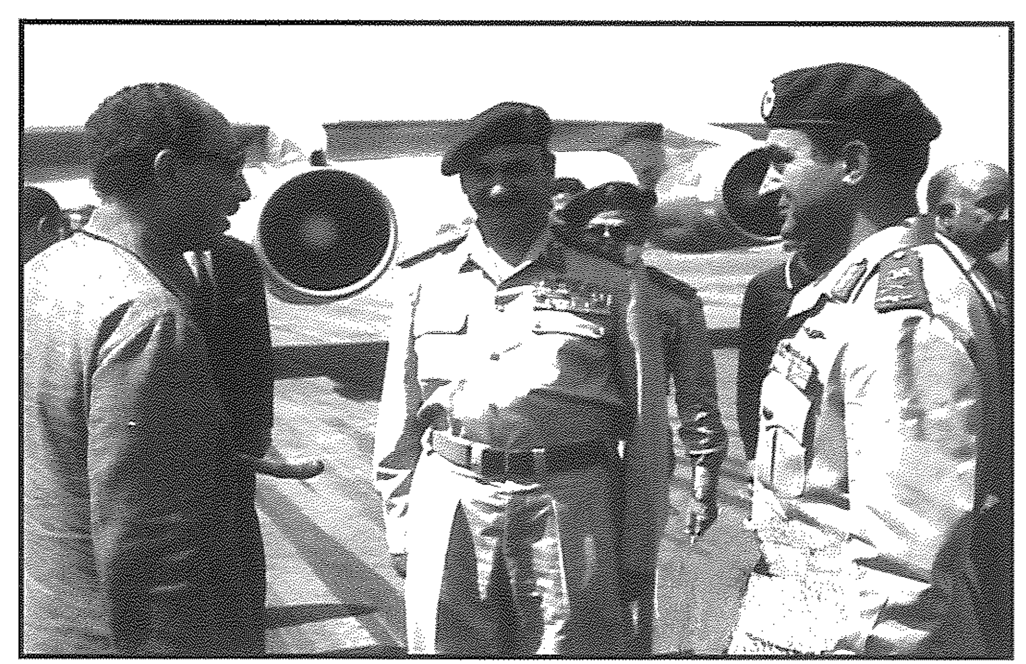




الرئيس السادات والفريق أول صادق فى زيارة للمجموعة ٣٩ قتال ويظهر على يمين الصورة
اللواء محرز عبد الرحمن مدير المخابرات الحربية وعلى اليسار المقدم إبراهيم الرفاعي قائد المجموعة



الرئيس السادات والرئيس القذافي في زيارة لإحدي الوحدات البحرية بالإسكندرية
بصحبة الفريق صادق واللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية



الفريق أول صادق في وداع الرئيس السادات بصحبة اللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية



الرئيس السادات والسيد حسين الشافعي نائب الرئيس والفريق صادق في باحة قصر عابدين لرفع العلم ومن الخلف يظهر حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي والفريق الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري.



الرئيس السادات والفريق أول صادق يتفقدوا قوات المجموعة ٣٩ قتال ويظهر علي يمين الصورة
اللواء محرز عبد الرحمن مدير المخابرات الحربية وعلي اليسار المقدم إبراهيم الرفاعي قائد المجموعة
ونائبه الدكتور عالى نصر



الفريق أول صادق وعلى يمين الصورة اللواء محرز مدير المخابرات الحربية والمقدم إبراهيم الرفاعى
وعلى اليسار اللواء عز الدين مختار نائب مدير المخابرات الحربيه



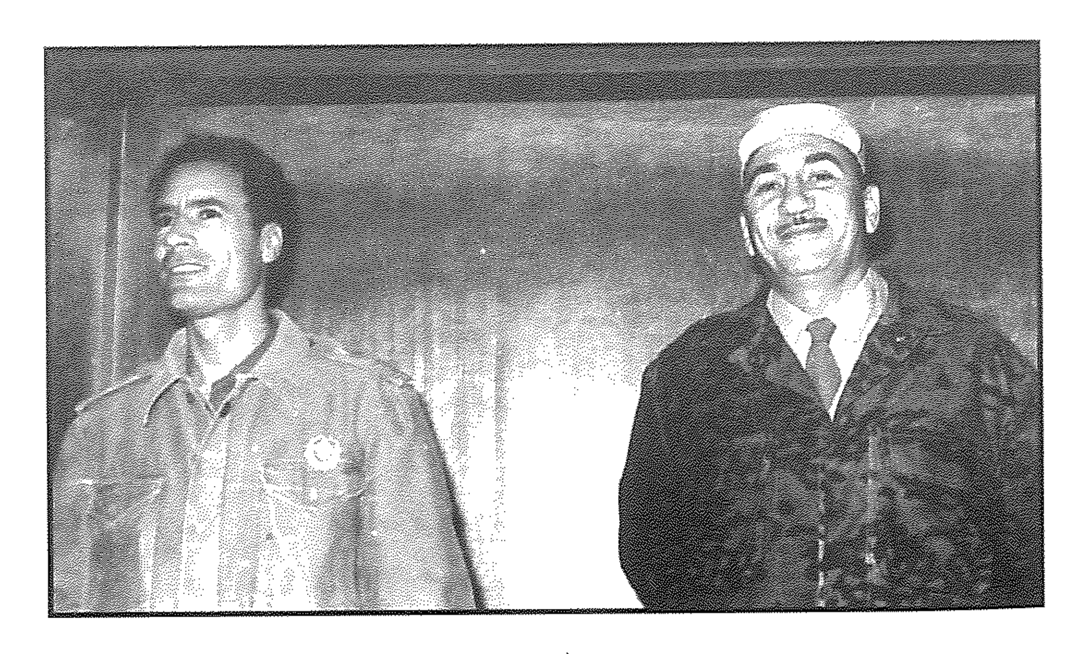
الفريق أول صادق واللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية



الفريق أول صادق واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث واللواء عبد المنعم خليل عام ١٩٧٢



الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الدفاع الكويتي بين الفريق أول صادق والفريق سعد الشاذلي.



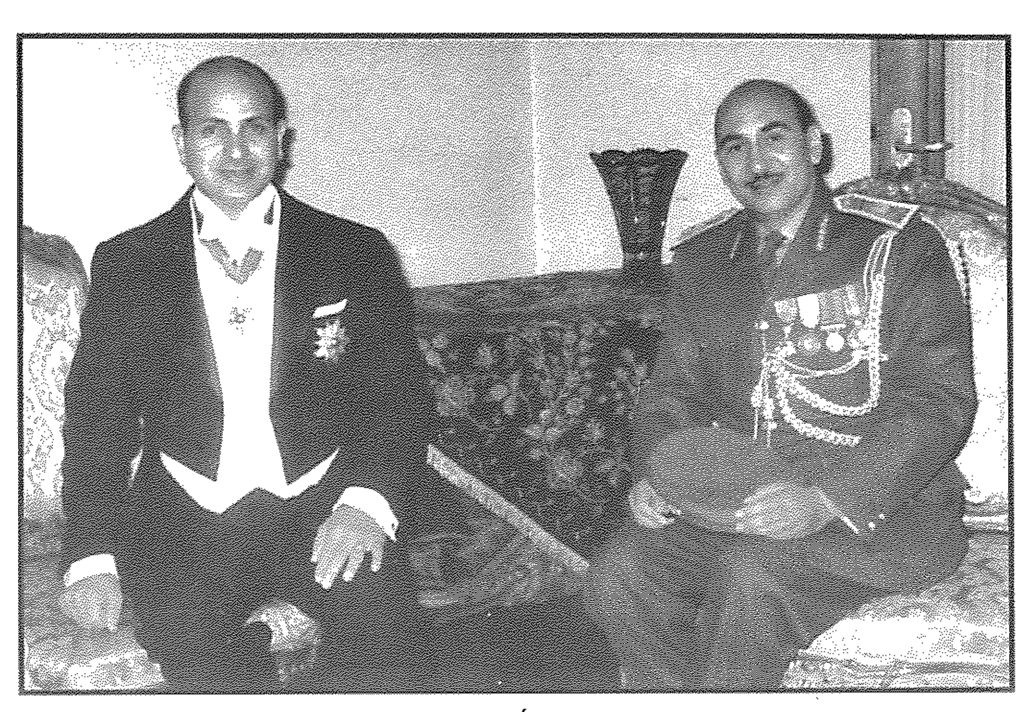
الرئيس الليبي معمر القذافي والفريق أول صادق فى زيارة للجبهة ١٥ مارس ٧٢



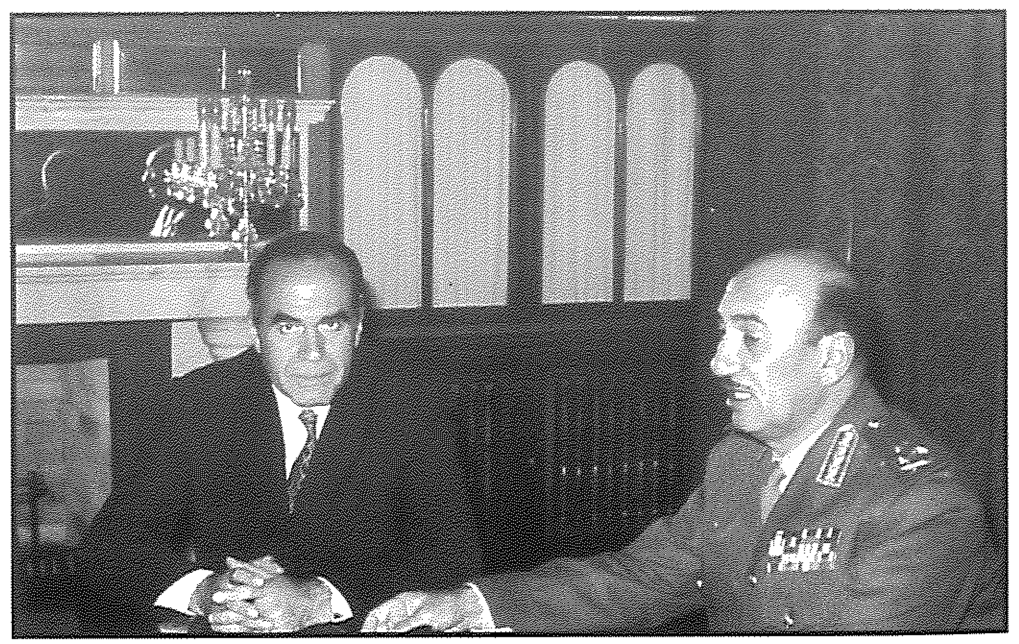
الأمير فهد خلال زيارته للجبهة عام ١٩٧١ بصحبة الفريق أول صادق



القائد ياسر عرفات وأبو إياد واللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية
أثناء افتتاح مسجد المخابرات عام ١٩٦٨



السفير جمال منصور سفير مصر بألمانيا الغربية مع اللواء محمد صادق
الملحق العسكرى المصري بألمانيا عام١٩٦٢ – ١٩٦٥



الفريق أول صادق وزير الحربية مع د مراد غالب سفير مصر بالاتحاد السوفييتي
(من ١٩٦١الى ١٩٧٢) والذي عينه السادات وزيرا للخارجية بعد طرد الخبراء الروس
وشعر أن هناك تغيرا في السياسات على حد تعبيره



..وبعد استقبال جريتشكو وأثناء سيرنا بالسيارة قال لى:

« لقد أتيت لكى أحطم أسنانك...»

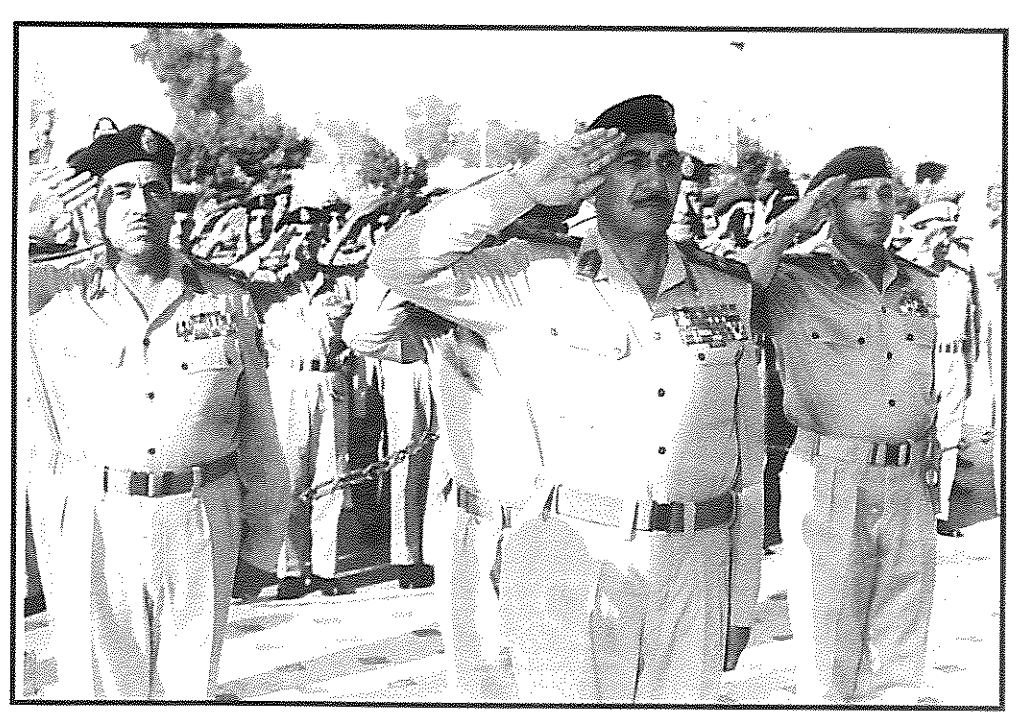
فأجبته : « بأننى علمت بكل ما دار من حوار فى موسكو، ولولا أنك ضيفى، وتقاليدنا تلزمنى بإكرامك كضيف واحترامك، لكنت رأيت من منا سيحطم أسنان الآخر»



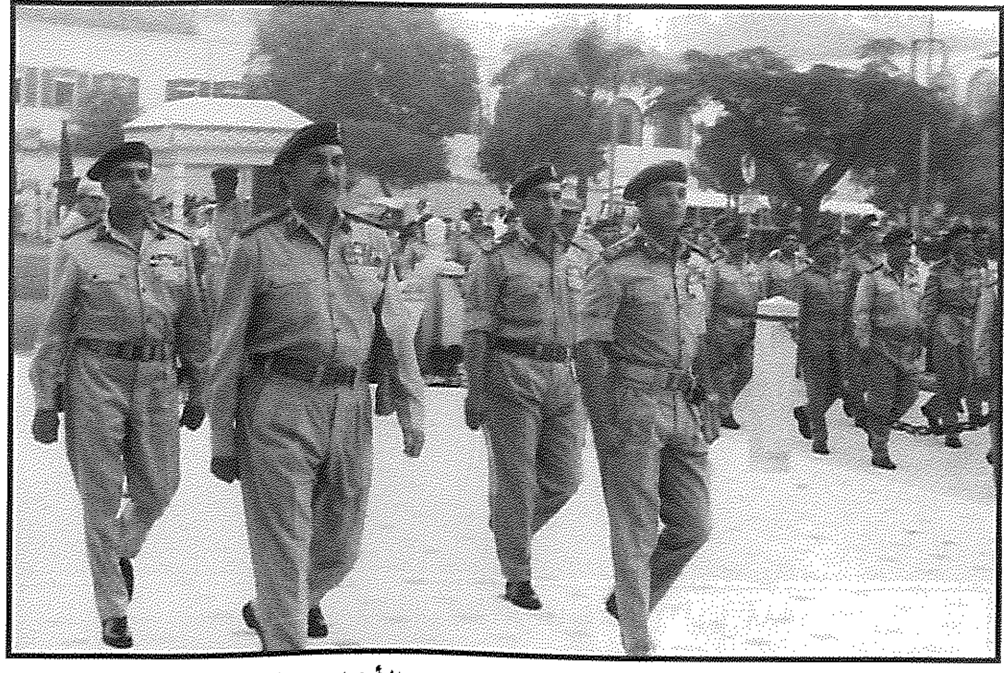
الفريق أول صادق وزير الحربية يهدي كبير المستشارين السوفييت الوسام الذي منحه له
الرئيس السادات قبل رحيلهم في احتفال بنادي الضباط بالزمالك يوليو ١٩٧٢
ويرى في يسار الصورة الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان



الفريق أول صادق يرحب بالفريق الليثي ناصف على باب وزارة الحربية
وبينهما الفريق عبد القادر حسن



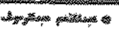
الفريق أول صادق وعلى يمينه الفريق عبد القادر حسن مساعد وزير الحربية وعلى يساره الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان في ذكرى وفاة الرئيس عبدالناصر



الفريق أول صادق وعلى يساره الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان وخلفهما اللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية واللواء محمد علي فهمي قائد قوات الدفاع الجوي

ثروت عكاشة يتذكر : قنابل الفدائيين في بيت عبد الناصر !





حديث ثروت عكاشة الى مجلة آخر ساعة عدد ١٣ أبريل ١٩٨٨
ويروي عن زمالته لصديقه محمد أحمد صادق وأنهم انضموا لأول تنظيم للضباط عام ١٩٣٩
باسم « رجال الفداء» والذي أنشأه محمد وجيه خليل

رسالة للجمهورية

من الفريق أول محمد صادق

هذه هي أسرار خطة نسف الساتر الترابي

٨١/١٢/٣

مقال الفريق أول صادق لجريدة الجمهورية في ٣ ديسمبر ١٩٨١

وهدف واحد يقف متماسكا ولله كله فيكم انا ليس عندي سوى واحد في المئة امل في الحل السلمي ويحوا ان الاسرائيليين يقاتلهم العسكريين مش حيسوقوا الا بمعركة بسبب غرورهم وصلافتهم وهذه حقيقة وحقيقة مقطوع بها .

سنة ٧١ حاسمة

انني اقول لكم ولشعبنا بكل امانة ووضوح ان سنة ١٩٧١ هي سنة حاسمة ولا يمكن ان يطول انتظارنا الى الابد ملتكن دائما مستعدين . وهنا أود ان أقول لكم يا ابنائي .. يا رجال القوات البحرية ان اقرر ان الوزير محمد صادق بشرف وامانة وبوطنية وبتقاليد عسكرية سليمة استطاع ان يجنب القوات المسلحة معركة المخاطر التي حدثت في الاسابيع الماضية على يد الحفنة المتآمرة واقول لكم لاول مرة ان الفريق اول محمد صادق هو الذي قام بهذا العمل شخصيا من نفسه ولا يتصور احد انى طلبت منه ذلك .. لكنه قام بهذا العمل النبيل بدافع وطني وكان هو الذي اتخذ المبادرة في ذلك لما اتصل بي يوم ١٣ مايو وقال لي نام يا افندم القوات المسلحة كلها متلية وبعيدة من كل هذه المخاطر . هذا الموقف سوف يسجله التاريخ للقوات المسلحة لان شعبكم الذي خرج يوم ١٥ مايو خرج من اجل معنى نبيل وهو انه ابدا لا يمكن ان يقبل الخطر في هذا الوقت من تاريخنا وتاريخنا . لا يمكن ان يقبل احد من شعبنا ان يكون ابناؤه على الجبهة وفي مواقعهم في البر او البحر ويتسلمهم من المعركة التي هي امل الملايين . الملايين التي خرجوا خلفكم ملتفين حول جبهتنا العسكرية ... فالمعركة حتمية مادام العدو متمسكا بصلفه وعدوانه .

من خطاب الرئيس السادات
للقوات البحرية بالأسكندرية والذي أشاد فيه بالفريق أول صادق وبوطنيته وأنه أبعد القوات المسلحة عن الصراعات السياسية في مايو ١٩٧١ وتحرك من تلقاء نفسه ، وذلك وفقا لما نُشر في جريدة الأهرام ص٧ عدد ٢٣/٦/١٩٧١
(راجع ص ١٠٦-١٠٧ من هذا الكتاب)

٢٧ مايو ١٩٨٠

الفريق أول صادق

يدافع عن نفسه .. ويعلن : الخط الدفاعي كان جاهزا منذ عام ١٩٦٩

رد الفريق أول محمد احمد صادق وزير الحربية الاسبق في حديث خاص « للشعب » على اتهام الرئيس انور السادات له بالخيانة في خطابه يوم ١٤ مايو امام مجلس الشعب ، بسبب ما قال عنه الرئيس انه « ارتفاع الساتر الترابي الاسرائيلي شرق قناة السويس عن الساتر الترابي المصري غرب القناة مما جعل المواقع العسكرية المصرية مكشوفة واضعف من امكاناتنا وقدراتنا الدفاعية » .



الفريق أول محمد صادق

مقال «الفريق أول صادق يدافع عن نفسه» بجريدة الشعب في ٢٧ مايو ١٩٨١

الفريق أول محمد أحمد صادق

عاش و مات من أجل مصر
أسكنه الله فسيح جناته

الفهـــرس

رقـــم الايـــداع
٢٠١٨/ ٢٢١٦٧

الترقيم الدولي ٣- ٩٨٧-٩٧٧-٢٠٩-٣٠٨ I.S.B.N

هـذا الكتـاب

ستظل مصر أبد الآبدين مقبرة لكل من تسوّل له نفسه الكيد بها ، وسيظل شعبها وجيشها خير أجناد الأرض لا يخافون من عاداهم و يفتدون بلادهم و أولادهم بدمائهم وأرواحهم..

هذا الكتاب صفحات مضيئة من حياة قائد عسكري لم يعرف إلا الحق فكان ناصراً له؛ فعندما قامت ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ كان ضابطا برتبة "صاغ" في الحرس الملكي، وكان والده قائداً للحرس الملكي، وعندما رحل الملك فاروق خارج البلاد قدم نفسه لقادة الثورة ليضع نفسه تحت أمر مصر وقيادتها الجديدة..

ولقد تدرج في المناصب العسكرية حتى أصبح وزيرا للحربية والقائد العام للقوات المسلحة بعد أحداث مايو ١٩٧١ .. ولقد كانت حياته كلها صراعات من أجل مصر ومن أجل الحق ونصرته ؛ فقد اصطدم بكثير من القيادات : الفريق أول محمد فوزي، الفريق سعد الشاذلي ، المشير أحمد إسماعيل، الفريق الليثي ناصف ، ممدوح سالم ، عزيز صدقي، حتى الرئيس السادات اصطدم به صداما عنيفاً.. وكذلك بالمارشال جريتشكو وزير الدفاع الروسي الذي أعلن أمام السادات والسفير المصري أنه قادم إلى مصر "لتكسير أسنان وزير الحربية صادق" ! حتى الزعيم الروسي بريجنيف حرض السادات ضده قائلاً: "من يحكم مصر: السادات أم صادق ؟" فلماذا كل هذه الصدامات ...؟؟

هذا ما نتركه للقارئ الكريم ليتعرف علي تفاصيلـه بنفسـه ..

وعلى سيرة قائد عسكري لم يخش في الله لومـة لائـم..

رحم الله الفريق أول محمد أحمد صادق وجميع شهدائنا وقادتنا الذين ارتوت مصر بدمائهم حتى تظل الكرامة مرفوعة وينعم أبناء مصر بترابها حراً طاهراً زكياً ..

﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ .. ﴾ (الحديد١٩)

مهندس

ماجد أحمد يحيى

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com
القاهرة : ٢٠٢/٢٢٩٢٤١٢٧
الإسكندرية : ٢٠٣/٤٨٤٦٦٠٢